حاشية العلامة مصطفى العروسي
المسماة
نتائج الأفكار القدسية
في بيان معاني
شرح الرسالة القشيرية
لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري
المتوفى ٩٢٦ هـ
ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه
الشيخ عبد الوارث محمد علي
المجلد الأول
١-٢
DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Title: Natā'ij al-'afkār al-qudsiyyah fī bayān ma'ānī Šarḥ al-Risālah al-Qušayriyyah

Classification : *Sufism*
Author : Muṣṭafā al-'Arūsī
Editor : 'Abdul-Wāriṯ Muḥammad 'Alī
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 1508 (2 volumes)
Year : 2007
Printed in : Lebanon
Edition : 2nd

الكتاب: حاشية العلامة مصطفى العروسي
المسماة: نتائج الأفكار القدسية
في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية
التصنيف : تصوف
المؤلف : العلامة الشيخ مصطفى العروسي
المحقق : الشيخ عبد الوارث محمد علي
الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات : 1508 (4 أجزاء بمجلدين)
سنة الطباعة : 2007
بلد الطباعة : لبنان
الطبعة : الثانية

ISBN 2-7451-2620-2 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-2620-7 (13 dig)
90000
9 782745 126207



دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان



الطبعة الثانية
٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax:+961 5 804813
P.o.Box:11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون ، القبة
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨١٠/١١/١٢ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨١٣ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(ومنهم أبو محمد جعفر بن محمد نصير بغدادي المنشأ والمولد صحب الجنيد وانتمى إليه وصحب النوري ورويماً وسمنون والطبقة) أي: ومن في طبقتهم وحج قريباً من ستين حجة، **(مات ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة قال جعفر: لا يجد العبد لذة المعاملة)** مع الله **(مع لذة النفس لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التي تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق)** قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] وذلك لأن القلب إذا امتلأ بشيء شغل به عن غيره فلا يجد أحد اللذة مع الله والأنس به والتنعم بمناجاته إلا إذا تفرغ له بالكلية، ومن كان كذلك أعرض عن شهوات نفسه. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت جعفر يقول إنما بين العبد وبين الوجود)** أي: وجود الحق

(قوله: ومنهم أبو محمد جعفر بن محمد بن نضير) أي الخوّاص البغدادي ويعرف بالخلدي إمام يمّ فضله متسع وشمل معرفته مجتمع أخذ عن سمنون والجنيد وتلك الطبقة، كان ملجأ للقوم في فهم كلامهم وحكاياتهم حتى قال: عندي مائة ونيف وثلاثون ديواناً من دواوين الصوفية، وحج نحو ستين حجة، وكتب إليه أبو الخير التيناتي: وزر جهل الفقراء عليكم لأنكم اشتغلتم بنفوسكم عن تأديبهم فبقوا بجهلهم، وترجمه الخطيب في تاريخه وقال: هو شيخ الصوفية وذكر أنه سمع الحديث من جماعة كثيرين أجلاء من أهل الفرات ومكة ومصر وقال: إنه رحل ولقي المشايخ الكبراء من المحدّثين والصوفية، ثم عاد إلى بغداد وروى بها علماً كثيراً قال: وكان ثقة صدوقاً ثبتا ديناً صوفياً نام في ابتداء أمره، فسمع هاتفاً يقول امض إلى موضع كذا واحفر تجد هناك شيئاً ففعل، فوجد صندوقاً فيه دفاتر فيها أسماء ستة آلاف شيخ من أهل الحقائق والأصفياء والأولياء من آدم إلى زمنه ونعوتهم وصفاتهم وكلامهم، فكان يقرؤها ثم دفنها فلم تظهر لأحد. ومن كلامه: لا يقدح في الإخلاص كون المريد يعمل ليصل للمقامات العلية، وقال: من أخلص لله في المعاملة أراحه من الدعاوي الكاذبة وقال: المحب يجتهد في كتمان حبه، وتأبى المحبة إلا اشتهاراً، وقال: العقل ما يبعدك عن مواطن الهلكات مات ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

(قوله: لا يجد العبد الخ) أي فذوق لذة المعاملة له تعالى لا يتم مع وجود لذة حظوظ النفس إذ لا يجتمع نور وظلمة في محل واحد. **(قوله: إذا امتلأ بشيء الخ)** أي لأن المشغول لا يشغل. **(قوله: إنما بين العبد وبين الوجود)** أي حضور القلب ووجدان لذة المناجاة أن

تعالى بأن يديم نظره إليه وبعبده كأنه يراه (**أن تسكن التقوى**) بفعل المأمورات وترك المنهيات (**قلبه فإذا سكنت التقوى قلبه نزلت عليه بركات العلم وزالت عنه رغبة الدنيا**) لما يراه من لذة المناجاة.

(**ومنهم أبو العباس السياري**) نسبة إلى سيار جده، (**واسمه القاسم بن القاسم من مرو صحب الواسطي وانتمى إليه في علوم هذه الطائفة، وكان عالماً مات سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة. سئل أبو العباس السياري بماذا يروض المريد نفسه فقال: بالصبر على**) فعل (**الأوامر واجتناب النواهي وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء**) فلا يروضها إلا بالأمور الشرعية لا بما زعمه بعضهم من أنه يروضها بما شاء حتى بالغناء والشبابة ونحوهما. (**وقال**) أبو العباس (**ما التذ عاقل بمشاهدة قط لأن مشاهدة الحق**) الكاملة بأن يفقد العبد فيها إحساسه بنفسه (**فناء ليس فيها لذة**) فالمراد فناء الفناء لأن العبد متى كمل شغله بربه حتى فني عن ذكر غيره من قلبه كان فناء وإن قوي شغله به حتى نسي نفسه كان فناء الفناء، فالمشاهدة مقولة بالتشكيك لأن فيها أعلى، وهو المسمى بفناء الفناء كما ذكر وأدنى أن يكون العبد مشاهداً لمولاه قليل الغفلة عنه ناظراً لما يرد عليه من فضله وهو مدرك لنفسه ومولاه وتفضله عليه، فهذا فناء فيه لذة، قالوا: والفناء على ثلاثة أوجه: فناء في الأفعال لا فاعل إلا الله، وفناء في

تسكن التقوى قلبه وهي لا تسكن فيه إلا إذا تفرغ من غيرها من ملائمات النفوس. (**قوله: ومنهم أبو العباس السياري**) قال المناوي: اسمه القاسم بن القاسم بن مهدي من أهل مرو كان فقيهاً محدثاً صوفياً متحلياً بالزهد والورع بعيداً عن الحرص والطمع صحب الواسطي وغيره. ومن كلامه: كيف السبيل إلى ترك ذنب كان عليك في اللوح المحفوظ محفوظاً، وإلى صرف قضاء كان بك مربوطاً، وقال: حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف، وقال: ظلمة الطبع تمنع أنواع المشاهدة، وقال: لباس الهيبة للعارفين، ولباس التقوى للمقربين، ولباس التقوى ذلك خير، وقال: ما التذ عاقل بمشاهدة قط لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة، وقال إنما يروض المريد نفسه بالصبر على الأوامر وتجنب النواهي، ومحبة الصالحين وخدمة الفقراء مات سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة.

(**قوله: فقال بالصبر على فعل الأوامر الخ**) أي فلا سبيل إلاّ سبيل الهدى المحمدي، وطريقه المتابعة والموافقة والله أعلم.

(**قوله: والشبابة**) بتخفيف الباء آلة من آلات الملاهي. (**قوله: ما التذ عاقل الخ**) أي لأن اللذة من لوازم النفس، وهي في هذا المقام يفنى عنها صاحبها، فيفنى لازمها معها. (**قوله: فناء ليس فيها لذة**) أي ولا غيرها لفناء الإحساس بفناء النفس في هذا المقام الذي هو مقام فناء الفناء كما أشار إليه الشارح، وذلك أعلى أوجه الفناء الآتي بيانها في كلامه.

الصفات لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلا الله، وفناء في الذات لا موجود على الإطلاق إلا الله، وأنشدوا في ذلك:

فيفنى، ثم يفنى ثم يفنى　　　فكان فناؤه عين البقاء

(ومنهم أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي أقام بالشام وعاش أكثر من مائة سنة مات بدمشق بعد الخمسين)، قال السراج بن الملقن: سنة ستين، **(وثلاثمائة صحب ابن الجلاء والزقاق. قال أبو بكر الدقي: المعدة موضع يجمع الأطعمة فإذا طرحت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة)** لإجراء عادة الله تعالى بأن من أكل الحلال نشط لعمل الطاعات، **(وإذا طرحت فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق إلى الله تعالى وإذا طرحت فيها التبعات كان بينك وبين أمر الله حجاب)** لأن الشهوة غلبت على القلب فأعمته. ومن كلامه: من عرف ربه لم ينقطع رجاؤه،

(قوله: فيفنى، ثم يفنى، ثم يفنى. فكان فناؤه عين البقاء) فقوله يفنى أولاً فهو عن الفعل بذوق: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقوله ثم يفنى ثانياً فهو عن الوصف بذوق: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وقوله: ثم يفنى ثالثاً أي عن الذات بذوق «كان الله، ولا شيء معه ويبقى الله، ولا شيء معه»، وقوله فكان فناؤه عين البقاء المراد الفناء بأوجهه الثلاثة المتقدِّمة عين البقاء، وذلك لأنه بفنائه المذكور يبقى به سبحانه وتعالى، ولا بعد في كون العدم من أسباب الوجود حيث المؤثر الرب المقصود.

(قوله: ومنهم أبو بكر محمد بن داود الدينوري الخ) قال المناوي: إمام تقدم في جامع الطاعة، وسبق في حلبة الزهد والقناعة، وسار بالورع والصلاح وطار على آفاق أجنحة النجاح، صحب ابن الجلاء والدقاق وعمر مائة سنة. ومن فوائده: علامة القرب إلى الله الانقطاع عمن سواه، وقال: من عرف الله لم ينقطع رجاؤه، ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله، ومن عرف ربه لجأ إليه، ومن نسي ربه لجأ إلى المخلوق، وقال: أهل المعرفة أحياء بحياة معروفهم وغيرهم لا حياة لهم إلا مجازاً، وقال: لا يكون المريد مريداً حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة شيئاً، وقال: كم من مسرور وسروره بلاؤه، وكم من مغموم غمه نجاته، مات سنة ثلاث وستين وثلاثمائة عن نحو مائة سنة ودفن بالقرافة.

(قوله: ومن كلامه من عرف ربه) أي بسبق رحمته وكرمه لم ينقطع رجاؤه بل يقوى، وقوله: من عرف نفسه أي بميلها للشهوات وطبعها على الخبث والدسائس وعجزها عن فعل شيء، أو تركه يعجب بعمله لأنه والحالة هذه قل أن يصفو له عمل، وقوله ومن ذكر الله أي تذكر وتفكر في أنه هو الفاعل المختار لا فاعل غيره لجأ إليه أي لم يعتمد على شيء سواه، وقوله: ومن نسي الله أي غفل عن كونه الفاعل المختار لجأ إلى المخلوقين أي اعتمدهم بسبب جهله وغفلته، وقوله: والمؤمن لا يسهو الخ أي فسهوه ينشأ عن

ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله، ومن ذكر الله لجأ إليه ومن نسي الله لجأ إلى المخلوقين والمؤمن لا يسهو حتى يغفل، فإذا تذكر حزن واستغفر أي إذا سها لا يستمر سهوه حتى يغفل، بل إذا سها يعقبه التذكر، فإذا تذكر حزن واستغفر.

(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الرازي مولده ومنشؤه بنيسابور صحب أبا عثمان الحيري والجنيد ويوسف بن الحسين ورويماً وسمنون وغيرهم، مات سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: وقد سئل ما بال) أي حال **(أناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب فقال: لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ولم يشتغلوا باستعماله)** أي بالعمل به، **(واشتغلوا بالظواهر)** أي: بآدابها **(ولم يشتغلوا بأداء البواطن فأعمى الله قلوبهم، وقيد جوارحهم عن العبادات)** لأن العبد إنما يرجع عن خطئه وزلله بكمال خوفه من ربه بشدة حذره من مقته، وإنما يحصل له ذلك بدوام فكره في وعده ووعيده الناشيء عن صلاح القلب الذي قال فيه النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله».

(ومنهم أبو عمرو إسماعيل بن نجيد صحب أبا عثمان ولقي الجنيد، وكان

غفلته، وإذا تذكر حالاً يرجع ويندم ويحزن ويطلب الإقالة والعفو من ربه.

(قوله: ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الرازي) أي المعروف بالحدّاد كان عن حظه حائداً ولمشهوده عابداً مشاهداً ذا رتبة في التصوف ركنها رفيع ومنزلة عالية طودها شامخ بديع. ومن كلامه: العبارة تعرفها العلماء والإشارة تعرفها الحكماء، واللطائف تقف عليها السادة النبلاء، وقال: علامة الصبر ترك الشكوى وكتمان الضر والبلوى، ومن علامات الإقبال على الله تعالى صيانة الأسرار عن الإلتفات إلى الأغيار، وأحسن العبيد حالاً من رأى نعمة الله عليه بأن أهله لمعرفته، وأذن له في قربه، وأباح له سبيل مناجاته وخاطبه على لسان أعز أنبيائه، وعرف تقصيره عن القيام بواجب أداء شكره، وقال: كنت أتأدب بأبي عمران الإصطخري، فإذا خطر لي خاطر أحضره، فيجيبني من غير مسألة، ثم لما شغلت عن حضوره كنت إذا خطر على سري أجابني من اصطخر جواب مخاطبته وأنا بنيسابور نفعنا الله ببركة أوليائه.

(قوله: فقال لأنهم اشتغلوا بالمباهاة الخ) محصله أن دوام التلوث بالأقذار المعنوية سببه ظلمة القلوب بترك آدابها والاقتصار على إصلاح الظاهر مباهاة وتصنعا، ومن العجيب شدة النكير على عيب الغير والعمى عن عيب النفس مع أنه لو أنصف لبدأ بنفسه فطهرها من ذلك بدوام الذكر والفكر، وسؤال العافية للغير والله أعلم.

(قوله: الأوان في الجسد الخ) الصلاح وعدمه في ذلك باعتبار اللطيفة الربانية المودعة فيه التي بها الإدراكات والمعارف. **(قوله: ومنهم أبو عمرو إسماعيل بن نجيد)**

كبير الشأن آخر من مات من أصحاب أبي عثمان في سنة ست وستين وثلاثمائة. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول: كل حال لا يكون عن نتيجة علم فإن ضرره على صاحبه أكثر من نفعه) لأن العلم بالأشياء هو الذي يفيد القلوب، الأحوال كالعلم بالمخوف، فإنه يفيد القلب الهرب وكالعلم بالمرجوّ فإنه يفيد القلب شدة الطلب، وكالعلم بالنعم فإنه يفيد القلب محبة المنعم، وكل حال لا يكون عن علم فهو مذموم لأن فاعله مراء متشبع بما لم ينله (قال) أي: الشيخ عبد الرحمن (وسمعته) أي: أبا عمرو بن نجيد (يقول: من ضيع في وقت من أوقاته فريضة افترضها) وفي نسخة افترض الله عليه بأن تركها بالكلية أو أتى بها مختلة الشرط (حرمه الله لذة تلك الفريضة ولو) وفي نسخة إلا (بعد

أي السلمي شيخ عصره في التصوّف وإمام وقته في فنون التعرف، كان ذا براعة وفصاحة وصيانة وسماحة، وكان شافعي المذهب صحب الجنيد والحيري وأخذ الحديث عن أحمد بن حنبل والرازي روى عنه سبطه أبو عبد الرحمن السلمي، والحاكم والقشيري، وحكى هو عن نفسه قال: اختلفت إلى مجلس الحيري في بدايتي، فأثر في قلبي كلامه فتبت، ثم وقعت في فترة فكنت أهرب من الحيري إذا رأيته فظفر بي فقال يا بني لا تصحب من لا يحبك إلا معصوماً إنما ينفعك أبو عثمان في مثل هذه الحالة فتبت وعدت إلى الإرادة، وذكر أن شيخه الحيري من الأوتاد. ومن كلامه: من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه، وقال: كل من لم تهذبك رؤيته فهو غير مهذب، وقال: لا يصفو لأحد قدم في العبودية حتى يشهد أفعاله كلها رياء، وأحواله دعاوى، وقال إذا أراد الله بعبد خيراً رزقه صحبة الصالحين والعمل بما يشيرون به عليه، وقال الدعاوي إنما تتولد من فساد الابتداء، فمن صحت بدايته صحت نهايته، ومن فسدت بدايته هلك في أحواله وقتاً ما ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ﴾ [التوبة: ١٠٩] الآية، وقال: التصوّف الصبر تحت الأمر والنهي، وقال الملامتي لا دعوى له لأنه لا يرى لنفسه شيئاً يدعي به، وقال: من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الإعراض عن الدنيا وأهلها، وقال: من الجهل إظهار العبد محاسنه لمن لا يملك نفعه ولا ضره، وله غير ذلك من الفوائد.

(قوله: كل حال الخ) محصله الحث على العلم والعمل به وعلى دوام إتهام النفس وحينئذ فلا يثق الإنسان بالواردات إلاّ إذا وافقت علم الظاهر والله أعلم. (قوله: فإنه يفيد القلب محبة المنعم) أي وإذا أحبه شكره عليها، وإذا تم شكره زادت نعم الله عليه والله أعلم. (قوله: فهو مذموم) أي لجهل صاحبه بالقواطع والأسباب المهلكة.

(قوله: أو أتى بها مختلة الشروط الخ) أي سواء كانت شروط صحة أو كمال، وقوله: حرم لذة تلك الفريضة بل ربما استحق مع ذلك العقاب الشديد. (قوله: فقال هو

حين) المعنى على النسخة الأولى أنه يزيل لذتها من قلبه بأن يصيبه ولو بعد حين وإن قضاها، وعلى الثانية أنه يزيل لذتها إلاّ أن يعفو عنه فيعيد له لذتها. **(قال: وسئل عن التصوف فقال:)** هو **(الصبر تحت امتثال الأمر والنهي)** هذا تفسير باللازم فإن التصوف هو التلخلق بأخلاق الصوفية، وذلك إنما يحصل بالصبر المذكور **(قال وقال:)** وفي نسخة سمعت السلمي يقول: سمعت جدي يقول **(آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه)** من المقامات أي مع امتناعه من طلب زيادة عليه وإلاّ فهو حسن فلم يزل العلماء الراضون بقضاء الله تعالى الواقع يسألونه الزيادة، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وفي نسخة أخرى عقب قوله بما هو فيه سمعت محمد بن الحسين يقول ذلك.

(ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البوشنجي) بضم الموحدة وفتح المعجمة وبالجيم نسبة إلى بوشنج بلدة على سبعة فراسخ من هراة **(أحد فتيان خراسان لقي أبا عثمان وابن عطاء والجريري وأبا عمرو الدمشقي مات سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة)** بنيسابور وكان أعلم أهل وقته بالتوحيد والطريق وأحسنهم طريقة في الفتوة والتجريد. **(وسئل البوشنجي عن المروءة فقال: هي ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الملائكة الكرام الكاتبين ككشف العورة)** في الخلوة والمروءة الكاملة أن يتحفظ العبد في جميع حركاته بقلبه وجوارحه حتى لا يكون منها ما يكرهه مولاه ولا غيره من خلقه، وقال له إنسان: ادع الله لي فقال: أعاذك الله من فتنتك لأن العبد

الصبر الخ) أي حبس النفس على فعل المأمورات واجتناب المنهيات، فالمراد بالأمر والنهي ما فيهما وعيد شديد لا يقبل التأويل والصرف، أو لم يكونا كذلك وبذلك يتم له معنى الاستقامة على حسب الطاقة.

(قوله: وإلاّ فهو حسن) أي وألا يكون حقه الامتناع المذكور، فهو حسن للإمتثال بطلب الزيادة وهذا لا ينافي الوقوف مع مرادات الحق تعالى لما أشار له الشارح بقوله فلم يزل العلماء الخ فتدبر. **(قوله: أحد فتيان خراسان)** أي لزيادة سماحته بالبذل وكرم أخلاقه. **(قوله: وأحسنهم طريقة في الفتوّة والتجريد)** أي التفتي بقوّة البذل والتجريد أي تجريد نفسه عن الحظوظ والعادات. **(قوله: فقال هي ترك الخ)** أي فلا تتحقق المروءة للإنسان إلاّ بترك ما يلام عليه بوجه الشرع مما يحصى من حركاته وسكناته في ديوان الكاتبين من الملائكة وذلك أقل رتبة مما ذكره الشارح بعد.

(قوله: والمروءة الكاملة الخ) أي وهذه لا تتم إلاّ بالخروج عن جميع الشهوات البشرية ودوام المراقبة لكامل الحركات والسكنات كما أفاده الشارح.

(قوله: فقال أعاذك الله من فتنتك الخ) أقول ظاهره عموم الفتنة لفتنة الوجود وفتنة

قد يفتتن بالمال والولد والجاه وغيرها مما يجب، ويشتغل به عن دينه قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] فدعا له بالسلامة من كل فتنة. (وقال) البوشنجي (أيضاً) أول الإيمان منوط بآخره لأن أوّله الشهادتان بالنطق مع التصديق بالقلب، وإذا عمل بمقتضى ذلك أفرد ربه بالقصد والعمل، ورسوله بالحق فيما قال وفعل فإذا كمل في ذلك حتى لم ير غير ربه فقد وصل إلى غاية الإيمان وهو مقام الإحسان، وهو أن يعبد العبد ربه كأنه يراه فأوّله نطق وتصديق، وآخره شغل بربه عن غيره، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون ما سبق العبد في الأزل هو ما يجري عليه في الأبد من إيمان أو كفر أو طاعة أو معصية، ويحتمل وجهاً آخر نفي الإغترار عن العمال بأوائل الأمور حتى يتحققوا ما يختم لهم به من المقدور، ومن كلام البوشنجي الناس على ثلاث منازل: الأولياء، وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم، والعلماء وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء، والجهال وهم الذين علانيتهم بخلاف أسرارهم لا ينصفون من أنفسهم، ويطلبون الإنصاف من غيرهم.

الفقد، وإنما قصرها الشارح على فتنة الوجود للآية الكريمة وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧].

(قوله: فدعا له بالسلامة من كل فتنة الخ) أي باعتبار ظاهر المتن، أو المراد من كل فتنة تنشأ عن الوجود على ما مشى عليه الشارح. (قوله: أول الإيمان منوط بآخره) أي لأن أوله الإقرار مع الإذعان القلبي فإذا دام له ذلك أثر في دوام العمل مع المراقبة على طريق المتابعة حتى يصل إلى مقام الإحسان، ومحصل ذلك أن التصديق والإذعان الواقع من المكلف أولاً يتعلق بآخره تعلق تأثير في دوام الأعمال مع المراقبات الموصل إلى درجة الإحسان، فأول الإيمان علم وآخره قوة يقين والله أعلم.

(قوله: الأولياء) أي وهم العلماء بعلم الشرع، وعلم الذوق، وقوله: العلماء أي بعلم الشرع فقط وقوله: والجهال أي وهم من تخلى عن العمل، وإنْ كانوا علماء.

(قوله: ومنهم أبو عبد الله بن خفيف) هو محمد بن خفيف الضبي الشيرازي الشافعي شيخ المشايخ وذو القدم الراسخ علماً وديناً وجمعاً بين الحقيقة والشريعة، كان له بدايات كالنهايات وأحوال عاليات ورياضات ومجاهدات، صحب من أرباب الأحوال أحباراً وأخياراً وشرب من منهل الطريق كؤوساً كباراً، وسافر مشرقاً ومغرباً، وصابر النفس حتى انقادت بعد الإباء، فأصبح لسان الثناء عليها معربداً قد ألزم قلبه المراقبة حتى لا يدري القرار وهيكله المجاهدة حتى لا يعرف من المأوى إلا الفقار، وكان ذا ذكر باجتماع ووجد مع استماع، وعمل على الاتباع كان من بني أكابر الأمراء، فتفقه، ثم

(ومنهم عبد الله بن خفيف الشيرازي) بكسر الشين المعجمة نسبة إلى شيراز قصبة فارس **(صحب رويما والجريري وأبا العباس بن عطاء وغيرهم، مات)** في رمضان **(سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة)** بشيراز عن مائة وأربع سنين **(وهو شيخ الشيوخ وأوحد وقته)** شافعي المذهب **(وقال ابن خفيف: الإرادة)** من العبد **(استدامة الكد وترك الراحة)** لأن الوصول إلى الدرجات العلا إنما يحصل بذلك ويكون مع ذلك متبرئاً من إرادته، ولهذا قالوا المريد لا إرادة له **(وقالوا ليس شيء أضر بالمريد من مسامحة النفس في ركوب الرخص)** أي: ارتكابها **(وقبول التأويلات)** المفضية إلى الراحات والبطالات لأن ذلك يضاد اجتهاده في الخيرات **(وسئل عن القرب فقال قربك منه)** تعالى **(بملازمة الموافقات)** لأوامره ونواهيه التي منها استشعار قلبك نظره إليك وقلة غفلتك عنه **(وقربه منك بدوام التوفيق لك)** وتوالي نعم الله عليك، فليس القرب بالتداني والمسافة لأن

تصوف وتزهد حتى صار بجمع الخرق من المزابل ويستتر بها، أخذ عن ابن شريح الأشعري والواسطي والجريري وابن عطاء والمقدمي، ولقي الحلاج وأخذ عنه القاضي الباقلاني وغيره. قال أبو نعيم: كان شيخ الوقت علماً وحالاً، وقال النسوي: بلغ ما لم يبلغه أحد في العلم والجاه والتام عند الخاص والعام، وصنف ما لم يصنفه أحد مقصوداً من الآفاق مفيداً لكل فن من الفنون وبقي في بدايته أربعين شهراً يفطر بكف باقلاء حتى جف دمه، ويقرأ القرآن في كل ركعة ويصلي كل يوم ألف ركعة، ودخل بغداد، وبقي بها أربعين يوماً لا يأكل، ولا يشرب، ثم خرج فوجد ظبياً على رأس بئر في البرية، وهو يشرب، وكان عطشاناً فدنا من البئر فولى الظبي، وإذا بالماء أسفل البئر فقال يا سيدي مالي عندك مثل هذا الظبي، فسمع قائلاً يقول جربناك فلم تصبر إن الظبي جاء بلا ركوة وحبل، وأنت جئت بهما فرجع، فإذا بالبئر ملآن فشرب وتطهر وملأ ركوته، فدخل على الجنيد، فلما وقع بصره عليه قال له: لو صبرت ساعة لنبع الماء من تحت قدميك، ومن كلامه: القرب طي المسافة بلطيف المداناة، وقال قربك بملازمة الموافقات، وقربه منك بدوام التوفيق، وقال قال لي المصطفى في النوم: من عرف طريقاً له إلى الله فسلكه، ثم رجع عذبه الله بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين، وقال: عليك بمن يعظك بلسان فعله لا بلسان قوله وله غير ذلك.

(قوله: الإرادة الخ) مراده بها الإرادة المتعبرة لنيل المشاهدات، وإلا فهي تتحقق بالعمل على طريقة المتابعة.

(قوله: متبرئاً من إرادته) أي بشهود الفضل له تعالى. **(قوله: قالوا المريد من لا إرادة له)** أي من لا إرادة له ترجع إلى الشهوة. **(قوله: وتوالي نعم الله عليك)** أي بإفاضة الأنوار وقوة الأسرار. **(قوله: ربما كنت اقرأ الخ)** أقول ذلك كله ميسر بالعناية والتوفيق

ذلك من لواحق الأجسام، والله تعالى منزه عنه (**سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: ربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة**) قال ذلك لمريديه ليجدوا فيما هم فيه، ويعرفهم بتقصيرهم فيما يدعون سلوكه (**سمعت أبا عبد الله بن باكويه الشيرازي رحمه الله يقول: سمعت أبا أحمد الصغير يقول: دخل يوماً من الأيام فقير فقال للشيخ أبي عبد الله بن خفيف: بي وسوسة فقال الشيخ عهدي**) (**بالصوفية يسخرون من الشيطان والآن الشيطان يسخر بهم**) لأن النفوس إنما يتكرر عليها الوساوس من الشيطان بسبب تعلقها بالمحبوبات ورجاء موافقتها له في ذلك، وهذا حاله مع الضعفاء، أما المتثبتون، فلا يتأثرون بوسوسة بل يستهزؤون به لقلة رغبتهم فيما دعاهم إليه من الخسران وشدة رغبتهم في الخيرات. (**وسمعته**) أي: ابن باكويه (**يقول: سمعت**) أبا العباس الكرخي يقول: سمعت (**أبا عبد الله بن خفيف يقول: ضعفت عن القيام في النوافل فجعلت**) وفي نسخة وقد جعلت (**بدل كل ركعة من أورادي ركعتين قاعداً**) للخبر الصحيح: «صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم»، في ذلك دلالة على كمال اجتهاده وحمل الحديث على ظاهره احتياطاً ورغبة في الأجر وإلا فغيره من الفقهاء حملوه على القادر، فالعاجز يساويه في الأجر، ومن كلامه: الأكل مع الفقراء قربة إلى الله تعالى.

(**ومنهم أبو الحسين بندار**) بضم الموحدة (**ابن الحسين الشيرازي كان عالماً**

(**قوله ترجع إلى الشهوة**) أي: كأن تكون مشهودة له مستنداً إليها اهـ مؤلفه.

(**قوله: فقال الخ**) تأمل في المقال تعلم أن القائل قد شرب من أبحر الوصال، فسبحان الله المنعم على من أحبه المتفضل على من أدناه وقربه اهـ مؤلفه.

(**قوله: من غير تكلف الخ**) يحتمل أن المراد المجذوب إلى الله تعالى بالإحسان حتى قطع المقامات بعناية الهبات، ويحتمل أن المراد العامل للطاعات محبة فيه تعالى والله أعلم. اهـ مؤلفه.

فالفضل له سبحانه وتعالى ويشير إلى ذلك خبر: «كل ميسر لما خلق له». (**قوله: فقال الشيخ عهدي الخ**) أقول بل ربما كان أجره تاماً لأن جلوسه لعذر الضعف والحديث في غير صاحب العذر كما ذكره الشارح. (**قوله: الأكل مع الفقراء قربة الخ**) أي سبب في القربة لما فيه من التواضع والجبر، وإدخال المسرة على الفقراء ولا سيما إنْ كان الآكل من المحترمين.

(**قوله: ومنهم أبو الحسين بندار الخ**) هو الفقيه الشافعي عارف خبير حسن التربية

بالأصول كبيراً في الحال صحب الشبلي مات بأذربيجان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة.
قال بندار بن الحسين: لا تخاصم لنفسك فإنها ليست لك دعها لمالكها يفعل بها ما يريد) فيه إشارة للأمر بترك الأخلاق الذميمة إذ العبد إنما يخاصم عن ملكه، فإذا علم أن نفسه وما يملكه ملك لربه اعتمد عليه واكتفى بحسن نظره إليه فإنه القادر على جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها عنها وحصل له التوكل والرضا بما يجريه الحق عليه في السعة وغيرها. **(وقال بندار: صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق)** لأن النفوس تأنس بما ترى وتسمع **(قوله: لتكون ممن تخلق الخ)** أي: عملاً بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] والله أعلم اهـ مؤلفه.

(قوله: ويؤيده خبر من حسن إسلام المرء الخ) ومن ذلك قيل إن الإمام مالكاً رضي الله تعالى عنه تكلم بكلمة لا تعنيه، فصام عاماً كفارة لها اهـ مؤلفه.

فربما ترى أفعال المبتدع وأقواله طاعة فتعمل بها. **(وقال بندار: اترك ما تهوى**

والتدبير سكن أذربيجان، وكان عالماً بالأصول وله اللسان المشهور في علم الحقائق، وكان الشبلي يعظمه جداً، سئل عن الفرق بين الصوفي والمتصوف فقال: الصوفي من صافاه الحق واختاره من غير تكلف ولا اجتهاد، والمتصوف المزاحم على المراتب مع تكلف، وكمون رغبة في الدنيا، وقال: صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق، وقال: من لم يجعل قبلته ربه فسدت صلاته، وقال: الدنيا ما دنا من القلب وشغل عن الحق، وقال: من أقبل على الدنيا أحرقته بنيرانها يعني الحرص لما قاله الإمام الرازي، ومن أقبل على الآخرة أحرقته بنورها يعني الخوف، فصار سبكة ذهب، ومن أقبل على الله أحرقه بنور التوحيد، فصار جوهراً لا يقابل بثمن، وقال: من مشى في الظالم إلى ذي النعم أجلسه على بساط الكرم، ومن قطع لسانه بشفرة السكوت بني له بيت في الملكوت، ومن واصل أهل الجهالة ألبس ثوب البطالة، ومن أكثر ذكر الله شغله عن ذكر الناس، ومن هرب من الذنوب هربت منه، ومن رجا شيئاً طلبه.

(قوله: لا تخاصم لنفسك) أي بل خاصم له تعالى في طلب رضاه تكون ممن تخلق بالخلق المحمدي حيث كان لا يغضب لنفسه ﷺ.

(قوله: إذ العبد إنما يخاصم عن ملكه) أقول وفي ذلك تسلية للإنسان وإطفاء لنار غضبه بالإلتفات والرجوع إلى مصدر الكائنات، وخالق الحركات والسكنات، وإن ذلك منه تعالى لحكمة علية وأسرار إلهية مما لو اطلع عليه المرء لاختاره كما يرشد إليه خبر: «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع».

(قوله: لأن النفوس تأنس الخ) أي شأنها سرعة التأثر، ولا سيما فيما يناسب الشهوات.

(قوله: أترك ما تهوى) أي ما تميل إليه من شهوات النفس لما تأمل أي للذي ترجوه مما وعد

لما تأمل) لأن من لم يكن كذلك لم يعمل لآخرته ولم ينتقل عن درجته في دنياه وحالته، فالعبد مأمور بأن يترك ما يهواه في دنياه ومجازاته على عمله الصالح في أخراه فإن ما يناله أفضل مما يتركه وأنفع له في أخراه ودنياه لما يأمله من خير الله، كمناجاته لمولاه في دنياه. ومن كلامه: ليس من الأدب أن تسأل رفيقك إلى أين أو في أيش، وقال: من أقبل على الدنيا وسكن إليها أحرقته بنيرانها وصار رماداً لا قيمة له ولا قدر، ومن أقبل على الآخرة وسكن إليها أحرقته بنورها وصار سبيكة من ذهب ينتفع بها، ومن أقبل على الله أحرقه التوحيد، وصار جوهراً لا قيمة له.

(ومنهم أبو بكر الطمستاني) قال جماعة ولعله الطمنسي بفتح المهملة وكسر الميم، وإسكان النون نسبة إلى طمنس قرية من قرى ماريدان فاشتبه على الكاتب، **(صحب إبراهيم الدباغ وغيره وكان أوحد وقته علماً وحالاً مات بنيسابور بعد سنة أربعين وثلاثمائة. قال أبو بكر الطمستاني: النعمة العظمى الخروج)** أي: البعد (من

به سيد الكائنات، وذلك إنما يكون بدوام المجاهدة في العبادة مع أخلاصها، فيثمر قوة اليقين حتى يصير الوعد كنصب العين. **(قوله: ليس من الأدب الخ)** أي ويؤيده خبر: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». **(قوله: وقال من أقبل على الدنيا)** أي بالإنهماك على تحصيلها وأخذ شهواته منها أحرقته بنيرانها قال الرازي: يعني حرص ومنع الحقوق، وذلك يوصله إلى نار التطهير إنْ لم يصادفه عفو الله، وقوله: ومن أقبل على الآخرة أي بتفرغه لأعمالها ودوام جده واجتهاده فيما يناسبها أحرقته بنورها أي الذي هو نتيجة أعمالها حتى يفنى عن الكائنات بأسرها وذلك بتأثير دوام أنوار التجليات بسبب تخلصه من رق الشهوات، وقوله: ومن أقبل على الله أي على مراقبته في عبادته أحرقه التوحيد أي نوره حتى يفنى عن فنائه بالترقي إلى مقام جمع الجمع وحينئذ فيصير من الجواهر المجردة عن المألوفات لا قيمة له أي لا يعلم مقدار ما له عند ربه مما أعده له والله أعلم.

(قوله: ومنهم أبو بكر الطمستاني الخ) قال الأستاذ المناوي: هو العالم الرباني كان فصيح اللسان كثير المعروف والإحسان ماهراً في طريق القوم عذب الكلام حافظاً للعهد وافياً بالذمام تقدم على صوفية وقته ونظرائه وتعين بين أعيان العصر وكبرائه، ورحل وطاف وهام وصحب الأعيان والأعلام، وكان الشبلي يعظمه جداً، ومن فوائده: خير الناس من رأى الخير في غيره، وقال: أركان الطريق الأربع ترجع إلى الجوع، فإن من جاع قل كلامه ونومه وأحب العزلة، وقال: من صدق في إقباله على الله تعالى لم يشغله الخلق عن الله تعالى، وقال: النعمة العظمى الخروج عن النفس أي الأخلاق الذميمة والشهوات الرديئة، والنفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى، وقال: النفس كالنار، فإذا اطفئت في موضع تأججت في آخر، وقال: لا يمكن الخروج من النفس بالنفس إنما

النفس) وهي عندهم الأخلاق الذميمة والشهوات الرديئة كما مر (**والنفس أعظم حجاباً بينك وبين الله**) فما دام العبد واقفاً مع شهواته محجوباً بمستحسناته فهو بعيد من الخيرات (**سمعت أبا عبد الله الشيرازي رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله الأصبهاني يقول: سمعت أبا بكر الطمستاني يقول: إذا هم**) أي: عزم (**القلب**) على ما لا يرضي الله (**عوقب في الوقت**) فإنه إذا تفطن لذلك من علت رتبته وجد أثر ذلك في قلبه من الوحشة وعدم الحضور وتاب منه، وفيه دلالة على أن العبد يؤاخذ بعزمه على الأفعال، وإن لم يفعلها خلافاً لمن زعم أنه لا يؤاخذ به حتى يفعلها والمراد العزم المصمم (**وقال**) الطمستاني (**الطريق واضح والكتاب والسنة**) أي: الدليل عليه منهما

الخروج منها بالله، وقال: من لم يكن الصدق وطنه ففي فضول الدنيا سكنه، وله غير ذلك من الفوائد.

(**قوله: النعمة العظمى**) أي التي لا تنال إلاّ بسابق العناية الإلهية هي الخروج من النفس أي مما طمعت عليه وألفته واعتادته، وذلك بدوام الرياضة بأنواع العبادة حتى يتلاشى ناسوتها ويقوى لاهوتها فينخرق الحجاب، ويقرب العبد من رحمة رب الأرباب. (**قوله: النعمة العظمى الخروج من النفس**) أي من حظها ومألوفاتها التي جبلت عليها، فهي الحجاب الأكبر المانع من الوصول، ولذلك قيل لمن رام الوصال من الرجال فارق نفسك وتعال فافهم.

(**قوله: والنفس أعظم حجاباً الخ**) أي ويقال لصاحبها الكنود، وهو في الشريعة تارك الفرائض، وفي الطريقة هو تارك الفضائل، وفي الحقيقة هو من أراد شيئاً لم يرده الله تعالى حيث ينازع الله في مشيئته، ولم يعرف حق نعمته.

(**قوله: فما دام العبد واقفاً مع شهواته الخ**) أي وأما إذا خرق حجاب النفس رغبة في الكثير المخفي وهو حضرة الأحدية والهوية المكنونة في غيب الغيب فقد يتفتح له كوكب الفتح، وهو أول ما يبدو من التجليات، وقد يطلق على من تحقق بمظهرية النفس الكلية المأخوذة من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦].

(**قوله: إذا هم القلب الخ**) أقول الذي يظهر من كلامهم وتشديداتهم حمل الهم على مجرد الخاطر القلبي، وإن لم يصل إلى درجة العزم، ويكون من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين غير أن الشارح نفعنا الله به مشاه على ما هو المنقول في أحكام الفروع وهو الأليق بالرفق. (**قوله: إذا هم القلب الخ**) أي فكيمياء السعادة في تطهير النفس باجتناب الرذائل واكتساب الفضائل وهذا من أخلاق العامة، وأما كيمياء سعادة الخواص، فهي بتخليص القلب عن الكون اشتغالاً بالمكون.

(**قوله: الطريق واضح الخ**) يفيد بذلك أن الطريق الموصل إلى الحق محصور في

(قائم بين أظهرنا) أي بيننا **(وفضل الصحابة)** على غيرهم **(معلوم)** وإن بالغ غيرهم في الاجتهاد **(لسبقهم إلى الهجرة)** والجهاد مع النبي ﷺ **(ولصحبتهم)** له، وأما نحن **(فمن صحب منا الكتاب والسنة)** أي: عمل بما فيهما **(وتغرب)** أي: بعد عن نفسه **(و)** عن **(الخلق وهاجر بقلبه إلى الله تعالى، فهو الصادق المصيب)** دون غيره.

(ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري صحب يوسف بن الحسين، وابن عطاء والجريري وكان عالماً فاضلاً ورد نيسابور وأقام بها مدة وكان يعظ الناس بها، ويتكلم على لسان المعرفة، ثم ذهب إلى سمرقند ومات بها بعد الأربعين وثلاثمائة قال أبو العباس الدينوري: أدنى الذكر أن تنسى ما دونه) أي: غيره ويعبر

متابعة سيد المرسلين وإمام المرشدين عليه الصلاة والسلام من رب العالمين وهو الحق الذي لا محيد عنه. **(قوله: الطريق واضح)** أي بالنسبة لمن تخلص من لبس الصور العنصرية التي تلبس الحقائق الروحانية قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]. **(أقول)** ومن ذلك لبس خواص البشرية بالصور الإنسانية المشار إليه بخبر: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»، فافهم. **(قوله: وتغرب عن نفسه)** أي ارتحل عنها إلى الأفق المبين الذي هو نهاية مقام القلب، فهذا هو السفر الأول على طريقتهم، والسفر الثاني هو السير في الله بالإتصاف بصفاته، والتحقق بأسمائه إلى الأفق الأعلى وهو نهاية مقام الروح والحضرة الواحدية، والسفر الثالث هو السير مع الله بالترقي إلى عين الجمع والحضرة الأحدية، وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الأثنينية، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنى الذي هو مقام الولاية، والسفر الرابع هو السير بالله عن الله للتكميل، وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع فافهم.

(قوله: وعن الخلق) أي الشاغلين له عن طريق الوصول إلى الله.

(قوله: وهاجر بقلبه الخ) أي بعد مفارقة جميع مألوفاته. **(قوله: فهو الصادق المصيب)** أي الواقف مع مراد ربه المصيب طريق السعادة الأبدية، وكان حينئذ ممن زمانه كله ليلة القدر التي يخص الله فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره، ورتبته بالنسبة إلى محبوبه، وهي وقت ابتداء وصول السالك إلى عين الجمع، ومقام البالغين في المعرفة والله أعلم. **(قوله: ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري)** قال الشيخ المناوي: كان من أحسن المشايخ طريقة وأمثلهم سيراً في علم الحقيقة أطاعته الصوفية وساعدته وتأخرت عنه الخطوب وباعدته أخذ عن الخراز وغيره، ومن كلامه: لسان الظاهر لا يغير أي لا ينافي حكم الباطن يعني ما يقع في القلب من المواهب وخوارق العادات، بل يعضده وقال: العلماء مترتبون في مشاهدات الأشياء وله غير ذلك من الفوائد.

(قوله: أدنى الذكر الخ) أي بالنسبة للمقربين ممن رام حقيقة الطريقة، وقوله: أن

عنه بالفناء **(ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في)** حالة **(الذكر عن الذكر)** ويعبر عنه بفناء الفناء فإذا لم يبق في قلب العبد حالة ذكره لله شيء من المخلوقات غير ذكره له، فقد فني عن غير الله وإن كان مدركاً لفنائه ونفسه، فإن قوي اشتغاله بالله حتى غاب في ذكره عن شعوره بذكره ونفسه فقد فني عن فنائه ونفسه أيضاً ولم يبق عنده إلاّ الله فجعل رضي الله عنه أول المقامات فناء العبد عن غيره من المخلوقات وأعلاها فناءه عن نفسه أيضاً شغلاً بمذكوره، وسيأتي ذلك في محله **(وقال أبو العباس)** الدينوري: **(لسان الظاهر)** وهو الدليل الشرعي المثبت للأحكام الخمسة **(لا يغير)** أي: لا ينافي

تنسى ما دونه أي ما سواه وذلك بدوام الإخلاص مع حضور القلب، وقوله: ويعبر عنه بالفناء أي فكأنه لبعده عن غير الذكر والمذكور أشبه من بعد بالفناء حقيقة ومثله يقال في الفناء عن الفناء.

(قوله: ويعبر عنه بالفناء الخ) اعلم أن الفناء عن الفناء يعبر عنه بالجمع، وجمع الجمع كما أن الفرق وفرق الفرق يعبر عنه بالبقاء، وبقاء البقاء، وهذا كله لا يعلمه إلا أرباب الكمال والأذواق كما قيل لا يعلم الشوق إلا من يكابده. ولا الصبابة إلا من يعانيها، والله أعلم. **(قوله: أن يغيب الذاكر الخ)** أي لأن ذكره قد أدخل نفسه في حظائر صوامع الذكر التي هي الأحوال والمواطن المعنوية التي تصون الذاكر عن التفرق عن مذكوره، وتجمع همه عليه بالكلية، واعلم أنّ نهاية الذكر هو ذكر الذات بالأسماء الذاتية دون الوصفية والفعلية مع المعرفة بها وشهودها، وذلك لأن أصل الذات المطلقة هو أصل جميع الأسماء فأجل وجوه تعظيمها هو التعظيم المطلق المتناول لجميع أوصافه، فإن الذاكر إذا أثنى عليه بعلمه أو جوده أو قدرته مثلاً فقد قيد تعظيمه بهذا الوصف أما إذا أثنى عليه بأسمائه الذاتية كالقدوس، والسلام والسبوح والحق والعلي وأمثالها فقد عم تعظيمه لجميع كمالاته فتدبر تفهم، والله بالحال أعلم. **(قوله: إن يغيب الذاكر الخ)** أي ويعبر عن ذلك بالمحو وهو أنواع محو أرباب الظواهر، وهو رفع أوصاف العادة ويقابله الإثبات الذي هو إقامة أحكام العبادة، ومحو أرباب السرائر، وهو إزالة العلل والآفات ويقابله إثبات المواصلات وذلك برفع أوصاف العبد ورسوم أخلاقه المشار إليه بخبر «كنت سمعه» الحديث.

(قوله: فجعل رضي الله عنه أول المقامات الخ) أي ويعبر عنه عندهم بالجمع وعن المقام الثاني بجمع الجمع، ويعبر عنه بمقام البقاء والله أعلم. **(قوله: لسان الظاهر الخ)** محصله أنّ الوصول إلى الحقيقة لما لم يكن له طريق غير المتابعة لزم أن لا ينشأ عنه في حقيقة الطريقة إلا ما يشهد له ذلك الظاهر بالموافقة والصحة والله أعلم. **(قوله: لسان الظاهر)** محصله أن الشريعة والحقيقة واحدة إنما الاختلاف في التعبير فلا شريعة إلا

(حكم الباطن) الصحيح، وهو ما وقع في القلب من مواهب الله تعالى، وخوارق العادات، بل يعضده ويشهد بصحته، وفيه رد على من يزعم أن العبد يصل إلى حالة لا يمكنه مخالفة ما يقع له لكونه عن ربه صحيحاً حقاً لأن من لم يزن ما يقع له بميزان الشرع، بل يزعم أنه تلقاه عن ربه فقد كذب وأخطأ وليس بمحفوظ، لأن أحكامه تعالى إنما يتلقاها عنه الأنبياء وغيرهم، إنما يعرف صحة ما وقع له بشهادة الأدلة الشرعية، ويكون ذلك دليلاً على حفظ الله له كما قال في خبر: «كنت سمعه الذي يسمع به». **(وقال أبو العباس الدينوري)** في حق المتشبهين بالصوفية: ليسوا منهم **(نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها)** أي: طريقها **(وغيروا معانيها بأسامي أحدثوها)** بأن أخذوا الأسامي الدالة على الأخلاق الحميدة فوضعوها للأخلاق

بحقيقة ولا حقيقة إلا بشريعة كما يدل على ذلك قصة موسى والخضر عليهما السلام. **(قوله: لا يغير الخ)** أي لكون حكم الباطن إنما حصل بنور القدس الذي هو العلم المقدس للنفس عن دنس الطباع، وعن رجس الرذائل، بل هو بالشهود الحقيقي بواسطة تجلي القديم الرافع لحكم الحدث كله، وذلك من نتائج لسان الظاهر، وثمراته والله أعلم. **(قوله: وفيه رد على من يزعم الخ)** انظره مع ما تقدم من حالات التخريب التي تفعل قصداً لأجل الرجوع إلى الإحساس، وذلك وقت غلبات الحقيقة على العبد إلاّ أنْ يقال هي، وإنْ كانت تخريباً في حكم الظاهر، فهي موافقة في حكم الباطن لو فرض كشف الغطاء عنها، ويكفي في الاعتبار ما ورد عن موسى والخضر والله أعلم.

(قوله: كنت سمعه الخ) المراد بذلك حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة عن الخروج عما يوافق ما جاء عن سيد المرسلين ﷺ. **(قوله: نقضوا أركان التصوف)** أي التي هي التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار.

(قوله: في حق المتشبهين بالصوفية الخ) أي وذلك بسبب قوة جهالتهم، وعدم عقلهم إذ العقل هو اللب المنور بنور القدس الصافي عن قشور الأوهام والتخيلات فيدرك به العلوم المتعالية عن إدراك القلب المتعلق بالكون المحجوب بالعلم الرسمي. **(قوله: بأسامي أحدثوها)** أي وذلك بسبب حياة أنفسهم التي لا تميل إلا إلى مقتضيات الطبيعة البدنية حيث مالت إلى الجهة السفلية، فجذبت القلب الذي هو النفس الناطقة عن مركزه فماتوا عن الحياة الحقيقية العلمية بالجهل، ولو أماتوها عن هواها لانصرف القلب بالطبع والمحبة الأصلية إلى عالمه عالم القدس والنور والحياة الذاتية التي لا تقبل الموت أصلاً، ولهذا المعنى أشار أفلاطون حيث قال: مت بالإرادة تحيى بالطبيعة. **(قوله: سمو الطمع زيادة)** أي حيث موهوا بالأسماء فقط مع تجردها عن مسمياتها تلبيساً على الجهال، وزيادة في طرق الضلال.

الذميمة ليظن الجاهل أنهم متصفون بمعانيها الأصلية وليس كذلك، فالمراد بإحداثهم الأسماء إحداثهم معانيها حيث (**سموا الطمع زيادة**) وهي تعلق أنفسهم بالمحبوبات وتشوقها لما بأيدي غيرهم، والزيادة المحمودة إنما هي التعلق بالله، وزوال الغفلة عنه، وفي نسخة زيارة بالراء وهي أن يمضي أحدهم لأخيه المرتفع عليه في دنياه لينال منه ما يهواه منها، ويتعلل بالزيارة لله تعالى (و) سموا (**سوء الأدب إخلاصاً**) بأن يتكلم أحدهم بين يدي ذوي الفضل بما يقبح النطق به، ويتعلل بأنه مخلص لا يخفي خلاف ما يظهر والإخلاص المحمود إنما هو إفراد الله بالقلب، وعدم الرياء في الطاعات. (و) سموا (**الخروج عن الحق شطحاً**) بأن يجري على ألسنتهم كلمات لا تشهد لها الشريعة بالصحة والشطح المحمود إنما هو ما يجري على ألسنتهم وقت غلبة الأحوال عليهم، والحفظ عن ذلك أكمل. (و) سموا (**التلذذ بالمذموم طيبة**) بأن يتحدث بما جرى له في صبوته متلذذاً بذلك مع أقرانه من أهل غفلته، والطيبة المحمودة ذكر كرامات الأولياء، وقد قيل للجنيد: ما فائدة هذه الحكايات التي يتداولها المريدون بينهم فقال: يقوّي الله بها قلوبهم فقيل له فما الدليل عليه من كتاب الله قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]. (و) سموا (**اتباع الهوى**) من حب الشهوة كحب امراة ونحوها (**ابتلاء**) حتى إذا عوقب

(**قوله: وسموا سوء الأدب**) أي إساءة الأدب بقولهم قبيح العبارات مما لا يصح معناه في أحكام النبوات إخلاصاً، وعدم إخفاء شيء.

(**قوله: والإخلاص المحمود إنما هو إفراد الله بالقلب**) أي بأن يشهده في كل متعين بلا تعين به فإنه تعالى وإن كان مشهوداً في كل متقيد باسم أو صفة أو اعتبار غير أنه لا ينحصر فيه ولا يتقيد به، فهو المطلق المقيد، والمقيد المطلق المنزه عن التقييد، واللاتقييد والإطلاق واللاإطلاق، فمن تحقق بالحق يرى أن كل مطلق في الوجود له وجه إلى التقيد وكل مقيد له وجه إلى الإطلاق، بل يرى الوجود كله له حقيقة واحدة، وله وجه واحد مطلق وآخر مقيد بكل قيد فافهم. (**قوله: وسموا الخروج عن الحق**) أي مما يجب في مقام العبودية إلى ما لا يليق إلا بمقام الربوبية، فيسمون ذلك شطحاً إذا سئلوا عنه فيقولون قد أجراه الحق على ألسنتنا، ولم نشعر وهو خلاف الحق والكمال، بل هو من تسويل الشيطان وتحسينه وربما قد يجر ذلك إلى الكفر والعياذ بالله تعالى.

(**قوله: طيبة**) أي شيئاً يتطيب به ويتفكه به حيث هو من متعلقات الزمن الماضي في وقت الشباب والقوة. (**قوله: فقال يقوّي الله بها قلوبهم**) أي فيدومون على العبادات والمجاهدات وما ذكره من الدليل يفيد ثبوت ذلك بالقياس على مورد النص القرآني.

(**قوله: وسموا اتباع الهوى الخ**) أي فيقصدون بذلك تلبيس ما يعرض من ملائمات

فيه فيقول أنا مبتلى والإبتلاء المحمود إنما هو ما يصيب الله به العبد مما يحصل به الثواب مع الصبر كالفقر والمرض (و) سموا (الرجوع إلى الدنيا وصولاً) بأن يوصل الناس من اشتهر بالخير والزهد بما أيديهم من الأموال، والوصول المحمود إنما هو انقطاع قلب العبد عن الخلق شغلاً بربه فضلاً عما في أيديهم. (و) سموا (سوء الخلق) بأن يتنمر العبد ويتغير على من خالفه في غرضه أو عاتبه في غيته (صولة) والصولة المحمودة إنما هي تغيير المنكر والإعراض عما لا يرضي الله تعالى (و) سموا (البخل) بأن يشح العبد على السائل بما طلبه منه (جلادة) من حيث لا ينخدع بسؤال سائل، والجلادة المحمودة إنما هي صبر العبد على مشاق الأعمال وما ينزل به ربه، فيتحمل ذلك ولا يتضجر. (و) سموا (السؤال) بأن يدور العبد في الأسواق بزنبيل أو نحوه يسأل الناس ليكسر به نفسه (عملاً) وهو مذموم إذ لا يليق بمن ترك الدنيا زهداً أن يتعاطى ما ذمته الشريعة من السؤال من غير حاجة تبيحه، والأخبار الدالة على ذم السؤال كثيرة كخبر: «إن المسألة في وجه صاحبها يوم القيامة كدوح أو خموش»، والعمل الممدوح إنما هو فعل المأمورات وترك المنهيات. (و) سموا (بذاءة اللسان) وهي أن يذكر العبد عيوب أخيه (ملامة) بأن يتعلل بكونه يلومه ليرجع عن نقائصه، والملامة المحمودة أن يذكر له ما فيه على وجه النصيحة خفية أو بحضرة من يعرف ذلك ليساعده على رجوعه عما هو عليه لأنه قصد بذلك النصحية، ولم يكشف عنه ما هو مستور. (وما) أي: وليس (هذا) أي: ما ذكر من المذمومات

النفوس بما يعرض مما لا يلائمها كفقر ومرض، والفرق واضح إذ صاحب الحال الأوّل مأزور، وصاحب الثاني بفضل الله مأجور، فشتان ما بين المنزلتين.

(قوله: وسموا الرجوع إلى الدنيا الخ) أي اظهروا أن ما يصلهم من الناس إنما هو بسبب كونهم من الواصلين إلى الله مع أنهم لو صدقوا لانقطعوا عن جميع الخلق باشتغالهم بالإله الحق. (قوله: وسموا سوء الخلق الخ) أي بالظهور بالقهر والغضب والغلبة على من خالفهم بفعل ما لا يلائمهم بداعي قوة ناموس الوجود الشهواني الحيواني. (قوله: بما طلبه منه) أي مما فضل عن حاجته، ومن تلزمه مؤنته. (قوله: وسموا السؤال الخ) أي التعرض إلى نوال الحادث بسبب شهوات النفس الخبيثة وقوله: عملاً أي اشتغالاً بطريق كسر النفس وهضمها، مع أن ذلك من الجهل والدناءة بشاهد خبر: «اليد العليا خير من اليد السفلى»، والله أعلم.

(قوله: وسموا بذاءة اللسان) أي فحشه بذكر عيب الغير مع العمى والغفلة عن عيب النفس، وقوله: ملامة أي نصحاً مع أنهم بجهلهم وعماهم عن طرق النصيحة قد أخطؤوا. (قوله: وما أي وليس الخ) أي بل كان طريقهم متابعة سيد الكائنات ﷺ. (قوله: ووقعت ميتة)

(كان طريق القوم) فليحترز عنه العبد ويتبع ما ذكر من المحبوبات. وتكلم أبو العباس يوماً فصاحت عجوز في المجلس صيحة فقال لها موتي فقامت وخطت خطوات، ثم التفتت إليه وقالت قد مت ووقعت ميتة.

(ومنهم أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي) القيرواني البغدادي ثم النيسابوري **(واحد عصره)** في الورع والزهد والصبر على العزلة **(لم يوصف)** بذلك **(مثله قبله** إلا قليل **(صحب ابن الكاتب وحبيباً المغربي وأبا عمرو الزجاجي ولقي النهرجوري وابن الصائغ وغيرهم)** وجاور بمكة سنين **(مات بنيسابور سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة)** وأوصى بأن يصلي عليه الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى، ودفن بجانب أبي عثمان الحيري. **(سمعت الأستاذ الإمام أبا بكر بن فورك رحمة الله يقول: كنت عند أبي عثمان المغربي حين قرب أجله وعلي القوال الصغير يقول)** أي:

أقول يدل ذلك على غاية صدقها وقيامها بالله، واستقامتها عند البقاء بعد الفناء والعبور على المنازل كلها والسير من الله بالله في الله والانخلاع عن الرسوم كلها بالكلية.

(قوله: ومنهم أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي) قال العلامة المناوي: صوفي جليل كبير عارف عرف نسيمه أطيب من العبير له الأحوال المأثورة، والكرامات المذكورة صحب الزجاجي والنهرجوري والدينوري وغيرهم، ولم ير مثله في علو الحال، وصون الوقت، وصحة الحكم بالفراسة وقال: التصوف سير السر مع الله سبحانه وتعالى، ومن كلامه: الاعتكاف حفظ الجوارح تحت الأوامر، وقال أبى الملك الجبار أن يختبر أولياءه بتسليط عدوهم عليهم، وقال: من اشتغل بأحوال الناس ضيع حاله، ومن مدّ يده إلى طعام غني بشهوة لا يفلح أبداً، وقال: عاصٍ نادم خير من طائع مدع لأن العاصي يطلب طريق توبته، ويعترف بنقصه، والمدعي يتخبط في حال دعواه، وقال: من لم يسمع من نهيق الحمار ما يسمع من صوت العود، ودواخل المغنين فسماعه معلول، وقال: التقوى الوقوف مع الحدود، وقال: لا تصحب إلاّ أميناً، ومعيناً فإن الأمين يحملك على الصدق، والمعين يعينك على الطاعة، وقال: للعارف وقت تضيء له أنوار العلم فتبصره عجائب الغيب، وقال: إذا صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب، وقال: من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم انس الذكر، وقال: من ادعى السماع، ولم يسمع من صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح، فهو مختر مدع، وله غير ذلك من الفوائد.

(قوله: والصبر على العزلة) يفيد أنها أمر شاق على النفوس، ولا يقدر عليها إلاّ من منح الثبوت وهو كذلك. **(قوله: كنت عند أبي عثمان الخ)** في إيراد هذه القصة تلبية على بلوغ هذا الاستاذ أعلى مقام في الثبوت حيث مرض الموت الذي أصابه لم يشغل قلبه، بل بقي على مراقباته ومعارفه. **(قوله: أي على أي وجه يسمع)** أي فالسماع له وجوه

ينشد (**شيئاً**) من كلام القوم (**فلما تغير عليه الحال**) من شدة ألمه ونزع روحه وغمض عينيه (**أشرنا على عليّ**) المذكور (**بالسكوت**) فسكت (**ففتح الشيخ أبو عثمان عينيه فقال لم لا يقول علي**) المذكور (**شيئاً فقلت لبعض الحاضرين سلوه**) وقولوا له (**علام يسمع المستمع**) أي: على أي وجه يسمع العبد من الوجوه الفاضلة (**فإني أحتشمه**) وأستحي منه أن أسأله (**في تلك الحالة**) التي اشتد عليه فيها ألمه (**فسألوه**) عن ذلك (**فقال**) لهم (**إنما يسمع**) المستمع (**من حيث يسمع**) أي: من حيث يسمعه الله تعالى لاختلاف مقامات الناس، ومعرفتهم بالله ومحبتهم له، فقد يسمع العبد من الخوف، وقد يسمع من الرجاء وقد يسمع من المحبة، وكل منهم على درجات وفيما نقل عنه ما يدل على كمال شغله بحاله، ومراعاته لقلبه وعدم التفاته لما هو فيه من ألم موته فإنه إنما غمض عينيه لشدة ما هو فيه حتى توهم الحاضرون موته فأمروا القوال بالسكوت. (**وكان**) أبو عثمان (**في الرياضة كبير الشأن**) وكمالها يكون بكمال التقوى فإن المتقي يروض نفسه حتى يستأنس بالله تعالى. (**وقال أبو عثمان التقوى هو الوقوف مع الحدود**) التي شرعها الله تعالى (**لا يقصر فيها العبد ولا يتعداها**) بل يأتي بها على وجهها (**وقال من آثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت**

فاضلة يعد بها من الاشتغال بأمر الدين مع أنه تقدم عن بعضهم أنه من نوع البطالة ينافي الجد والاجتهاد في العبادة فلعله بحسب اختلاف الواردات على القلوب والله أعلم.

(**قوله: أي من حيث يسمعه الله تعالى**) أقول لعل قصره على الأوجه الفاضلة التي ذكرها باعتبار السؤال، وإلا فعبارة الجواب كما تصدق بذلك تصدق أيضاً بالأوجه المذمومة. (**قوله: فقد يسمع العبد من الخوف**) أي من أجل الخوف لكون الغالب عليه الرجاء وقوله من الرجاء أي من أجله إذا غلب عليه الخوف ومثله يقال في قوله: وقد يسمع من المحبة، ومحصل ذلك أنه يحصل خلاف ما غلب عليه من الأحوال المذكورة ليكون عمله دائراً على جميعها ومتوسطاً بينها حيث الشأن لطالب الحق أن لا يقف مع حال أو مقام خشية ضرره، تدبره والله أعلم.

(**قوله: وكان في الرياضة الخ**) أي فكان قائماً على نفسه وحاملاً لها على الجد في العبادة بسياستها حتى تخلص من الشواغل والمألوفات. (**قوله: هو الوقوف**) ذكر الضمير باعتبار الخبر وإلا فكان حقه التأنيث. (**قوله: من آثر الخ**) أي من غلب على قلبه الميل للأغنياء ومجالستهم ابتلاه الله تعالى بموت قلبه لأنه إنما ينشأ له ذلك من اغتيال النفس بشهواتها الدنيوية، وترك ما خلقت له من العبادة ومحصله أن الميل للأغنياء من حيث غناهم مذموم أما من جهة علمهم أو صلاحهم أو كرمهم، فلا بأس به. (**قوله: أشبه الميت**) أي بجامع عدم الانتفاع في كل على أنَّ الميت حقيقة انقطع عمله واستراح،

القلب) لأنه لا يؤثر صحبة الأغنياء إلا لمحبته للدنيا وهي تشغل القلب عن الآخرة وتغفله عنها، وعبر عن هذا بموت القلب لأن حياته إنما هي حركته واشتغاله بما خلق له، فلما لم يعمل به أشبه الميت وقد قال تعالى في حق الغافلين ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: ٢١]. ومن كلامه: من اشتغل بأحوال الناس ضيع حاله، ومن مد يده إلى طعام الأغنياء بشره وشهوة لا يفلح أبداً.

(**ومنهم أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر أباذي**) بفتح النون وبالذال المعجمة نسبة إلى نصر أباذ محلة من محال نيسابور (**شيخ خراسان في وقته صحب الشبلي وأبا علي الروذبادي والمرتعش جاور بمكة سنة ست وستين وثلاثمائة، ومات بها سنة سبع وستين وثلاثمائة وكان عالماً بالحديث كثير الرواية**). قال السلمي لما هم بالحج صحبته فكان كل منزلة أو بلدة يقصد سماع الحديث فيها فلما دخل بغداد جاء إلى القطيعي فرد على قارئه مرة، ثم أخرى فقال له إن كنت تحسن القراءة، فتقدم واقرأ فأخذ الجزء منه وقرأ قراءة تحير منها القوم، ثم قرأ في مجلس واحد ما كان يريد أن يقرأ في خمسة أيام. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت النصر أباذي يقول: إذا بدا لك شيء من بوادي الحق فلا تلتفت معها إلى جنة ولا إلى**

بخلاف هذا على ما لا يخفى. (**قوله: ضيع حاله**) أي مع أن الأولى في حقه الاشتغال بحال نفسه، وترك حال الناس. (**قوله: لا يفلح أبداً**) أي لأن ذلك يدل على قوّة حيوانيته.

(**قوله: ومنهم أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر أباذي الخ**) قال المناوي: هو شيخ خراسان علماً وحالاً كان في علم التصوف إماماً، وفي فن التعريف لمن تقدم ختاماً، محالفاً للزهد والورع مخالفاً لمن زاغ عن الطريق وابتدع كاشف الغم هاطل الغمام حسن الأخلاق لطيف الكلام فصيح اللسان عذب العبارة لا يلهيه عن ذكر الله بيع ولا تجارة، أخذ الحديث عن ابن أبي حاتم والطحاوي وغيرهما، وعنه الحاكم وغيره. (**قوله: ثم قرأ في مجلس واحد الخ**) فيه دلالة على زيادة تمرنه ومزاولته ورغبته في الحديث.

(**قوله: إذا بدا لك شيء الخ**) يشير بذلك إلى أن للمقربين تجليات وواردات ترد على قلوبهم بقوة صفاتها وجلائها، ومن الجملة يرد على قلوبهم النفاء عن الكائنات بشهود خالق النور بكمالاته وصفاته المقدسة، فإذا تحقق له هذا الوارد لم يلتفت عنه لغيره الأدنى منه، فإذا نقله الحق إلى الوجود والإحساس اشتغل بتعظيم ما عظمه الله ليدوم له شرف الوارد الأول، وحسن الوارد الثاني والله اعلم. (**قوله: من بوادي الحق**) جمع بادية وهي ما يفجأ قلب العبد من الغيب فتوجب له بسطاً أو قبضاً ومحل تلك البادية

نار **فإذا رجعت عن تلك الحال فعظم ما عظمه الله)** أي: ينبغي للعبد إذا فتح الله عليه باباً لاحظ فيه كمال مولاه وكمال صفاته واشتغل به أن لا يلتفت في وقت شغله به إلى غيره لئلا يتكدر عليه حاله فإذا رجع إلى إدراك نفسه وغيره من الخلق وخف ما به فليعظم ما عظمه الله من نبي وملك وولي وغيرهم، ليقوم بما وجب عليه له فإنه تعالى عظم الجنة والنار وكررهما في كتابه لتحصيل الخوف والرجاء منه، فمن عرف أن غير الله لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع فلا يحمله ذلك على الأعراض عما سواه ممن أمر الله بتعظيمه ومما خوف منه كالنار. **(وسمعت محمد بن الحسين يقول: قيل للنصر أباذي أن بعض الناس يجالس النسوان ويقول: أنا معصوم في رؤيتهن فقال ما دامت الأشباح)** أي: الأشخاص **(باقية)** في الدنيا **(فإن الأمر والنهي**

إنما هو القلب الذي هو بيت الحكمة والبيت المحرم لكونه حرم على غير الحق فافهم.

(قوله: فلا تلتفت معها إلى جنة الخ) أي لتكون من الموفين بالعهد المشار إليه ببلى حيث قال الله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] والوفاء بالعهد بالنسبة للعامة بالرغبة في الوعد والرهبة في الوعيد وللخاصة بالوقوف مع الأمر لنفس الأمر لا لرغبة ولا لرهبة ولخاصة الخاصة بالوقوف مع التبري من الحول والقوة، وللمحب بصون قلبه عن الاتساع لغير محبوبه فاختر لنفسك ما يحلو، ثم ومن لازم الوفاء بالعهد أنْ ترى كل نقص يبدو منك راجعاً إليك ولا ترى كمالاً لغير ربك.

(قوله: فلا تلتفت الخ) أي لتكون من الجنائب وهم السائرون إلى الله المسافرون عن منازل النفس الحاملون لزاد التقوى والطاعة حتى يصلوا إلى مناهل القلب، ومقامات القرب، فيكون سيرهم في الله فافهم. **(قوله: أي ينبغي للعبد إذا فتح الله الخ)** أي ولذلك أشار عارف وقته قدس الله سره حيث قال في تائيته:

بدت فرأيت الحزم في نقض توبتي ... وقام بها عند النهي عذر محنتي

فمراده رضي الله عنه أنّه لما قاسى من شدائد المجاهدة، ومحن المكابدة ما أنكره عقله عليه وأوقعه منه في الندم قد جنح إلى التوبة بملايمة العقل، فلما تجلت له المحبوبة أنسته كل هم وأزاحت عنه كل غم فرأى أنَّ الرأي المتقن المحكم في نقض تلك التوبة الفاسدة التي لا تسوغ أصلاً وهنالك قام بها أي ببدوها وتجليها عند النهي، وهو العقل عذر ارتكاب المحنة فافهم.

(قوله: ويقول أنا معصوم في رؤيتهن) أي محفوظ فيها إذ العصمة لا تكون إلا لنبي. **(قوله: فقال ما دامت الأشباح الخ)** أي فالأوفق بحال العبد أنْ يدوم على الوقوف مع الأمر والنهي واتهام النفس ولو ثبتت على قدم المجاهدات والرياضات إذ للصورة

باقٍ) كل منهما **(والتحليل والتحريم مخاطب به)** أي: بكل منهما **(ولن يجترىء على الشبهات إلا من تعرض للمحرمات)** وفي نسخة إلا من هو يتعرض للمحرمات أي عرضه لها لأن العبد وإن كان محفوظاً في وقت، فهو منهي عن التعرض للشبهات فمن استبرأها سلم، ومن تعرض لها تعرض للهلاك، ففي الخبر الصحيح: «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»، ومن وقع في الشبهات فقد حام حول الحمى، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. **(وسمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: قال النصر أباذي أصل التصوّف ملازمة الكتاب والسنة)** لأنها أصل في كل طاعة **(وترك الأهواء والبدع)** لأنه نجاة من كل سوء **(وتعظيم حرمات المشايخ)** الذين كمل لهم العلم والعمل وأعرضوا عن المشغلات من المباحات فضلاً عن غيرها لأنه ينبغي تعظيم من عظمه الله تعالى كما مر **(ورؤية أعذار الخلق)** أي: قبولها منهم لدلالتها على كمال المعرفة بانفراد الحق

حكم الحقيقة وتغيير الحال ليس من المحال، والبعد عن الشبهات نوع من الكرامات على أن الشارع بالحقائق أعلم، وقد أبرم الأحكام وأحكم. **(قوله: الحلال بين والحرام بين)** أي كل منهما ظاهر بواضح دليله من الكتاب والسنة وغيرهما من أدلة الأحكام، وقوله: وبينهما مشتبهات أي لعدم دليل واضح يخصها بحكم ما قوى شبهها به، وقوله: فمن اتقى الشبهات أي تجنبها، وقوله: فقد استبرأ لدينه وعرضه أي اتخذ لدينه وعرضه براءة بذلك التجنب وقوله: ومن وقع في الشبهات أي فعلها وقوله: فقد حام حول الحمى أي المحمي، وقوله: ومن حام حول الحمى يوشك أنْ يقع فيه أي يقرب أن يقع فيه، وإذا وقع فيه جوزي بما رتب عليه والله أعلم. **(قوله: أصل التصوّف)** أي أساسه الذي ينبني عليه أمره ملازمة الكتاب والسنة أي ملازمة **(العمل على ما دلا عليه اللازم له ترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ فعطف قوله، وترك الأهواء، والذي بعده من عطف اللازم على الملزوم لغرض الإيضاح (قوله: وترك الأهواء والبدع)** إنما نص عليهما مع دخولهما فيما قبلهما للإهتمام لكونهما أصل المفاسد الدينية.

(قوله: وتعظيم حرمات المشايخ) أي الذين هم لسان الحق إذ بهم يقع الافصاح الإلهي للآذان الواعية عما يريد أن يعلمهم به على لسان ولي أو صديق فهم المتحققون بمظهرية الاسم المتكلم فهم العمد المعنوية المأخوذة من حقيقة الإنسان الكامل المشار إليه بقوله لولاك لما خلقت الأفلاك، وقد ذكر أبو طالب المكي في قوت القلوب أنَّ الأفلاك تدور بأنفاس بني آدم، والله بحقيقة الحال أعلم. **(قوله: الذين كمل لهم العلم والعمل الخ)** أي فوصلوا إلى مقام الحرية وهي أنواع حرية العامة عن رق الشهوات والخاصة عن رق المرادات وخاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار لانمحاقهم في تجلي

بالأفعال، وعلى خروج غيره عن القدرة على إحداث شيء، فإذا علم العبد ذلك عذر الخلق فيما يقصرون فيه لعلمه بعجزهم عما يصلحهم ويدفع عنهم ما يؤذيهم، ومع هذا يقيم عليهم الحدود وينكر عليهم ما لا ينبغي فعله امتثالاً لأمر الله تعالى، وهذا هو الصراط المستقيم الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف إثبات الكسب للعبد وتبريه من الأفعال. **(والمداومة على الأوراد)** التي رتبها في عبادة ربه لأنها أصل عظيم في توالي الألطاف وحياة القلوب كما قال تعالى: على لسان نبيه «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته» الحديث، **(وترك ارتكاب الرخص)** من الميل إلى الراحات والتنعم بأنواع الملذوذات، **(و)** ترك **(ارتكاب التأويلات)** في هذه الأمور بأن يتأول العبد في نفسه أنه لا إثم عليه في فعلها، ولا في تركها، ويغفل عن كونها مرغباً فيها أو في تركها لنيل الدرجات العلية وكمال القرب من خالق البرية.

(ومنهم أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري) بضم الحاء وإسكان الصاد المهملتين نسبة إلى عمل الحصر وبيعها **(البصري سكن بغداد عجيب الحال واللسان**

نور الأنوار. **(قوله: أي قبولهم منهم)** أي ولو تحقق كذبها عملاً بسنته ﷺ. **(قوله: لدلالتها الخ)** أي لدلالة رؤية أعذارهم على كمال معرفة من رأى ذلك لهم بانفراد الحق بالأفعال، ولذلك قيل من نظر إلى الخلق بعين نفسه مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحق عذرهم لكونهم محلاً لتصريف القدرة العلية، ولا يسأل تعالى عما يفعل. **(قوله: وهذا هو الصراط المستقيم)** الإشارة إلى اعتقاد عجز الخلق عما يصلحهم، وفيه أن ذلك إنما يجري على مذهب الأشعرية، ومن تبعهم وفيه ما لا يخفى على ذي لب، وإذا أردت علم ذلك فارجع إلى رسالتنا المسماة بالقول الفصل.

(قوله: الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف) يشير بذلك إلى أنه من خفاء الكسب باعتبار دليله شبه بدقة الشعر ولخطره بعدم القول بالكسب شبه بحد السيف، بل قد أثبت له الأحدّية منه، وذلك لما يؤدّي إليه من تعطيل الأحكام الشرعية.

(قوله: إثبات الكسب للعبد) أي عملاً بمقتضى التكليف بظاهر الشرع وقوله وتبريه من الأفعال أي رجوعاً إلى باطن الحقيقة فسبحان من لا يسأل عما يفعل. **(قوله: والمداومة على الأوراد)** أي الواجب منها والمندوب وإن أفهم الشارح تخصيصه بالمندوب لغرض إيراد الحديث القدسي الذي ذكره. **(قوله: وترك ارتكاب الرخص)** أي أخذ ذلك عادة على حسب حظ النفس وإلا فقد ورد أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه**(قوله: وترك ارتكاب التأويلات)** أي التي هي أبواب للضلالات ولذا قيل إذا أراد الله بعبد شراً فتح له باب التأويل. **(قوله: ومنهم أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري)** قال المناوي: هو الحصري، ثم البغدادي شيخ العراق في وقته حالاً وعلماً، وإمام الصوفية في زمانه قالا وعزما صحب

شيخ وقته ينتمي) أي: ينتسب صحبة **(إلى الشبلي مات ببغداد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة)** قال الحصري: الناس يقولون الحصري لا يقول بالنوافل أي لا يعتني بها **(وعليّ أوراد)** منها أي رتبتها عليّ **(من حال الشباب لو تركت)** منها **(ركعة لعوتبت)** فيه دلالة على كمال اجتهاده وتحسسه لزيادته ونقصه إذ لا يدرك العتاب من الحق عند التقصير إلا خواص الخلق كما قال بعضهم: إني لأعصي الله تعالى فاعرف ذلك في خلق حماري وخادمي. **(وقال)** الحصري: **(من ادعى بشيء في شيء من الحقيقة)** أي: نيل شيء منها ولم يظهر عليه دلائل صدقه **(كذبته شواهد كشف البراهين)** فيما ادعاه فمن ادعى الزهد في الدنيا مثلاً وكان ظاهره مشغولاً بالتنعم والتلذذ

الشبلي، ومن فوائده الفاضلة وفرائده الكاملة أنه قال: عرضوا للاخوان بالأمور، ولا تصرحوا فإنه استر، وقال: علامة الحاسد لك أنه لا يقدر يصور عليك دعوى عند حاكم، ولا عند الله، وقال مكثت في بدايتي زماناً لا استعيذ من الشيطان عند القراءة، وأقول من الشيطان حتى يحضر كلام الحق حتى منّ الله فعلمت أن الشيطان لا يفارق مستقيماً ولا أعوج، وسئل عن السماع فقال: ما أضعف حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه من خارج، وقال: الصوفي مقهور بتصرف الإلهية مستور بتصرف العبودية، وقال الصوفي من لا يوجد بعد عدمه، ولا يفقد بعد وجوده، وله غير ذلك رضي الله عنه.

(قوله: وعلي أوراد الخ) الواو للحال والغرض له بما ذكره التحدث بالنعمة، وليقتدى به في ذلك وليقوي عزم المقتدي به. **(قوله: فأعرف ذلك الخ)** أي فكان يعرف ذلك في الدابة بجموحها، وفي الخادم بسوء الخلق وذلك يحصل تأديباً للكمل من عباد الله تعالى لأجل ردّهم إلى ما به الكمال أو الإكمال. **(قوله: من ادّعى بشيء الخ)** أي مثل الأصول التي هي المواهب الفائضة على العبد من ربه سواء كانت واردة عليه ميراثاً عن العمل الصالح المزكي للنفس المصفي للقلب، أو كانت واردة من الحق امتناناً محضاً وتسمى حالاً لتحول العبد بها من الرسوم الخلقية، ودركات البعد إلى النعوت الحقية، ودرجات القرب وذلك هو معنى الترقي أو مقاماً كالإحسان في العبادة الذي هو التحقق بوصف العبودية ليشاهد حضرة الربوبية بواسطة زيادة نور البصيرة أي يرى الحق موصوفاً بصفاته بعين صفته، فهو يراه يقيناً، ولا يراه حقيقة، ولهذا قال في الخبر: «كأنك تراه» لأنه يراه من وراء حجب صفاته بعين صفاته فلا يرى الحقيقة بالحقيقة، وذلك دون مقام المشاهدة في مقام الروح هذا تحقيق المقام ومني عليك السلام، فعض عليه بالنواجذ.

(قوله: كذبته الخ) أقول ولذا قيل من ادعى بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان، وقوله: كشف البراهين أي باعتبار ما يظهره من باطن أمره في نفس الأمر، فإنّ الظاهر عنوان الباطن في غالب الأحوال والله أعلم.

بالمطعومات والملبوسات، ودائم الكسل والراحات، واستمرار الحرص على إقامة الجاه ونفوذ الكلمات كذبته شواهد حاله فيما ادعاه.

(ومنهم أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذبادي ابن أخت الشيخ أبي علي الروذبادي شيخ الشام في وقته مات بصور سنة تسع وستين وثلاثمائة سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت علي بن سعيد المصيصي يقول: سمعت أحمد بن عطاء الروذبادي يقول: كنت راكباً جملاً فغاصت رجلا الجمل في الرمل فقلت جل الله فقال الجمل جل الله) هذا أمر خارق للعادة، وهو كلام الجمل بلسان عربي، أو فهم الشيخ لكلام الجمل بلغته فأخبر عما فهمه قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقال في قصة السيد سليمان عليه السلام مع النملة ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ [النمل: ١٨]، ففهم سليمان كلامها وسأل الله أن يرزقه شكر ما أنعم به عليه. **(وكان أبو عبد الله الروذبادي إذا دعا أصحابه)** بأن دعى هو ليدعوهم **(معه إلى دعوة)** بتثليث الدال أي: طعام **(في دور السوقة)** بضم السين خلاف لملك قاله الجوهري **(ومن ليس من أهل التصوف)** هو من عطف الخاص على العام **(لا يخبر الفقراء بذلك وكان**

(قوله: ومنهم أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذبادي) أي ثم الصوري كان شيخ الشام في وقته مفتياً في علوم الشريعة والحقيقة، وهو ممن علا في طريق القوم قدره، واشتهر ذكره وتميز فضله حتى عز في عصره أن يوجد مثله، ومن كلامه: الذوق أول المواجيد، وقال: أقبح كل قبيح صوفي شحيح، وقال: ليس كل من صلح للمجالسة صلح للمؤانسة، ولا كل من صلح للمؤانسة يؤتمن على الأسرار، وقال: من الزم نفسه السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة، وقال: ذكر الثواب عند ذكر الله غفلة عن الله، وقال: العبودية ترك الاختيار، ولزوم الافتقار، وإياك أن تلاحظ مخلوقاً وأنت تجد للحق سبيلاً، وقال: لا تجد السلامة حتى تكون في التدبير كأهل القبور، وقال: الرضا ترك الخلاف على الله تعالى فيما يجريه على العبد، وقال: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقال: للتقوى ظاهر وباطن، فظاهرها محافظة الحدود وباطنها النية والإخلاص، قال أبو نعيم: كان ابن عطاء كثير الحديث رضي الله عنه.
(قوله: فقال الجمل الخ) أفاد الشارح جواز وقوع ذلك على الحقيقة أو بلسان الحال أقول والأول أقرب لثبوته بالدليل النقلي على أنَّ الشارح درج على أنه بلسان القال الذي فهمه الشيخ من لغة الجمل وذلك غير بعيد.

(قوله: هذا أمر خارق الخ) أي وقع تأسياً للشيخ ليدوم على ما به الترقي من جده واجتهاده فهو من عناية ربه به. **(قوله: وكان أبو عبد الله الخ)** أقول في ذلك تنبيه على حرصه على دفع ما به يكون تنقيص هذه الطائفة بسبب قصور النظر عما به الكمال.

يطعمهم شيئاً فإذا فرغوا) من أكلهم **(أخبرهم)** بذلك **(ومضى بهم فكانوا قد أكلوا في الوقت)** للذي دعوا فيه **(ولا يمكنهم أن يمدوا أيديهم إلى طعام الدعوة إلا بالتعزز)** أي: التقلل يقال عن الشيء أي: قل **(وإنما كان يفعل ذلك بهم لئلا يسوء ظنون عوام الناس)** الذين لا يعرفون من العبادة إلا الإعراض عن الطعام وقلة المنام **(بهذه الطائفة)** الصوفية من حيث أنهم يستنقصونهم بسبب رغبتهم في الأكل إذا كانوا على جوع **(فيأثمون بسببهم)**، وحكي مثل ذلك عن أبي مدين شعيب أما غير عوامهم، فلا يستنقص هؤلاء بكثرة أكلهم، بل ينشرح ويسر بها لعلمه بما أدخله عليهم من الراحات، وبكونهم استصلحوا طعامه. **(وقيل كان أبو عبد الله الروذبادي يمشي على أثر الفقراء يوماً وكذا كانت عادته أن يمشي على أثرهم)** أي: يتأخرهم، فلا يكون مقدماً متبوعاً تواضعاً ولأنه إذا تأخرهم لاحظهم بنظره واستشعروا منه ذلك، فيلزمون الأدب بين يديه **(وكانوا يمضون)** أي: مضوا معه مرة **(إلى دعوة فقال إنسان بقال)** يبيع البقل في حانوته **(هؤلاء هم المستحلون)** لأموال الناس **(وبسط لسانه)** بالحط عليهم **(وقال في أثناء كلامه أن واحداً منهم استقرض مائة درهم، ولم يردها علي ولست أدري أين أطلبه فلما دخلوا دار الدعوة قال أبو عبد الله الروذبادي لصاحب الدار وكان من محبي هذه الطائفة ائتني بمائة درهم أن أردت سكون قلبي)** وكان يعلم منه سروره بذلك **(فأتاه بها في الوقت فقال لبعض أصحابه احمل هذه المائة إلى البقال الفلاني وقل هذه المائة التي استقرضها منك بعض أصحابنا، وقد وقع له في التأخير بها عذر وقد بعثها الآن فاقبل عذره فمضى الرجل وفعل)** ما أمره به **(فلما رجعوا من**

(قوله: وكان يطعمهم شيئاً الخ) أقول وسمعت عن شيخنا العلامة الشرقاوي مثل ذلك مع طائفة العلماء فالله تعالى ينفعنا بمقاصد أحبابه.

(قوله: فيأثمون بسببهم) أقول يؤخذ منه وجوب التحرز عن التعرض إلى موجبات الوقيعة في الأعراض، وهو كذلك والله أعلم. **(قوله: يمشي على أثر الفقراء الخ)** أقول وهو خلق محمدي وذلك لما ثبت من أنه ﷺ كان يمشي خلف أصحابه، ويقول: «خلوا ظهري للملائكة». **(قوله: تواضعاً)** أي هضماً للنفس أي واقتداء بسيد الكائنات ﷺ. **(قوله: فقال إنسان بقال الخ)** أي قال ذلك بمقتضى مرآة نفسه وطبيعته لعدم انتقاله عن ذلك كما أشير إليه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩] الآية لأنه لو سافر عن منازل نفسه لرأى العذر في التأخير، ولم ينل من الذي ظن تقصيره والله أعلم. **(قوله: وكان يعلم منه سروره الخ)** احترز بذلك عما إذا كان الأمر بخلاف ذلك والحكم حينئذٍ حرمة الأخذ منه مثل ما إذا كان طريق الدفع مجرد الحياء، فيكون حينئذٍ من قبيل أكل أموال الناس بالباطل.

الدعوة اجتازوا بحانوت البقال فأخذ البقال في مدحهم ويقول) وفي نسخة وقال **(هؤلاء هم)** السادة **(الثقات الأمناء الصلحاء)** وما أشبه ذلك من أوصافهم الحميدة قصد الشيخ بذلك لما لم يحمل سماع ذم البقال لهذه الطائفة أن يحفظ قلب البقال، ويصون عرض هذه الطائفة وفيه طلب حفظ قلوب المسلمين عن إساءة الظن. **(وقال أبو عبد الله الروذباذي: أقبح من كل قبيح صوفي شحيح)** إذ أول درجات التصوف الإعراض عن الدنيا حلالها وحرامها ليندفع عنه بذلك سائر الأخلاق الذميمة التي من جملتها الشح ويتفرغ للتخلق بالأخلاق الحميدة من التوكل والرضا والتسليم والمراقبة والمحبة والأنس ونحوها، فمن تحلى عن الصفات الذميمة بالصفات الحميدة سمي صوفياً فإذا أخل بأول الدرجات كان أقبح القبيح من الصفات لأنه شح على نفسه وعلى غيره بالمال لكمال محبته له وحرصه عليه. **(قال أبو القاسم الأستاذ الإمام رضي الله عنه)** وفي نسخة قال الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري رحمة الله عليه **(هذا)** أي ما مر في هذا الباب **(هو ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة)** وعدتهم ثلاثة وثمانون **(وكان الغرض من)** وفي نسخة في **(ذكرهم في هذا الموضع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة متصفون بسلوك طرق الرياضة مقيمون**

(قوله: وفيه طلب حفظ الخ) أي فيه دلالة على ذلك لأنه يجب لأجل عدم التعرّض للوقيعة في الغير صوناً للدين. **(قوله: إذ أول درجات الخ)** أقول إنما جعل الإعراض عن الدنيا أوّل درجات الصوفية لصعوبته على النفوس البشرية لأنه بذلك الإعراض ينعدم غالب حظوظ النفس والله أعلم.

(قوله: ليندفع عنه بذلك الخ) أي وذلك لأن الدنيا منشأ غالب الأخلاق الذميمة على ما لا يخفى على ذي بصيرة. **(قوله: لأنه شح على نفسه)** أي منعها ثمرة الإنفاق الذي يترتب عليه مع الإخلاص فيه نيل الدرجات الدينية والدنيوية.

(قوله: قال أبو القاسم الخ) لما انهى الكلام على ذكر من تيسر له من المشايخ للغرض الذي أفصح عنه أراد أيضاً الاعتذار عن عدم استيعابهم بخوف الخروج عن المقصود له من الإيجاز وخوف الملل من الغير مع أن من تركه أشهر من أن يذكر وأبعد من أن ينكر على أنه سيأتي له النقل عن حكاياتهم ما يغني عن ذكرهم كغيرهم. **(قوله: على تعظيم الشريعة)** أي وذلك بدوام متابعتهم لها في جميع الحركات والسكنات. **(قوله: متصفون بسلوك طرق الرياضة)** أي طرق تهذيب النفس لأجل نقلها تدريجاً عن حظوظها ومألوفاتها، وتخليتها عنها للتحلي بالصفات الحميدة الموصلة إلى المراتب العلية، وحيث كان لا سبيل لذلك غير متابعة سيد الكائنات، والعمل على سنته كانوا رضي الله عنهم مقيمين عليها غير مخلين بشيء من آدابها كما ذكره المؤلف.

على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آداب الديانة متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات) مع الله تعالى (ولم يبن أمره على أساس الورع والتقوى كان مفترياً) أي مصاباً بالفتن من ذهاب عقل ومال وغيرهما (هلك في نفسه وأهلك من اغتر به ممن ركن إلى أباطيله، ولو تقصينا وتتبعنا ما ورد عنهم من ألفاظهم وحكاياتهم ووصف سيرهم مما يدل على أحوالهم لطال به الكتاب وحصل منه الملال وفي هذا القدر الذي لوحنا به في تحصيل المقصود غنية) عما عداه (وبالله التوفيق) وهو خلق قدرة الطاعة في العبد عكس الخذلان (فأما المشايخ الذين أدركناهم) أي: لقيناهم (والذين عاصرناهم وإن لم يتفق لنا لقياهم مثل الأستاذ الشهيد لسان وقته وأوحد عصره أبي علي الحسن بن علي الدقاق والشيخ نسيج وحده) أي: الذي لا نظير له في علم ولا في غيره (في وقته أبي عبد الرحمن السلمي وأبي الحسن علي بن جهضم مجاور الحرم) الشريف المكي (والشيخ أبي العباس القصاب بطبرستان وأحمد الأسود بالدينور، وأبي القاسم الصيرفي بنيسابور وأبي سهل الخشاب الكبير بها) أي: نيسابور (ومنصور بن خلف المغربي وأبي سعيد الماليني وأبي طاهر الخوزندي) وفي نسخة الخزندي (قدس) أي طهر (الله أرواحهم) لو أخر هذا عن قوله (وغيرهم) كان أولى، (فلو اشتغلنا بذكرهم وتفصيل أحوالهم لخرجنا عن المقصود في الإيجاز) ولحصلت السآمة (و) مع ذلك (غير ملتبس) على أحد (من أحوالهم حسن سيرهم في معاملاتهم) مع الله تعالى، بل هو ظاهر لكل أحد (وسنورد من حكاياتهم طرفاً في مواضع من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى).

باب

(في) تفسير (ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها) على غيرهم

(قوله: ولم يبن أمره) أي في طلب الحق على أساس الورع والتقوى الإضافة بيانية. (قوله: كان مفترياً على الله) أي وعلى خلقه بالأولى. (قوله: مفتوناً) أي سبقت الإرادة افتتانه في الدين بدليل ما ظهر من حاله الشنيع. (قوله: وبالله التوفيق) أي لا بغيره كما يفيده تقديم الجار والمجرور. (قوله: باب في ألفاظ الخ) أي في ذكرها، وبيان مرادهم منها (أقول) ومن ذلك قولهم المفاتحة، وهي مباداة العبد بما هو فيه على بساط الضراعة وبث الشكوى، والمناجاة فيباديه مولاه بمعاني أسمائه وصفاته ليرتاح لذلك، وينسى كل شيء، والمواجهة وهي مقابلة القلب بملاحظة الرب دون التفات إلى غيره فيواجهه مولاه بأنواره ويقابله بأسراره حتى لا يمكنه أن ينظر ما سواه، والمجالسة وهي ملازمة الذكر بلا غفلة، والخضوع بلا وصلة والأدب بلا مهلة فيكرم اكرام الجليس، وإليه الإشارة بخبر: «أنا جليس من ذكرني»، والمحادثة وهي منازلة الأسرار بذلك المولى، والإقبال عليه فيما يلقيه بيديه من سرور وغيره، وإليه الإشارة بحديث: «كان في الأمم السالفة محدثون، فإن

يكن في أمتي فعمر منهم»، والمشاهدة وهي صيرورة الحقيقة لمعدن البيان لا تحتاج إلى دليل ولا برهان، والمطالعة وهي مراقبة التوحيد في كل ورد وصدر، والرجوع إلى الحقيقة المرة بعد المرة بلا تأمل ولا نظر، فلا يبدو شيء إلاّ طولع به سره، هذا ما فهمته من معاني هذه الألفاظ، والدر من وراء الصدف، فليس التصوف بحديث يكتفي فيه بالاخبار، ولا يغتني بالعلم والعمل فيه عن حصول الأنوار غير أنه لا بدّ من مثل هذا للمنتسبين والمحبين، وأهل البدايات والله ولي التوفيق، ومنه قولهم الدبور وهي صولة داعية النفس، واستيلائها شبهت بريح الدبور التي تأتي من جهة المغرب لانتهائها إلى الجهة الجسمانية التي هي مغرب النور، ويقابلها القبول وهي ريح الصبا التي تأتي من جهة المشرق وهي صولة داعية الروح واستيلائها، ولهذا قال ﷺ: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»[1] ومن كلامهم الأنانية وهي الحقيقة التي يضاف إليها كل شيء من العبد كقوله روحي ونفسي وقلبي، وأنانية الحق تعالى وجودية وأنانيتنا عدمية ومن كلامهم: الآنية وهي تحقق الوجود العيني من حيث رتبته الذاتية، ومنه الوتر وهو الذات باعتبار سقوط جميع الاعتبارات، فإنّ الأحدية لا نسبة بينها وبين شيء بخلاف الشفع الذي باعتباره تعينت الأعيان، وحقائق الأسماء، ومن كلامهم الوجود، وهو وجدان الحق ذاته بذاته، ومن كلامهم وجه العناية، وهو الجذبة والسلوك الذي به تتحقق جهة الهداية، ولهم غير ذلك مما يطول الكلام عليه.

تنبيه

يدور على لسان الصوفية أيضاً لفظ الفناء، وسيأتي بذكره المصنف، فأقول لك تقديماً للفائدة لا تتوهم أن ذلك هو الفناء العلمي الحاصل للعارفين الذين ليسوا من أرباب الشهود الحالي مع بقائهم عيناً وصفة، فإن بين من يتصوّر المحبة وبين من هي حاله بوناً بعيداً وفرقاً عظيماً قال الشاعر:

لا يعرف الشوق إلّا من يكابده ... ولا الصبابة إلّا من يعانيها

والحق أن الإعراب عنه لغير ذائقة ستر والإظهار لغير واجده اختفاء، والعلم بكيفيته مختص بالله تعالى لا يمكن أن يطلع عليه إلّا من يشاء من عباده الكمل الذين حصل لهم هذا المشهد الشريف والتجلي الذاتي المغني للأعيان بالأصالة كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا علمت ما قدمته لك علمت معنى الاتحاد الذي اشتهر وعلمت اتحاد كل اسم من الأسماء مع مهظره وصورته،

(١) أخرجه البخاري (استسقاء ٢٦) (مغازي ٢٩) (بدء الخلق ٥) (أنبياء ١) ومسلم (استسقاء ١٧) وأحمد بن حنبل (١، ٢٢٣، ٢٢٨، ٣٢٤، ٣٤١، ٢٥٥، ٣٧٣).

أو اسم مع اسم آخر أو مظهر مع مظهر آخر وشهودك اتحاد قطرات الأمطار بعد تعددها، واتحاد الأنوار مع تكثرها كالنور الحاصل من الشمس، والكواكب على وجه الأرض أو من السرج المتعددة في بيت واحد وتبدل صور عالم الكون، والفساد على هيولي واحدة دليل واضح على حقيقة ما قلنا، هذا مع أن الجسم كثيف، فاظنك بالخبير اللطيف الظاهر في كل المراتب الخسيس منها والشريف، والحاصل أن الاتحاد، والحلول بين الشيئين المتغايرين من كل الوجوه شرك عند أهل الله، وذلك لفناء الأغيار عندهم بسطوع نور الواحد القهار، بل المراد أن الحق تعالى باعتبار أنه مصدر الكائنات جميعها علويها وسفليها مركبات أو بسائط أو مجردات جواهرا واعراضاً كليات أم جزئيات، واعتبار انفراده بالوجود الذاتي وإنَّ جميع الوجودات مستمدة من وجوده، فهو هي، وهي هو على معنى لا هو إلّا هو كان الله ولا شيء معه، ويبقى الله ولا شيء معه، وإنما الكائنات تعينات له مخصوصة في أزمنة مخصوصة محكوم عليها بأحكام مخصوصة، ثم إليه يرجع الأمر كما بدّا الحكم عليه وأسرار الهية علمها من علمها وجهلها من جهلها بتدبيره تعالى، وتقديره لا يسأل عما يفعل فافهم، ولا تك أسير النقل والتقليد، ثم ومما يدور على لسانهم رضي الله عنهم قولهم انطوى بساط السوي، ويقال عليه كيف والجنة باقية، وكذا النار والعرش والكرسي لي غير ذلك مما جاء الشرع بالحكم عليه بالبقاء المقتضي للوجود، فيقال إنما جاء هذا من النظر القاصر فاضطروا بسببه إلى استثناء مثل هذه الأشياء في نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، أو إلى جعله عاماً مخصوصاً وكذا كل من عليها فان، فلا تعجب انطواء بساط السوي، واضمحلال الأكوان في نظر العارف فإنه ينظر بعين الأزل، فيفنى ويفنى وينظر بنعت الأبد فيبقى ويبقى، وإلى النظر الأول أشار ﷺ بقوله أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد:

ألا كــل شــيء مــا خــلا الله بــاطــل

أي فانٍ وزائل لا حقيقة له، وعند المحققين في كل نفس، وأقل منه مما يجري من الأزمنة على الخلق كل شيء هالك إلا وجهه المهلك الحق، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور فإياك ثم إياك أن تشنع على أهل الحق مقلداً في ذلك من سلف من أبناء جنسك، وأرباب فنك ولو اشتهروا بالعلم، واتصفوا بالفهم، فتخوض مع الخائضين فإن المقام الذي استوطنته من التقليد في التوحيد والمتنسم الذي ارتقيته من منازل الدليل، والبرهان من الاستدلال على الصانع بالمصنوع لم يتخذوه وطناً، ولم يألفوه متنسماً ومسكناً، بل أطلق الحق عقال عقولهم التي عقلك بها فصارت عقولهم مطلقة، وأرواحهم بعروة اطلاق التوحيد المستفاد من عين اليقين وحقه مستمسكة بها متوثقة، ولعمري لقد صدق القائل:

والــجــاهــلــون لأهــل الــعــلــم أعــداء

(اعلم أن من المعلوم أن كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها فيما بينهم انفردوا بها عمن سواهم) حيث (تواطؤوا) أي: توافقوا (عليها لأغراض لهم فيها من تقريب للفهم على المخاطبين بها أو تسهيل) الأولى، وتسهيل ليكون عطف تفسير (على أهل تلك الصنعة في الوقوف على معانيهم) أي مقاصدهم (بإطلاقها) كأهل أصول الدين حيث اصطلحوا على إطلاق العالم والحين والوقت والجوهر والكون، والحال وغيرها لمعان أرادوها وربما وافق بعضها مقتضى اللغة على وضعها الحقيقي، (وهذه الطائفة) التي هي من جملة طوائف العلماء (يستعملون ألفاظاً فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم) أي بعضهم مع بعض (والإجمال والستر على من باينهم) أي: خالفهم (في طريقتهم لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة

تأمل في المقام، ومني عليك السلام. (قوله: تدور بين هذه الطائفة) أي ألفاظ يكثرون استعمالها بعضهم مع بعض مما يشكل ظاهره في حكم الظاهر بالنسبة لمن لم يحظ بدخول هاتيك الحظائر مع أنها في نفس الأمر من واردات الضمائر قد وردت بمنشور رب المظاهر، فالعارف إذا سمعها أحسن لها التأويل، وإذا لم يحسنه سلم الأمر للحكيم العليم.

(قوله: وبيان ما يشكل منها) أي وإشكالها إنما هو بالنسبة لخفاء معناها المراد على غيرهم ممن لم يشرب من شرابهم، ولم يسلك طرق اقترابهم مع أنها متلقات في منصات مجالس الصفاء مهداة للمحبين من أهل الوفاء.

(قوله: اعلم الخ) الغرض إفادة أن هذا المذهب غير خاص بهم نفعنا الله بعلومهم، بل غيرهم من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها فيما بينهم تسمى اصطلاحاً لهم لأغراض لهم فيها كما ذكره المؤلف، وحينئذ فلا يقال لم انتحلوا هذا السبيل الخطر، والطريق الوعر لأنهم لم يشتغلوا بالغير، ولم يعولوا إلا على الله في السير هذا شرح الحال، والله ولي الأفضال.

(قوله: تواطؤوا الخ) أي على حسب اصطلاحهم. (قوله: على اطلاق العالم) بفتح اللام أي على ما سواه تعالى، وقوله: والحيز أي على المكان، وقوله: والوقت أي على حركة الفلك، وقوله: والجوهر أي على ما قابل العرض، وقوله: والكون أي على الوجود والحصول، وقوله: والحال أي الصفة القائمة بالشخص.

(قوله: قصدوا بها الكشف عن معانيهم) أي ما يعني لهم فيما بينهم من الأسرار.

(قوله: والإجمال والستر) أي عدم الإيضاح للمعاني وإخفائها بالنسبة للغير ممن خالف طريقتهم، ولم يسلك مسالكها. (قوله: لتكون معاني ألفاظهم الخ) لا يقال ذلك نوع من أنواع كتم العلوم، وعدم إيضاحها لمحتاجها لأن الغرض الستر عن غير الأهل ممن لا انتفاع لهم

على الأجانب) منهم **(غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها)** فلا يعرف مرادهم فيقع فيهم بجهله بما أرادوه فيهلك **(أو ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أو مجلوبة بضرب تصرف، بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم)** آخرين من فرق أولئك لأن هذه الطائفة يتفاوتون في السلوك وفي.

مطلب الوقت

المواهب **(ونحن نريد نشرح)** ظواهر **(هذه الألفاظ)** عندهم دون التوغل في

بها، بل ربما أضرت بهم. **(قوله: لتكون الخ)** علة لقوله يستعملون ألفاظاً الخ. **(قوله: غيرة)** علة للعلة التي هي قوله لتكون الخ. **(قوله: إذ ليست حقائقهم الخ)** بيان لوجه خفائها على غيرهم ممن لم يذق من شرابهم، محصله أنهم لم يقصدوا حرمان غيرهم من شريف هذه المعاني حتى يكون ذلك من قبيل كتمان العلم، بل لكونها من الأسرار الواردة على القلوب المقدسة بدون تعمل واختيار مثل هذه الجواهر اللطيفة، ودرر الفوائد الشريفة لا تصلح إلاّ لأربابها ممن ذاق من شرابها. **(قوله: قلوب قوم)** أي لصفائها من كدورات البشرية، وقوله واستخلص لحقائقها الخ أي خص طائفة منهم بزيادة التنوير القلبي الذي به يقفون على معاني تلك الأسرار بواسطة ما منحوا من قوة سطوع الأنوار.

(قوله: ونحن نريد نشرح ظواهر الخ) يشير بذلك إلى أن العبارة تقصر عن استيعاب ما يراد منها حيث أن المنشأ مدادات الهية، ومواهب رحمانية ومن المعلوم بالضرورة أنّ مثل ذلك لا يستوعب. **(قوله: فمن ذلك الوقت الخ)** أي ومنه أيضاً واسطة الفيض، والمدد أي وهو الإنسان الكامل الذي هو الرابطة بين الحق والخلق بمناسبة للطرفين المشار إليه بخبر: «لولاك ما خلقت الأفلاك»، ومن كلامهم: الواحدية، وهي الذات من حيث انتشار الكائنات منها، وواحديتها بها مع تكثرها بالصفات، ومن كلامهم: الاتصال، وهو ملاحظة العبد عينه متصلاً بالوجود الأحدي بقطع النظر عن تقييد وجوده بالتعينات وإسقاط إضافتها إليها، فيرى اتصال مدد الوجود، ونفس الرحمن إليه على الدوام بلا انقطاع حتى يبقى موجوداً بالحق معدوماً بنفسه، ومن كلامهم: الهواء واعتباره بحسب الغيبة، والحضور، ومن كلامهم: الهباء، وهي المادّة التي فتح الله منها صور العالم وذلك العنقاء المسمى بالهيولي، ومن كلامهم: همة الإفاقة، وهي أول درجات الهمة وهي الباعثة على طلب الباقي، وترك الفاني، وهمة الأنفة، وهي الدرجة الثانية، وهي التي تورث من قامت به الأنفة من طلب الأجر على العمل، بل يعبد صاحبها على الإحسان وهمة أرباب الهمم العالية، وهي الدرجة الثالثة، وهي لا تتعلق إلاّ بالحق، فلا يرضى صاحبها بالأحوال ولا بالمقامات، ولا بالوقوف مع الأسماء والصفات، فلا يقصد إلا عين الذات، ومن كلامهم: الدرة البيضاء، وهي العقل الأوّل لقوله عليه الصلاة

كشف حقائقها لقصور العبارة عن ذلك **(تسهيلاً للفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكي طرقهم ومتبعي سنتهم)** أي: طريقهم. **(فمن ذلك الوقت. حقيقة الوقت عند أهل التحقيق)** منهم ومن المتكلمين وغيرهم **(حادث متوهم)** وقوعه في المستقبل **(علق حصوله على حادث متحقق)** وقوعه فيه صوابه حادث متحقق علق عليه حصول حادث متوهم بدليل قوله **(فالحادث المتحقق وقت للحادث المتوهم تقول آتيك رأس الشهر فالإتيان)** حادث **(متوهم)** وقوعه في المستقبل **(ورأس الشهر حادث متحقق)** وقوعه فيه **(فرأس الشهر وقت الإتيان)** ثم بين أن هذه الطائفة أطلقوا الوقت على معان وإن لم تناف ما ذكر فقال **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: الوقت ما أنت فيه)** وفي نسخة به **(إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا وإن كنت**

والسلام: «أوّل ما خلق الله العقل»، ومن كلامهم: جواهر العلوم، وهي الحقائق التي لا تتغير، ولا تتبدل باختلاف الشرائع، والأمم والأزمنة كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ومن كلامهم: أحدية الجمع وهي اعتبار الذات من حيث هي بلا إسقاط شيء ولا إثباته بحيث يندرج فيها الحضرة الواحدية، ومن كلامهم: الأحد، وهو اسم للذات باعتبار انتفاء تعدد الأسماء والصفات، والنسب والعينات عنها والأحدية اعتبار الذات مع إسقاط الجميع إلى غير ذلك مما يدور على ألسنتهم رضي الله عنهم. **(قوله: صوابه الخ)** محصله أنه لما كان المعلق عليه هو المتحقق من الوقت والمعلق هو المتوهم من غيره لزم أنَّ الصواب ما ذكره الشارح نفعنا الله به، وما في الأصل من سبق القلم.

(قوله: فالحادث المتحقق) أي وهو الزمان المعين المعلق عليه، وقوله وقت للحادث المتوهم أي وهو المعلق وجوده على هذا الزمان المعين، وإنما كان الزمان من المتحقق وغيره من المتوهم باعتبار عادة الله فيهما فتأمله.

(قوله: وإن لم تناف ما ذكر) أي لأن نهاية الأمر على مذهبهم أنهم اعتبروا الوقت بما وقع فيه، ولازمه من أحوال الإنسان. **(قوله: الوقت ما أنت فيه)** أي ما أظهره الله فيه بحكم التصريف على مقتضى الحكمة الباهرة، وما سبق في العلم الأزلي وحينئذ، فيلزم العبد الرضا به حيث كان يشاهد العلم لأن عدم الرضا به جهل العقليات والشرعيات والعاديات، وذلك لأن إرادة رفع الواقع وإيقاع الممتنع جهل بالمعقولات، وما تضمن عدم الرضا بالواقع يلزمه الإعتراض على المولي وإساءة الأدب معه فيما قضاه، وهو جهل بالشرعيات، وعدم المراعاة لحكمة الله تعالى في خلقه وسنته في عباده جهل بالعاديات على أن من أراد موافقة أغراضه أبداً أتعب نفسه بغير فائدة، وقد قيل من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه، ولم يرزق فافهم.

بالعقبى فوقتك العقبى، وإن كنت بالسرور فوقتك السرور، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن يريد) رحمه الله (بهذا أن الوقت ما كان هو الغالب) أي يغلب (على الإنسان) في حاله الذي هو فيه مما نزل به من قبض وبسط وسرور وحزن ونحوها فسمي الوقت باسم ما يلازمه غالباً (وقد يعنون بالوقت ما هو) أي ما العبد (فيه من الزمان) الحال (فإن قوماً قالوا الوقت ما بين الزمانين يعني الماضي والمستقبل

(قوله: الوقت ما أنت فيه الخ) فيه اعتبار الوقت بما قارنه من أحوال الإنسان، وهو صحيح باعتبار الثمرة وضدها للعبد تكون بذلك لا بالوقت مجرداً عنه والله أعلم. (قوله: وقد يعنون بالوقت الخ) أي يقصدون به الزمان نفسه، وحقيقته غير أنهم يخصونه بالحال دون الماضي، والاستقبال. (قوله: ويقولون الصوفي ابن وقته) أقول ويرحم الله ابن الفارض حيث قال في تائيته:

وكن صارماً كالوقت فالمقت في عسى ... وإياك علـى فـهـي أخـطـر عـلـة

إلى آخر ما قال نفعنا الله ببركات علومه ومعارفه، ومراد العارف بالصارم السيف يشير به إلى قولهم الوقت كالسيف إنْ لم تقطعه قطعك قيل سمي به لقطعه حكم الوصف الغالب حالتئذٍ بإظهار سلطنة مضيه كالسيف، وأصل الوقت الزمن عدل به إلى ما يصادفه السالك في المواجهات، فيقال فلان وقته القبض، أو البسط، قال في عوارف المعارف والمراد بالوقت ما هو غالب على العبد، وأغلب ما على العبد وقته، فإنه كالسيف يمضي بحكمه وقد يراد بالوقت ما يهجم على العبد لا بكسبه، فيتصرف فيه، فيكون بحكمه، فيقال فلان بحكم الوقت يعني مأخوذ عما منه بما للحق أهل، وقال السيد الشريف قدس الله سره الفقير ابن وقته يعني لا ماضي له ولا مستقبل، يعني إن كان في نعمة شكراً وبلاء صبراً وطاعة دام واستقر، أو في ذنب أناب واستغفر، وقال الصفدي في تائيته:

كالوقت من كان معه حيث حل ومن ... أضـحـى مـع الله لا يـلـهـو بـأوقـات

يعني أنه مشغول بالمؤقت لا بالوقت، وحاصل مراد سلطان العشاق تحريض السالك على إنفاذ النهضة بصدق العزيمة القاطعة التي هي كالسيف، وتحذيره من عسى ولعل، حيث أفاد أن المقت فيهما، فإنه إذا قال المذنب أؤخر التوبة إلى زمن كذا عسى أن أتفرغ أو أتجرد أو نحو ذلك أدركه المقت في ذلك الوقت لأن إرجاء التوبة ظلم وإصرار، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، والظالم ممقوت لقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧ و١٤٠]، ومعنى المقت البغض الشديد، وقوله وإياك على أضاف على التي هي لغة في لعل إلى ضمير المتكلم يشير به إلى أن توقع التوبة، وترجيها مع القدرة عليها عين العلة، بل أخطر علة، والله أعلم بمراد أحبائه. (قوله: يدون بذلك إنه الخ) أي وقد قال ﷺ: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما

ويقولون: الصوفي ابن وقته يريدون بذلك أنه) لا التفات له إلى ماضٍ ولا مستقبل، بل هو (**مشتغل**) بعمارة وقته (**بما هو أولى به من العبادات في الحال قائم بما هو مطالب به**) من الله (**في الحين وقيل: الفقير لا يهمه**) بضم الياء أي يقلقه وبفتحها أي يدينه (**ماضي وقته وآتيه ليهمه وقته الذي هو فيه، ولهذا قيل الاشتغال بفوات وقت ماضٍ تضييع وقت ثانٍ**) ومثله الاشتغال بمجيء موقت مستقبل. (**وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم**) أي ما يصرفهم الحق فيه مما سبقت به المقادير (**دون ما يختارونه لأنفسهم، ويقولون فلان**) متصف (**بحكم الوقت أي: إنه مستسلم ومنقاد لما يبدو له من الغيب من غير اختيار له**) فأي حال أقامهم الحق فيه من قبض أو بسط أو خير أو شر سموه وقتاً باسم ما يصادفه من التصريف. (**وهذا فيما ليس لله**

بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني»[1] الحديث، فالناس ثلاثة رجل ساعده القدر فعجل في فراغه وشغله، ورجل، وجد الفراغ ولم يعمل، ورجل لم يجد الفراغ وجعله علة في التسويف. الأول من المغبوطين، والثاني من المغبونين، والثالث من المغرورين، والله أعلم.

(**قوله: لا التفات له إلى ماضٍ**) أي لأن في تداركه تضييع الحاضر، وقوله: ولا مستقبل أي لأن أمره ليس له فلا يدري ما هو كائن فيه. (**قوله: مشتغل بعمارة وقته بما الخ**) ما في عبارته واقعة على العبادة، ولهذا بينها بقوله: من العبادة، وقوله: قائم الخ أي فاعل ما هو مطالب به في الحين، فالجملة الأولى أفادت العزم على العبادة، والثانية الفعل وكل في الحال من الزمان.

(**قوله: وقيل الفقير لا يهمه الخ**) بالتأمل ترجع هذه العبارة إلى ما قبلها في المعنى، بل ما قبلها أكثر فائدة منها عند من تأمل. (**قوله: وقد يريدون بالوقت الخ**) أي فما تقدم في إطلاقهم المراد به ما يخص العبد من وظائف العبادة التي شأنها أن تكون من كسبه، وله فيها اختيار، وما هنا قد أطلقوه على ما ينال العبد من الحق مما ليس له فيه كسب، ولا اختيار، وليس له فيه إلا الرضا والتسليم لفعل العليم الحكيم على أنه قد يقال أن ما ذكر في معنى الوقت هنا أخص مما قبله فتأمله. (**قوله: من غير اختيار له الخ**) أي وذلك هو القيام بحق العبودية قال في التنوير، فتأدب بها يا أيها المؤمن، ولا تطلب منه أن يخرجك من أمر، ويستعملك فيما سواه إذا كان ما أقمت فيه موافقاً للسان العلم، فإن ذلك من سوء الأدب مع الله تعالى، فاصبر ولا تطلب الخروج لنفسك، فتعطى ما طلبت، وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيئاً، وداخل في غيره فيتعب ويقابل بوجود التعسر عقوبة لوجود الاختيار. (**قوله: وهذا فيما ليس لله الخ**) أي ما تقدم من استسلامهم وانقيادهم

---

(١) أخرجه الترمذي (قيامة ٢٥) وابن ماجه (زهد ٣١) وأحمد بن حنبل (٤، ١٢٤).

تعالى عليهم فيه أمر أو اقتضاء لمطلوب) فعله وتركه **(بحق شرع)** أي بحق شرعي أما ما لله عليهم فيه ذلك، فلا يقولون إنه وقت بالمعنى المذكور لأن العبد مأمور بالتألم له، والندم عليه والبعد عنه **(إذ التضييع لما أمرت به)** من الله تعالى **(وإحالة الأمر فيه على التقدير)** الأزلي **(وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين)** فإذا قال العبد: أنا راض بما أقامني الحق فيه من الوقت على الإطلاق لزم أن يرضى في وقت بإخلاله بالواجبات وفي وقت بارتكاب المحرمات، وفي وقت بارتكاب المكروهات فإن ذلك من تصريف الحق في الخلق ومن استرسل في ذلك خرج عن الدين. **(ومن كلامهم: الوقت سيف أي: كما أن السيف قاطع فالوقت بما يمضيه**

لحكم الوقت فيما أي في مقضي ليس لله عليهم فيه أمر أي استيفاء المطلوب فعلاً أو تركاً أما ما لله عليهم فيه ذلك، فلا يقولون أنه وقت بالمعنى المذكور لأنهم مأمورون بالتألم والندم على اكتسابه، والبعد عنه بالإقلاع، والتوبة والله أعلم. **(قوله: إذ التضييع)** أي بترك المأمورات التي أمرت بها من الله تعالى، وقوله: وإحالة الأمر فيه أي في تضييعه على التقدير أي الذي هو قضاء الله الأزلي، وقوله: خروج عن الدين أي لأن معناه الإنقياد لأحكام الشريعة، ولا انقياد مع ما ذكر. **(قوله: الوقت سيف)** أي مثل السيف في المضي، وسرعة القطع حيث يمر سريعاً، ولا يدرك عوده كما أن السيف بمضيه يسرع قطعه، ولا يمكن تلافيه. **(قوله: بما يمضيه الحق الخ)** أي فينبغي للكيس الحاذق أن يبادر وقته بما أمر به فيه خشية الفوات وتضييع الوظائف.

(قوله: حتى يتقبله بالرضا) أي بموافقة ما جاءت به الشريعة.

(قوله: حيث يصح الرضا به) أي والجهة المصححة لذلك شهود الفعل منه سبحانه وتعالى أو كونه خيراً في ذاته. **(قوله: وقيل السيف لين مسه الخ)** غرضه بذلك زيادة التوضيح بتشبيه الوقت بالسيف في الليونة، وشدة القطع فمن لاين وقته وسلم وانقاد لأحكام ربه الواقعة فيه سلم وفاز بالأجر الجسيم، ومحله إذا كان الجاري فيه من الأحكام بشاهد علم الشرع، ومن خاشنه بالمعارضة وعدم الرضا بما حكم الله به فيه قطعه عن رحمة ربه، أو عن كمال القرب مثل السيف بالنسبة لمن خاشنه، فإنه يسرع له الضرر بقطعه. **(قوله: يعني خرج عن الدين أو كماله)** أي فإن لزم من المعارضة اعتراض على الفاعل المختار خرج عن أصل الدين، وإلا فعل كماله. **(قوله: يمنعه الراحة)** أي مع عدم الفائدة إذ المقدر كائن لا محالة. **(قوله: ومن ساعده الوقت الخ)** أي على معنى ساعده الحق فيه بالتوفيق، وسهل ذلك التجوّز أنه ظرف للأحكام مع أنهم في غالب عباراتهم يريدون منه تصاريف الحق الواقعة فيه. **(قوله: ومن ساعده الوقت الخ)** أي ومع ذلك فصاحب الهمة العالية لا يقف بهمته على شيء دون الحق لأن ما سواه حجاب عنه، وقاطع دونه **(أقول)** ويشهد لذلك قول بعضهم ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف

الحق) أي: يقدره **(ويجريه)** على العبد **(غالب)** أي: واقع عليه جزماً فوظيفة العبد الصبر تحت جريان المقدور حتى يتقبله بالرضا حيث يصح الرضا به، فإن التسخط لا يزيل شيئاً من المقدور **(وقيل: السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه)** كأن وضع يديه على عرضه واعتدل معه **(سلم ومن خاشنه)** كأن وضع يديه على حديه وحزهما **(اصطلم)** أي: استؤصل **(كذلك الوقت من استسلم)** وانقاد **(لحكمه)** فيما يصح الرضا به من البلايا والعوافي والقبض والبسط ونحوها **(نجا ومن عارضه)** أي: حكمه **(انتكس وتردى)** أي: انقلب على رأسه يعني خرج عن الدين أو كماله، فحق العبد الصبر على ما ذكر ولزوم الأدب إذ القلق في مثل ذلك يمنعه الراحة، وربما يمنعه من نيل مراده، **(وأنشدوا في ذلك)** قول القائل **(وكالسيف إن لاينته)** أنت **(لان)** لك **(متنه)** أي: وسطه والمراد عرضه وفي نسخة مسه **(وحداه إن خاشنته)** أي السيف **(خشنان)** يخشى منهما الإصطلام **(ومن ساعده الوقت)** في الخيرات الدينية **(فالوقت له وقت)** محمود **(ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت)** أي بغض من الله. **(وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: الوقت مبرد)** بكسر الميم **(يسحقك ولا يمحقك يعني لو محاك وأفناك لتخلصت حين فنيت، لكنه يأخذ منك ولا يمحوك**

لها إلا ونادته هواتف الحق الذي تطلب أمامك، فتحصل أنَّ المساعدة بالتوفيق الإلهي والمناكدة باتباع الهوى الذي هو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع، والإعراض عن الجهة العلوية بالإنحطاط إلى الجهة السفلية. **(قوله: ومن تأكده الوقت)** أي قدر الله تعالى عليه فيه أسباب النكد والحزن، والخسران، فالوقت عليه مقت أي لكون سبب الغضب وقع وتحقق فيه.

(قوله: الوقت مبرد) أقول هو كذلك باعتبار ما يتحقق فيه من أثر العبادة والمجاهدة **(قوله: يسحقك ولا يمحقك)** المحق فناء وجود العبد في ذات الحق كما أن المحق فناء أفعاله في فعل الحق كما أن الطمس فناء الصفات في صفاته فالأوّل لا يرى فعلاً إلا للحق، والثاني لا يرى حقيقة إلا له، والثالث لا يرى وجوداً إلا له هذا، والمحق أبلغ من السحق. **(قوله: بسحقك)** أي يخرجك عن حظوظ النفس لأن الحظوظ القلبية والروحية لا يسعى إليها على قدم الحظوظ النفسية الوهمية، ويفهم من ذلك أنه لا بدّ للسالك من الفناء عن حظوظه وعلله وأغراضه بالكلية.

(قوله: لتخلصت) أي من خطر بقايا الإحساس بالنفس فتبقى في دوام سرور أنس الغيبة**(قوله: ولو قوبت عليهم حوالهم)** أي ويعبر عن هذا بالفناء عن الفناء وبجمع الجمع، وسيأتي في كلامه. **(قوله: لأنه يشتغل الخ)** انظره مع قول الأصل بعضي الذي يظهر منه بقاء نوع من الإحساس إلا أن يقال مراده أحكام نفسه المألوفة بالطبع، والله

بالكلية) يعني أن في أرباب الأوقات المحمودة بقايا يعرفون بها أحوالهم التي أقيموا فيها ويشغلهم ذلك عن إدراك غيرهم من المخلوقات فباعتبار عدم إدراكم لغيرهم سحقوا، وباعتبار إدراكهم لأنفسهم لم يمحقوا، ولو قويت عليهم أحوالهم، وغابوا عن أنفسهم لمحقوا **(و)** لهذا **(كان ينشد في هذا المعنى: كل يوم يمر)** بي **(يأخذ)** مني **(بعضي. يورث القلب حسرة ثم يمضي)** لأنه يشتغل بما هو فيه عن أحكام نفسه، وعن إدراك غيره من المخلوقات ويغيب عن ذلك بما بدا له في وقته، فإذا زال عنه أورثه حسرة على عدم دوام غيبته واستغراقه **(وكان)** هو **(ينشد أيضاً)** في هذا المعنى **(كأهل)** أي: إنا في ذلك كأهل **(النار إن ذبحت جلود. أعيدت للشقاء لهم جلود)** أي: إن راحتهم وعذابهم لا يدومان لتغير أحوالهم **(وفي معناه)** قول القائل **(ليس من مات فاستراح)** بعد موته **(بميت. إنما الميت الأحياء)** نبه بشطره الأول على كمال فنائه وبالثاني على تبدل أحواله وسحقه بالحال دون محقه **(والكيس)** بتشديد الياء **(من كان)** متصفاً **(بحكم وقته إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة)** لأنه مطالب

أعلم. **(قوله: كاهل النار الخ)** فيكون قد شبه حاله في فنائه عن الكائنات، ومنها نفسه، وفي عوده بالإلتفات إلى شيء منها بأهل النار إذا ذابت جلودهم بالنضج، ثم أعيدت للشقاء المقضي عليهم، فهو لا يستقر على حالة يجد راحته فيها وهي لا تكون إلا بدوام غيبته وأنى له بذلك وفي ذلك **(تنبيه)** على ثبوت كماله ومحبته. **(قوله: ليس من مات)** أي بواسطة فنائه عما سواه تعالى، وقوله فاستراح أي حصل راحته بدوام المشاهدات والمراقبات، والغيبة عن الغير، وقوله: بميت أي بل هو في حياة أبدية لثبوت قدمه في رياض النعيم، ودوام شهوده المولى الكريم، وقوله: إنما الميت أي من في حكمه ميت الأحياء أي لكونه قد يرجع له نوع إحساس، والتفات لغيره تعالى.

(قوله: والكيس من كان بحكم وقته) أي بدون وقوف، واستحسان لما هو فيه، ولذا قال صاحب الحكم، ولا تبرجت ظواهر المكونات إلاّ نادتك حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر. **(قوله: والكيس)** أي الحاذق من كان بحكم وقته أي فهو الذي يتخلق في كل وقت بما يناسبه وذلك باتصافه بحكم الظاهر في حال الصحو وبحكم الحقيقة في حال المحو مع مراعاة الخواطر على قانون المتابعة. **(قوله: ومع ذلك)** أي مع غلبة الحقيقة عليه وشغله بالحق لا يجري عليه الخ، وهذا كما ترى حال الكمل من عباد الله المقرّبين كيف، وهو خلق محمدي وحال أحمدي. **(قوله: لأنه يقطع العمر)** أي ويصرّح بذلك قول الشاعر:

يسر المرء ما ذهب الليالي ... وكان ذهابهن له ذهابا

(قوله: بل لا بدّ أن يدرك الخ) يشير بذلك إلى أنّ المراد بالفناء عن الإحساس إنما هو بالنسبة للحظوظ لا عما به يتحقق اسم الوقت. **(قوله: ومن ذلك المقام)** أقول لا تفهم

بما يجريه الحق عليه من أحكامها **(وإن كان وقته المحو فالغالب عليه أحكام الحقيقة)** لأن من غاب عن إدراك نفسه وغيره فهو مشغول بالحق عن الخلق ومع ذلك لا يجري عليه حينئذٍ ما يخالف الشريعة، فحصل من مجموع ما ذكر أنهم يطلقون الوقت على ما غلب من الحال وعلى ما كان عمارة للزمان، وعلى ما يصرِّف الله العبد فيه من المقدورات بغير اختيار وأنهم لقبوا الوقت بأنه سيف.

مطلب المقام

لأنه يقطع عمر العبد، فإذا لم يقطعه بخير انقطع عمره بغفلة، وأنهم لقبوه أيضاً

من ذلك السكون إلى ما نازلته منه، بل علق همتك بالرحلة عنه إلى موليه وتدبر قول بعضهم:

فلا تلتفت في السير غيراً فكل ما ... سوى الله غير فاتخذ ذكره حصننا
وكل مقام لا تقم فيه أنه ... حجاب فجد السير، واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي ... عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب ... فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى
وسر نحو أعلام اليمين فإنها ... سبيل بها يمن فلا تترك اليمنا

(قوله: والمقام الخ) يريد تعريفه بأنه المنزلة التي يترقى لها العبد، ثم ينتقل إلى أعلى من تلك بإشارات الهية، وذلك بعد ثبوت القدم في ما منح أولاً، هذا، وقال بعضهم: المقام هو استيفاء حقوق المراسم فمن لم يستوف حقوق ما فيه من المنازل لم يصح له الترقي إلى ما فوقه كما أن من لم يتحقق بالقناعة لم يصح له التوكل، ومن لم يتحقق بحقوق التوكل لم يصح له التسليم وهلم جراً في جميعها لأنه إنما سمي مقاماً لإقامة السالك فيه، واعلم أن من جملة المقامات مقام التنزل الرباني، وهو للنفس الرحماني أعني ظهور الوجود الحقاني في مراتب التعينات، ومن المقام المكانة، وهي المنزلة التي هي أرفع المنازل عند الله تعالى وقد يطلق عليها المكان، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] ولا يصل أحد إلى هذه المنزلة إلّا بواسطة ممد الهمم، وهو النبيّ ﷺ لأنه الواسطة في إفاضة الحق الهداية على من يشاء من عباده، وامتدادهم بالنور والتأييد ونهاية هذا المدد إلى نهاية المعرفة، وهي الحضرة الواحدية، وتسمى منشأ السوى باعتبار النفس الرحماني الذي منه تظهر صور المعاني، فإنها تظهر بالوجود، ومن المنازل منزل التدلي سمى به لتنزل الحق فيه إلى صور الخلق ومنزل التداني لدنوّ الخلق فيه من الحق وفوق هذا المشهد المنقطع الوحداني، وهو حضرة الجمع التي ليس للغير فيها عين، ولا أثر فهي محل انقطاع الأغيار، وعين الجمع الأحدية، ويسمى منقطع الإشارة هذا، ولا يتم ذوق هذه المشاهد

بأنه مبرد بمعنى أنه لا يستغرق العبد حتى يغيب عن إحساسه، بل لا بدّ أن يدرك ما هو فيه من غلبة حال أو عمارة أو تصريف من الحق، ولو استغرق لم يسموه وقتاً.

ومن ذلك المقام

هو بفتح الميم موضع القيام وبضمها موضع الإقامة، وقد قرىء بهما قوله تعالى: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الأحزاب: ١٣] قال الجوهري وقد يكون كل منهما بمعنى الإقامة وبمعنى موضع القيام **(والمقام)** بلغتيه عند القوم **(ما يتحقق)** أي: يتصف **(به العبد بمنازلته)** أي: بنزوله فيه وانتقاله إليه باكتسابه له **(من الآداب)**

إلّا بعد موت النفس عن هواها حتى يحيا القلب، وينصرف بالطبع والمحبة الأصلية إلى عالمه عالم القدس، والنور، والحياة الأصلية الذاتية التي لا تقبل الموت أصلاً قال تعالى: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] فقد أشار إلى أن من تاب فقد أمات نفسه وللإشارة بخبر: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» وخبر: «المجاهد من جاهد نفسه».

تنبيه

اعلم أن المضاهاة بين الحضرات والأكوان، تتحقق بوجه انتساب الأكوان إلى الحضرات الثلاثة أعني حضرة الوجوب وحضرة الإمكان وحضرة الجمع بينهما فكل ما كان من الأكوان نسبته إلى الوجوب أقوى كان أشرف وأعلى، فيكون حقيقة علوية روحية، أو ملكية أو بسيطة فلكية، وكل ما كان نسبته إلى الإمكان أقوى كان أخس وأدنى، فكان حقيقة إنسانية، وكل إنسان كان إلى الإمكان أميل وكانت أحكام الكثرة الإمكانية فيه أغلب كان من الكفار، وكل ما كان إلى الوجوب أميل وأحكام الوجوب فيه أغلب كان من السابقين الأنبياء والأولياء، وكل من تساوى فيه الجهتان كان مقتصداً من المؤمنين، فبحسب اختلاف الميل إلى إحدى الجهتين اختلف المؤمنون في قوّة الإيمان وضعفه، فتدبره وغض عليه بالنواجذ فإنه من الأسرار التي لا يعلمها خلاف الأبرار.

(قوله: والمقام ما يتحقق به العبد) أي ما يصير بالتعمل والتكلف وصفاً للعبد باعتبار انتقاله إليه ومنه إلى الأعلى بإشارات وإلهامات إلهية وتحققه له إنما يكون بالجد مع التفرغ وإخلاص المقاصد في الآداب المحمدية والأخلاق الأحمدية، ومثل هذا لا يتم لعبد ما بقيت لنفسه بقية، والحاصل أن المقام نعت للعبد يتجدّد له من العمل بالآداب الشرعية التي لا تتم إلا بالتطلب والتصرّف والتكلف مع مساعدة الهداية بالهبات الإلهية.

(قوله: من الآداب) أي إنما يكون اكتساب العبد للمقام بعمله بالآداب المحمدية والطريقة الأحمدية وقوله: مما يتوصل إليه الخ بيان، وإيضاح لقوله من الآداب. **(قوله:**

بيان(**مما يتوصل إليه بنوع تصرّف ويتحقق**) أي: يتصف (**به بضرب تطلب ومقاساة تكلف**) فالمقام ما ينال بتكسب وتطلب أي: مع الموهبة إلى أن يكمل العبد فيه بخلاف الحال كما سيأتي، وقوله مما الخ بيان للآداب (**فمقام كل أحد**) بالضم وبالفتح (**موضع إقامته**) وقيامه (**عند ذلك**) أي: عند اكتسابه ما يوصله إليه (**وما هو مشتغل بالرياضة له**) عطف تفسير على موضع إقامته عند ذلك (**وشرطه**) أي المشتغل بمقامه (**أن لا**) يتشوّف إلى أن (**يرتقي من مقام إلى مقام آخر**) أرفع منه (**ما لم يستوف أحكام ذلك المقام**) لأن اشتغاله بالأرفع يشغله عما هو فيه (**فإن من لا قناعة له لا**

ما ينال بتكسب الخ) أي فالمقام منزلة ودرجة لا يصلها العبد إلا بدوام العبادة مع الإخلاص، وحسن المراقبة. (**قوله: فقام كل أحد موضع إقامته**) قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: لا بدّ لكل مقام من علم وعمل وحال، فالمقام يثمر علماً، والعمل يثمر حالاً لأن حركات الأجسام تابعة لحركات القلوب وحركات القلوب جارية بحركات الأجسام (**أقول**) ثم مدار الأعمال على الذكر وحسنه بالحضور فيه، ومع ذلك، فربما وجد وربما فقد فلا يترك الذكر في حالة الغفلة، بل يدوم على الذكر مطلقاً فعسى أن تسعفه العناية قال ﷺ للذي استوصاه «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله»[1] لم يدله إلا على ذكر اللسان، وذلك لأنه مقدور الإنسان.

(**قوله: فقام كل أحد الخ**) أقول لعل أوّل المقامات الكاملة الإنخلاع عن العادات والمألوفات، وذلك هو التحقق بالعبودية موافقة لأمر الحق بحيث لا تدعوه داعية إلى مقتضى طبعه وعادته والله أعلم. (**قوله: فقام كل أحد الخ**) أقول فلا ينبغي لذي المقام أن يفتر عند عروض الغفلة في حالة ذكره مثلاً لأن الذكر لا يتقيد بحالة حضور ولا غفلة، على أن في وجود الذكر مع الغفلة إقبالاً بوجه ما والغفلة عنه إعراض بالكلية، وفيه تزيين جارحة اللسان بالعبادة، وفيه تعرض لنفحات رحمة الله فعسى أن يرفعه إلى ما هو أعلى من ذكره.

(**قوله: موضع إقامته**) محصله أن مقام العبد ما وفقه الله له من أنواع الطاعة وشغل قلبه به في الوقت والساعة. (**قوله: أن لا يتشوّف**) أي لا يتطلع إلى غير ما هو فيه إلى أن يرتقي الخ. (**قوله: ما لم يستوف الخ**) أي مدّة عدم استيفائه أحكام ذلك المقام أي بل يثبت فيما أقامه الله فيه حتى يتم له التحقق بكامل ما فيه من الأحكام. (**قوله: لأن اشتغاله بالأرفع يشغله مما هو فيه**) أي وذلك يؤدّي إلى فوات المقامين الرفيع والأرفع حيث الأوّل سلم للثاني ودرجة توصل إليه، وقوله: فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل

---

(١) أخرجه الترمذي (دعوات ٤) وأحمد بن حنبل (٤/١٨٨، ١٩٠).

يصح له التوكل) أي: من اشتغل بمقام القناعة، ولم يحكمه لا يصح منه أن يرتقي إلى مقام التوكل، ولكل مقام بدء ونهاية وبينهما أحوال متفاوتة مثاله في مقام الخوف من الله مثلاً أن يبدأ بترك الكبائر خوفاً من الله فإذا ارتقى عن ذلك ترك الصغائر أيضاً، ثم المكروهات، ثم الشبه ثم التوسع في الحلال إلى أن ينتهي إلى ترك كل ما يشغله عن الله، **(ومن لا توكل له لا يصح له التسليم، وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة ومن لا ورع له لا يصح له الزهد)** وسيأتي بيان هذه الألفاظ **(والمقام)** بضم الميم **(هو الإقامة)** كما مرّ **(كالمدخل بمعنى الإدخال والمخرج بمعنى الإخراج)** قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] أي: أدخلني المدينة إدخالاً مرضياً لا أرى فيه ما أكرهه، وأخرجني من مكة إخراجاً ألتفت بقلبي إليها. **(ولا يصح لأحد منازلة مقام)** أي: نزوله فيه بأن يشتغل بما يتوصل به إليه **(إلا**

يوضح ما ذكرناه لأن تفويض الأمر لمن له الأمر لا يكون إلاّ بعد الرضا بما قسمه للعبد وعدم تشوّفه إلى زائد عنه.

(قوله: ولكل مقام بدء) أي ابتداء وله غاية أيضاً توصل إلى أعلى منه فأوّل مقام في الخوف ترك الكبائر، ثم الصغائر، ثم المكروهات، ثم ما فيه شبهة وذلك أول مقام في الورع، ثم ترك التوسع في الحلال، وهو أول مقام الزهد، وينتهي إلى ترك كل ما يشغل عن الحق تعالى، ثم بعد ذلك مقام التوكل، ثم الرضا بما يجري به القضاء لايم النفس أم لم يلايمها والله أعلم. **(قوله: مثاله في مقام الخوف)** أي لا مطلق نوع منه إذ هو مختلف باختلاف حال الخائف قرباً وبعداً منه تعالى. **(قوله: لا يصح له التسليم)** أي لأنه سكون القلب وطمأنينته لما يجري به القضاء، ولا يتم إلاّ بعد التفويض لمن له الأمر كله. **(قوله: لا تصح له الإنابة)** أي لأنها إنما تنشأ عن التوبة.

(قوله: لا يصح له الزهد) أي لأنه لا يتم معناه إلا بالإعراض عن جميع الحظوظ، وذلك لا يتحقق إلا بالبعد عما فيه شبهة.

(قوله: ولا يصح لأحد منازلة مقام الخ) أي فلا بدّ للعامل أوّلاً من عرض أعماله على أحكام الشريعة، فما وافق دام عليه، وإلا رجع عنه فتلزم المتابعة لسيد الكائنات في كل ما يتوصل به من الأعمال إلى نيل هذا المقام، ثم بعد ذلك لا بدّ له من شهود رضائه تعالى بأنه سبحانه وتعالى المتفضل عليه بالتوفيق فيما صار إليه وما سيصير له. **(قوله: بالتزام الطاعات الخ)** أقول إنما كان أمره نفعنا الله به بالتزام الطاعات لأن مبادي النهايات هي فروض العبادات كالصلاة والصوم، والزكاة، والحج، وذلك لأنها نهاية الصلاة كمال القرب ونهاية الصوم الإمساك عن الرسوم الخلقية، ونهاية الزكاة بذل ما سوى الله لخلوص محبة الله، ونهاية الحج الوصول إلى المعرفة، والتحقق بالبقاء بعد الفناء لأن

بشهود) أي: رؤية **(إقامة الله إياه بذلك المقام)** أي: فيه **(ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة)** وهي رؤية فضل الله عليه في إقامته في ذلك المقام. **(سمعت الأستاذ أبا علي)** الدقاق **(رحمه الله تعالى يقول: لما دخل الواسطي نيسابور سأل أصحاب أبي عثمان)** سعيد بن سلام المغربي بـ **(ماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا: كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال: أمركم بالمجوسية المحضة)** من حيث أن المجوس عبدوا النور والظلمة، وجعلوا الخير من النور والشرّ من الظلمة فذكروا فاعلين مع الله فنبه الواسطي هؤلاء على أن شيخهم جعلهم فاعلين مع الله بقوله أمركم بالمجوسية المحضة **(هلا أمركم بالغيبة عنها)** بأن تتبروا من أفعالكم **(برؤية منشئها ومجريها)** سبحانه وتعالى بأن تروا أنها من الله فضلاً ورحمة عليكم فعلى العبد أن يرى في كل مقام يتطلبه أن له معيناً عليه فيبرأ من المجوسية، ومن رأى القدرية الذين أثبتوا لأنفسهم أفعالاً، فإنهم يضيفون الشرّ لأنفسهم والخير إلى الله تعالى وهو الله تعالى خالق كل شيء من خير وشرّ، **(وإنما أراد الواسطي بهذا)** الذي قاله لأصحاب أبي عثمان **(صيانتهم عن محل الإعجاب)** بأنفسهم فيما التزموه من الطاعات **(لا تعريجاً)** منه **(في أوطان التقصير)** بأن أمرهم بالتقصير في الطاعات **(أو تجويزاً)** منه **(للإخلال بأدب من الآداب)** بأن أمرهم أن يتركوا إيقاعها مطلقاً أو على

المنازل كلها وضعت بإزاء منازل السالك إلى النهاية، ومقام أحدية الجمع والفرق.

(قوله: فقال أمركم بالمجوسية المحضة) أقول ليس المراد له رضي الله عنه الحقيقة فيما ذكره ولا ذم الآمر لهم ولا ذمهم أنفسهم، بل إنما مراده حملهم بذلك القول حملاً بمبالغة على طلبهم الأشرف مما أمرهم شيخهم به، وهو الفناء عن شهود العبادة والتبري من الحول والقوّة، والرجوع إلى أنه تعالى هو المنعم والمتفضل فافهم.

(قوله: أمركم بالمجوسية الخ) أقول لعل ذلك لأن شأن الكامل حقه سعة قلبه وتحققه بحقيقة البرزخية الجامعة بين الإمكان والوجوب فإن قلبه أي الكامل من العبيد هو البرزخ كما يشير إليه خبر: «ما وسعني أرضى ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن» فافهم. **(قوله: هلا أمركم بالغيبة عنها)** أقول وهذا إنما يتحقق بإحصاء الأسماء الإلهية، فمن تحقق بذلك في الحضرة الواحدية بالفناء عن الرسوم الخلقية، والتحقق بالبقاء في الحضرة الأحدية وصل إلى هذا المشهد الأجل، وصار من عباد الله الكمل. **(قوله: وإنما أراد الواسطي بهذا)** أي وحمله حب صيانتهم عن الإعجاب على ما به في قوله أمركم بالمجوسية المحضة، وإلا فكان يمكن إفادة الغرض بعبارة غير شنيعة فكأنه جعل من أعجب بطاعته مجوسياً حيث نظر إلى فعل نفسه مع غفلته من مجريه المنعم به. **(قوله: أي لم يأمرهم بشيء من ذلك)** أقول بل قد أمرهم في الضمن والإشارة بإيقاع الطاعة على

أكمل وجوهها أي: لم يأمرهم بشيء من ذلك. **(ومن ذلك الحال. والحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب)** وعطف على ذلك عطف تفسير قوله **(ولا اكتساب لهم من طرب أو حزب)** بكسر الحاء وإسكان الزاي أي: ورد وفي نسخة أو حزن **(أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هيبة أو اهتياج)** أي: ثوران ولو بلا طرب **(فالأحوال مواهب)** ترقى إلى المقامات **(والمقامات مكاسب)** بمواهب لأنها إنما تنال بالكسب مع الموهبة كما مرّ.

أكمل وجوهها على ما لا يخفى على ذائق. **(قوله: الحال الخ)** أي فهي ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمد ولا اجتلاب من حزن أو خوف أو بسط أو قبض أو شوق أو ذوق، ثم يزول بصفات النفس سواء يعقبه المثل أو لا، فإذا توالت ودامت الأمثال فصارت ملكة كان ذلك مقاماً، واعلم أن الحال بداية والمقام نهاية والحال ما يتحوّل، والمقام ما لا يتبدّل، والحال له انصرام، والمقام له الدوام، وقد يطلق المقام على ما ليس بمحمود كما تطلق الدركة على الدرجة، ومثله يقال في الحال، فقس على هذا المنوال.

(قوله: معنى يرد على القلب الخ) محصله أنها واردات الهية ترد على قلوب العارفين بواسطة تنوير قلوبهم الناشىء عن دوام الجدّ والاجتهاد في العبادة مع الإخلاص، والمراقبة، ولكن لا كسب للعبد فيها، وإنما هي مدارج للمطالب من رفيع المقامات مع أن مبنى الأمر على الحال لا القال، فارحل من أوحال القال إلى أوطان الحال وقدم بين يدي نجواك صدقة صدق عزم وتقوى لا زخرف قول ودعوى.

(قوله: من غير تعمد منهم) أي ولذا قال أبو محمد عبد القادر الكيلاني رحمه الله الوارد الإلهي لا يرد باستدعاء ولا يذهب بسبب، ولا يأتي على نمط واحد ولا في وقت واحد، والطارق الشيطاني بخلاف ذلك فتدبر. **(قوله: ولا اجتلاب)** أي وإنما هي المواهب الفائضة على العبد من ربه إما ميراثاً للعمل الصالح، أو امتناناً محضاً. **(قوله: ولا اكتساب لهم الخ)** أي لأن التنزلات العرفانية على القلوب القدسية لا ترد إلا فجأة دون روية واستعداد وتوقيت وقد ترد عن استعداد، وذلك أقل القليل، بل يكاد أن يكون معدوماً. **(قوله: من طرب الخ)** بيان للحال. **(قوله: وفي نسخة أو حزن)** أي وعلى هذه النسخة يكون قوله بعد ذلك أو قبض من ذكر الأعمّ بعد الأخص، واعلم أنه سيأتي له نفعنا الله به بيان حقيقة كل لفظ من المذكور هنا. **(قوله: فالأحوال مواهب)** أي تنشأ عن الهبات الإلهية لا مدخل للكسب فيها وقوله: والمقامات مكاسب أي تنال بكسب العبد وطلبه بمساعدة الهبات، واعلم أنّ المقامات قد تكون ذميمة، فانظر إلى ما نسب إليه الإنسان الحامل للأمانة من الظلم والجهل، وذلك لأن الجمل يستدعي قوّة وقدرة، وليس

مطلب الحال

فالعبد بالأحوال يترقى إلى المقامات الممتزج فيها الكسب بالموهبة، ولا يلوح له حال من مقام أعلى من مقامه إلا وقد قرب ترقيه إليه، فلا يزال العبد يترقى إلى المقامات بزيادة الأحوال (و) يقال أيضاً **(الأحوال تأتي من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود، وصاحب المقام متمكن)** وفي نسخة ممكن **(في مقامه وصاحب الحال مترق)** وفي نسخة مرقى **(عن حاله)** فالمقامات مستقرّة والأحوال متغيرة. قال العلامة القونوي والتحقيق أن الجميع مواهب إلا أنّ المقامات يظهر فيها

للعبد ذلك وعوفيت السموات والأرض والجبال من ذلك لوقوفها على حدّ العجز، وفي ذلك معرفة بالنفس اللازم منه معرفة الرب والعارف لا يلام، وإنما يلام الجاهل، فتأمل ما وفقت له الجمادات وحجبت عنه أصحاب الادراكات حيث كان عين علمه عين جهله وعين عدله عين ظلمه، فظهر الجهل الباطن، وبطن العلم الظاهر، وكذلك العدل والظلم، فإنّ الإنسان إنما حمل الأمانة تعظيماً لمقام الربوبية، وخوفاً من السقوط عن وظائف العبودية، فخاف من شيء فوقع فيه وهذا سرّ الله في خليقته خاف يعقوب على يوسف، فوقع فيما فيه خاف، وكذا آدم عليه السلام خاف من مفارقة الجنة، فوقع فيها، ولذا قيل إنما حرموا الوصول من تضييع الأصول فافهم.

(قوله: فالعبد بالأحوال يترقى الخ) أي لأن الأحوال مبادي للمقامات ولذلك قيل إذا دامت الحال صارت مقاماً لصاحبها. **(قوله: الممتزج فيها الكسب بالموهبة)** أي حيث التوفيق لا يكون إلاّ منه تعالى، وحينئذٍ فقوله والمقامات مكاسب أي تتحقق بالكسب من العبد هو باعتبار ظاهر الحال، وفي الحقيقة لولا التوفيق، والهداية لما تحقق للعبد بنفسه شيء من حال أو مقام. **(قوله: ولا يلوح له حال الخ)** أي لأن الأحوال مدارج للمقامات كما قدّمناه. **(قوله: فلا يزال العبد يترقى الخ)** أقول والغاية في الترقي بحسب سابق القسمة الأزلية بموافقة الحكمة العلية. **(قوله: من عين الجود)** أي الفضل والكرم وقوله: والمقامات تحصل ببذل المجهود أي الجهد والطاقة، هذا، ومن أمعن النظر علم أن كلا من الحال، والمقام يحصل من عين الجود، فما ذكره المؤلف باعتبار ظاهر الحال بإثبات الكسب في المقام، وسيأتي للشارح التصريح بذلك.

(قوله: متمكن) أي بثبوته في مقامه حتى ينقله الحق تعالى إلى غيره مما هو أكمل منه بواسطة جدّه في الطلب. **(قوله: وفي نسخة ممكن)** أي لكونه مكنه الله فيه وثبت له القدم عليه، فممكن يقرأ على صيغة المفعول، ومثله قوله بعد مرقى.

(قوله: والتحقيق الخ) أي فما ذكر أوّلاً من أن الأحوال مواهب، والمقامات

الكسب ويبطن فيها الموهبة، والأحوال بالعكس وقد تصير الأحوال مقامات، وذلك عند استقرارها وأسبابها وهي الطاعة قد يعرفها العبد، وقد لا يعرفها أصلاً وقد لا يعرفها في الحال كأن يجد من نفسه القبض والبسط ولا يعرف سببه لغفلة أو نسيان. **(وسئل ذو النون المصري عن)** حال **(العارف)** بالله **(فقال كان ههنا)** أي في العارف **(فذهب)** عنه لاشتغاله عنه بمن خصه به وتولاه. **(وقال بعض المشايخ)** من الصوفية **(الأحوال كالبروق)** في سرعة زوالها **(فإن بقي)** شيء منها مع العبد **(فحديث نفس)** أي فالباقي حديث نفسه بالحال لا نفس الحال. **(وقالوا)** أيضاً **(الأحوال كاسمها يعني)** كل منهم **(أنها كما تحل بالقلب تزول في الوقت)** أي: في الحال وهذه الكاف تسمى كاف المباغتة والمبادرة ولا حاجة لقوله في الوقت **(وأنشدوا. لو لم تحل)** أي: الحال **(ما سميت حالا. وكل ما حال فقد زالا. انظر إلى الفيء إذا ما انتهى. يأخذ في النقص إذا طالا)**. أي: إذا انتهى طوله فهو تأكيد للشرط قبله أي: عند

مكاسب، إنما هو باعتبار الظاهر وشاهد العلم، أما بالنسبة للتحقيق فالجميع مواهب حيث العبد محل لتصريف الحق تعالى. **(قوله: وأسبابها الخ)** هو من جملة ما للقونوي من التحقيق، وحاصل تحقيقه أن الجميع مواهب أي حاصله بطريق الهبة والمنة، والفرق بين المقام، والحال إنما هو بالنظر إلى خفاء السبب، وظهوره في كل منهما هذا محصله وهو الحق والله أعلم. **(قوله: كان ههنا)** أي في ذاته، وقوله فذهب أي باعتبار حاله أي فذهب عنه ذلك الحال لاشتغاله عنه بمن خصه به وتولاه، وهو الله تعالى ويحتمل أنه يشير إلى مقام محو العبادة، وعين العابد فافهم. **(قوله: الأحوال كالبروق الخ)** أي وإنما كانت كذلك لأجل صيانتها عن أن يدعيها العباد بواسطة، وجود الاستعداد فتكون مبتذلة، فيبطل سرّ التخصيص، ولأنها من بساط عزيز، وما كان من عزيز لا ينبغي أن يكون إلاّ عزيزاً ولتعظيم المنة بها وتحقيق الشكر على المواجهة بها على قدرها فقد قيل إذا عمت النعم صغرت وكفرت، وإذا خصصت عظمت وشكرت، والله أعلم. **(قوله: كالبروق)** أي ومنها اللوائح، واللوامع، والطوالع على قول، وهي مختلفة في القوّة على حسب هذا الترتيب أي فالثانية أقوى من الأولى، والثالثة أقوى منها، ومن الثانية. **(قوله: فإنْ بقي شيء منها الخ)** أي والكلام، فيمن لم تتوال عليه الأحوال أما هو فقد تصير له مقاماً. **(قوله: وقالوا الأحوال كاسمها)** أي فالمسمى قد أخذ حظاً من الاسم، فكما لا يبقى حال الأوقات لا يبقى مسمى الواردات. **(قوله: ولا حاجة لقوله في الوقت)** فيه أنه يحقق معنى قوله قبل كاسمها. **(قوله: وأنشدوا الخ)** أورده استشهاداً على ما قبله من أن الحال كاسمها فقوله: لو لم تحل ما سميت حالاً أي: فالتسمية لمناسبة في المعنى والحقيقة، وقوله: انظر إلى الفيء الخ الفرض التشبيه في سرعة الزوال في كل كما نص عليه الشارح.

انتهائه يأخذ في الزوال بسرعة، فكذا الحال فالأحوال لا تبقى. **(وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها وقالوا: إنها إذا لم تدم ولم تتوال، فهي لوائح وبواده)** من لاح له المعنى وبدهه فلم يثبت له **(ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال)** لعدم بقائها لكنه يصل إليها فهي باقية **(فإذا دامت تلك الصفة)** وتوالت **(فعند ذلك تسمى حالاً، وهذا أبو عثمان الحيري يقول)** لي **(منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته أشار)** بذلك **(إلى دوام الرضا والرضا من جملة الأحوال)** حيث توالى، وأنت خبير بأن ذلك كله إنما يدل على بقائها إن توالت أمثالها، فإذا توالت أمثالها سميت أحوالاً وإلا فلوائح وبواده، ومن ثم اختار ما ذكره بقوله: **(فالواجب في هذا)** المبحث **(أن يقال أن من أشار إلى بقاء الأحوال فصحيح ما قال فقد يصير المعنى)** أي: الحال بتواليه

(قوله: وأشار قوم الخ) الذي يظهر أن مرادهم بذلك توالي الأمثال، وتكررها فكأنها بذلك تشبه الباقية. **(قوله: من لاح له المعنى)** أي بدا له وظهر.

(قوله: وبدهة) أي فجأة وبغتة. **(قوله: ولم يصل صاحبها الخ)** أي فهي إنما تسمى لوائح وبواده مدّة عدم تواليها على صاحبها، ثم هي إذا توالت عليه تسمى حينئذٍ حالاً له لا لائحة ولا بادهة. **(قوله: ما أقامني الله في حال فكرهته)** أقول وذلك دليل كماله رضي الله عنه حيث قنع بما أراده مولاه وقضاه علماً منه بأن مختار الله خير مما يختاره هو بإشارة خبر: «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع»، ولذلك قيل: لا تكونوا بالرزق مهتمين، فتكونوا للرازق متهمين فافهم. **(قوله: ما أقلني الله الخ)** أي اكتفاء بالمدد الوجودي، وهو وصول كل ممكن إلى ما يحتاج إليه في وجوده على الولاء حتى يبقى، فإن الحق يمده من النفس الرحماني بالوجود حتى يترجح وجوده على عدمه الذي هو مقتضى ذاته، وكل ذلك على وجه الحكمة العلية، وحينئذٍ فلا فائدة لتشوّف غير ما في علم الله الذي هو على وجه الحكمة.

(قوله: أشار بذلك إلى دوام الرضا) أي بسبب عدم طلب التغيير حيث فهم أنّ الطلب كله معلوم إلا ما كان من وجه العبودية والقيام بحق الربوبية فافهم. **(قوله: وأنت خبير الخ)** محصله أن الطوارق للقلوب من باب فتح علام الغيوب إن توالت أمثالها تسمى حالاً، وتبقى باعتبار ذلك التوالي، وإنْ توالت، وكانت غير أمثال يقال لذلك لوائح وبواده، وهي غير باقية، ولا تسمى حالاً بسبب ذلك الاختلاف. **(قوله: فالواجب الخ)** مراده تحقيق ذلك المبحث، وحاصله أنّ الحال إن توالت على معنى واحد، وأمثال متحدة تصير لمن توالت على قلبه مقاماً يربى فيه، ومع ذلك ترد له أحوال أخر لا تدوم شرفها أعلى مما صارت له مقاماً، فإنْ دامت كذلك صارت مقاماً آخر أيضاً وهكذا يقال في غير ذلك مما يرد على قلب الإنسان والله أعلم.

(شرباً) بكسر أوّله أي: حظاً يعني مقاماً **(لأحد فيربى)** أي: الأحد **(فيه ولكن لصاحب هذه الحال)** أي: الشرب وهو المقام **(أحوال هي طوارق لا تدوم)** يكون أوّل مقام آخر وأحواله هذه **(فوق أحواله التي صارت شرباً له، فإذا دامت هذه الطوارق)** أي: الأحوال بتواليها **(له كما دامت الأحوال المتقدّمة ارتقى إلى أحوال أخر فوق هذه)** الأحوال **(وألطف من هذه)** أي: منها فأقام الظاهر مقام المضمر. **(فأبداً يكون** هو **(في الترقي)** في الدرجات العلية. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: في معنى قوله ﷺ إنه ليغان)** أي يغطي **(على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في**

(قوله: إنه ليغان على قلبي الخ) أقول والله أعلم بأسرار كلام رسوله، ويحتمل أنه ﷺ في بعض أوقاته الشريفة تغلب عليه سطوات سواطع أنوار الحقيقة حتى يفنى عن نفسه، بل وعن فنائه عنها، ثم يعيده الحق تعالى إلى مقام الصحو والإحساس لأداء أحكام الشريعة وإبلاغها، فيستغفر الله تعالى كثيراً على معنى طلب الستر عن تلك السطوات ليدوم على مقتضى حكمة الإرسال من التبليغ، وأداء الأحكام، هذا، وقال بعضهم في معنى ذلك أنه للإشارة إلى ما عساه يعتور بعض قلوب السائرين من أولي النهى المقرّبين باستحسان الحال، الغفلة عن شهود الإفضال إذ الأفعال، وإنْ انتسب حكمها إلى العبد شرعاً، فهي ليست له بالحقيقة علماً والحقائق ثلاثة: التجلي الفعلي، وبابه الفناء عن شهود فعل العبد، والتجلي الأسمائي والصفاتي وبابه الفناء عن أسماء وصفات العبيد، والتجلي الذاتي الجمعي، وبابه الفناء عن عينه وآنيته، قيل: والدليل على هذه الحقائق قوله في الخبر: «حتى أحبه» الحديث هذا، ولا يخفى عليك أنه لا تنال هذه الحقائق إلاّ لمن أحكم الشريعة إذ من رام الطريقة أحكم الشريعة، ومن رام الحقيقة أحكم الطريقة، هذا، والاحتمال الأوّل الذي أبديته في معنى الحديث الشريف ربما كان لائقاً بمقامه ﷺ، والاحتمال الثاني غير لائق بشريف مقامه عليه الصلاة والسلام، إذ استحسان الحال، والغفلة عن شهود الإفضال غير لائق بكمل أتباعه ﷺ فضلاً عنه، نعم إنْ قيل أنه باعتبارهم صح على أن الأخف في سلوك طريق الأدب معه عليه الصلاة والسلام حمل الأغيان في الحديث الشريف على الأنوار المتفاضلة التي تحصل له في ترقيه، فيعد المفضول غيناً بالنسبة للفاضل والفاضل غيناً بالنسبة للأفضل، ولهذا المعنى أشار بعض المحبين حيث قال هي أغيان أنوار لا أغيان أغيار، ويصرّح بهذا الاحتمال كلام أبي علي الدقاق الذي ذكره المؤلف فتمسك به، ولا تعدل عنه.

(قوله: إنه ليغان على قلبي الخ) قال بعضهم هي أغيان أنوار لا أغيان أغيار على معنى أنها بالنسبة لما ينتقل إليه ﷺ من الرتب والدرجات بواسطة ترقيه يعدّ ما قبلها أغياناً، وإنْ كانت في نفس الأمر أنواراً. **(قوله: إنه كان عليه السلام أبداً في الترقي الخ)**

اليوم سبعين مرّة) وفي رواية أكثر من سبعين مرّة وفي رواية أكثر من مائة مرة (أنه كان عليه السلام أبداً في الترقي من أحواله) إلى أحوال أخر (فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها، فربما حصل له ملاحظة) وهو في حالته التي ارتقى إليها (إلى ما ارتقى) أي: حالته التي ارتقى (عنها فكان بعدها غينا) أي: ستراً رقيقاً يعني تغطية لقلبه (بالإضافة إلى ما) أي: حالته التي (حصل فيها) فاستغفر الله سبعين مرّة فقال: أستغفر الله وأتوب إليه، وقيل: قال ذلك على جهة التعليم لأمته لغلبة الخطأ عليهم وقيل: إنه كان كلما ذكر أمته، وما يكون منهم بعده استغفر الله لهم وقيل: إن الإغانة حالة غشية وإعظام تغشى قلبه، فيستغفر حينئذ شكراً لله وملازمة للعبودية كما قال في ملازمة العبادة: «أفلا أكون عبداً شكوراً». (فأبداً كانت أحواله) ﷺ (في التزايد) والترقي (ومقدورات الحق سبحانه) وتعالى (من الألطاف لا نهاية لها، فإذا كان حق الحق تعالى العز) أي: الرفعة (وكان الوصول إليه بالتحقيق محالا فالعبد أبداً في ارتقاء أحواله فلا معنى) أي: حالاً (يوصل إليه إلا وفي مقدوره سبحانه) وتعالى (ما

اعلم أنّ النبوّة على قسمين نبوّة تعريف ونبوّة تشريف، فالأولى هي الإنباء عن معرفة الذات والأسماء والصفات، والثانية جميع ذلك مع تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق والتعليم بالحكمة والقيام بالسياسة، فما ذكر هنا من الغين فمن مجالي الثانية.

(قوله: أبداً في الترقي) أي ويؤيده ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤] من أنّ المعنى وللحظة المتأخرة خير لك من اللحظة المتقدمة أي من حيث ما يحصل لك فيها من الترقي، فهو ﷺ، وإنْ كان كاملاً في ذاته غير أن الكامل يقبل الكمال كما هو غنيّ عن البيان. (قوله: فكان بعدها غيناً) أقول لما كان ﷺ مظهر أسمائه تعالى ومجلاها ومن جملتها جبار وقهار ومنتقم وأمثالها، فيحتمل أنه غلب عليه ﷺ تجليها في مشهد العبودية فأثبت لذاته الشريفة غيناً واسعة مزمنة، أو هو لا يقتضي نقصاً، بل ذلك من الكمال الأنفس والله أعلم.

(قوله: بالإضافة) أي بالنسبة إلى حالته التي حصل فيها أي التي تحققت له ولابسها، وهذا كما ترى لا ينافي أن الحالة الأولى من درجات الكمال العلية. (قوله: وقيل قال ذلك على جهة التعليم لأمته) أي ولو الكاملين منهم إذ لا يخلو الإنسان عن تقصير في حقه سبحانه وتعالى كما يشير إليه خبر: «سبحانك ما عبدناك حق عبادتك». (قوله: وقيل إنه كان كلما ذكر أمته الخ) أقول هو في غاية الوجاهة وصحة المعنى في طريق الأدب معه ﷺ. (قوله: وقيل إن الإغانة حالة خشية وإعظام الخ) أي ومنشأ ذلك نوع من تجلي الجلال المناسب لعبوديته ﷺ. (قوله: ومقدورات الحق الخ) كالدليل لما قبله من دوام التزايد له، وكذا يكون الحال لغيره من خواص أمته والله أعلم.

هو فوقه يقدر أن يوصله إليه **وعلى هذا يحمل قولهم حسنات الأبرار)** أي: أوائل الدرجات التي نالوها **(سيئات المقرّبين)** لنزولها عن درجتهم. **(وسئل الجنيد عن هذا)** أعني عن قولهم حسنات الأبرار سيئات المقرّبين **(فأنشد)** جواباً للسائل **(طوارق أنوار تلوح إذا بدت فتظهر كتماناً وتخبر عن جمع)** أي: المقامات أوّلها طوارق تلوح إذا ظهرت ونهايتها أنها إذا قويت بعد ظهورها أظهرت الجمع وكمال الحال وكتمان السرّ فأول المقام طوارق ونهايته جمع وكمال حال وكتمان سرّ، فأشار بالأوّل إلى مقام الأبرار، وبالثاني إلى مقام المقربين. **(ومن ذلك القبض والبسط وهما حالتان)**

(قوله: محالاً) أي لأن رفعته تعالى من غير نهاية، ومن ذلك استحال الوصول إليها. **(قوله: وعلى هذا يحمل قولهم الخ)** أي على ما تقدّم من ثبوت العز أي الرفعة له تعالى واستحالة الوصول إلى ذلك يحمل قولهم حسنات الأبرار الخ أي فإنَّ العبد كلما وصل إلى حال ومقام أرقى مما كان له أولاً، يرى أن ما كان له في الانحطاط كالسيئة بالإضافة إلى ما وصل إليه، والله أعلم. **(قوله: طوارق أنوار الخ)** أقول حاصل المقامين منه أنْ يقال من سبق له الاصطفاء والاختيار، وقدر له أن يكون من الأبرار يوفق إلى المتابعات، فيحلى بحلية أهل العنايات، وتفاض الأنوار على سره وتتوالى طوارق الواردات على قلبه، فيندرج بذلك في عليّ المقام، ويخص بنعت ذوي الكمال، فيدوم مشاهداً للحق بالايجاد، ويستمرّ على نيل معالي الامداد، فيستوي منه الباطن والظاهر لما يجريه فيه رب تلك المظاهر، ثم إذا ترقى بتوالي الواردات، وتحقق في رتب أهل السيادات تزايدت على سرّه الأنوار، فيغنى عما منح من الأسرار حتى عن نفسه مع العالمين بالثبوت في مقامات المقرّبين، فيكون دائماً على شهود الحق قبل الخلق ويثبت على هذا الطريق الأحق هذا معنى تلك الإشارات، وحل رموز هاتيك العبارات تدبر تفهم، وربنا بالحال أعلم. **(قوله: القبض والبسط)** قال السهروردي في عوارف المعارف اعلم أنّ القبض والبسط لهما موسم معلوم، ووقت محتوم لا يكونان قبله ولا بعده، ووقتهما وموسمهما في أوائل حال المحبة الخاصة لا في نهايتها، ولا قبل حالة المحبة الخاصة، فمن هو في مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الإيمان لا يكون له قبض ولا بسط، وإنما يكون له خوف ورجاء، وقد يجد شبه حال القبض والبسط، ويظنّ العبد ذلك قبضاً وبسطاً، وليس هو ذلك، وإنما هو غمّ يعتريه فيظنه قبضاً، واهتزاز نفساني ونشاط طبيعي فيظنه بسطاً، والهمّ والنشاط يحدثان، ويصدران من محل النفس، ومن جوهرها لبقاء صفاتهم فما دامت في صفة الإمارة بقية على النفس يكون فيها الاهتزاز والنشاط، فالهم هو وهج ساجور النفس والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع، فإذا ارتقى من حال المحبة العامة إلى أوائل المحبة الخاصة يصير ذا حال، ذا

قلب وذا نفس لوّامة ويتناوب القبض والبسط منه عن ذلك لأنه ارتقى من رتبة الإيمان إلى رتبة الإيقان فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخرى اهـ.

فتحصل أن البسط في مقام القلب بمثابة الرجاء في مقام النفس، فهو وارد تقتضيه إشارة إلى قبول ولطف ورحمة وأنس، ويقابله القبض فهو كالخوف في مقام النفس، ثم للبسط الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥] إذ معناه على طريق القوم وعد الله الذين آمنوا يعني أنفسهم بمعنى صيروها آمنة من الغضب والصد والإعراض والبعد، فالمؤمن الذي هذا حاله هو صاحب القلب المطمئن بقهر جند الإمارة، واللوّامة بالعقل وإليه الإشارة بقوله: ﴿مِنكُمْ﴾، فإن القلب من جملة المعاني التي مدّت منها النفس، وإنما أمنت النفس من الحجاب بواسطة القلب، وبواسطة العقل القاهر لها بالأعمال الصالحة وأصلح الأعمال معرفة الله تعالى ومحبته المثمرة للأحوال السنية التي من جملتها السكر بخمر مشاهدة جمال أوصاف محبوبها والشكر له، ولخلقه والاستخلاف جعلها أي القلوب خليفة في أرض الوجد والذوق والقرب والأنس التي حلها من قبلها رجال الهية وأقاموا فيها وترقوا عنها إلى ما فوقها من سموات الرفعة والمجد بعلوّ الهمة، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ اعلم أن ظاهر الدين هو الإسلام، وباطنه جزاؤه، فالمراد الجزاء ومنه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧] أي كتبه وقسمه وارتضاه، وقدره وأمضاه في سابق علمه، وهو أنواع أعلاها رضوانه، ولذة النظر إلى وجهه تعالى، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من تجليات جلاله ﴿أَمْنًا﴾ بذوق سعة كرمه وفضله ورحمته، ثم اعلم أن القبض يلزمه خشية، ولهذا قال بعضهم: إنّ هذه الحالة تستلزم الفناء، فكانت موتاً، ومع ذلك يصح فيها للعبد المقرّب أن يتقاضى مقاماً أو حالاً على جهة، فنحن سكوت والهوى يتكلم، وكقوله:

فلم أر بدراً ضاحكاً قبل وجهها ... ولم تر قبلي ميتاً يتكلم

(قوله: وهما حالتان الخ) محصله أنَّ القبض والبسط بمنزلة الخوف، والرجاء الثابت كل منهما للمبتدي الزاجران له عن المخالفات والقائدان لفعل المأمورات، والقبض والبسط مثلهما بالنسبة لمن ترقى عن درجتهما، والفرق اعتبار الحال في القبض والبسط والاستقبال في الرجاء والخوف اهو أعلم أن القبض والبسط مظهران من مظاهر اسمه تعالى القابض والباسط، فهو تعالى يقبض ويبسط في الأموال والأرواح والأشباح والأسرار والأخلاق والأرزاق والعارف إذا بسط أخوف منه إذا قبض لأن النفس جموح لها

الخوف للمستأنف) أي للمبتدىء خوفه وهو المريد، **(والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف)** أيضاً **(ومن الفصل)** أي: الفرق **(بين القبض والخوف)** الذي هو بمنزلته **(و)** بين **(البسط والرجاء)** الذي هو بمنزلته **(أن الخوف إنما يكون من شيء)** يحصل **(في المستقبل إما)** لكونه **(أن يخاف)** منه **(فوت)** أمر **(محبوب أو هجوم)** أمر **(محذور وكذا الرجاء إنما يكون بتأميل)** أي: برجاء حصول أمر **(محبوب في المستقبل أو بتطلع زوال محذور وكفاية مكروه في المستأنف)** أي: المستقبل **(وأما القبض، فلمعنى حاصل في الوقت وكذلك البسط)** معنى ذلك أن العبد قد يتقدّم له الخوف من ضرر يخشاه في المستقبل فإذا حل به انقبض والرجاء تأميل حصول محبوب في المستقبل فإذا حصل انبسط، فتعلق الخوف والرجاء أمر يحصل في الآجل ومتعلق القبض، والبسط أمر يحصل في الوقت العاجل كما أشار إلى ذلك بقوله **(فصاحب الخوف والرجاء تعلق قلبه في حالتيه)** أي: خوفه ورجائه **(بآجله وصاحب القبض والبسط أخيذ)** أي: أسير **(وقته بوارد غلب عليه في عاجله)** وكل منهما قد يعرف المتصف به سببه، وقد لا يعرفه وقد يكون عرفه ونسيه كما مرّ. **(ثم تتفاوت نعوتهم)** أي: أوصافهم **(في القبض والبسط على حسب تفاوتهم في أحوالهم فمن وارد يوجب قبضاً)** فيحصل **(ولكن يبقى)** في صاحبه **(مساغ للأشياء الأخر)** أ' مغايرة لأحواله

بطر إذا نشقت روائح الراحة بدليل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٧]. **(قوله: ومن الفصل أي الفرق الخ)** محصله أن الخوف والرجاء إنما يكونان باعتبار متعلقهما مما يحذر أو يؤمّل في المستقبل، وأما القبض والبسط اللذان يكونان بدلهما للعارف، فإنما يكونان باعتبار متعلقهما كذلك في الحال، وتوضيح الكلام يعلم من المقام ومني عليك السلام.

(قوله: معنى ذلك) أي معنى ما ذكره من الفرق بين الخوف والرجاء وبين القبض والبسط الذي محصله اعتبار الاستقبال في الخوف، والرجاء والحال في القبض والبسط. **(قوله: فصاحب الخوف والرجاء الخ)** تفريع على ما قدّمه من الفرق على ما لا يخفى. **(قوله: وصاحب القبض والبسط الخ)** أي فهو حينئذٍ لا يظهر إلاّ بمظهر ما تجلى عليه فيه ربه، ولذا قيل من المقت إحداث ما ليس في الوقت.

(قوله: وكل منهما) أي من القبض والبسط قد يعرف المتصف به سببه أي قد يعرف السبب المترتب عليه ذلك القبض والبسط، وقد لا يعرفه أو ينساه. **(قوله: ثم تتفاوت نعوتهم)** يريد أنه باعتبار القبض والبسط شدّة وضعفاً تختلف أحوال من اتصف بهما كذلك، واعلم أنه يقال لمثل أحوالهم نفعنا الله ببركاتهم الأعراف، وهو مقام الأشراف أي ويشهد له قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦] فافهم.

المشتغل هو بها من المحادثات والمكالمات وقضاء الحاجات **(لأنه غير مستوفي)** بل بقي فيه بقية كما مر **(ومن مقبوض)** يعنى ومن وارد يوجب لصاحبه قبضاً **(لا مساغ لغير وارده فيه لأنه مأخوذ عنه بالكلية بوارده كما قال بعضهم)** جواباً لمن طلب منه كلامه **(أنا ردم أي: لا مساغ فيّ وكذلك المبسوط قد يكون فيه بسط يسع الخلق فلا يستوحش من أكثر الأشياء ويكون مبسوطاً)** منشرح الصدر **(لا يؤثر فيه)** أي: لا

(قوله: أنا ردم) أي مردوم بمعنى مستوفي في حال القبض. **(قوله: وكذلك المبسوط الخ)** أي ويقال له البسط في مقام الخفاء، وهو أن يبسط الله العبد مع الخلق ظاهراً ويقبضه إليه باطناً غيرة منه عليه فهو حينئذٍ يسع الأشياء، ولا يسعه شيء، ويؤثر في كل شيء، ولا يؤثر فيه شيء فافهم. **(قوله: ويكون مبسوطاً منشرح الصدر لا يؤثر الخ)** أي وذلك لأنّ الخوف غالباً، بل مطلقاً إنما يكون في الطريق، وأما من دخل مصر الأمن وحصل في قصر القرب، وجلس في حضرة بسط الوصل، فلا خوف عليه، ولا حزن كيف، وقد نادى الشاويش اليوسفي الجمالي في حق المتهمين ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]، وأنشد مطرب العيش الرغد مشيراً عن موائد الفرد الصمد:

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

عش في أمان الله تحت ظلاله ... لا خوف في هذا الجناب ولا نكد

إلى آخر ما قال، فتدبره. قال الواسطي: يقبضك عما لك، ويبسطك فيما له، أقول: وجود القبض إنما هو لظهور صفة النفس اللوّامة وغلبتها، والبسط لظهور صفة القلب وغلبتها لأن النفس اللوّامة تارة تكون غالبة وتارة تكون مغلوبة والقبض والبسط باعتبار ذلك، فصاحب القلب تحت حجاب نوراني بوجود قلبه كما أن صاحب النفس تحت حجاب ظلماني بوجود نفسه، فإذا ترقى من القلب، وخرج من حجابه لا يقيده الحال، ولا يتصرف فيه فلا يعتريه قبض ولا بسط، فإذا عاد إلى الوجود من الفناء يعود إلى الوجود النوراني الذي هو القلب، فيعود القبض والبسط إليه عند ذلك بحسب غلبة صفات النفس اللوّامة والقلب فبغلبة صفات النفس اللوّامة يكون القبض، وبغلبة صفات القلب يكون البسط والله أعلم.

(قوله: لا يؤثر فيه شيء) أي ويقال لذلك الاصطلام وهو الوله الغالب على القلب الذي هو قريب من الهيمان، واعلم أن كلا من القبض والبسط قد يكون ممدوحاً ومذموماً فإذا قبضك إليه حمد، وإذا قبضك عنه ذم، وإذا بسطك به أوله أو فيه حسن أو بك أو لك أو فيك قبح، فالحسن وصف أسمائه، والقبح نعت أوصافك، ثم قد يقبض الله العبد عن معرفة الخلق به إليه صوناً وحفظاً، فيكون من إفراد مدده الذين صانهم في حجاب عزه وسرادقات حفظه، وقد يقبض عنه بعض الخلق دون بعض عناية، وبذلك البعض

يكدره (**شيء بحال من الأحوال. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: دخل بعضهم على أبي بكر القحطي وكان له ابن يتعاطى ما يتعاطاه الشبان**) من اللهو واللعب (**وكان ممر هذا الداخل على هذا الابن وإذا هو مع أقرانه في اشتغاله ببطالته**) ولهوه (**فرق قلبه**) أي: خاف (**وتألم للقحطي وقال مسكين هذا الشيخ كيف ابتلي بمقاساة هذا الابن**) قاله ظنا منه أنه عارف بحاله (**فلما دخل على القحطي وجده كأنه لا خبر له عما**) وفي نسخة بما (**يجري من ابنه من الملاهي**) واللعب (**فتعجب منه وقال فديت**) بتألمي (**من لا تؤثر فيه الجبال الرواسي فقال القحطي**) لفهمه أنه عناه مجيباً له (**إنا قد حررنا**) بضم الحاء (**عن رق الأشياء في الأزل**) هذا يحتمل أنه علم بحال ابنه لكنه لم يشتغل به لما خصه به مولاه من كمال اشتغاله به وبمناجاته، ويحتمل أنه لم يعلم به وقال له ذلك جواباً لتعجبه من حاله، وفيه أيضاً دليل على كمال اشتغاله بمولاه، وعلى كمال بسطه بما هو فيه من فضل ربه. (**ومن أدنى موجبات القبض**) الحاصل للعبد (**أن يرد على قلبه وارد موجبه**) بكسر الجيم (**إشارة إلى**) استحقاق (**عتاب أو رمز باستحقاق تأديب**) على تقصير (**فيحصل في القلب لا محالة قبض وقد يكون موجب بعض الواردات**) على قلبه (**إشارة إلى تقريب**) من الله إليه (**أو إقبال**) منه عليه (**بنوع لطف وترحيب**) من قولك رحبت به إذا قلت له مرحباً أي سعة (**فيحصل للقلب بسط**) واتساع (**وفي الجملة قبض كل أحد على حسب**

الذين عرفهم به وابعاداً للبعض الآخر صوناً عنهم، وقد يقبضه حتى عن نفسه، فلا يحس بوجوده لاصطلام شهوده ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً وقد يبسط همة العارف بحيث أنها لا تسمو إلى مؤانسة غيره وقد تلطف فيبسطه لمباسطتهم مع صونه عنهم فيعرفهم ولا يعرفونه، ولذا قيل الرجل من عرفهم وهو مجهول، وقد يبسطه لهم ويبسط له مما منحه من معارفه فينصبه هادياً مرشداً لهم والله أعلم.

(**قوله: فتعجب منه**) أي فكان الشيخ من الذخائر وهم قوم من أولياء الله تعالى يدفع بهم البلاء عن عباد الله تعالى كما يدفع بالذخيرة وفيهم سعة لكل شيء. (**قوله: هذا يحتمل أنه علم بحال ابنه الخ**) أقول الأولى اسقاط هذا الاحتمال إذ هو الظاهر من المقام، ويدل لذلك قوله كأنه لا خبر له عما يجري من ابنه الخ. (**قوله: ويحتمل أنه لم يعلم به**) فيه أنه بعيد من المقام والله أعلم. (**قوله: ومن أدنى موجبات القبض**) أي أقل شيء يوجب غلبة القبض على قلب العبد إشارة الخ، وذلك منه تعالى لطف بعبده كما لا يخفى. (**قوله: ومن أدنى موجبات القبض الخ**) هذا شروع في بيان بعض الأسباب التي يترتب عليها كل من القبض والبسط.

(**قوله: فيحصل للقلب بسط الخ**) قال في لطائف المنن: البسط مزلة أقدام الرجال

بسطه) أي: على قدره قوّة وضعفاً **(وبسطه على حسب قبضه وقد يكون)** أي: يوجد **(قبض)** ينشئه الله بغتة **(يشكل على صاحبه سببه)** كأن **(يجد في قلبه قبضاً لا يدري موجبه ولا سببه)** هو عطف تفسير **(فسبيل صاحب هذا القبض التسليم)** والصبر **(حتى يمضي)** عليه **(ذلك الوقت)** الذي فيه القبض ويفرّج عنه، **(لأنه لو تكلف نفيه)** أي: القبض **(أو استقبل الوقت)** أي: وقت القبض **(قبل هجومه عليه)** بأن رفعه عنه **(باختياره زاد)** ذلك **(في قبضه ولعله يعتد)** بمعنى يعد **(ذلك منه سوء أدب، وإذا**

فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم والقبض أقرب وأرجى لوجود السلامة لأنه موطن العبد إذ هو في سر قبضة الله على أن القبض هو اللائق بهذه الدار إذ هي محل التكليف وخوف الخاتمة بسبب عدم علم السابقة، وقد قالوا: إن القبض للأرواح، والبسط للارتياح، والقبض حق الحق منك والبسط حظك منه، ولأن تكون بحق ربك أولى من أن تكون بحظ نفسك، قال صاحب الحكم: ربما أعطاك فمنعك، وربما صنعك فأعطاك فالعارف من قصر نظره على الله، واعتبر بما وصاه مما به يتولاه، فإذا واجهه بجمال ذكر جلاله، وإذا واجهه بجلال ذكر جماله فهو لا ييأس من الله في شيء، ولا يأمن منه في شيء لأن ظواهر الأخبار لا تقتضي على باطن الصفات ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦] فهو إذا عاين صورة خوف رجا الفضل، وإذا عاين صورة أمن خاف العدل، وربما يفهم ذلك من حديث الغار وحديث بدر إذ قال أبو بكر رضي الله عنه في الأوّل يا رسول الله لو نظروا إلى أقدامهم لرأونا، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تحزن إنَّ الله معنا» وكان يقول يوم بدر: «اللهمّ إن تهلك هذه العصابة لم تعبد»[1] فيقول أبو بكر دع مناشدتك ربك، فإنه وعدك بالنصر فكان أبو بكر في مقام الثقة بالله ورسول الله في موقف النظر لاتساع علم الله، وهو أتم تأمّل تفهم، والله أعلم. **(قوله: وفي الجملة الخ)** محصله إنَّ وارد القبض تابع لوارد البسط قوّة وضعفاً، وكذا العكس باعتبار قابلية الشخص. **(قوله: فسبيل صاحب الخ)** أي فطريقته اللازمة في حقه التسليم والصبر بسكون القلب عن القلق والشكوى حتى يمضي وقته كما هو شأن العارف، فإنه لا ييأس من الله في شيء يكون، ولا يأمن منه كذلك لأن ظواهر الكائنات لا تقضي على باطن الصفات، فهو إذا عاين صورة خوف ترجى الفضل أو صورة أمن خاف العدل، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ كما قدمناه. **(قوله: أو استقبل الوقت)** أي بالمدافعة لذلك القبض.

(قوله: سوء أدب) أي حيث لم يستسلم وينقاد. **(قوله: فإنَّ الحق سبحانه وتعالى قال**

---

(١) أخرجه مسلم (جهاد ٥٨) والترمذي (تفسير سورة ٨، ٢) وأحمد بن حنبل (١، ٣٠، ٣٢، ١١٧).

استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض) ببركة التسليم (**فإن الحق سبحانه وتعالى (قال والله يقبض ويبسط وقد يكون**) أي: يوجد (**بسط يرد**) على العبد (**بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سبباً يهز صاحبه ويستفزه**) أي: يستخفه (**فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الأدب فإن في هذا الوقت**) أي فإن (**له**) في هذا الوقت (**خطراً عظيماً فليحذر صاحبه مكراً خفياً كذا قال**) لو قال كما قال كان أولى، وفي نسخة قال (**بعضهم**) بدون كذا (**فتح عليّ باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي، ولهذا قالوا قف على البساط وإياك والإنبساط**) البساط ما جعل للعبد، والإنبساط ما فعله بنفسه واختاره (**وقد عدّ أهل التحقيق حالتي القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه لأنهما بالإضافة إلى ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجه في الحقيقة فقر وضر**)،

والله يقبض ويبسط) أي وحيث علم أنه الموجد لذلك، فالاسلم التسليم إذ في المدافعة معارضة العزيز الحكيم. (**قوله: يرد على العبد بغتة**) أي على حين غفلة وقوله، ويصادف صاحبه فلتة عطفه للتفسير، وقوله: فسبيل صاحبه السكون أي فطريق النجاة من المكر الخفي الكامن له فيه الصبر بطمأنينة القلب مع الحق مع مراعاة الأدب المحمدي، فبذلك يسلم من خطره وضرره، والله أعلم. (**قوله: ومراعاة الأدب**) أي المحمدي بداعي أن البسط يوجب انتشار الحرارة في العبد وذلك ربما يستعدي الاسترسال في الملائم للنفس، وهو سوء أدب في الحركات، والتصرفات وحينئذٍ، فلا يقف على الأدب مع ذلك إلاّ من كان متمكناً من نفسه وأدبه، متحققاً بحقائق حفظ الحرمة قد غمر قلبه في بحر الهيبة، والله أعلم.

(**قوله: فإنَّ له في هذا الوقت خطراً عظيماً**) أي ولذلك قالوا: إنَّ البسط مزلة قدم للعبد بواسطة شدّة اهتزاز النفس وطربها فيه فربما غفلت ورجعت إلى بعض ما يلائمها مما كانت قد انخلعت عنه، وفي ذلك هلاكها. (**قوله: لو قال كما قال كان أولى**) أي لأن الغرض تشبيه ما تقدّم بالذي قاله بعضهم. (**قوله: فتح عليَّ باب من البسط الخ**) أقول: القبض والبسط وصفان يتعاقبان على القلب، وهما أمران وجوديان، فيكون العبد تارة بهذا وأخرى بالآخر، وتارة في موقف الاعتدال وما جعل الحق تعالى ذلك إلاّ ليعرف العبد أنه في قبضة مولاه ليس له من الأمر شيء فينقطع عن نفسه وعن كل شيء سوى ربه، إذ ليس من مراد العبد دخول القبض عليه ولا مفارقة البسط له، فإذا تحقق عدم دوام ما يحبه وثبوت ما لا يريده لم يتعد عن موجبه الحق فافهم.

(**قوله: قف على البساط الخ**) أي فاللازم ملازمة ما هيىء للعبد من ربه في حالة انبساطه، وعدم الخروج عنه ذرة باختياره خشية العطب من اختياره شيئاً لنفسه. (**قوله: من جملة ما استعاذوا منه**) أي وذلك لخطرهما.

(**قوله: إلى ما فوقهما**) أي كمقام الحرية للخاصة، وخاصة الخاصة التي هي عن

وضر)، ثم بين أسبابهما مع زيادة فقال (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت الجنيد يقول: الخوف من الله**) لإفضائه إلى استغراق قلب الخائف والغيبة عن غير مولاه (**يقبضني والرجاء منه**) لما يؤمّله الراجي من فضله (**يبسطني والحقيقة**) وهي غلبة ذكر الحق على القلب وكمال شغله به حتى لا يشعر بغيره (**يجمعني**) عليه تعالى (**والحق يفرّقني**) وذلك لأنه (**إذا قبضني**) الله تعالى (**بالخوف**) منه (**أفناني عني**)

رق الرسوم والآثار بسبب انمحاقهم في تجلي نور الأنوار. (**قوله: من استهلاك العبد الخ**) أي وذلك مثل مقام الجذبة التي هي تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طيّ المنازل بلا كلفة وسعي منه.

(**قوله: الخوف من الله الخ**) أي فالقبض في مقام القلب بمثابة الخوف في مقام النفس، ويقابله الرجاء فيقال فيه أنه في مقام النفس مثل البسط في مقام القلب، واعلم أن البسط في مقام الخفاء صاحبه يسع الخلق، ولا يسعه هو شيء، وذلك لأنه ظاهر الباطن والظاهر قد قام بحق الحق، وحق الخلق. (**قوله: الخوف من الله الخ**) توضيحه أن خوفه من أن يحجب عن مراقبة الحق تعالى يقبضه عن الالتفات إلى ما سواه تعالى بسبب غيبته عنه ورجاؤه فميا يؤمّله منه تعالى من دوام شهوده يجعله قائماً في مقام البسط يشاهد مظاهر الكرم والجود.

(**قوله: الحقيقة تجمعني**) اعلم أنّ الكلام في الحقيقة لا ينبغي مع كل أحد، ولذا قال علي رضي الله تعالى عنه وكرّم وجهه: «حدّثوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله»[1] وقال الإمام أبو حامد الغزالي قدّس الله سره، وقد تضر الحقائق بأقوام كما يتضرر الجعل بالورد والمسك، وقيل للجنيد رضي الله عنه يسألك الرجلان عن المسألة الواحدة، فتجيب هذا بخلاف ما تجيب الآخر، فقال: الجواب على قدر السائل لا على قدر المسائل، وقال بعض الحكماء: زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول الحنظل كلما إزداد ريا إزداد مرارة وأيضاً تتعذر الإحاطة في الجواب عن الحقيقة، وتقصر العبارة عن مدارك شهودها حتى ربما أتت العبارة خلاف المقصود، ومن ثم كفر جماعة من المحققين وبدعوا وفسقوا ولا كفر، ولا ابتداع ولا فسوق ولا عصيان فافهم هذا، وقيل: إن الحقيقة هي حضرة الأحدية الجامعة لجميع الحقائق وتسمى حضرة الجمع والوجود ويقال حضرة الأسماء والصفات وتعينات الذات، ويقال هي حق اليقين، وهو شهود الحق في مقام عين الجمع الأحدية. (**قوله: تجمعني**) أي تجعلني متحققاً في

---

(١) أخرجه البخاري (علم ٤٩).

لاشتغالي به (**وإذا بسطني بالرجاء ردّني عليّ**) فأنظر فيما عليّ من الحق (**وإذا جمعني بالحقيقة أحضرني**) عنده (**وإذا فرّقني بالحق أشهدني غيري**) من الخلق (**فغطاني عنه**) أي: عن الحق (**فهو تعالى في ذلك كله محركي غير ممسكي**) وفي نسخة مسكني (**وموحشي غير مؤنسي**) أي: ينقلني من حال إلى حال (**فأنا بحضوري**) عنده (**أذوق طعم وجودي**) أي: أتلذذ به (**فليته أفناني عني فمتعني**) بأنسه ومناجاته (**أو غيبني عني**) بالكلية (**فروّحني**) تمنى أحد الحالين، والله تعالى يربيه بنقله من حال إلى آخر لمصلحته وهو أعلم منه بها. (**ومن ذلك الهيبة والأنس وهما فوق القبض والبسط**)

مقام الجمع والحق يفرّقني أي يردّني إلى إحساسي فأشهد الخلق بالحق، وقد أشار رضي الله تعالى عنه إلى بيان ذلك حيث قال: إذا قبضني أي جمعني عليه بالخوف من حجبني عن مشاهدتي أفناني عني أي صيرني غافلاً عن الذي يلائم نفسي وعن غيري من باب أولى، وذلك بالغيبة عن سائر الكائنات، والصرف عنها إلى حظائر الحضرات، وقوله: وإذا بسطني أي أقامني في مقام البسط بواسطة لطف، وبشارة وقوله ردّني عليّ أي أعادني إلى احساسي وقوله: وإذا جمعني أي أراد جمع حواسي عليه بغلبة أنوار الحقيقة عليّ أحضرني أي منحني الحضور في مقامات المشاهدات، بل والمكافحات فأكون باقياً به غائباً عما سواه وقوله: وإذا فرّقني بالحق أي إذا أراد تفريقي بردّي إلى احساسي وعالمي ووجودي أشهدني نفسي وغيري قائماً بالحق تعالى. (**قوله: فهو تعالى في ذلك كله الخ**) أي فهو تعالى المتصرف في نفسي بما تعلقت به إرادته على حسب حكمته الباهرة بالنقل من مقام إلى مقام، ومن حال إلى حال لا اختيار لي في شيء من سائر حركاتي وسكناتي. (**قوله: فليته أفناني الخ**) أقول ولا يخفى ما في الأماني والتمني غير أنه لا لوم على من أسكره الحب، وأدهشه جمال محيا القرب. حيث هو كما لا يخفى صعب المذاق، ولاسيما لمن ذاق من شراب التلاق، ولذا قال سلطان العاشقين، وإمام أئمة المحبين المحبوبين

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل ... فما اختاره مضني به وله عقل
وعش خالياً فالحب راحته عنا ... فأوله سقم وآخره قتل

(**قوله: الهيبة والأنس**) اعلم أنّ الهيبة هي الخشية والإجلال للحق تعالى، ومنشؤها كمال العلم والمعرفة بالله، والأنس لغة مصدر أنس يأنس أنساً من الاستئناس بالغير، وهو ثلاثي بخلاف آنس، فإنه رباعيّ ومنه قوله تعالى: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩] أي أبصرها وأدركها، والدليل عليه قوله جلّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] قال قتادة: هشت قلوبهم إلى ذكر الله واستأنست به، وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]

رتبة (**فكما أن القبض فوق رتبة**) أي: منزلة (**الخوف والبسط فوق منزلة الرجاء فالهيبة أعلى من القبض**) أي: فوقه (**والأنس أتم من البسط**) أي: فوقه فالهيبة ناشئة من القبض الناشيء من الخوف والأنس ناشيء من البسط الناشيء من الرجاء لأن من خاف من الله وعرف تقصيره في حقه تعالى انقبض قلبه، وبقي مشغولاً بالله فيحصل له الهيبة منه، ومن أمل وصوله إلى خير انبسط قلبه وبقي مشغولاً بالله فيحصل له الأنس به. (**وحق الهيبة الغيبة**) للهائب (**فكل هائب**) من شيء (**غائب**) عن غيره (**ثم الهائبون يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في الغيبة فمنهم**) من تطول غيبته (**ومنهم**) من تقصر غيبته على حسب هيبته، ممن اشتغل به وإجلاله له (**وحق الأنس صحو بحق فكل مستأنس**) لشيء من مقام شريف ونحوه (**صاح**) لانشراح صدره (**ثم المستأنسون (يتباينون**) أي: يتفاوتون (**حسب**) أي على حسب (**تباينهم في الشرب**)

وقوله ولا مستأنسين لحديث أي متحدّثين بعد فراغ الطعام ايناساً من بعضكم لبعض.

(**قوله: فكما أن القبض الخ**) أقول ولا تغفل عما تقدّم من اختلاف منازل الخوف والرجاء، والقبض والبسط باختلاف درجات الخائفين، والراجسين وباختلاف المخوف منه والمرجو والمقبوض منه، والمبسوط به فعلى حسب ذلك قوّة وضعفاً وقرباً وبعداً تختلف الهيبة والأنس.

(**قوله: والأنس أتم من البسط الخ**) اعلم أنّ الأنس له أقسام، فأنس بالخلوة، وأنس بالعبادة، وأنس به تعالى، أما الأنس بالخلوة فصاحبه ينقص بالانفصال عنها، والأنس بالعبادة يتم بحسب اعتيادها مع النظر إلى وعد جزائها والأنس به تعالى ينشأ عن كمال المعرفة بعظمته تعالى وجلاله، وجماله وباقي كمالاته من الأنعام وإنفراده بالأحكام، وصاحبه يستوي عنده الاجتماع بالخلق، والانفراد عنهم وهو خلق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فسبب الأنس معرفة العبد كمالات الرب ورغبته ورهبته بتجليات الوعد والوعيد وثمرته بحر لا يمكن حصره، وفضل لا يمكن عده فإن قلت قد نهى النبي ﷺ عن التبتل للعبادة قلت ذلك من باب النهي عن التكلف لما يشق من الأعمال خوف الانقطاع قبل بلوغ الآمال، فيكون كالمنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، وما نحن فيه من باب الرفق بالنفس، والتدريج في المقامات حتى تصير قرّة عينه العبادة. (**قوله: وحق الهيبة الغيبة**) أي عما سواه تعالى فالغيبة عن الأكوان شغلاً بالمكون إمارة على تحقق العبد في مقام الهيبة، فكل هائب غائب. (**قوله: ثم الهائبون يتفاوتون**) يظهر لي أن الأولى أن يقال، ثم يتفاوتون في الغيبة على حسب تفاوتهم في الهيبة عكس ما ذكر وقد أشرنا إلى ذلك قبل هذا، والله أعلم. (**قوله: وحق الأنس صحو بحق**) أي يقظة وإفاقة بمقام شريف يشرف عليه صاحب هذا المقام، وعلى ذلك فكل مستأنس صاح كما قال فكل مستأنس صاح أي لادراكه لذة مناجاته وطاعاته، ولذاذة المصافاة، وسني

بكسر الشين أي: الحظ، **(ولهذا قالوا أدنى محل)** أي: مقام **(الأنس)** بالله **(أنه لو طرح في لظى)** أي: جهنم أي: في نار **(لم يتكدّر عليه أنسه)** وشاهده ما فعل بأبي مسلم الخولاني لما أحرقه العنسي المتنبي بالنار لم تؤثر فيه، ولم يرجع عن دينه، ومن كماله ما فعل بالخليل عليه السلام لما أوقد له نار لا يمكن أحد أن يقرب منها، وجعل في منجنيق ورمى به في الهواء ليقع في النار فلقيه جبريل في الهواء منصباً إلى الأرض في النار فقال ألك حاجة فقال أمّا إليك فلا فلم يتحرّك عما هو عليه من الأنس، ولم يركن إليه مع قدرته بإذن ربه على طفئها فتداركه الله تعالى بقوله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. **(قال الجنيد رحمه الله كنت أسمع السري)** السقطي **(يقول: يبلغ العبد)** في الأنس بالله **(إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به وكان في**

الخلات قال بعضهم: في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى جنة الآخرة، ولا إلى شيء سواها، وهي طاعة الله سبحانه وتعالى.

(قوله: أدنى محل الخ) أي أقل مقام للأنس الخ أي والكامل فيه ما يأتي للخليل من باهر آيات المولى الجليل اهـ. سئل ذو النون ما علامة الأنس بالله تعالى، فقال إذا رأيته يؤنسك بخلقه فإنه يوحشك من نفسه، وقال أوحى الله إلى موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: كن كالطير الوحداني يأكل من رؤوس الأشجار، ويشرب من الماء القراح إذا جنه الليل أوى إلى كهف من الكهوف استئناساً بي، واستيحاشاً ممن عصاني يا موسى إني آليت على نفسي إني لا أتمم لمدبر عني عملاً، ولا قطعنّ كل آمل يأمل غيري، ولأقصمنّ ظهر من استند إلى سواي، ولأطيلنّ وحشة من استأنس بغيري، ولأعرضنّ عمن أحب سواي. **(قوله: إنه لو طرح في لظى لم يتكدّر عليه أنسه)** أي ولهذا قيل المراد بالجنة جنة القرب والمشاهدة والمراد بالنار نار الحجاب والمباعدة، فغاية مقاصد المحب استهلاكه في مرادات من أحبه سواء لايمت مألوف النفس أم لم تلايمه، ولهذا المعنى أشار سلطان العشاق حيث قال:

وما حل بي من محنة فهي منحة ... إذا سلمت من حل عقد عزيمتي
فكل أذى في الحب منك إذا بدى ... جعلت له شكري مكان شكيتي

يعني رضي الله عنه ما دمت موفياً بعهدي مصمماً على إبرام عقد عقدي، فكل ما أتاني من جنابك، فهو عين المنح والمنن، وإنْ ظهر في صور البلايا والمحن، فاجعل له شكري مكان شكيتي، وذلك شأن الصدّيقين أما ضعفاء المؤمنين فمقامهم الحمد على الضراء والشكر على السراء والجهاد على عدم بث الشكوى.

(قوله: كنت أسمع السري الخ) محصله أن الأنس استغراق يخرج عن الإحساس.
(قوله: يبلغ العبد الخ) أقول وفي الحديث إنّ الرجلين من الصحابة كانا في حرس

قلبي منه شيء حتى بان لي أن الأمر كذلك) حيث ذاق ذلك وعلم أن كمال الإستغراق يزيل الإحساس بالنفس بالكلية وشاهده خبر أن الشهيد إنما يجد من الموت كما نجد من القرصة لخفة ذلك عليه بكمال شغله بجهاده، فيأتيه الموت بالسيف، ولا يحس به إلا كما يحس بالقرصة. **(قوله: وحكي عن أبي مقاتل العكي أنه قال: دخلت على الشبلي وهو ينتف الشعر من حاجبه بمنقاش فقلت)** له **(يا سيدي أنت تفعل هذا بنفسك ويعود ألمه إلى قلبي فقال ويلك الحقيقة ظاهرة لي ولست أطيقها)** وفي نسخة أطيقه أي: الحال الذي ورد عليّ **(فهو ذا)** أي: فالسبب هذا **(فأنا أدخل الألم على نفسي لعلي أحس به فيستتر عني)** ألم ما لا أطيقه **(فلست أجد الألم)**

المسلمين من الكفار فقام أحدهما يصلي، ونام الآخر فمكن كافر قوسه وضرب المصلي، فأصابه السهم، فلم يحفل به ومضى في صلاته، وعاوده ثانياً كذلك وبثالث، فلما رأى ذلك أيقظ صاحبه، وقال: لولا أني خفت على المسلمين ما أيقظتك ولكن ما أنا فيه شاغل لي عما أصابني. **(قوله: لم يشعر به)** أي لوصوله إلى درجة الاصطلام بسبب الوله الغالب على القلب. **(قوله: وكان في قلبي منه شيء)** أقول ويدل له ما جاء في الخبر أن من العلم كهيئة المكفون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا ذكروه أنكره أهل العزة بالله وأنشدوا في ذلك شعراً:

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحلّ رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

إذا علمت ذلك، فالذي ينبغي للكامل أن يذكر الوعظ، والتذكير لعموم المسلمين، وما كان من البيان والتقرير، فللخاصة من المحبين، وما كان من الأحوال والمقامات فللمريدين والسالكين، وما كان من الحقائق والمعارف، فلأهل المعرفة الواصلين، فلكل مقام مقال، ولكل علم رجال، وبالله التوفيق.

(قوله: إنما يجد من الموت الخ) أقول ولا مانع من الحمل على الحقيقة، وإن احتمل أن الخفة بشاهد علم ما أعدّه الله تعالى لعباده الشهداء. **(قوله: دخلت على الشبلي الخ)** منه يعلم أنه يصدر عنهم أشياء ظاهرها المخالفة بسبب غلبة الحقيقة عليهم، فيتداوون بها وربك أعلم بأسرار خلقه. **(قوله: الحقيقة ظاهرة)** أي أحوالها منكشفة، وذلك بحسب تانيسهم من مولاهم، وبما منه وإليه من الإمداد العرفانية، والزوائد العلمية الإيمانية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] فافهم. **(قوله: فيه دلالة على أن مبادي الخ)** أي لأنه كان متحققاً بمقام الإرادة التي هي جمرة من نار الحب ملقاة في القلب مقتضية لاجابة دعوة الحقيقة، وصورة الإرادة انقطاع النفس عن رؤية شيء يقع بإرادة غير الله وشهود، وقوع جميع الأشياء بإرادته تعالى.

من نتف الشعر المذكور **(وليس يستتر عني)** ألم الحقيقة **(وليس لي به طاقة)** فيه دلالة على أن مبادىء أوائل استغراقه كان في أمر لا يطيق حمله، فكان يجذب شعر حاجبه ليحس بالألم فيتفرق عنه ما أدرك أوائله، وأحس من نفسه العجز عنه، ففيه دلالة على عظم ما يدخل الله العبد فيه من الأحوال العالية التي لا قدرة له على حملها كما مرّت الإشارة إليه. **(وحال الهيبة والأنس وإن جلتا)** بتشديد اللام أي: عظمتا **(فأهل الحقيقة يعدّونهما نقصاً لتضمنهما تغير العبد)** من حال إلى حال **(فإن أهل التمكين)** وهم المتمكنون في مقاماتهم **(سمت)** أي: إرتفعت **(أحوالهم عن التغير وهم محو في وجود العين)** أي: الحق **(فلا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس)** بخلاف صاحب الهيبة والأنس فإنهما مفرقان لإدراك الأول كونه هائباً والثاني كونه مستأنساً ولأنهما مع الوجد وهو هيبة، وإجلال وطرب وأنس لا مع الوجود فلم يكمل استغراقهما.

(قوله: ففيه دلالة على عظم ما يدخل الله العبد فيه الخ) أي بواسطة ما لابسه مما شاهده بحسب ظهور الحقيقة في جميع مراتب الأسماء والصفات المقتضية للمظاهر الغير متناهية كما يشير إليه قول بعضهم:

لا تقل دارها بشرقيّ نجد — كل نجد للعامرية دار

(قوله: وحال الهيبة والأنس الخ) أي أما التأنيس، فهو التجلي في المظاهر الحسية تأنيساً للمريد المبتدىء بالتزكية والتصفية، ويسمى التجلي الفعلي لظهوره في صور الأشياء. **(قوله: فأهل الحقيقة)** أي ممن غلب نور الحقيقة على قلوبهم فتلاشت منها جميع الأباطيل قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: ١٨] أي فإذا جاء الحق بجولته ذهب الباطل بصولته، وذلك لأن الحق من بساط القوّة والظهور، وهما وصفان لا يقوم لهما شيء مع أن الحق مؤيد بالحقيقة الإيمانية معضد بالحجج البرهانية على أن الحق هو البرهان في نفسه، والسلطان في ذاته. **(قوله: وهم محو في وجود العين)** أي محيت منهم الذوات والصفات في ذات الحق تعالى، فلا يشهدون غيرها من مظاهر أسمائه وصفاته، فتحصل أن الفاني في العين بمعنى الذات باقٍ بها لا يشهد غيرها من صفات وآثار، فهو أمكن ممن فني في الصفة لتفرّقه مع آثارها فهم في مشهد الشؤون الذاتية الكامنة في غيب الغيب كالشجرة في النواة المشار إليه بقوله:

كنا حروفاً عاليات لم نقل — متعلقات في ذرى أعلى القلل
أنا أنت فيه ونحن أنت وأنت هو — والكل في هو فسل عمن وصل

(قوله: وهو هيبة واجلال وطرب وأنس) أشار بذلك إلى أن الوجد قد يتحقق من مجالي الجلال والعظمة، وقد يتحقق من مجالي الجمال واللطف، فيثمر الحال الأوّل هيبة والثاني أنساً وعلى كل فهو بحالتيه واستشعاره بهما لم يكمل استغراقه كما ذكره

(والحكاية) الدالة على هذا **(معروفة عن أبي سعيد الخرّاز)** رحمه الله **(انه قال تهت في البادية مرّة)** وأنا سائح طيب العيش مستأنس بالله فرحاً بكمال أنسي كما قال تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] **(فكنت أقول)** أخباراً عن حالي بما اجراه الحق على لساني **(أتيه فلا أدري من التيه)** أي: من أجله المقتضي لكمال شغلي بحالي **(من أنا)** أي: فلا أدري نفسي، وما يتعلق بها **(سوى ما يقول الناس في وفي جنسي)** مما من الله به عليّ فأدركه**(أتيه على جن البلاد وأنسها)** أي لم ألتفت إلى جن ولا إنس **(فإن لم أجد شخصاً)** منهما **(أتيه على نفسي)**، أي: لم ألتفت إليها. **(قال فسمعت)** لما أعجبني حالي وما أنا فيه من حسن مقامي **(هاتفا)** من ملك أو ولي أو جني من قبل الله **(يهتف)** أي: يصيح **(بي ويقول أيا من يرى الأسباب)** أي أسباب الوصول إلى الحقيقة من الهيبة والأنس ونحوهما **(أعلى وجوده ويفرح بالتيه الدني وبالأنس فلو كنت من أهل الوجود)** أي: وجود الحق **(حقيقة)** بأن غلب وجوده على

الشارح. **(قوله: وأنا سائح طيب العيش الخ)** أخذه الشارح من قوله في شعره أتيه، فلا أدري الخ حيث لا يكون ذلك إلا من مجالي الفرح والسرور والأنس. **(قوله: أتيه)** أي عجباً بما منحني ربي وغرقاً في بحر رسول العلوم التي هي مشاعر الإنسان لأنها رسوم إلهية كالعليم والسميع والبصير ظهرت على ستور الهياكل البدنية المرخاة على باب دار القرار بين الحق والخلق، فمن عرف نفسه وصفاتها كلها بأنها آثار الحق وصفاته ورسوم أسمائه وصورها، فقد عرف الحق وحلّ في مقام الأنس.

(قوله: فلا أدري) يحتمل أن عدم درايته لكونه قد وصل إلى مقام شعب الصدع الذي هو جمع الفرق وذلك بالترقي عن حضرة الواحدية إلى حضرة الأحدية، ويقابله صدع الشعب الذي هو النزول عن حضرة الأحدية إلى حضرة الواحدية حال البقاء بعد الفناء للدعوة والتكميل.

(قوله: سوى ما يقول الناس الخ) أي في وصف العبودية والفقر والافتقار. **(قوله: فسمعت هاتفاً الخ)** أقول وذلك من باب إشارة اللطف به من ربه حيث حمله هذا الهاتف على ما هو الأكمل والأفضل مما ذاقه وحثه على الجدّ في طلبه. **(قوله: أيا من يرى الأسباب الخ)** مراده بها والله أعلم كل سبب حتى ما به الترقي إلى الدرجات كالمقامات والأحوال.

(قوله: فلو كنت من أهل الوجود) أي وهم من فني في ذات ربه فتحقق وجوده بوجوده، بل الكمال في عدم شعوره بوجود نفسه كما يشير إليه قول بعضهم:

وجـــودك ذنـــب لا يـــقـــاس بـــه ذنـــب

قلبك **(لغبت عن الأكوان والعرش والكرسي)** الشامل لهما الأكوان، وإنما أفردهما بالذكر لعظم أمرهما، والمراد لغبت عن سائر المخلوقات من مقام وحال، ووجد وغيرهما كما ذكر بعضها بقوله **(وكنت بلا حال)** بل كنت **(مع الله واقفاً تصان عن التذكار للجن والإنس وإنما يرتقي العبد عن هذه الحالة)** إلى أخرى أرفع منها **(بالوجود)** دله الحق تعالى بما سمعه من الهاتف على مقام أرفع من مقامه لئلا يعجب بنفسه ولتتعلق همته بما هو أرفع منه فعلم أن الوجود أرفع من الوجد، وسيأتي بيانهما على الأثر. **(ومن ذلك التواجد الوجد والوجود فالتواجد استدعاء الوجد)** أي: طلبه

(قوله: عن الأكوان الخ) أي حتى عن الشريف منها والأشرف، كالعرش والكرسي وغيرهما. **(قوله: وكنت بلا حال الخ)** أي فنهاية الكمال تعين أن الوجود له سبحانه وتعالى، ولا شرب لغيره منه إلا ما تفضل عليه به مولاه سبحانه وتعالى.

(قوله: التواجد والوجد الخ) اعلم وفقني الله وإياك إن الوجد له أسباب، وإليه أبواب وعليه حدود، وله شروط وزمان، ومكان وإخوان، أما أسبابه فالعلم بلا غفلة، والعمل بلا فترة، وأما أبوابه فالصفاء والوفاء الأوّل بلا جفوة والثاني بلا هفوة، وأما حدوده فصحو بلا سكر، وحضور بلا غيبة ومعرفة بلا نكرة، وأما شروطه فقيام بلا سهو وحركة بلا كسل، وأدب بلا لهو، وإنصات بلا لغو، وأما زمانه فوقت بلا مقت، وساعة بلا إضاعة، وأما مكانه فجلوس خال عن الأهواء وعار عن الدعوى، وعامر بالتقوى، وأما إخوانه فإخوان ليس فيهم خوان، وندمان ليس فيهم ندمان، فإذا قمت بأسبابه ودخلت إليه من بابه، وأتيت بشروطه ووقفت عند حدوده وحصلت في زمانه ومكانه مع إخوانه، فلا جناح عليك هناك إذا طربت سماعاً وتواجدت استماعاً، وتمايلت انخلاعاً، وكشفت بين ندمائك قناعاً، وأما إذا تواجدت قبل أن تطرب وتساكرت قبل أن تشرب، فوجدانك على الحقيقة فقدان، وتساكرك عند أهل الشريعة زور وبهتان إذ ذوق السماع ممن هو كثيف الطباع محجوب الاطماع ينافي حقيقة الاستماع، وإجتماعه يخالف الاجتماع، أما علمت أن ذا الوجد الصحيح إذا فاضت عليه المواجيد الربانية، ووردت عليه الموارد الرحمانية يسري استماعه إلى سمع سره سراً، فيلمع في صفات السر لموع البرق في ظلمة الليل، فينتبه السر ويستيقظ القلب، ثم يقوى ذلك اللموع فيصير سطوعاً، ثم يقوى ذلك السطوع، فيصير طلوعاً، فالأوّل لموع برق القلب، والثاني سطوع نور الأنس، والثالث طلوع قمر التجلي وبالأخير يتمتع الفوائد بالوجد ما كذب الفؤاد ما رأى اهـ، واعلم أن علامة السر الصحيح سريانه في قلوب حاضريه، وصفاؤه في عيون ناظريه، فيجد جليسه حلاوة وجده ويصل إلى مسام نديمه طيب حركته، فيطيب من حضر، ويتواجد بوجده من نظر قال ﷺ: «مثل الجليس الصالح كمثل العطار إن لم

واكتسابه (**بضرب اختيار**) وقريب منه قول الغزالي: التواجد استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد فالتواجد تفاعل في اكتساب الوجد، وإن كان أصل باب التفاعل إنما يصح من اثنين لكنه لما استدعى الوجد وعسر عليه ثم استدعاه أشبه التفاعل، والوجد غلبة ما كان يبعثه، ويتواجد له على قلبه كما يعلم مما يأتي، والوجود حصول ذلك في القلب وتواليه عليه من غير تكلف، وفسر أبو بكر الكلاباذي التواجد بظهور أثر الوجد الباطن على الظاهر للمبتدئين، فالتواجد شأن المبتدئين فإنهم لضعفهم لا يقدرون على حمل ما يرد عليه بواطنهم من الأحوال، فيظهر أثره على ظواهرهم نحو البكاء والشهيق بخلاف الأقوياء، فانهم كالجبال فلا انزعاج لهم في الظاهر ولا اضطراب لتمكنهم، وإن اتفق لهم مبادىء تغير في بعض

يصبك من عطره أصابك من طيبه»[1] هذا وكل من التواجد والوجد تفرق وشتات حال، فحال الجمع والاستغراق في الحقيقة تمنع الإحساس بشيء من ذلك كما لا يخفى على من قد ذاق، وحقق حال التلاق ولا يخفى أن الذوق هو أوّل شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي، فإذا زاد وبلغ أوسط مقام الشهود يسمى شرباً، فإذا بلغ النهاية يسمى رياً وذلك بحسب صفاء السر عن لحظ الغير.

(**قوله: فالتواجد استدعاء الخ**) أي فهو تكلف الوجد بتكرّر استدعائه، والوجد غلبة الباعث على القلب والوجود حصول الوجد بالفعل في القلب. (**قوله: أشبه التفاعل**) أي بواسطة تكرّر الاستدعاء. (**قوله: والوجد غلبة ما كان يبعثه**) أي غلبة المطلوب والغرض للسالك، فتتوالى بواعثه على القلب بإشراف وإرادته وإماراته عليه بدون تكلف منه لشيء من ذلك. (**قوله: والوجود حصول ذلك في القلب**) أي حصول ذلك المطلوب والفرض في القلب وتواليه عليه بدون تعمل وتكلف.

(**قوله: بظهور أثر الوجد الباطن**) أقول ذلك التفسير إنما هو للإمارة على التواجد لا لنفس التواجد كما لا يخفى لأن حقيقته استدعاء الوجد بتكلف كما فهم مما ذكر قبل. (**قوله: بخلاف الأقوياء**) أي ممن تحقق وتكمل بعد التفرق أو مطلقاً فافهم. (**قوله: فلا انزعاج لهم في الظاهر**) أي لكونهم من الضنائن، وهم الخصائص من أهل الله الذين يضن بهم لنفاستهم عند الله كما قال سيد الكمل ﷺ: «إنّ لله ضنائن من خلقه ألبسهم الله تعالى النور الساطع يحييهم في عافية، ويميتهم في عافية»[2]. (**قوله: فقال أبو بكر الخ**) أي

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ٤٠٥، ٤٠٨).

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ١٢/ ٣٨٥) والهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٥) وأبو نعيم في (حلية الأولياء ١/ ٦) والمتقي الهندي في (كنز العمال ١١٢٤٢) وابن أبي الدنيا في (الأولياء ٣).

الأحوال سكنوا عقب ذلك لقوتهم على حمل الواردات، وقد روي أنه قرىء شيء من القرآن بحضرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فتواجد بعض الحاضرين، وبكى فقال أبو بكر هكذا كنا حتى قست قلوبنا أي: قويت وصلبت في دين الله تعالى، وزال عنها الضعف الذي كان بها في ابتداء الأمر كما لهذا الذي بكى وذلك لألفها وأنسها بمعاني القرآن، فصارت لا تستغرق شيئاً منها إذا ورد عليها بخلاف المبتدي. **(وليس لصاحبه)** أي: التواجد **(كمال الوجد إذ لو كان)** له ذلك **(لكان واجداً)** أي ذا وجود لا ذا وجد **(وباب التفاعل أكثره على إظهار الصفة و)** الحالة أنها **(ليست كذلك)** أي مظهرة وجدت أم لا نحو تعامى وتجاهل **(قال الشاعر: إذا تخازرت وما**

يشير إلى مقام تكمله رضي الله تعالى عنه، هذا والعارف الكامل وإنْ كان مسكنه عرش الحقيقة لا بدّ له من الهبوط إلى سماء الحقوق لحق العبودية، وإلى أرض الحظوظ للقيام بحق البشرية، وإنْ كان هبوطه إلى ذلك بالإذن لأن بساط الكرامة وذلك الإذن قوّة يجدها الكامل من نفسه لا يشك في حقيقتها فهذا الهبوط لا يقدح في كماله لكونه متمكناً فيه غير متلوّن كما قيل:

لا تهتدي نوب الزمان إليهم ... ولهم على الخطب الشديد لجام

اهـ.

دقيقة

المتواجد متعرّض لاقتباس ما لاح، ثم راح يتوقع لموعه، ويرتجي رجوعه، والواجد حاضر في وجده، واجد في فقده فقد قلبه فوجد ربه، فحركته فرح بوجوده، وقيامه طرب بشهوده لا يجد في الوجود غير موجده، ولا في الكون غير مكوّنه وعلم أنّ حال التواجد مثل حال موسى عليه السلام حين لاحت له أنوار الطور فـ ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]، وحال الوجد مثل حاله حين أتى الشجرة فوجد ناراً لا تشبه النار إن بعد عنها قربت، وإن قرب منها بعدت، فهو منها في عجب، وفي طرب بين وجد، وفقد وحال صاحب الوجود كحاله عليه السلام حين سمع ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] فافهم. **(قوله: وليس لصاحبه الخ)** أي فالتواجد يدل على عدم كمال الوجد لأنه لو كمل لكان المتصف به واجداً لا يتكلف شيئاً فافهم.

(قوله: إذ لو كان له ذلك) أي كمال الوجد على معنى أنه قد تحقق به لكان واجداً بالفعل أي صاحب وجود، وهو من تحقق بمقام البقاء بعد أن تلاشى في فنون الفناء كما يدل عليه قوله وباب التفاعل أكثره على إظهار الصفة أي التي لم تكن متحققة في نفس الأمر بالفعل، بل متكلفة مستدعاة. **(قوله: إذا تخازرت الخ)** يشير نفعنا الله بعلومه، وأمدّنا ببركاته إلى أنه وإن تلوّن بحسب الظاهر فهو متمكن في حكم الباطن، فهو محفوظ

بي من خزر) أي: صغر عين (ثم كسرت العين من غير عور. **فقوم قالوا التواجد غير مسلم لصاحبه لما يتضمن**) ـه (**من التكلف** و) هذا (**يبعد عن التحقيق وقوم قالوا انه مسلم للفقراء المجرّدين الذين ترصدوا لوجدان هذه المعاني**) بخلاف غيرهم، قيل، وفي هذا نظر فإن المتواجد إن كان صادقاً في تطلب وجده، فلا فرق بين المتجرّد وغيره في صحة تطلبه وإلا فهو مرائي أو متشبع بما لم ينل، وكل منهما محذور والمختار صحة التواجد مطلقاً (**وأصلهم**) في صحته شيآن أحدهما (**خبر رسول الله ﷺ ابكوا**) أي ان طرقكم البكاء لله (**فإن لم تبكوا فتباكوا**) أي: فاستجلبوا البكاء بالتفكر في أسبابه (و) ثانيهما (**الحكاية المعروفة لأبي محمد الجريري رحمه الله أنه قال: كنت عند الجنيد**) رحمه الله (**وهناك ابن مسروق وغيره وثم قوّال**) ينشد لهم (**فقام ابن مسروق وغيره**) مستمعين (**والجنيد ساكن فقلت**) له (**يا سيدي مالك في السماع شيء فقال الجنيد وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب**) فيه

بالأدب في الحقوق، وبالشكر في الحظوظ مستشعر بالقهر والبر، ومعتبر بالحكمة والأمر، فتلوّنه للحقوق يزيده فائدة، وللحظوظ أكبر منفعة وعايدة، ولو لم يكن إلاّ رجوع العبد إلى افتقاره، وشعوره باضطراره لكفي في مقامه واعتبر بقول السيد موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] حيث طلب الخير من بساط الافتقار اهـ.

فائدة

من كلام بعضهم شعراً:

يا واطئاً أرض الغرام تعسفاً	أرض الغرام وداره في داره
يا لابساً ثوب السقام وجافياً	طيب المنام وراضياً بصغاره
لا عار للمضطر أن يبدي الجوى	ويبث ما يلقاه من أضراره
إنّ الهوى مستصعب أوعاره	فاتركه في أوعاره أو عاره

(**قوله: وهذا يبعد عن التحقيق**) أي لعدم الرجوع فيه إلى تحسين الظن بالخلق.

(**قوله: وقوم قالوا إنه مسلم الخ**) أي قالوا بالتفصيل بين من حالهم التجرد والصدق وغيرهم، الأوّلون يقبل منهم دون غيرهم. (**قوله: واصلهم**) أي دليلهم الذي بنوا عليه في مشروعية تواجدهم خبر الخ. (**قوله: فقلت يا سيدي ما لك في السماع الخ**) إعلم أن السماع ومجاليه يقال له المطلع، وهو الاستشراف والمشاهدة، فهو مقام شهود المتكلم عند تلاوة آياته متجلياً بالصفة التي هي مصدر تلك الآية كما قال جعفر بن محمد الصادق: لقد تجلى الله تعالى لعباده في كلامه، ولكن لا يبصرون، وكان ذات يوم في

دلالة على قوّة حفظه لحاله مع كمال وجده **(ثم قال وأنت يا أبا محمد)** يعني الجريري **(مالك في السماع شيء فقلت يا سيدي أنا إذا حضرت موضعاً فيه سماع**

الصلاة فخرّ مغشياً عليه، فسئل عن ذلك فقال ما زلت أكرر آية حتى سمعتها من قائلها قال السهروردي قدّس سره: روح جعفر الصادق في ذلك الوقت كشجرة موسى عند ندائه منها بأني أنا الله، وقد يقال أن المطلع أعم من ذلك. **(قوله: فقلت يا سيدي أنا إذا حضرت الخ)** أي فهو يشير إلى أنه بالله، ومن الله وإلى الله فبالله استعان، ومن الله كان، ولله قام فقد جمع بين أدب الشريعة، ونور التحقق بالحقيقة، فلله دره، قلت: ويؤيد ذلك الذي ذكرناه قوله جل شأنه ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] حيث طلب ما هو المطلوب منه كما أمره مولاه بطلبه، فهو داخل فيه بالله طلب الصدق لله، والادخال والإخراج من الله والتوجه في كل ذلك إلى الله قال في التنوير، فالمدخل الصدق هو أن تدخل لا بنفسك، والمخرج الصدق هو أيضاً أن تخرج لا بنفسك.

تنبيه

اعلم أن العوالم كلها كلياتها وجزئياتها كتب الهية تسمع من يشاء الله من عباده لأنها لاشتمالها على كمالاته تعالى التامات كانت كذلك، فالعقل الأوّل والنفس الكلية باعتبار أنهما صورتا أم الكتاب، وهي الحضرة العلمية كتابان الأوّل أم الكتاب لاحاطته بالأشياء اجمالاً، والنفس الكلية الكتاب المبين لظهورها فيه تفصيلاً، وكتاب المحو والإثبات هو حضرة النفس المنطبعة في الجسم الكلي من حيث تعلقها بالحوادث، وهذا المحو والإثبات إنما يقع للصور الشخصية التي فيها باعتبار أحوالها اللازمة لأعيانها بحسب استعداداتها الأصلية المربوط ظهورها بالأوضاع الفلكية المعدّة لتلك الذوات أن تلتبس بتلك الصور مع أحوالها الفائضة عليها من الحق سبحانه بالاسم المدبر والماحي والمثبت والفعال لما يشاء، وأمثالها، فالإنسان الكامل كتاب جامع لهذه الكتب المذكورة إذ هو نتيجة العالم الكبير، قال العارف الرباني: عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه:

دواؤك فيك وما تشعر ... وداؤك منك وما تبصر

وتزعم أنك عالم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر

وقيل:

أنا القرآن والسبع المثاني ... وروح الروح لا روح الأواني

فؤادي عند مشهودي مقيم ... يشاهده وعندكم لساني

فهو من حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات، فهي الصحف المكرّمة

وهتاك محتشم) بفتح الشين أي: مستحياً منه **(أمسكت على نفسي وجدي)** أي لكمال قوته **(فإذا خلوت)** بنفسي **(أرسلت وجدي)** الذي كنت أمسكته على نفسي **(فتواجدت)** به **(فأطلق)** أبو محمد **(في هذه الحكاية التواجد ولم ينكر)** ه **(عليه الجنيد)** فدل على صحته. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: لما راعى أبو محمد أدب الأكابر)** وفي نسخة الأدب للأكابر **(في حال السماع حفظ الله عليه وقته لبركات الأدب)** معهم **(حتى يقول أمسكت على نفسي)** بحضرتهم **(وجدي فإذا خلوت بنفسي أرسلت وجدي)** الذي كنت امسكته على نفسي **(فتواجدت)** به **(لأنه لا يمكن)** لا يتأتي لك **(إرسال الوجد إذا شئت بعد ذهاب الوقت وغلباته، ولكنه لما كان صادقاً في مراعاة حرمة الشيوخ حفظ الله تعالى عليه وقته حتى أرسل وجده عند الخلوة فالتواجد)** أي كماله **(ابتداء الوجد على الوصف الذي جرى ذكره وبعد)** حصول **(هذا)** يحصل **(الوجد والوجد ما يصادف قلبك، ويرد عليك بلا تعمد وتكلف، ولهذا قال المشايخ)** من الصوفية **(الوجد المصادفة والمواجيد)** جمع وجد على غير قياس **(ثمرات الأوراد)** أي: مترتبة عليها بواسطة المنازلات كما سيأتي تفضلاً لا بالاكتساب **(فكل من**

المرفوعة المطهرة التي لا يمسها، ولا يدرك أسرارها ومعانيها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية، وما ذكر من الكتب هي أصول الكتب الإلهية، أما فروعها فكل شيء في الوجود من العقل والنفس والقوى الروحانية والجسمانية، وغيرها مما ينتقش فيها أحكام الموجودات إما كلها أو بعضها مجملاً أو مفصلاً، وأقلها انتقاش أحكام عينها، والله أعلم. **(قوله: ولكنه لما كان صادقاً الخ)** أشار إلى أن ما وقع له من نوع الكرامة إنما هو بسبب حفظ حرمة المشايخ بالصدق. **(قوله: الذي جرى ذكره)** أي من طلبه واكتسابه بالتكلف. **(قوله: بلا تعمد وتكلف)** أي فهو غير مكتسب للعبد، بل موهبة له منه تعالى. **(قوله: الوجد المصادفة الخ)** يشير بذلك إلى أنه غير مكتسب، بل هو من تفضلات الحق تعالى على العبد، وقوله: ثمرات الأوراد أي ويقال لها مشارق الفتح التي هي التجليات الاسمائية لأنها مفاتيح أسرار الغيب، ثم يكون بعدها مشارق شمس الحقيقة، وهي تجلي الذات قبل الفناء التام في عين أحدية الجمع، فتحصل إنَّ الوجد وارد حق من الله على باطن العبد يكسبه فرحاً أو حزناً، والفقد عدم ذلك بعد وجوده غيبة أو فناء، فيصل إلى الوجود الذي هو شهود الحق في الوجد كما قيل:

قد كان يطربني وجدي فأقعدني ... عن رؤية الوجد من في الوجد موجود

والوجد يطرب من في الوجد راحته ... والوجد عند حضور الحق مفقود

(قوله: ثمرات الأوراد) أي نتائج الأوراد وفوائدها، والمراد بالأوراد وظائف الأعمال الموافقة للعلوم الشرعية.

ازدادت وظائفه) من الأوراد **(ازدادت من الله لطائفه)** الأخروية والدنيوية. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول الواردات)** إنما تحصل **(من حيث الأوردات فـ)** عليه **(من لا ورد له بظاهره لا وارد له في سرائره وكل وجد فيه من صاحبه شيء)** من صنعه **(فليس بوجد)** حقيقي **(وكما أن ما يتكلفه العبد من معاملات ظاهره)** الصالحة **(يوجب له حلاوة الطاعات)** في قلبه **(بما ينازله)** أي: ينتقل إليه **(العبد من أحكام باطنه)** من درجات المقامات كورع وزهد وتوكل ورضا، وتسليم ومحبة وأنس **(يوجب له المواجيد)** من رجاء لحصول ما طلبه، أو خوف من فواته وشكر لإسباغه أو شوق لكمال حصوله، **(فالحلاوات)** الحاصلة في القلب **(ثمرات المعاملات)** المستقيمة **(والمواجيد نتائج المنازلات)** التي هي نتائج الأوراد والمعاملات **(وأما الوجود فهو)** إنما يحصل **(بعد الارتقاء عن الوجد ولا يكون وجود الحق)** عند العبد

(قوله: يقول الواردات الخ) محصله أن الواردات الإلهية لا تتحقق إلا بالجدّ والاجتهاد في الأوراد التي هي الوظائف الوقتية، وحينئذٍ فمن لا ورد له لا وارد له ومن لا وارد له لا وجد له لأن الوجد ثمرة المنازلات، وهي تتحقق بصدق الواردات، وهي فائدة دوام المجاهدات بموافقة شريف المتابعات. **(قوله: وكل وجد فيه من صاحبه شيء الخ)** يشير بذلك إلى أن مواهب الحق تعالى متى دخلها تعمل وتصنع لا تكون مواهب في الحقيقة، بل تكون معاطب ومخاطر لامتزاج حظ النفس بها فحينئذٍ يلزم المريد أن يكون دائماً على نعت التجريد حتى يتحقق له المزيد. **(قوله: وكما أن ما يتكلفه العبد الخ)** محصله أنه كما أثمر عمل الجوارح الظاهرة تنوير القلوب ولذة العبادة كذلك المقامات التي يتدرّج بها الطالب إلى أعلى المطالب تثمر له المواجيد الشريفة بالإشارات اللطيفة، فتحصل أن الحلاوة واللذة ثمرة الأعمال، والمواجيد نتائج المدارج من مقامات الكمال.

(قوله: وأما الوجود فهو إنما يحصل الخ) أي فهو من شيم العارف الكامل الذي لم يخالطه شرك إثبات غير الحق من الخلق كما خالط أهل الشريعة والطريقة، فإنهم يثبتون الحق، والخلق بخلاف المحققين، فإنهم يرجعون في الكل إلى الكل ويعودون بالحق من الحق إلى الحق إذ الذات المتصفة بالوحدة المطلقة لا تبقي ولا تذر، كل شيء هالك إلاّ وجهه، وقولنا الذي لم يخالطه شرك الخ مرادنا به شرك الهدى لا شرك الردى والجحود، فافهم اهـ. واعلم أن صاحب الوجود في حالة الشهود لا يرى في الحضرة غير مشهوده، ولا يجد في الوجود غير موجوده، وجد مولاه بفقد ما سواه، فهو غائب في حضرته حاضر في غيبته صاح في سكره سكران في صحوه، فإن في بقائه بقاء في فنائه قد طفح عليه السكر بغلباته، فتارة يرد عليه في موارد الجمال فينعشه، وتارة يطلع له في طوالع الجلال فيدهشه، وتارة يبدو له في رداء الكمال فيفنيه، أو يتجلى له في حلل الأفضال فيبقيه والله أعلم. **(قوله: وأما الوجود الخ)** شروع في تحقيقه ببيان حقيقته، فقوله فهو الخ

(إلا بعد خمود البشرية) أي: غيبته عن احساسه بها **(لانه لا يكون للبشرية بقاء عند ظهور سلطان الحقيقة)** لأن العبد ما دام مدركاً لنفسه ممتعاً بوجده، فبشريته حاصلة وإذا اشتغل بالحق كمال الشغل حتى نسي كونه مشتغلاً به صار الغالب عليه إدراك الحق خاصة، وعبروا عن هذه الحالة بالوجود **(وهذا معنى قول أبي الحسين النوري أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد أي إذا وجدت ربي، فقدت قلبي وإذا وجدت قلبي فقدت ربي)** أي: فأنا مستغرق في وجود الحق، فلا يصح وجوده عند العبد، إلا بعد غفلته عن قلبه، **(وهذا معنى قول الجنيد علم التوحيد)** أي تحصيله تصوراً وتصديقاً **(مباين لوجوده)** أي: التوحيد **(ووجوده مباين لعلمه)** يعني أن العبد يكون عالماً بالتوحيد بالاستدلال بالآثار، ولا يكون واجداً له لأن وجوده لا يبقى للعبد معه

محصله أنه لا يتم لعبد إلا بعد فنائه عن سائر الحظوظ الحقة بالاستهلاك عن الإحساس لشيء سوى الحق تعالى، فيفنى عن نفسه وردها وواردها، وكل كائن، فحينئذٍ يتحقق له الوجود الواجب فافهم. **(قوله: إلا بعد خمود البشرية)** أي لما يجد من لذة الأذواق الشهودية، والشهادات الذاتية التي لا لذة فوق لذة منازلاتها لأن لذة الأجساد من مأكل ومشرب ومنكح وغير ذلك تضمحل بالنسبة إليها إذ جميع عوالم الجبروت كالعقول والنفوس المجرّدة، وعوالم الملكوت كالنفوس المنطبعة وقواها، وعوالم الملك والشهادة كالسموات والأرض، ومن فيهما ممدّة من ذات غيب الغيب المطلق ذي الجلال والجمال المحقق، فكيف لا يتلاشى فيه الفاني إذا تحقق العبد بالقريب الداني، فافهم. **(قوله: هذا معنى الخ)** الإشارة إلى جميع ما تقدّم من تطورات العبد وتقلبات أحواله المعلوم ذلك من المقام وإلا فحالة الوجود هي حالة استغراق العبد في الملك الحق. **(قوله: إذا وجدت ربي فقدت قلبي)** أي فهو يشاهد المنة في الحالة الأولى، والقهر في الحالة الثانية فالحق تعالى في كل ذلك متعرف إليه، ومقبل بوجود لطفه عليه.

(قوله: وهذا معنى قول الجنيد الخ) أي فهو يوضح ما لأبي الحسن النوري نفعنا الله بالجميع. **(قوله: علم التوحيد الخ)** أي وذلك ظاهر لوجود الفرق بين من تصوّر شيئاً وصدق به، وبين من قام به ذلك الشيء وتحقق به، ويدل عليه قول بعضهم:

لا يعلم الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

فالإشارة إلى أن مجرّد علوم الظاهر لا يفيد شهود رب المظاهر، بل إنما يتحقق ذلك للكامل بالوجود لأنه الموصل إلى المقصود إذ العلم بقاء مع الإحساس، والوجود فناء بشهود رب الناس.

(قوله: وفي هذا المعنى أنشدوا الخ) أي وله أشار بعضهم أيضاً حيث قال شعراً:

إثبات غيرك شرك في عقيدتنا نفي السوى مذهبي يا قرة العين

إحساس بنفسه، فضلاً عن عمله به واستدلاله عليه. **(وفي هذا المعنى انشدوا وجودي)** وهو الحالة التي يغلب فيها على القلب إدراك الحق **(أن)** بالفتح **(أغيب عن الوجود)** أي: الخلق **(بما يبدو عليَّ من الشهود)** فصاحب الشهود حالة الوجود، والوجد حينئذ مفقود عنه لإشتغاله بالشهود **(فالتواجد بداية الوجود نهاية والوجد واسطة بين البداية والنهاية)** فعلم من جميع ما ذكر أن الوجود استغراق في الحق والتواجد طلب الوجد والوجد إدراك آثار قربه، فلهذا كان واسطة بين الطلب ووجود الأدب، وأشار إلى انتقال أحوال الطالب بذلك فقال **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق)** رحمه الله **(يقول: التواجد يوجب استيعاب العبد)** بالإجتهاد في طلب الوجد **(والوجد يوجب استغراق العبد)** في مطلوبه **(والوجود يوجب استهلاك العبد)** بكمال اشتغاله

وأشار آخر حيث قال أيضاً:

لا كنت إن كنت أدري كيف كنت ولا ... أكون إن كنت أدري كيف لم أكن

(قوله: وجودي أن أغيب الخ) أي وذلك لأن العاشق من المحبين إذا شاهد محبوبه غاب عن سائر الكائنات غيره بسبب الشهود غيبة لذة وسكر، ثم إذا غاب عن نفسه كذلك فقد ازداد غيبة فيزداد طرباً، فيزداد سكراً فيزداد صحواً إذ قوّة الصحو بقوّة السكر، فافهم. **(قوله: أن أغيب عن الوجود)** أي فألتحقق بمقام الوجود بشهود الحق لا غير إنما ينشأ عن الغيبة الكاملة عما سواه تعالى وقوله: بما يبدو عليَّ الخ أي بما يظهر لقلبي الذي هو بيت الله المقدس الطاهر من التعلق بالاغيار، ويقال له البيت المحرّم لكونه حرم عليَّ غير الحق تعالى، وبيت الحكمة لكونه موطن الإخلاص الذي هو منشأ الاختصاص، فافهم. **(قوله: فالتواجد بداية الخ)** أي من حيث أن التواجد أوّل شؤون المريد السالك لأنه تخلق والوجد خلق، والوجود ثمرة عنهما والله أعلم. **(قوله: فعلم من جميع ما ذكر)** أي من جميع ما تقدّم للمؤلف من بيان حقيقة التواجد والوجد والوجود، أن الوجود استغراق في الحق أي وذلك الاستغراق بواسطة الغيبة عما سواه تعالى الناتجة عن الوجد الذي هو ثمرة الواجد كما صرّح بذل الشارح.

(قوله: يقول التواجد يوجب الخ) أي فتكلف الوجد وقصد حصوله للطالب يثبت للعبد استفراغ جهده وبذل وسعه في حصول الوجد له، والوجد إذا حصل وتم أوجب استغراقه في تلذذه وتنعمه بمطلوبه، فيترقى به إلى الوجود الموجب له الانمحاق والاستهلاك عن سائر الكائنات بشهود الحق تعالى وحده لا شريك له. **(قوله: والوجد يوجب استغراق العبد الخ)** محصله أن الوجد المرتب على التواجد يحقق للعبد استغراقه وبذل وسعه في كل أوقاته في طلب مقصوده من الوجود الناشيء عن الوجد. **(قوله: والوجود يوجب استهلاك العبد)** أي يوجب تلاشيه حتى لا يشهد في الوجود غير الوجود

بالحق بحيث ينسى نفسه فضلاً عن غيره **(فهو)** أي: العبد **(كمن شهد البحر)** وأهواله **(ثم ركب البحر)** لحاجة دعت إلى ركوبه **(ثم غرق في البحر)** فإن إقدامه على ركوبه إنما حصل بطلبه واجتهاده في حصول مقصوده فإذا ركبه واختلفت عليه أمواجه قوي عليه حاله، واشتدّ قلقه، فإذا اغرق فيه زال عنه خوفه وقلقه لحصول الخوف واستغراقه فيه، لذلك قيل:

إنـمـا أجـزع مـمـا أتـقـي ... فـإذا حـل فـمـا لـي والـجـزع

(وترتيب هذا الأمر) وهو الإنتقال من حال إلى حال **(قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود، وبمقدار الوجود يحصل الخمود وصاحب الوجود له صحو ومحو فحال صحوه بقاؤه بالحق وحال محوه فناؤه بالحق وهاتان الحالتان أبداً**

الحق لأنه إذا صح الفناء والاضمحلال زال من فني، وبقي من لا يزال لكونه يتحقق في مقام الجمعية الذي يوجب اجتماع الهمم في التوجه إليه تعالى والاشتغال به عما سواه وبإزائها التفرقة التي هي توزع الخاطر للاشتغال فيها بالخلق. **(قوله: فهو أي العبد كمن شهد البحر الخ)** أي لأن العارف يشهد أوّلا فيض القدرة الصفاتي ثم الفيض الذاتي المدرك في عالم الحكمة الذي لا يتوقف على استعداد بكسب ثم يغرق في شهود ذات ذي الصفات جل اسمه.

(قوله: فإن أقدامه على ركوبه الخ) الغرض للشارح بيان وجه تشبيه التواجد والوجد والوجود، المترتبة في الحصول بشيء محسوس تقريباً للعقول القاصرة عن إدراك شريف هذه المعاني. **(قوله: قصود الخ)** إنما جمع القصد وما بعده لتنوع مقاصد السالك، وإذا تنوّعت مقاصده تنوّعت وارداته لكونها من ثمرات مقاصده، وإذا تنوّعت وارداته تنوّعت مشاهداته لأنوار ذات الحق تعالى، وإذا تنوّعت مشاهداته لتلك الأنوار تنوّع وجوده، وذلك لظهور تحقق وجه الحق في كل شيء، وإذا تنوّع وجوده بالوجه الذي ذكرناه تنوّع خموده، وذلك لتلاشي ما سوى الحق في الوجه الأحق، وذلك الخمود تابع لشريف ذلك الوجود قوّة وضعفاً هذا حاصل ما أشار إليه وعوّل في كلامه عليه تأمّل في المقام، ومني عليك السلام. **(قوله: وصاحب الوجود له صحو ومحو الخ)** أي إفاقة وانمحاق بمعنى الغيبة عما لا يعني واعلم أن المحو أنواع فمحو أرباب الظواهر رفع أوصاف العادة والخصال الذميمة، ومحو أرباب السرائر إزالة العلل والآفات والمحو الحقيقي هو فناء الكثرة في الوحدة ومحو عين العبد هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان إذ هي شأن ذاتية ظهرت في الحضرة الواحدية بحكم العالمية، فهي معلومات معدومة العين أبداً، إلا أن الوجود الحق ظهر فيها، فهي مع كونها ممكنات معدومة لها آثار في الوجود الظاهر بها، وبصورها المعلومة فالوجود ليس إلا لعين الحق تعالى والإضافة نسبة ليس لها وجود في

متعاقبتان عليه، فإذا غلب عليه الصحو بالحق فيه يصول وبه يقول قال عليه السلام فيما أخبر عن الحق) في خبر **(فبي يسمع وبي يبصر)** وفي خبر آخر: «بك أصول وبك أقول» وفي آخر: «بك خاصمت وبك حاكمت». **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي)** رحمه الله **(يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: وقف رجل على حلقة الشبلي فسأله هل تظهر آثار صحة الوجود على الواجدين فقال نعم)** يظهر **(نور يزهر مقارناً لنيران الاشتياق)** أي مترتباً عليه **(فتلوح على الهياكل)** أي: الأشخاص **(آثارها)** لأن العبد متى قوي اشتياقه لمطلوبه حتى شغله عن نفسه بما أطلعه الله عليه من خفي لطفه ظهر ذلك على بدنه فيكلم ولا يسمع ويمر به ولا يشعر ويظهر نور باطنه على وجهه وبدنه كما قال ابن المعتز:

وأمطر الكأس ماء من أبارقها

الخارج، والأفعال والتأثيرات ليست تابعة إلاّ لعين الحق دون المعدوم، فلا فاعل في الخارج، ولا موجد إلاّ الحقّ تعالى وحده لا شريك له، فالعبد ممحو والعبودية ممحوّة كما أشار إليه تعالى حيث قال ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فافهم والله أعلم. **(قوله: متعاقبتان عليه)** أي فصاحب الوجود أبداً ما بين محو وإثبات على معنى أنه يمحو ما له، ويثبت ما للحق تعالى. **(قوله: فيه يصول وبه يقول)** أي فيكون حاله في الأقوال والأفعال بلسان الحق، وبذلك قد ينسبهم أهل الغفلة إلى الزندقة والكفر والابتداع وغير ذلك.

(قوله: في خبر وقوله وفي خبر آخر الخ) أي فأشار بالخبرين إلى المقامين في حال تحقق الوجود لبعض العارفين المقرّبين.

(قوله: فقال نعم الخ) محصل ذلك إفادة ثبوت هذا الحال ولاسيما لأهل البصائر القدسية التي تنوّرت بنور الحق وانكشف حجابها بواسطة هدايته، فيرى صاحب هذا المقام الحقائق على ما هي عليه، وقوله نعم يظهر نور الخ أي لأن كسوة الأسرار بالأنوار قد تفيض، فتظهر النور على الأشباح للأبصار، والله أعلم. **(قوله: يظهر نور يزهر الخ)** أي يشرق في السرائر يضيء فيها مما ينشأ مقارناً لتأجج نيران الاشتياق، ويترتب عليها ترتب العلة على المعلوم وقوله فيلوح على الهياكل أي جرياً على عادة الله في خلقه من أن كسوة القلوب تظهر على صفحات وجه المحبوب كما أوضحه الشارح.

(قوله: وامطر الكأس الخ) حاصله أنه شبه انصباب الماء في آنية الخمرة المسماة أباريق بانصباب ماء السماء المسمى مطراً على الأرض بجامع الصفاء، والرقة واللطف لحصول الملاذ والمنافع بكل، وشبه ماء الخمرة في تأثيره للحبب الذي يعلو ما في الكأس وقت صب الخمرة فيه بماء المطر بجامع الانبات بكل وقوله فسبح القوم أي نزه

أي الكأس التي فيها الخمرة **(فأنبت الدر في أرض من الذهب * وسبح القوم لما أن رأوا عجباً * نوراً من الماء في نار من العنب)** شبه الخمرة من حيث تأثيرها بالنار ومن حيث صفاؤها الحاصل من الماء أي: عصير العنب بالنور **(سلافة)** بالفاء أي؛ خمرة **(ورثتها عاد عن أرم * وكانت ذخيرة كبرى عن أب فأب)** قيل لا حاجة للتشبيه بما قاله من ذكر الوصفَ للخمر، وكمال وصفها وانها مدخرة أباً عن أب، بل لو تركه كان أولى لكنه إنما قصد به لطافة ما وجده من حاله، وحسن ما يشاهده وكمال نوره في محله. **(وقيل لأبي بكر الدقي: إن جهماً الدقي أخذ شجرة بيده في حال السماع في ثورانه فقلعها من أصلها فاجتمعا في دعوة)** أي: وليمة **(وكان الدقي)** قد **(كف بصره فقام جهم الدقي يدور في حال هيجانه)** وربما وجد في نفسه استحساناً

الجماعة الإله الحق حيث هو الموجد لكل شيء، وقوله: لما أن رأوا عجباً أي أمراً عجيباً، والعجب يكون مما خفي سببه وقوله نوراً من الماء لصفاته في نار من العنب وذلك هو محل العجب حيث اجتمع نور ونار في شيء واحد، فهو يريد تشبيه الصفاء الذي في الخمرة باعتبار ما فيها من الماء بالنور بجامع الإضاءة في كل، وتشبيه تأثير الخمرة في الطرب بالنار بجامع مطلق التأثير، وقوله: سلافة أي خمرة إذ السلافة من أسماء الخمرة، ورثتها عاد من أرم اسم لقبيلتين كانت أي تلك الخمرة ذخيرة أي مدخرة، ولا يخفى أنَّ الذخيرة ما يدخر من نفيس الأشياء، وقوله: كسرى أي ملك الفرس عن أب فأب بيان للموروث عنهم، وتحقيق ما ذكر عند من له اطلاع على فن البيان يكفي عن لقلقة اللسان. هذا، ولما كان المراد هنا أن اللذة الحاصلة لقلوب أرباب الهمم السائرين إلى الله تعالى بما يرد على أسرارهم من واردات الحق، وبروق أنوار الصدق التي هي ثمرات أوراقهم المتلقاة من كابر فكابر إلى أن تصل إلى سيد الكمال ﷺ تشبه ما حكي في هذا الشعر اللطيف، بل يكون ذلك من إلحاق القوي بالضعيف، والشريف بالخسيس، والعلي بالدني المنحوس قد شبه ذلك بما تقدّم على جهة التمثيل والتقريب للعقول القاصرة وإلا فلا نسبة ولا مناسبة كما لا يخفى على ذي بصيرة منوّرة بنور الحق، مؤيدة بمتابعة الصدق، والله أعلم. **(قوله: قيل لا حاجة للتشبيه بما قاله الخ)** أي لما في التشبيه من إيهام أرباب العقول القاصرة إنَّ الخمرة لها نسبة في المدح، ووجه من اللذة واعتبار في المنافع مع أن الأمر ليس كذلك، وإنما جميع ذلك ثابت لخمرة الأذواق لا غير والله أعلم. **(قوله: وقيل لأبي بكر الخ)** أقول الغرض من ذكر هذه القصة التنبيه على سلوك طريق الأدب دائماً مع الحق، ومع الخلق حيث المنعم خزائنه ملأى وإحساناته لا تستقصى إذ ما من حال ولا مقام إلا وعنده تعالى أعظم منه يختص برحمته من يشاء.

(قوله: وربما وجد في نفسه استحساناً الخ) أي فما فعله معه الدقي يرجع إلى التأديب والحمل على أكمل الأحوال فلا يقال أنه لإظهار نقصه، وهو لا ينبغي لمثله ويدل

لكمال حاله وقوته، فأوقع الله في نفس الدقي ان يعجز جهماً ليرجع عن ذلك، ويتأدب في نفسه **(فقال الدقي إذا قرب مني أرونيه)** أي: اعلموني به **(وكان الدقي ضعيفاً فمر به، فلما قرب منه قالوا له هذا هو فأخذ الدقي)** مع ضعفه **(ساق جهم)** مع قوته **(فوقفه فلم يمكنه أن يتحرك فقال جهم أيها الشيخ التوبة التوبة)** عما وقع لي من استحسان حالي **(فخلاه قال الأستاذ الإمام القشيري أدام الله جماله، فكان ثوران جهم في حق وامساك الدقي بساقه بحق ولما علم جهم أن حال الدقي فوق حاله رجع إلى الإنصاف واستسلم)** أي: انقاد له **(وكذا)** كل **(من كان)** حاله **(بحق لا يستعصي عليه شيء)** لأن الفاعل به ذلك هو الله، ولا يقاوم عظمة الله شيء **(وأما إذا كان الغالب عليه المحو)** وهو الإستغراق بالكلية **(فلا علم ولا عقل ولا فهم ولا حس)** له لأنه غائب عن نفسه **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يذكر باسناده أن أبا عقال المغربي أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات)** هذا من خوارق العادات **(ودخل بعض الفقراء على أبي عقال فقال)** له **(سلام عليكم فقال)** له **(أبو عقال وعليكم السلام فقال)** له **(الرجل أنا فلان فقال أبو عقال أنت فلان كيف أنت وكيف حالك وغاب عن حالته قال هذا الرجل فقلت)** له **(سلام عليكم فقال)** لي

على ما ذكرناه باقي كلام جهم. **(قوله: فكان ثوران جهم في حق)** أي لعدم علمه بأن في المجلس من هو أكمل منه وقوله: وإمساك الدقي بساقه بحق أي لقصده تأديبه وإرجاعه إلى ما هو الأولى في حقه.

(قوله: وأما إذا كان الغالب عليه المحو فلا علم الخ) أي فيكون علمه بالحق وتكلمه بالحق وفعله بالحق، وهو لا شعور له بذلك وهو غير بعيد ألا ترى المصروع إذا استولى عليه جني فهو يتكلم عنه، وهو لا يشعر وقد يكون ذلك بغير لغته، فالحق تعالى أولى وأحرى أن يتكلم على لسان عبده، وأن يتصرف في ملكه وملكوته على يده، فالطالب إذا جاهد نفسه مع الرياضة يمكن أن تتبدل بشريته، فتظهر في إنسانيته النعوت الربانية من غير حلول بالكلية فيزول الفاني، ويبقى الباقي، ويظهر ما كان غير أميناً، والله أعلم، واعلم أن المحو والرجوع إلى حال الصحو من بساط الحكم في الأول، ومن بساط الحكمة في الثاني وكلاهما من رب واحد إذ الأول من حكم الحقيقة، والثاني من حكمة الشريعة فإذا نظر العبد إلى أن الله واحد في منته لا ينسب لغيره شيء إذ هو الذي أجرى المنة على يد ذلك الغير، وجعل الشكر عليها عين العبودية، فيشكره بشكره كما يذكره بذكره لا من الغير ولا له فافهم. **(قوله: فلا علم الخ)** أي وحينئذٍ فلا لوم ولا عتاب إذا صدر منه أو عنه ما لا يلائم حكم الظاهر. **(قوله: ودخل بعض الفقراء الخ)** في ذلك **(تنبيه)** على أن هذا الاستاذ قد تحقق بمقام الوجود بغيبته عما سوى الله سبحانه وتعالى. **(قوله: فرأى في بيته الخ)** فيه تنبيه على أنه كان محرصاً على

(وعليكم السلام وكأنه لم يرني قط فقلت) (أنا فلان فقال) لي (أنت فلان كيف أنت وكيف حالك وغاب كأنه لم يرني قط ففعلت) مثل هذا (غير مرة فعلمت ان الرجل غائب فتركته وخرجت من عنده. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عمر بن محمد بن أحمد يقول: سمعت امرأة أبي عبد الله التروغندي تقول: لما كانت أيام المجاعة والناس يموتون من الجوع دخل عبد الله التروغندي بيته فرأى في بيته مقدار منوين حنطة) تثنية منا بالقصر وهو افصح من منين وهو رطلان قاله الجوهري (فقال: الناس يموتون من الجوع، وفي بيتي حنطة، فخولط في عقله) بحيث غاب عن نفسه من شدة ما دخل عليه بسبب حرصه على الطعام في وقت الإحتياج إليه إذ كان حقه أن يخرج الفاضل عن قوته (فما كان يفيق إلا في أوقات الصلاة يصلي الفريضة ثم يعود إلى حالته، فلم يزل كذلك إلى أن مات دلت هذه الحكاية على أن الرجل كان محفوظاً عليه آداب الشريعة عند غلبات أحكام الحقيقة) عليه حيث حفظ في أوقات الصلاة ليصلي فرضه. (وهذا هو صفة أهل الحقيقة ثم كان سبب غيبته عن تمييزه) الحاصلة بجوعه لجوع غيره (شفقته على المسلمين وهذا) أي: كون المستغرق يحفظ حتى يرد إلى اقامة فرضه، ثم يرد إلى ما كان فيه، وفي نسخة وهذه أي: الحالة المذكورة (أقوى سمة) أي: علامة للحقيقة (لتحققه في حاله) المتلبس به (ومن ذلك الجمع والفرق لفظ الجمع والتفرقة يجري في كلامهم كثيراً)

فعل ما يقربه إلى ربه نفعنا الله به. (قوله: ثم كان سبب غيبته الخ) أي فكان خلقه محمدياً كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. (قوله: الجمع والفرق) أقول قد أجمع جمهور أرباب التصوّف نضر الله تعالى وجوههم في مجاري عاداتهم ومطاوي رموزهم وإشاراتهم على أن المراد بلفظ الجمع المواهب وبلفظ التفرقة المكاسب، ومعنى الجمع جمع الهمة على المجاهدات، ولا شك أن العبد عزته في أنه يجد أفعال نفسه مستغرقة في أفعال الحق تعالى، ومجاهداته في الهداية إليها فانية، فحينئذٍ يكون قيامه بالحق والحق معه بلسان الغيب من غيب الغيب المشار إليه يخبر فبي يسمع، وبي يبصر الخ يعني يقول سبحانه إن عبدي إذا تقرب إليّ بمجاهداته فنحن ندخله في سرادقات محبوبيتنا وغلبة الشوق إلينا، فنفني وجوده فيه ونقطعه عن نسبة أفعاله إليه، فيفنى عنه ذكره كسبه فينوب عن ذكر سلطاننا، وينقطع عنه نسبة إفاضة صفات آدميته، يكون ذكره ذكرنا وتزداد عليه تلك الحالة إلى أن يصير في غلبتها بصفة قال فيها أبو يزيد: سبحاني ما أعظم شأني حيث جرى ذلك على لسانه في معرض الحكاية عن الله تعالى في سكر وغلبة حال، ونقل عن الجنيد قدس الله سره أنه قال: كان من حالي أن أهل السماء والأرض يبكون دهراً على حيرتي فصار بعد ذلك أني بكيت دهراً على غيبتهم، والآن

....

ليس لي عنهم خبر ولا عن نفسي، فقد أشار كل منهما إلى حقيقة الحضور مع الله تعالى، فإن كل جمال وكمال منوط بالحضور مع الله، وطريقه ليس إلا الغيبة عمن سواه، وبسبب ذلك قد يجري على ألسنة المحبين في حالة الغلبة عليهم أنهم الحق على معنى أنهم متحققون به فانون فيه أو يصدر على سبيل الحكاية عن الحق غلبة عليهم كذلك كما أسلفنا، غير أن مشايخ الطريق أجمعوا على أنه لا يجوز الاقتداء إلا بمستقيم قد تخلص من دوران الأحوال بوصوله إلى درجة التمكين التي هي شرط في صحة الإرشاد لأن مرتبة الإرشاد آخر مراتب البقاء الحقيقي بعد تعدي جميع مراتب الفناء فقام الإرشاد أعلى مراتب القرب لأن المقرب قد يكون في مقام التلوين مع أن مرتبة القرب الخاص موقوفة على فناء سائر أوصاف البشرية الجسمانية والروحانية في النشأة الدنيوية والأخروية، وأول درجات القرب الخاص الولاية الخاصة لأن الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق جل جلاله، ويشير إلى هذا المعنى قوله ﷺ: «قال الله على لسان عبده: سمع الله لمن حمده» وفيه سر دقيق، وهو أن الحمد هنا بمعنى الشكر والشكر درجات الأولى الشكر على المحاب، والثانية الشكر على المكاره وذلك فيمن استوت عنده الحالات، والثالثة أن لا يشهد غير المنعم عبودية فيستعظم منه النعم أو محبة فيستحلي منه الشدة، ولا يكون ذلك إلا بعد الفناء عن الوجودات السوائية المجازية لأنه ما بقي له رمق من الوجود فما أدى حق الشكر لأنه حينئذٍ ما أخرج نفسه من التشريك في صفة الوجود مع الحق تعالى، وذلك ذنب لا يقاس به ذنب، ويؤيد ذلك ما قيل في بيان الشكر من أنه صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه به، فيما خلق لأجله، ومن ذلك الوجود المجازي له، والحاصل أن مقام حقيقة الشكر يحصل للعبد إذا تجلت عليه الذات الأحدية بصفة الفردانية باقية بالبقاء الأبدي والدوام السرمدي، فيصير الحق تعالى خليتة عن العبد الفاني فيه في مقام الحمد الحقيقي، فيسمع ويبصر نيابة عنه فيكون معنى قوله: «سمع الله لمن حمده» أن الله تعالى يقول بلسان العبد الواصل إلى هذه الدرجة إنه فني العبد فيّ وصار عدماً فأنا أسمع لأجله ونيابة عنه، فاللام في قوله لمن حمده بمعنى لأجل وليست صلة السمع لأن المسموع لا يكون الذوات نعم لو أبدل من بما كانت اللام صلة السمع، ومن لم يفهم السر أشكل عليه الكلام، ولذا قال بعضهم: سمع بمعنى قبل وقال آخر: من بمعنى ما وآخر المضاف مقدر أي لقول من حمد، وكل ذلك خلاف الظاهر فافهم، ثم ويدل لتمام الفناء في هذا المقام وقيام الحق عن الفاني بالخلافة قوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى: «من ابتليته قبلته، ومن قبلته قتلته ومن قتلته فعلي ديته ومن علي ديته فأنا ديته» وقول الجنيد قدس الله سره من كان في الله تلفه كان الله خلفه، فتحصل أن مقام الجمع لا يتم إلا بمقام الفناء عن الأكوان بأسرها، وعن الشعور بالنفس لأنه ما بقي رمق ما صح

التوحيد على سبيل الجمع ألا ترى لو فرضنا أن شخصين في دار واحدة قال أحدهما للآخر: ما في الدار إلا أنت لكان في الحقيقة وجود القائل مكذباً لقوله لأن وجوده أيضاً في الدار فإن قلت أن ذلك قد يؤدي إلى المضي على مذهب السوفسطائية، أو الوجودية القائلين بالاتحاد وكلا المذهبين ضلال وباطل قلنا لا يلزم ذلك، بل اللازم الإشارة إلى أن الموجودات الكونية عكس من عكوسات نور وجوده تعالى تصور ذلك العكس بصور الماهيات الممكنة التي لها تعين ووجود في العلم القديم لأن نور الوجود القديم انعكس أولاً على الأعيان الثابتة العلمية، ومنها على الماهيات الإمكانية، ومنها على الموجودات الكونية في العالم العين كل في وقت ومحل بحسب تعلق القدرة والإرادة واقتضاء الحكمة، فتكون هذه الوجودات العينية عكس عكس عكس نور الوجود القديم مستعارات من المستعار من المستعار، فهي باقية ما لم يتجل صاحبه، وإلاّ فترجع المعكوسات كلها إليه وتنخلع عن صورها ويظهر سر وإليه المرجع والمآب، و ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٣]، فتبطل جميع الوجودات الكونية حينئذٍ، وما يبقى إلا الوجود الحق منفرداً بذاته قائلاً ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فبإثبات الوجود المستعار خرج الموحد عن مذهب السوفسطائية وبنفي الوجود الحقيقي عن الممكنات خرج عن مذهب الوجودي المتزندق حيث يقول الأول إنَّ العالم خيالات وأوهام، ويقول الثاني إن وجود الممكن والواجب شيء واحد في نفس الأمر وتعدده ظاهري بالنظر إلى التعينات فقد مزجوا مذهبهم بالسوفسطائية حيث قالوا التعينات سراب وموهومات ليتم مقصودهم لأن ذلك التعين إذا كان محققاً عندهم في الواقع، فإن كان غير الوجود القديم لزم التعدد في الوجود، وإنْ كان عينه لزم أن يكون الوجود الواحد متعيناً بتعينات غير متناهية في نفس الأمر، والوجود عندهم غير متعين في نفسه، بل تعينه في الكون فقط، ثم نقول إن حال هاتين الطائفتين مع ما هم عليه من الضلال، ونقصان الكشف خير من الدهرية حيث نفوا الصانع بوقوفهم مع الهياكل والصور الحادثة، فعماهم اشدّ نعم الوجودية قد قالوا بقدم العالم كالحكيم، وبنفي الصانع من وجه كالدهرية فمذهبهم قبحهم الله مركب من مذاهب ثلاثة سوى بدعتهم السوفسطائية والدهرية والحكيم، ثم اعلم أن معنى التفرقة على حسب معنى الجمع فأدناها شهود الخلق مع الغفلة عن الملك الحق وأعلاها شهود الخلق بالحق، واعلم أن صاحب هذه الرسالة قد مشى على إثبات مقام يقال له جمع الجمع، وهو يرجع إلى ما قلناه في الجمع فلهم طرق متعددة لا ينافي بعضها بعضاً إلّا بالإجمال والتفصيل، واعلم أن هناك حالة تسمى الفرق الثاني، وهي عزيزة وحقيقتها أن يرد العبد إلى الصحو وقت أداء الفرض ليجري عليه القيام به في وقته، فيكون رجوعاً لله بالله لا للعبد بالعبد فالعبد في هذه الحالة يطالع في تصريف الحق، والحاصل أن مقام الجمع

وجمع الجمع يتحقق للعبد إذا كان مصطلماً عن نفسه مأخوذاً بالكلية عن الإحساس بالكل غير ما ظهر عليه من سلطان الحقيقة فإن رجع إلى شهود الغير قائماً بالحق فقد وصل إلى الجمع، وإن غفل عن قيامه بالحق فقد عاد إلى محض التفرقة. (**قوله: الجمع والفرق**) قال في عوارف المعارف أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، فهذا جمع، ثم فرق فقال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا﴾ [المائدة: ٥٩] جمع ثم فرق، بقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [المائدة: ٥٩] والجمع أصل والتفرقة فرع كل جمع بلا تفرقة زندقة، وكل تفرقة بلا جمع تعطيل إلى أن قال والمقصود أنهم أشاروا بالجمع إلى تجريد التوحيد، وأشاروا بالتفرقة إلى الاكساب، فعلى هذا لا جمع إلا بتفرقة، ويقولون فلان في عين الجمع يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه، فإذا عاد إلى شيء من أعماله عاد إلى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة، وصحة التفرقة بالجمع وهذا يرجع إلى أن الجمع من العلم بالله، والتفرقة من العلم بأمر الله فالنظر إلى الكون تفرقة، وإلى المكون جمع، واعلم أن الفرق بعد جمع الجمع يقال له صحو الجمع، وهو خلق محمدي وشأنه أن يدرك صاحبه بالبصر ما يدرك القلب، والسمع والشم واللمس والذوق، وأما مقام جمع الجمع، فلا يدرك صاحبه كل محسوس ومعقول إلّا بقوة مخصوصة بذلك الإدراك، والله أعلم اهـ.

فائدة

اعلم أن الجمع وجمع الجمع لا يشغل العبد الكامل عن وظائف وقته تحقيقاً لمظاهر عبوديته وله الإشارة بقول العارف ابن الفارض قدس الله سره:

ولم أله باللاهوت عن حكم مظهري ... ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتي

هذا واللاهوت الروحانية، والناسوت البشرية، والله أعلم ثم ولمقام الجمع أشار بعضهم حيث يقول:

ولما تجلى من أحب تكرماً ... وأشهدني ذاك الجمال المعظما
ترفع لي حتى تيقنت أنني ... أراه بعيني جهرة لا توهما
وفي كل حال أجتليه ولم يزل ... على طور قلبي حيث كنت مكلما
وما هو في وصف بمتصل ولا ... بمنفصل عني وحاشاه منهما
وما قدر مثلي أن يحيط بقدره ... وأين الثرى من رفعة البدر أينما
أشاهده في صفو سري فأجتلي ... جمالاً تعالى عزه أن يقسما
كما أن بدر التم يظهر وجهه ... بصفو غدير، وهو في أفق السما

فعليك يا أخي أن لا تنكر على أولياء الله، ولا تقف ما ليس لك به علم فإذا لم تعلم فسلم لمن يعلم لتكون على أي حالتيك أسلم.

والجمع مأخوذ من جمع الهمة على الحق تعالى والتفرقة مأخوذة من تفرقته في الكائنات مع الحق والجامع والمفرق في الحقيقة هو الله تعالى. **(وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله يقول: الفرق ما نسب إليك والجمع ما سلب عنك، ومعناه أن**

(قوله: مأخوذ من جمع الهمة على الحق تعالى) أي بسبب استغراقه وغيبته فيه وفنائه عمن سواه، ومع ذلك فجميع حواسه ثابتة متحققة له، وإنما لا إحساس لها بغير الحق، فصاحب هذا المقام دائم المراقبات مغمور بالرحمات، رضيع ثدي المشاهدات بإشراق أنوار التجليات، والله أعلم. **(قوله: مأخوذة من تفرقته الخ)** أي بسبب شهوده للكائنات قولاً وفعلاً حسبما ظهر من علم الشريعة، فهو يدور مع الحق كيفما دار، وهذا مقام شريف قل من دام عليه على استقامته وذلك لصعوبته على كثير من الخلق إذا علمت ذلك تعلم أن المفرق ليس هو من شغلته الكائنات عما للحق من الحقوق بشاهد حكم الشريعة لأنه مبعد عن الرحمات، واقع في الهلكات أعاذنا الله من ذلك.

(قوله: والجامع والمفرق في الحقيقة هو الله الخ) من ذلك تعلم أن حقيقة الجمع تحصل للعبد بشهود الحق تعالى في حضرة وحدته، وأنَّ الأكوان بأسرها صادرة منه وإليه عائدة، ولا يتم له ذلك إلا إذا تخلص من الكثرة وقيد الوثاق حتى تضمحل ذاته، ويفنى صفاته ويبقى حقاً بلا خلق فيشاهد حينئذٍ نفسه بالصفات التي تحجب بها عنه وأنه هو المحبوب بعينه لا محالة، وأن الذي أحاله على معرفته هو هو، فهو المحيل وهو المحال، وإنَّ هيمانه في طلبه عليه إنما كان به ومنه وإليه، فإذا وصل المحقق إلى الجمع المطلق صار غيباً في الذات الأحدية فصارت تلك العين عينه وصفاتها صفاته، وبها تحجب عنه كما بها شاهد عينه وذاته وتبين أنَّ المحب هو المحبوب، ثم إذا تحقق بالفرق، فيرجع إلى مشاهدة الخلق الجديد بعد الاستهلاك في المبدىء المعيد، والله أعلم.

(قوله: الفرق ما نسب إليك) أي من الأقوال والأفعال فضلاً من الله ورحمة وإلاَّ فالنسب والإضافات لا حقيقة لها في خارج الأعيان فمن شهد أفعال نفسه فقد تفرق، ومن غاب عنها فقد تحقق، وقد أشار إليه عارف زمانه وعاشق أوانه حيث قال:

حليف غرام أنت لكن بنفسه ... وأبقاك وصفاً منك بعض أدلتي

فلم تهوني ما لم تكن فيَّ فانياً ... ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

فهو يريد أن المحب وإنْ لازمه الغرام، ولم يفن عن نفسه فيما أحبه من نعوت محبوبه فهو مغرم بنفسه لا بمحبوبه مع أنه قد قيل ما توقف لك مطلب أنت طالبه بربك، ولا تيسر لك مطلب أنت طالبه بنفسك، وأشار إلى مقام الغيبة عما للحق استغراقاً فيه حيث يقول:

لها صلواتي بالمقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لي صلت

ما يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية، وما يليق بأحوال البشرية، فهو فرق، وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء) أي: إصابة **(لطف وإحسان فهو جمع، هذا أدنى أحوالهم في الجمع والفرق لأنه)** أي: أدنى أحوالهم كائن **(من شهود الأفعال، فمن أشهده الحق سبحانه أفعاله من طاعاته ومخالفاته فهو عبد بوصف التفرقة)** بين العابد والمعبود **(ومن أشهده الحق سبحانه ما يوليه)** أي: يعطيه **(من أفعال نفسه سبحانه فهو عبد بشاهد)** أي: بوصف **(الجمع)** بمعنى مجموع الهمة على الحق تعالى **(فإثبات)** أحوال **(الخلق)** عند العبد **(من باب التفرقة وإثبات)** أحوال **(الحق)** عنده **(من نعت الجمع ولا بد للعبد)** في سلوكه لمولاه **(من الجمع والفرق فإن من لا تفرق له لا عبودية له ومن لا جمع له لا معرفة له فقوله إياك نعبد إشارة إلى**

كلانا مصل واحد ساجد إلى | حقيقة بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي، ولم تكن | صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

أقول، وما يمكن يفهم هذا المشهد إلّا بضرب مثل ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وهو مرآة صقيلة حاذتها صورة جميلة، فظهرت فيها بنعوتها وتجلت فيها بوجهها، فهل ترى المرآة حلت في الصورة أو الصورة حلت في المرآة، فكما أن المرائي تظهرفيها الصورة الواحدة بتجليات متنوعة مختلفة باختلاف ذات المرآة وصقالتها واستقامتها، وانتكاسها واستطالتها واستدارتها كذلك شهود الحق في مرائي قلوب الخلق بهذا لاعتبار شعر:

رق الزجاج وراقت الخمر | فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح | وكأنما قدح ولا خمر

فافهم. **(قوله: والجمع ما سلب عنك)** أي باعتبار باطن الأمر ونفس الحقيقة.

(قوله: إنّ ما يكون كسباً الخ) أي بحسب ظاهر الحال وحكم الشريعة. **(قوله: فهو عبد الخ)** أي فهو الجدير باسم العبد لله حيث هو قد تحقق بمقام العبودية، وقام باعباء التكاليف الشرعية، فهو بوصف شهود الحق وما له، والخلق وما لهم.

(قوله: من أفعال نفسه سبحانه) أي من الذي حصل له بواسطة الفضل الإلهي مما لا مدخل للعبد فيه بشيء من أنواع الكسب. **(قوله: بشاهد الجمع)** أي حيث شهد أن الأمر من الله وبالله، وإلى الله والله أعلم. **(قوله: فإثبات أحوال الخلق)** أي بحكم الشريف، وظاهر الحال وقوله وإثبات أحوال الحق أي بحكم الحقيقة ونفس الأمر. **(قوله: ولا بد للعبد الخ)** أي لا غنى له من جهة عبوديته في حال سلوكه وصفته فيه من الجمع والفرق أي لأجل تحقيق ما للعبد وما للحق كما هو المقصود من حكمة الإيجاد والاختراع. **(قوله: فإن من لا تفرقة له الخ)** أي لأن التكليف لا يتم ويتحقق إلا بتحقق

الفرق) المقتضي للتفرقة بين العابد والمعبود، **(وقوله: وإياك نستعين إشارة إلى الجمع)** المقتضي للتبري من الحول والقوة، إلا بالحق، ويقال فلان في عين الجمع أي: بعين استيلاء مراقبة الحق على باطنه فإذا عاد إلى شيء من أعماله عاد إلى التفرقة، ثم ذكر نوعاً آخر من التفرقة والجمع أرفع مما مر فقال **(وإذا خاطب العبد الحق بلسان نجواه إما سائلاً أو داعياً أو مثنياً أو شاكراً أو متنصلاً)** من ذنبه **(أو مبتهلاً)** أي متضرعاً **(قام في محل الفرقة)** وإن رأى ذلك من قبل ربه لكونه يرى نفسه سائلاً أو داعياً أو غيره، **(وإذ أصغى بسره إلى ما يناجيه به مولاه واستمع بقلبه ما يخاطبه به فيما ناداه أو ناجاه أو عرفه معناه ولوح)** به **(لقلبه وأراه فهو بشاهد الجمع)** لما غلب على قلبه من فعل ربه وكونه محلاً لجريان لطفه به. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: أنشد قوال بين يدي الأستاذ أبي سهل الصعلوكي رحمه الله، جعلت تنزهي نظري إليك وكان أبو القاسم النصر أباذي رحمه الله حاضراً فقال الأستاذ أبي سهل جعلت بنصب)** وفي نسخة بفتح **(التاء فقال النصر أباذي، بل جعلت بضم التاء**

العبودية التي بها يثبت ما للعبد، ويتميز مما للرب وقوله: ومن لا جمع له لا معرفة له أي لأن المعرفة هي شهود الفعل له سبحانه وتعالى كما يشير إليه قوله جل جلاله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]. **(قوله: فقوله إياك نعبد الخ)** وجه التفرقة والجمع فيما ذكر أن في قوله نعبد الاستقلال اعتباراً بظاهر الحال، وفي قوله نستعين الرجوع إلى قوة الكبير المتعال. **(قوله: أي بعين استيلاء الخ)** يشير الشارح إلى أنه متحقق بمقام الإحسان أي بالدرجة الثانية منه، ولو حمله على الأولى منه لكان أظهر، وقوله فإذا عاد إلى شيء من أعماله أي إلى شهودها صادرة منه باعانة الحق تعالى لا استحساناً لها ولا وقوفاً معها لأن ذلك حجاب عظيم. **(قوله: قام في محل التفرقة)** أي حيث اتصف بنعت العبودية بالتذلل والخضوع لأجل التعرض إلى نفحات الربوبية، والله أعلم. **(قوله: قام في محل التفرقة)** اعلم أن الكمال في الكمال فإنه لا يتم حال الواصل، ولا يكمل أمره إلا بكمال متابعته لصاحب الكمالات ﷺ، فإنه لم يخمد نور توحيده نور ورعه وزهده، ولا محبته ومحبوبيته سرادقات شريعته، وطريقته عن النفوذ في عالم حقيقته، بل كان يعطي كل ذي حق حقه، وبذلك أمر ﷺ، فالحقيقة بدون شريعة وطريقة باطلة والشريعة والطريقة بدون حقيقة عاطلة، فمن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه، ولم يتصوف فقد تعسف، ومن تفقه وتصوف فقد تحقق والله أعلم.

(قوله: وإذا أصغى الخ) أي وكل ذلك لا يتم للعبد إلا بعد فناء سائر مراداته في مرادات سيده وأقضيته. **(قوله: لما غلب الخ)** يشير بذلك إلى أن ثبوته في تلك الأحوال بحكم الغالب من أحوال الحقيقة الذي يظهر منه أن الحكم كذلك، وإن بقي إحساسه في

فقال الأستاذ أبو سهل: أليس عين الجمع أتم) لأن نسبة الأفعال إلى الله أتم من نسبتها إلى العبد (فسكت النصر أباذي) تسليماً للصعلوكي واعترافاً بفضيلة ما قاله. (وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي أيضاً يحكي هذه الحكاية على هذا الوجه ومعنى هذا أن من قال جعلت بضم التاء يكون إخباراً عن حال نفسه فكان العبد يقول هذا من عنده، وإذا قال جعلت بالفتح فكأنه يتبرأ من أن يكون ذلك بتكلفه بل يخاطب مولاه فيقول أنت الذي خصصتني بهذا لا أنا) الذي فعلته (بتكلفي فالأول على خطر الدعوى) لنفسه (والثاني بوصف التبري من الحول و) بوصف (الإقرار بالفضل والطول) أي: الغنى (وفرق بين من يقول بجهدي أعبدك وبين من يقول: بفضلك ولطفك أشهدك وجمع الجمع فوق هذا) وقد أخذ في بيانه مع بيان الجمع أيضاً بنوع آخر فقال (ويختلف الناس في هذه الجملة على حسب تباين أحوالهم وتفاوت درجاتهم فمن أثبت نفسه وأثبت الخلق) أي: سائرهم وشاهد إيقاع أفعاله طاعة لله

التلذذ بتلك الأحوال السنية. (قوله: أليس عين الجمع أتم) أي أكمل من الحمل على عين الفرق، أقول: ولعله قد أطلع على وصول المنشيء إلى هذا المقام، أو وهو من باب تحسين الظن به حيث حمل حاله على أكمل الأحوال، ومن وارد الجمع أيضاً ما نقل عن العارف الوفائي قدس الله سره حيث قال شعراً:

كنت قبل اليوم حائر ... في زوايا الكون دائر
والذي يهواه قلبي ... لم يزل في القلب حاضر

إلى أن قال:

جمع الله شتاتي ... فتوالت فرحاتي
وغدا محبوب قلبي ... عين ذاتي وصفاتي

وهذا المقام يشهد، ويعقل ولا يسأل عنه لكن يتفهم فيه ويتعقل كما قيل:

قد كان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

فإن لم يهتد عقلك إلى ما ذكرناه فانصف من نفسك، فهل كلما صنف العلماء من صنوف العلوم وفنونها تهتدي إليه عقول العامة هيهات، بل يبقى العالم مع ذوي طبقته في كل فن متنعماً مترنماً بتلك المباحث الرشيقة والإشارات الدقيقة، ويبقى من دونه كغريب من لغته وكجنس آخر من غير جنسه فافهم.

(قوله: يقول هذا من عنده) أي وقوفاً مع الأسباب وقوله: فكأنه يتبرأ أي رجوعاً إلى شهود الفاعل المختار. (قوله: فالأولى على خطر الدعوى) أي المخاطرة فيها بنفسه حيث نسب لنفسه حالاً أو مقاساً. (قوله: وفرق بين من يقول الخ) أي اعتباراً بظاهر الحال، وإلا فالكل يعلم أنه بتوفيق من الكبير المتعال. (قوله: فمن أثبت نفسه الخ) أقول

تعالى، فهوَ بعين التفرقة إن أثبت ذلك **(ولكن شاهد)** معه **(الكمل قائماً بالحق)** أي: بسببه بأن شاهد أفعاله جارية عليه فضلاً من الله **(فهذا هو جمع)** أي: نوع آخر من الجمع **(وإذا كان مختطفاً عن شهود الخلق مصطلماً)** أي؛ مستأصلاً يعني غافلاً **(عن نفسه مأخوذاً بالكلية عن الإحساس بكل غير بما)** أي: بسبب ما **(ظهر واستولى)** عليه **(من سلطان الحقيقة)** وهي الحالة التي يغلب فيها على القلب أدرك الحق تعالى **(فذاك جمع الجمع فالتفرقة شهود الاغيار)** طاعة**(لله عز وجل والجمع شهود الاغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية، وفناء الإحساس بما سوى الله تعالى عند غلبات**

وهذه الطريقة هي الجادة في مثل هذا الحين فلا ينبغي أن ينظر العبد إلى الحق ويعريه عن الخلق، ولا أن ينظر إلى الخلق إلا ويكسوهم بالحق لأن الرب يستدعي مربوباً، والخالق يستدعي مخلوقاً، فإذا عرّيت الحق من نسمة الخلق لزم ما لا يخفى من هدم أركان الشريعة، وسد أبواب الطريقة، وإذا قصرت النظر على ظاهر الحال في الخلق لزم من ذلك إثبات فاعل معه سبحانه وتعالى، فطريق النصفة أن تنظر إليهم بظاهر علم الشريعة في التكليف مع يقين أنه تعالى الفاعل لكل خسيس وشريف لأنه لو نفى ذلك لزم أن لا يكون للخلق وجود في الوجود، ويلزم الرد على الكتاب والسنة إذ كل كائن له اسم يخصه وجنس يعرف به، ونوع وصنف كذلك، وقد أثبت تعالى الجنة والنار وغيرهما من الملكيات والملكوتيات، فلو فرض ذرة خلت عن الوجود الحق لما كان لشيء وجود أصلاً.

(قوله: فهذا هو جمع) أي وهو إنما يتحقق للعبد إذا فنيت صفاته في صفات الحق سبحانه وتعالى وأفعاله في أفعاله.

(قوله: وإذا كان مختطفاً الخ) أي مع أن مثل هذا في مثل هذا المقام الشريف محفوظ عليه وظائف عباداته وأوراده مع توالي وروده مناهل وارداته التي قد فني فيها عن كامل مراداته، واختطف لأجلها عن جميع حركاته وسكناته، فهو مستهلك في مقام الوجود متحقق بدوام الشهود. **(قوله: مصطلماً الخ)** اعلم أنّ الاصطلام الوله الغالب على القلب، وهو قريب من الهيمان. **(قوله: فذاك جمع الجمع)** أي وهو لا يتم التحقق به لأحد إلاّ بعد الفناء عن الأفعال والصفات والذوات، فلا فاعل إلا الله ولا حي إلاّ الله ولا موجود إلا الله. **(قوله: شهود الاغيار بالله)** أي فهو لا يتحقق إلاّ لمن علم وتيقن أنّ جميع حركاته وسكناته إنما تصدر منه باعانة الله وأقداره، وأنه محل لجريانها لا حول له فيها ولا قوّة.

(قوله: عند غلبات الحقيقة) أقول ويعلم كونها حقيقة بثلاثة أمور: كونها جارية بحكم التصريف بدون اختيار، وكونها مجملة مجموعة ناكتة في القلب خارجة عنه خروج السهم من القوس من محل الرمي وظهور معناها، وبيان وجهها وتفصيلها بعد وعيها،

الحقيقة) فالحاصل أن من كانت أفعاله لله تعالى وشاهدها طاعة له تعالى فهو في التفرقة، ومن شاهدها جارية عليه فضلاً من الله فقد شاهدها بالله فهو في الجمع، ومن غفل عنها وعن نفسه شغلاً بالله فهو في جمع الجمع، **(وبعد هذا)** أي جمع الجمع **(حالة عزيزة)** شريفة **(يسميها القوم الفرق الثاني)** أي: التفرقة الثانية بالنسبة للتفرقة الأولى **(وهو أن يردّ العبد)** بعد استغراقه **(إلى الصحو عند أوقات أداء الفرائض ليجري عليه القيام بالفرائض في أوقاتها فيكون رجوع لله)** أي: لطاعته **(بالله تعالى لا للعبد)** أي: لأفعاله **(بالعبد فالعبد يطالع نفسه في هذه الحالة في تصريف الحق سبحانه يشهد مبدىء ذاته وعينه بقدرته و)** يشهد **(مجرى أفعاله وأحواله عليه بعلمه ومشيئته)** بضم ميم مبدىء ومجري والحاصل أن التفرقة الأولى، وقوف مع أحواله وأعماله وإيقاعه طاعة لربه، والثانية أن يردّ إلى نفسه بعد إستغراقه ليوقع فرض ربه عليه في وقته، ثم يرجع إلى ما كان فيه من حالة، وإنما كانت هذه عزيزة شريفة لكمال حفظ الله لمن أوصله إليه، وحفظ وقته عليه ولو دام استغراقه لم يكن آثماً لعذره لكن رجوعه إلى القيام بوظائفه زيادة فضيلة له عند ربه، وبالجملة فرق بين أن يدرك طاعته بنفسه، وهو مدرك لها، وأن يدرك نفسه في طاعته مصرفاً فيها، فهو في

فأرباب الحقائق تجري عليهم بحكم التصريف لا علم لهم بها على التفصيل، وعند فراغهم من النطق بها يظهر لقلوبهم برهان ما قالوا بشواهد العلم، والله أعلم. **(قوله: وبعد هذا حالة عزيزة)** أي وعزتها لشرفها وندرتها فيكون من تحلى بنعتها في مقام إرشاد عباد الله المؤمنين. **(قوله: يسميها القوم الفرق الثاني)** أي وهو الإعادة إلى الإحساس بعد المحو بغلبات الحقيقة، ويكون الصحو حينئذٍ بشعائر الشريعة.

(قوله: وهو إن يردّ العبد الخ) محصله أنه شهود الخلق قائماً بالحق. **(قوله: فيكون رجوعاً الخ)** إن قلت إن غيره من أفراد الرجوع كذلك قلت نعم غير أن الفرق الشهود والذوق في هذا وعدمه في غيره فافهم. **(قوله: فيكون رجوعاً الخ)** اعلم أن هذا الفرق الثاني هو الخلق المحمدي الخاص دوامه به والله أعلم. **(قوله: وبالجملة فرق بين أن يدرك الخ)** أي حيث هو باقٍ لم يفن عن أفعاله بخلاف الثاني لفنائه عن أفعال نفسه في أفعال الحق تعالى، وقوله: لم يخرج من جمع الجمع أي الذي هو فناء الأفعال في الأفعال والصفات في الصفات والذوات في الذوات، وقوله: لم يخرج من جمع الجمع إليها أي الحالة الأولى للتفرقة، بل مرده إلى الجمع أي لأنه متحقق بالفناء عن الأفعال لنفسه في أفعال الرب سبحانه وتعالى، وذلك من وجوه الجمع، فتدبر ومحصله أن الحالة الأولى لم يفن صاحبها فيها عن صفاته، والثانية قد فني فيها عن صفات نفسه في صفاته تعالى، وتقدّم أن ذلك من وجوه الجمع الثلاثة فتدبر.

التفرقة الثانية لم يخرج من جمع الجمع إليها، بل يرده إلى الجمع بخلاف الأولى، فإن رجوعه فيها إلى نفسه، وإداركه عمله خروج عن الجمع بالكلية. ثم ذكر نوعاً آخر من التفرقة والجمع، وهو بالنظر إلى ما سبق للخلق في الإرادة الأزلية فقال **(وأشار بعضهم بلفظ الفرق والجمع إلى تصريف الحق جميع الخلق فجمع الكل)** من الخلق **(في التقليب والتصريف من حيث إنه منشىء ذواتهم ومجري صفاتهم)** فصاروا مجموعين لدخولهم فيما سبق لهم عنده **(ثم فرّقهم في التنويع ففريقاً أسعدهم وفريقاً أبعدهم وأشقاهم وفريقاً هداهم وفريقاً أضلهم وأعماهم، وفريقاً حجبهم عنه وفريقاً**

(قوله: وأشار بعضهم بلفظ الخ) محصله أن الجمع باعتبار رتبة المتمسكين بقدرة رب العالمين، والتفريق بما قدّر لهم بحكمة أحكم الحاكمين، وإيضاحه أن الجمع على هذا الوجه معناه أنه جمع جميع الخلق في تصريف الإبداع، والاختراع لذواتهم، وفرّق بتصريف الحكمة الباهرة في مجاري صفاتهم، فصاروا مجموعين مفرّقين بهذا المعنى.

(قوله: ففريقاً أسعدهم الخ) تأمّل مع أن الكل عبيد ومحل مظاهر التسديد غير أن الحق بما له من الجلال لا يسأل عن سر الأفعال، فالله يرزقنا السلامة بالتسليم حتى نصل إلى النعيم المقيم هذا، واعلم أن هذا التفريق بمقتضى مظاهر الأسماء والصفات لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

(قوله: وفريقاً هداهم) أي دلهم دلالة موصلة، وقوله وفريقاً أضلهم أي حيث لم يقدّر دلالتهم وإرشادهم فأعماهم بجهالاتهم، وقوله: وفريقاً حجبهم أي حيث أوقفهم مع الآثار والصور مع غفلتهم عن المؤثر والمصوّر، وقوله: وفريقاً جذبهم أي حيث استولى على قلوبهم، فغلب ذكره عليها فلم يشاهدوا غيرا، وقوله: وفريقاً آنسهم بوصلته أي حيث جعل قلوبهم مطمئنة ساكنة مؤمنة راضية مرضية، وقوله: وفريقاً آيسهم من رحمته أي حيث أوقع القنوط من رحمته تعالى في قلوبهم بكفرهم وطغيانهم، وقوله: وفريقاً أكرمهم بتوفيقه أي حيث قدّر سعادتهم أزلاً على حسب باهر حكمته العلية وعلمه القديم، وقوله: وفريقاً اصطلمهم أي حيث جعل في قلوبهم محبته ومحبة رسوله ﷺ، وقوله: أي غيبهم أي جعلهم غائبين عن الخلق غير ملتفتين إليهم بسبب ما شاهدوا من انفراده تعالى في الملك فهم قوم قد أعرضوا عن الكل بالواحد الأحد فوجههم إلى أنوار الحقيقة وغيبهم في لجج الطريقة نفعنا الله ببركاتهم وقوله: عند رومهم أي طلبهم، وقوله: وفريقاً أصحاهم الصحو حالة تقتضي التصرف بالاختيار والسكر بخلافه، والحضور شهود الخلق بالحق، والفرق شهود الحق والخلق والفناء شهود الحق بلا خلق، والغيبة عدم الشعور بالخلق فمن لم يقدر على ضبط حركاته فالسكران ومن تصرف على حسب حاله باختياره، فهو الصاحي، ومن توله بسبب شدّة هيمانه فهو المحب المحبوب، ومن شهد تصرف

جذبهم إليه وفريقاً آنسهم بوصلته، وفريقاً آيسهم من رحمته وفريقاً أكرمهم بتوفيقه وفريقاً اصطلمهم) أي: غيبهم **(عند رومهم لتحقيقه، وفريقاً أصحاهم، وفريقاً محاهم وفريقاً قرّبهم وفريقاً غيبهم)** مطلقاً **(وفريقاً أدناهم وأحضرهم، ثم سقاهم، فأسكرهم وفريقاً أشفاهم وأخرهم، ثم أقصاهم وهجرهم، وأنواع أفعاله لا يحيط بها حصر، ولا يأتي على تفصيلها شرح ولا ذكر)**، فالحاصل أن الجمع باعتبار أن كل ما هم فيه مراد له تعالى سابق لا يتغير ولا يتبدل، والتفرقة باعتبار ما خص كلا منهم به من قدره وأجراه عليه في أبده، **(وأنشدوا للجنيد رحمه الله في معنى الجمع والتفرقة: وتحققتك)** بأن أفردتك يا رب **(في سري)** هذا جمع **(فناجاك لساني)** هذا تفرقة ولذلك قال **(فاجتمعنا لمعان)** وهي حال الحقيقة **(وافترقنا لمعاني)** وهي حال العبادة

الخلق بتصريف الحق فهو المجموع، ومن شهد لهم نسبة فهو المفرّق، ومن لم ير لهم نسبة أصلاً فهو الفاني المصطلم، ومن رأى وجودهم راجعاً إليه فهو الباقي. **(قوله: وفريقاً اصطلمهم الخ)** أي فهم قد غرقوا في بحار الأنوار قد انطمست عندهم الآثار قد غلب جمعهم على فرقهم وسكرهم على صحوهم، وغيبتهم على حضورهم، وهذه البحار هي بحار أنوار معاني الأسماء والصفات، فهم لم يقفوا على ساحل الآثار الذي هو من مواقف النجاة، بل كانوا على قدم من قال خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله، وهو أبو يزيد **(وأقول)** والله الموفق أن هذا منه نفعنا الله بعلومه اعتراف بالنقص والجهل لأن خوض البحر من الجهل بهوله والوقوف بالساحل من المعرفة بقدره فالخائض قد تعرّض للهلاك، والواقف قام مع النجاة يمكنه إستخراج حليته وطعامه ما لا يمكن الخائض، فافهم، والله أعلم.

(قوله: وفريقاً أدناهم وأحضرهم الخ) أي قرّبهم ووفقهم لحضور قلوبهم في ذكره، وقوله: ثم سقاهم أي أذاقهم لذة مناجاته حتى أشبهوا السكارى في غيبتهم بسبب ذوق تلك اللذة. **(قوله: وتحققتك في سري الخ)** أي حيث تجليت على قلبي بأنوار عظمتك فشهدتك في أحديتك وواحديتك بعد تلاشي أفعالي وصفاتي وذاتي في أفعالك وصفاتك وذاتك، ثم بعد ذلك أعدتني وأرجعتني إلى إحساسي فناجاك لساني بالرضا والتسليم لمراداتك فاجتمعا أي اجتمع كل من التحقق بك والمناجاة لك على معنى أنهما قد وجدا لا مع التصاحب بل على وجه التعاقب، وقوله: لمعان وهي الجمع في حالة التحقق والتفرق في حالة المناجاة، وقوله: وافترقنا لمعان، وهي تحقيق رتبة العبودية حيث هي محل التصريف له تعالى على ما يوافق حكمته العلية، وقوله: إن يكن غيبك التعظيم معناه حجبتني عظمتك عن مشاهدتك ببصري في هذه الدار فلقد صيرك الوجد بسبب ما يرد على قلبي من أنوارك البهية من الأحشاء دان باللطف والإحسان، والله اعلم. **(قوله: أي**

(ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني) في الدنيا بأن لا أراك فيها ببصري لجلالك وضعفي (فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني) أي: قريباً مني بتفضلك عليّ فأراك في الدنيا ببصيرتي. (وأنشدوا) أيضاً (إذا ما بدا لي) الحق (تعاظمته) فغبت فيه هذا جمع (فأصدر في حال من لم يرد) هذا تفرقة أي فأرجع إليه في وصف من لم يرد محل الورود بل ردّني إليه بفضلك، فاستغرقت فيه فقد (جمعت وفرّقت عني) أي: عن نفسي (به) فالجمع والتفرقة منه وهو واحد وأنا المفرّق المجموع في حالين (ففرد التواصل) فالفرد الذي هو محل التواصل بينه وبين مولاه (مثنى العدد) أي اثنان من العدد باعتبار كونه مفترقاً ومجموعاً وهما الحالان:

ومن ذلك الفناء والبقاء

وقد بينهما فقال (أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة) أي: ذهابها عن

قريباً مني بتفضلك عليّ الخ) اعلم أن معنى الدنوّ والقرب هو ما أشار إليه الشارح، ولذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨] من ظنّ أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة إنما التداني أنه كلما قرب منه بعد عن أنواع المعارف إذ لا دنو ولا بعد اهـ. والحاصل أن القرب إذا أضيف إليه تعالى فيراد منه في حق الخاصة بالنصرة والكلاءة قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ومع العامة بالعلم المحيط قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧] فافهم.

(قوله: إذا ما بدا لي الخ) أي إذا ظهر وانكشف لي نور الحق بسابق اللطف والإحسان تعاظمته بسبب شهودي لتجليات جلاله وعظمته، فأتلاشى بجملتي تحققاً بوجوده الحق، وترقياً إلى مراتب جمع الجمع وقوله: فأصدر في حال من لم يرد أي فأرجع في صفة من لم يرد محل الورود، وذلك للتجرد في نفسي عن سائر مراداتي فهاتان الحالتان من الجمع تارة والتفرق أخرى منه تعالى وبه وفيه، ولذا قال جمعت وفرّقت عني أي فلا تأثير لغيرك في ذلك، ولا في غيره من الكائنات وقوله ففرد التواصل مثنى العدد أي فهو واحد في ذاته، وإنما التعدد بحسب التعينات وبحسب الجمع والتفرقة، والله أعلم. (قوله: الفناء والبقاء) اعلم أنّ بعض المحققين قد ذكر أن أقسام الفناء عشرة باعتبار رتب المقرّبين من عباد الله، وذلك أن لكل منهم بداية وهي رتبة أولى، ولا بدّ لها من باب يدخل منه، وهي رتبة ثانية، ثم إذا دخل احتاج إلى معاملة لائقة به في سلوكه، وهي رتبة ثالثة، وإذا عامل مولاه بصدق وتخلق بأخلاق محمودة، فهي رتبة رابعة، وإذا تهيأ بحسن التخلق اشتاق إلى التعلق، ولا بدّ له من أصول يبني عليها سلوكه، فتحققه فيها رتبة خامسة، ولا بدّ له في طريقه من ملاقاة الشدائد تسمى أودية، وهي رتبة سادسة، ثم يعبر أحوالاً، وهي رتبة سابعة، ثم يتصف بجميل

العبد (وأشاروا بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة به، وإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين فمن المعلوم) لكل عاقل (أنه إذا لم يكن أحد القسمين) موجوداً

الصفات، ويجتمع همه بعد الشتات، وهي رتبة ثامنة، ثم يغفل عن نفسه لكمال شغله بربه، وهي رتبة تاسعة، ثم يبلغ إلى النهايات، وهي الرتبة العاشرة، فمن أجل ذلك يكون الفناء عن العادات، والمألوفات بامتثال المأمورات، وفي الأبواب عن الهيآت الطبيعية النفسانية بالهيآت النورانية القلبية في المعاملات كالفناء عن الأفعال البشرية بالأفعال الإلهية، وفي الأخلاق بالفناء عن الملكات النفسانية بالأخلاق الإلهية، وفي الأصول بالفناء عن إرادة الأغيار وطلبها بإرادة الحق وطلبه، وفي الأودية بالفناء عن العلوم الرسمية، والحكم العقلية بالعلوم اللدنية والحكم الإلهية، وفي الأحوال بالفناء عن التعلق بالأكوان ومحبتها بمحبة الحق ذي الامتنان، وفي الولاية بالفناء عن الصفات، والتوجه إلى الذات، وفي الحقائق بالفناء عن الرسول مع بقاء البقية الخفية، وعدم الشعور بالأثنينية النورية الموجبة للتعدد وهو مقام الخلة. قال الشيخ أبو محمد رزبهان البقلي في كتاب لوامع التوحيد يكون الفناء من رؤية العز السرمدي، والكبرياء الأبدي واستغراق السر في بحر أنوار الهوية وسبحات الصفات الصمدية، وذلك من كثرة مطالعة الروح وجود الحق سبحانه وتعالى، ثم بعد هذا فأقول لك قد اختلفت عبارات المشايخ في معنى الفناء وذلك على حسب ما وجد كل منهم من شربه، وحظه على طريق حكمة ربه، ثم اعلم أنه لا يلزم من الفناء بأنواعه أن يغيب العبد عن إحساسه، بل قد يتفق ذلك في بعض الأشخاص في بعض الأحايين فليس من ضرورة الفناء على اختلاف معانيه، بل قد يتسع وعاء العبد مع تحققه بالفناء روحاً وقلباً، فلا يغيب عن كل شيء يجري من قول أو فعل فيكون مرجعه أن يكون في كل فعل وقول مرجعه إلى الله تعالى، وينتظر الإذن في كليات أموره ليكون فيها بالله تعالى لا بنفسه إذ التفرقة بدون جمع زندقة، وأما معنى البقاء المعدود من اصطلاحات أهل التصوّف، فقال الشيخ العارف عبد الله الأنصاري في المنازل البقاء اسم لما بقي بعد فناء الشواهد يعني الأدلة والآثار، فهو على ثلاثة أقسام بقاء المعلوم بعد سقوط العلم فمعناه أن يكون عيناً لا علماً، والثاني بقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجوداً لا نعتاً، والثالث بقاء ما لم يزل حقاً بأسقاط ما لم يكن محواً يعني بقاء المعلوم عيناً لأن بقاء المعلوم علماً لا عيناً بقاء للعلم، فإذا تجلى المعلوم له أخذه عن مطالعة علمه بالمعلوم، ويعني بسقوط الشهود كونه شاهداً وببقاء الشهود كونه وجوداً لا نعتاً فمعناه أن الباقي لا يصح له البقاء ما لم يشاهد العبد المشهود وجوده شهوداً عيانياً حالياً وصفياً، فإن النعت وصف صاحب الوجد والوجود عين الموجود وبقاء ما لم يزل حقاً معناه أنه عند ظهور سلطان الحقيقة ينمحي عنه ذكر كل شيء مما لم يكن، ثم كان ويبقى في شهوده الحق الغالب على كل شيء مشغولاً به عن غيره حتى عن نفسه، فالشهود فوق العلم، والوجود فوق الشهود لأنه بالموجود يفنى الشاهد وشهوده، وقيل في معنى البقاء غير ما ذكرناه وفيما ذكرناه كفاية. وقال

الشيخ عبد الله الأنصاري الفناء في هذا الباب اضمحلال ما دون الحق علماً، ثم جحداً، ثم حقاً أي لا يكون له علم بغير الله لتحققه بعلم الله، ثم يرتقي حتى يصير الغير في حقه كالمعدوم، ثم يغيب عنه وجوداً بالحق وذوقاً، فالأوّل فناء العلماء بالله، والثاني فناء السالكين وأرباب الأحوال، والثالث فناء العارفين المستغرقين في الله المحبين له، فالفناء على ثلاث درجات فناء المعرفة في المعروف، وفناء العيان في المعاين وفناء الطلب في الوجود **(أقول)** ومن الإشارة إلى الفناء ما روي أن عبد الله بن عمر سلم عليه إنسان، وهو في الطواف، فلم يرد عليه فشكاه إلى بعض أصحابه، فقال له: كنا نتراءى الله في ذلك المكان، وقال الفناء الغيبة عن الأشياء كما كان لموسى عليه السلام حين تجلى ربه للجبل، فتلخص أن الفناء والبقاء يدوران على إخلاص الوحدانية، وصحة الربوبية وذل العبودية، وما كان غير هذا فهو المغاليط الزندقية، وفي عبارة بعضهم الفناء على ثلاث درجات فناء الظاهر، وهو مسلوبية العبد عن إرادته واختياره بتجلي الحق عليه بصفة الفعالية، ويسمى فناء الأفعال، وفناء الباطن وهو مغلوبية صفاته في سلطنة أنوار الصفات القديمة الأزلية، ويسمى فناء الصفات، وفناء سر الباطن الذي هو ذات العبد، فإن الأفعال هي حجاب الصفات، فالصفات باطنها والصفات هي حجاب الذات، فالذات باطنها وسرها، ولذا يسمى فناء الذات، وهو كناية عن مغلوبية ذات العبد في إشراق أنوار عظمة الذات، وأحديتها، فهناك يستولي على باطنه أمر الحق، فلا يبقى له هاجس، ولا وسواس هذا، والتحقيق الذي لا يصح العدول عنه بحال أن تقول التفرقة بلا جمع زندقة كما وقع للدهرية والجمع بلا تفرقة إلحاد لأنه يؤدّي إلى أن يقول صاحبه باتحاد وجود الكون والمكوّن كما ترشح في إناء بعضهم لضيقه فقال أنا الله، وليس في جبتي سوى الله وسبحاني ما أعظم شأني فحينئذٍ لا بدّ لصحة العبودية من التنزل عن عالم الجمع إلى عالم التفرقة، ويقال لهذا البقاء، وفرق بين التفرقة الأولى قبل الجمع والثانية التي بعده كما لا يخفى على من له المام.

(قوله: فقال الخ) محصله أن الفناء والبقاء باعتبار ما للعبد من الأخلاق والأوصاف الذميمة والحميدة، فإذا تجرد عن الذميمة وتحلى بالحميدة ترقى إلى الأحوال والمقامات بهذا الاعتبار، وسيأتي أن الفناء كما يكون باعتبار الأوصاف قد يكون عن الأشخاص وعن العلوم وقد أشار سيد عشاق زمانه ويتيمة عقد أهل عرفانه إلى نوع من الفناء حيث قال:

ومنذ عفار سمي وهمت وهمت في	وجودي فلم تظفر بكوني فكرتي
وبعد فحالي فيك قامت بنفسها	وبنيتي في سبق روحي بنيتي
ولم أحك في حبيك حالي تبرما	بها لاضطرار، بل لتنفيس كربتي
ويحسن إظهار التجلد للعدا	ويقبح غير العجز عند الأحبة

الدنيا **(ظهرت عليه الصفات المحمودة)** كزهده في الدنيا **(ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة)** على أنّ جماعة لم يخصوا ذلك بالأوصاف المذمومة، بل قالوا تارة يفني العبد عن الأشخاص أي: يذهب عنه وتارة يذهب عنه العلوم بالمعلومات، وتارة تذهب عنه الأخلاق المذمومة وتارة تذهب عنه الأحوال شغلاً بمحولها. **(واعلم أنّ الذي يتصف)** وفي نسخة خص **(به العبد أفعال وأخلاق وأحوال، فالأفعال تصرفاته باختياره)** وكسبه **(والأخلاق جبلة)** أي: طبيعة **(فيه ولكن)** قد **(تتغير بمعالجته على مستمر العادة))** أي: العادة المستمرة **(والأحوال)** موهبة **(ترد**

فمراده رضي الله عنه أنه لما اندرس رسمه عن التماسك تعجباً، أو حيرة بث شكواه لأحبته والرسم ما بقي من الأثر، وقوله: همت أوّلاً من الهيمان، وهمت ثانياً من الوهم، فهو عند الوقوع في عين القدم ومعاينة سلطان الأزل، وبالغرق في بحر الكشف خرج على وجهه لا يدري أين يتوجه غالطاً في وجوده، فكان عنده كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، وإليه أشار بقوله فلم تظفر بكوني فكرتي، ويشير بقوله: وبعد فحالي الخ إلى أن ما ذكر لا يبعد لأنه لا يشترط في قيام الحال وثبوتها بقاء الجسم، وشاهده أن روحي سبقت جسمي، وكانت قائمة بنفسها فما كانت الروح قائمة به قامت به حالي بعد فناء جسمي وروحي، ثم هو يشير إلى أن ما ذكره ليس على سبيل الشكوى والتبرم، وإنما هو على سبيل الحكاية للاستراحة وتنفيس الكربة لأنه لا يحسن من المحب إظهار القدرة على حمل أعباء المحبة نعم يحسن التجلد عند الأعداء، وعلى ذلك الذي أشرنا إليه يحمل قول سيدنا يعقوب عليه السلام حين قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] بدليل قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] وكذا قوله: مني الضر فتأمل.
(قوله: فمن المعلوم الخ) أي لاستحالة خلوّ الشيء عن الضدين معاً في حال واحد.

(قوله: بل قالوا الخ) أقول إذا لم يكن الفناء عن الأوصاف المذمومة مستلزماً لما ذكر كان سبباً قوياً له لأن التجرّد عن الأوصاف المذمومة أصل قوي في حصول الدرجات الرفيعة من الأحوال والمقامات. **(قوله: ولكن قد يتغير الخ)** إن قلت يبعد تغيره قلت كذلك غير أنه بواسطة معالجة نفسه بالتفهم في المضرات، وما به تندفع وتنال رتب السيادات قد يميل طبعه عن مقتضى حقيقته إلى خلافه بشاهد ما علمه والله أعلم.

(قوله: بمعالجته) أقول وقد أشار إلى ذلك ألطف المحبين، وأعرف مسالك السائرين ابن الفارض حيث قال في تائيته:

وكلفتها لا بل كفلت قيامها ... بتكليفها حتى كانت بكلفتي
وأذهبت في تهذيبها كل لذة ... بإبعادها عن عادها فاطمأنت

يعني قدّس الله سره أني كلفتها أوّلاً المجاهدة فتمرّنت واعتادت حتى صارت عندها

على العبد على وجه الإبتداء، **لكن صفاؤها بعد زكاء الأعمال)** وإخلاصها لله تعالى **(فهي كالأخلاق من هذا الوجه)** وهو تمكن العبد من تغييرهما **(لأن العبد إذا نازل الأخلاق)** أي: نازلها وانتقل فيها **(بقلبه)** وكسبه **(فينفي)** من النفي **(بجهده سفاسفها)** أي: دنيئها كالكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق **(منّ الله عليه بتحسين أخلاقه)** المحمودة كالتواضع والصبر، وسلامة الباطن والزهد وحسن الخلق، روى البيهقي خبر: «إنّ الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها». **(فكذلك إذا واظب على**

كالحق المطلوب لها، فصارت تطلبني بحقها وألحت عليّ، فكفلت لها أن أقيمها في مقام تكليفها ولم أزل كذلك حتى كانت أي شغفت بكلفتي وصارت الكلفة لذة مشغوفاً بها، فكلفت من التكليف وكفلت من الكفالة، وكلفت من الكلف، وهو الشغف، وقوله: وأذهب في تهذيبها الخ يريد أن أفضل العبادة خرق العادة، ومن ثم قيل كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد، ولم يجيء الشرع إلا بخرق العوائد، ومن تمت ضل أهل الزيغ بسكونهم إلى العوائد قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٤] والناظم ذكر في هذا البيت تعديل أوصافه لروحانيته المترتبة على ذكاء الأعمال، وفيما قبله تعديل أوصافه الحيوانية والإنسانية فتدبر. **(قوله: بمعالجته)** أي وذلك بمثل التأمل في لذة الشهوات العاجلة بأنها قد تورث الهلكات الآجلة بالنص القاطع، فبالتوفيق الإلهي يرجع عما ظنه لذة بميل الطبع إلى علم المضرة بدليل السمع فيترك ما كان عليه من العادات لنيل رفيع الدرجات:

فالنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

(قوله: لكن صفاؤها الخ) أي فالأحوال، ولو لم تكن من كسب العبد ومقدوره باعتبار حقيقتها هي باعتبار صفائها من مقدوره، فكلما قوى اخلاصه في الأعمال والمجاهدات يزداد صفاه أحواله، أي فهي كالأخلاق على ما ذكره من جهة تمكن الإنسان من نقلها من صفاتها الذميمة إلى الحميدة بقوّة الرياضات، وحسن المتابعات.

(قوله: إذ نازل الأخلاق الخ) أي وذلك وإن كان تخلقاً غير أنه بواسطة القيام على النفس يصير كالخلق الأصلي بعناية الحق بعبده. **(قوله: من الله عليه الخ)** أي بواسطة شاهد علم الشريعة ونور الطريقة والحقيقة. **(قوله: إن الله يحب الخ)** أي يحسن ويتفضل على من هذا خلقه احساناً وتفضلاً زائداً، وقوله: ويكره سفسافها أي يبعد عن مراتب القرب من كانت همته في نيل الدنيء منها ولذلك أمر رسوله وحبيبه بما يجمع له محاسن الأخلاق حيث قال في محكم كتابه المبين ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ونحن قد أمرنا بالاقتداء به ﷺ على أنه يحتمل أننا المقصودون بذلك لأنه ﷺ خلق على أشرف الأخلاق وأكملها والله أعلم.

تزكية أعماله ببذل وسعه) واجتهاده في تزكيتها وإخلاصها **(منّ الله عليه بتصفية أحواله بل بتوفية أحواله)** المحمودة فوجه الشبه بين الأخلاق والأحوال ما مر من تمكن العبد من تغييرهما الأخلاق بالرياضة، والأحوال بإخلاص الأعمال وتصفيتها والدوام عليها، **(فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال إنه فني عن شهواته، فإذا فني عن شهواته بقي بنيته وإخلاصه عبوديته، ومن زهد في دنياه بقلبه يقال فني عن رغبته)** فيها **(فإذا فني عن رغبته)** فيها **(بقي بصدق إنابته، ومن عالج أخلاقه فنفي عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر وأمثال هذا من رعونات النفس يقال فني عن سوء الخلق، فإذا فني عن سوء الخلق بقي بالفتوة، والصدق ومن شاهد جريان القدرة في تصاريف الأحكام)** من السعادة والضلالة والطاعة، والعصيان **(يقال فني عن حسبان الحدثان)** أي: عد الحدوث **(من الخلق فإذا فني عن توهم)** كون **(الآثار من الأغيار)** أي: الأكساب من العبد لما غلب على قلبه من إنفراد الحق بإيجادها **(بقي بصفات الحق)** تعالى نظراً إلى قدرته تعالى وإرادته وعلمه، **(ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً ولا طللاً)** وهو ما شخص

(قوله: بل بتوفية أحواله) أي باستيفائها وبلوغه إياها كاملة مستوفاة. **(قوله: فمن ترك الخ)** شروع في بيان تدريج السائر في الأحوال والمقامات بتقديم الأهم فالأهم على ما هو اللائق بمن أراد الوصول، ونيل المأمول. **(قوله: يقال أنه فني عن شهواته)** أي وذلك لا يكون إلا بالقيام على النفس بمظاهر الأمر والنهي الشر عيين. **(قوله: بقي بنيته)** أي فثمرة المتابعة اكتساب اخلاص القصد بالعبادة له تعالى. **(قوله: بقي بصدق انابته)** أي بسبب الجد في إزالة الحجاب الذي سببه الرغبة في الدنيا. **(قوله: ومن عالج أخلاقه)** أي بتحسينها وحملها على معالي الأمور والبعد عن الدنيء منها بشاهد علم الشرع. **(قوله: بقي بالفتوة والصدق)** أي بقوّة البذل الذي معظم سببه التجرد عن الحظوظ وطهارة الباطن من داآته التي هي سبب في الصدق. **(قوله: ومن شاهد جريان القدرة الخ)** أي من علم تأثيرها في جميع الممكنات انفراداً بشاهد: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» يقال فيه أنه فني عن حسبان الحدثان أي بانقطاع التفاته إليهم في شيء من الأشياء إذ هم من جملة الممكنات التي هي في قبضة القدرة العلية. **(قوله: بقي بصفات الحق)** أي بسبب تجرده عن صفات الطبع. **(قوله: ومن استولى عليه سلطان الحقيقة الخ)** اعلم أن الحقيقة إذا غلبت على عبد من عباد الله وجب عليه الانصات لها على حسب ما وردت بالإجمال ولا يتلقاها بالمعتاد من التأويل، والدليل والنظر في الوجه والتفصيل، ثم بعد ذلك يكون على الله بيانها لأنه الذي قد تفضل عليه بها أوّلاً، فهو الذي بينها ثانياً قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨، ١٩] وإنما كان هذا كتلقي الوحي في آدابه لأن

من آثار الدار (**يقال: إنه فني عن الخلق وبقي بالحق**) هذا القسم يحتمل أنه الذي قسمه الأستاذ أبو عبد الله محمد الأنصاري الهروي إلى ثلاثة أقسام حيث قال: الفناء اضمحلال ما دون الحق علماً ثم جحداً ثم حقاً، فإذا ذهب عن قلب العبد العلم بالخلق شغلاً بالحق، فقد فني عنه علماً، فإذا زادت كراهته له فني عنه جحداً أي: إنكاراً فإذا ذهب عن قلبه بالكلية فني عنه حقاً فبمقدار شغله بالحق يكون فناؤه عن غيره ويحتمل أنه القسم الثالث منها وهذه الأقسام أرفع مما مرّ أوّل المبحث لأنها في الفناء عن غير الحق والبقاء مع الحق وما مر، ثم هو الفناء عن الأخلاق الذميمة والبقاء مع الأخلاق الحميدة، (**ففناء العبد عن أفعاله الذميمة وأحواله الخسيسة**) يكون (**بعدم هذه الأفعال**) أي: بخلوصه عنها (**وفناؤه عن نفسه وعن الخلق**) يكون (**بزوال إحساسه بنفسه وبهم**) بحيث يكمل شغله بربه (**فإذا فني عن الأحوال والأفعال والأخلاق**) الذميمة (**فلا يجوز أن يكون ما فني عنه من ذلك موجوداً**) عنده إذ لا يتحقق فناؤه عنه إلا بانسلاخه عنه ببقائه مع الأخلاق الحميدة (**وإذا قيل فني عن**

الكل من عين المنة في بساط الكرامة، وإنْ كان الوحي أعلى وأجل، فلا قيد وبالله التوفيق، والحاصل أن الأدب ثلاثة: الإنصات للقبول، والتفهم بعد الحصول والامتحان بالأصول، أعني بذلك الكتاب والسنة والله أعلم.

(**قوله: وبقي بالحق**) أي لتحققه بمقام الوجود بسبب انمحاقه وغيبته عن السوي.
(**قوله: إلى ثلاثة أقسام**) أي على حسب الوارد الذي يرد على القلب، وهو ما يتجلى للقلوب من المعارف التي تبرز عنها الحقائق، فإذا وردت هذه الواردات على القلب لم يبق فيه متسع لغيرها، فتأخذ بمجامعه، وتستوي في كلية العبد فينفث فيها طوعاً أو كرهاً لخلوه عما سواها. (**قوله: ويحتمل أنه القسم الثالث منها**) أقول وهو الأظهر. (**قوله: وما مرّ ثم هو الفناء عن الأخلاق الذميمة الخ**) فيه تأمل إذ من جملة ما مرّ قوله فإذا فني عن توهم كون الآثار الخ. (**قوله: ففناء العبد عن أفعاله الذميمة الخ**) شروع في بيان مراتب السير إلى الله تعالى، فأوّل مقام للسائر تخلصه من ذميم الأخلاق فيكون من المحسنين، ثم إنه إذا تخلص أيضاً من الحميدة كان من المقرّبين، ثم إذا فني عنها وعن نفسه وعن سائر الكائنات صار من العارفين المحققين. (**قوله: وفناؤه عن نفسه الخ**) إن قلت مذهب أهل الحق ثبوت حقائق الأشياء خلافاً للسوفسطائية قلت لا شك في ذلك فبطلانها من حيث هي، وثبوتها من حيث هو فافهم.

(**قوله: فإذا فني عن الأحوال**) أقول يرشد كلامه نفعنا الله بعلومه إلى الفرق بين الفناء عما للنفس، وبين الفناء عن النفس والخلق معاً بأن الأوّل عدم محض ينافيه وجود شيء مما للنفس من الأحوال وغيرها، والثاني غفلة عن شهودها فقط مع تحقق النفس

نفسه، وعن الخلق فنفسه موجودة والخلق موجودون) وفي نسخة، فتكون نفسه موجودة، والخلق موجودين **(ولكنه لا علم له بهم ولا به ولا إحساس ولا خبر فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين، ولكنه غافل عن نفسه، وعن الخلق أجمعين غير محس بنفسه وبالخلق)** لكمال اشتغاله بما هو أرفع من ذلك، وبهذا علم أن من قال الفناء ذهاب البشرية لم يرد به ذهابها بالكلية، فإنها موجودة في نفسها مع لوازمها من اللذات والآلام، بل أراد أنها مغمورة بما يطرأ عليها من لذات وآلام أخر أعظم من تلك، (و) لهذا **(قد ترى الرجل يدخل على ذي سلطان أو محتشم، فيذهل عن نفسه، وعن أهل مجلسه مما حصل عنده)** من الهيبة والتعظيم والإجلال له **(وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى إذا سئل بعد خروجه على من عنده من أهل مجلسه وهيئة ذلك الصدر)** أي: المحتشم **(وهيئة نفسه)** وما قاله **(لم يمكنه الإخبار عن شيء)** من ذلك لغفلته عنه **(قال الله تعالى)** في حق النسوة لما لقين يوسف عليه السلام **(فلما رأينه أكبرنه)** أي: أعظمنه **(وقطعن أيديهن)** بالسكاكين حيث **(لم يجدن عند لقاء**

والخلق في ذاتهما. **(قوله: فنفسه موجودة الخ)** أي فالمراد بذلك الفناء إنما هو العلمي لاندراس الأعيان فيه وذلك باعتبار مشاهد بعض العارفين، وأما بالنسبة للبعض الآخر، فلا مانع من حمل الفناء على حقيقته باعتبار الأعيان، وإنْ كان قد يبعد فهمه لنوع الإنسان. **(قوله: ولهذا قد ترى الرجل الخ)** هذا مثال ويضرب الله الأمثال أي فالعبد في أوّل أمره يرى حقاً وخلقاً وشاهداً، ومشهوداً، وعابداً ومعبوداً، فإذا الحق تعالى منح، وفتح، ولطف وعطف، وكشف الغطاء، وأهدى العطاء، يرى العبد فرداً أحداً ظاهراً بالهيبة في جميع المظاهر ويعانيه هو الأوّل والآخر هو الحق المعبود في مقام الفرق، وهو الشاهد المشهود في مقام الجمع، فما ذكره المؤلف من تمثيل الغائب بالحاضر لأجل التقريب للعقول القاصرة أي فإذا جاز بل وقع مثل ذلك مع من لا يضر ولا ينفع في ذاته، فوقوعه مع الحق تعالى أحرى. **(قوله: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ الخ)** [يوسف: ٣١] لما أثبت الفناء في شهود الحق أوّلاً بالدليل العقلي حيث قال: ولهذا قد ترى الخ أكد ذلك بالدليل السمعي حيث قال قال الله تعالى الخ فتحصل أن ذلك جائز، بل واقع بالنسبة للحادث، فيكون جوازه ووقوعه بالنسبة للقديم تعالى من باب أولى لظهور ضعف قوّة الحادث ضرورة عن تحمل تجليات القديم بل لو قيل بذهاب عينه فضلاً عن شعوره في مثل هذه الأحوال لم يكن بعيداً في نظر العقل. **(قوله: أكبرنه الخ)** أي وبذلك قد زال منهنّ الإحساس لقوّة ما صادفهنّ من باهر جماله وكماله فضعفت قواهنّ عن التحمل فقطعن أيديهنّ ولم يشعرن بالألم لتمام الدهشة بما فجأهن، وأنكرن أنه بشر مع محقق بشريته في الظاهر ونفس الأمر.

يوسف عليه السلام على الوهلة) أي: البغتة **(ألم قطع الأيدي وهن أضعف الناس)** عن تحمله **(وقلن ما هذا بشراً ولقد كان بشراً، وقلن إن هذا إلا ملك كريم)** لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في البشر **(ولم يكن ملكاً فهذا تغافل)** أي غفلة **(مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق)** آخر منازعته بيسير من الكمال والجمال، **(فما ظنك بمن تكاشف)** بفتح الشين **(بشهود الحق سبحانه)** المنزه عن الأشياء والأمثال المنفرد بصفات الكمال والجلال **(فلو تغافل)** أي غفل **(عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه فأي أعجوبة فيه)** إذا تقرّر ذلك **(فمن فني عن جهله بقي بعلمه، ومن فني عن شهوته بقي بإنابته، ومن فني عن رغبته بقي بزهادته، ومن فني عن منيته)** أي: طلبته **(بقي بإرادته تعالى وكذلك القول في جميع صفاته، فإذا فني العبد عن صفته بما جرى ذكره)** من الصفات الجليلة **(يرتقي عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه)** لأنه إذا فني عن الأغيار فتارة يكون ذاكراً لفنائه وتارة يقوى شهوده وشغله بمن استغرق فيه حتى لا يحس بفنائه لعدم ذكره أحوال نفسه، وهذا فناء الفناء فإنه فناء عن فنائه **(وإلى هذا)**

(قوله: يسير من الكمال والجمال) أي بالنسبة إلى الحق، بل والنسبة إلى أفضل الخلق ﷺ. **(قوله: فما ظنك الخ)** أقول وأكمل من هذا من شرب خمر الحقيقة ممزوجاً بماء الشريعة فكان صحوه حافظاً عن تعدّي حده كما قيل:

ومن فهم الإشارة فليصنها ... وإلا سوف يقتل بالسنان

كحلاج المحبة إذ تبدّت ... له شمس الحقيقة بالتداني

فقال أنا الحق الذي لا ... يغير ذاته مر الزمان

وذلك لأن مثل من ذكرناه يعطي كل ذي حق حقه.

(قوله: عن تكاشف) أي بمن أزيلت عنه الحجب بواسطة سابق عناية الحق به تعالى. **(قوله: فمن فني عن جهله الخ)** المراد أن كل من فني عن شيء فقد تحقق بضدّه. **(قوله: فإذا فني العبد عن صفته)** أي عن كل صفة له بمقتضى الطبع فصفة مفرد مضاف يعم جميع الصفات البشرية. **(قوله: فتارة يكون ذاكراً لفنائه)** وذلك لوجود بعض إحساسه كما يكون في مقام الجمع وقوله: وتارة يقوى شهوده الخ أي كما في حالة مقام جمع الجمع، فبغلبة أنوار مشاهد حقيقة الحقائق تحصل الغيبة الكلية عن سائر المكونات الخلقية. **(قوله: وقوم تاه في أرض الخ)** أي هيموا بحبه في حالة التخلي عن الخلق في الفلوات والصحارى، وقوم تاه في ميدان حبه أي باستهلاكهم وانمحاقهم في حبه العظيم الذي لا تقاومه قدرهم وطاقاتهم، فهم في هذه الأحوال قانون عن الخلق، وعن أنفسهم وإن خالطوا غيرهم في المكان بعدم الانفراد عنهم، وقوله: فافنوا الخ يريد الإشارة إلى درجات الفناء كما أوضحه.

مع زيادة (**أشار قائلهم**) بقوله (**وقوم تاه في أرض بقفر**) لما أحبوه في الفلوات والصحاري (**وقوم تاه في ميدان حبه**) حتى شغله ذلك عن أنفسهم (**فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا. وأبقوا بالبقا من**) أجل (**قرب ربه**) أفرد ضمير القوم تارة باعتبار لفظه وجمعه أخرى باعتبار معناه، (**فالأول فناؤه عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق ثم**) أي: والثاني وهو أعلى من الأول كما أشار إليه بثم (**فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق ثم**) أي: والثالث وهو أعظم من الأول، والثاني كما أشار إليه بثم (**فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق**) جعل الفناء والبقاء على ثلاث درجات: فناء العبد عن صفات نفسه من أعماله وأخلاقه وأحواله ببقائه مشاهداً لصفات ربه، فإذا اشتغل بكمال الذات المنزهة عن الجهات فني عن ذكر الصفات، وبقي ذاكراً لفنائه عن الصفات، فإذا اشتغل بالذات فني عن فنائه، وبقي ذاكراً للذات وهذا فناء الفناء.

ومن ذلك (**الغيبة والحضور**). ويعبر عنه بالشهود (**فالغيبة غيبة القلب عن علم**

(**قوله: وقوم تاه الخ**) أي وله الإشارة أيضاً بقول بعض المحبين:

ويشرب ثم يسقيها الندامى	فلا تلهيه كأس عن نديم
له مع سكره تأييد صاح	ونشوة شارب وندى كريم

وقال آخر:

ويشرب لا تلهيه سكرته	عن النديم ولا يلهو عن الكاس
أطاعه سكره حتى تحكم في	حال الصحاة وذا من أعجب الناس

رقيقه: رؤية الخلق بدون الحق نقص وحجاب، ورؤية الحق بدون الخلق فليست بكل الصواب، ورؤية الحق والخلق كمال الحكمة وفصل الخطاب. **الغيبة والحضور** هما مقامان عظيمان يلزم الأوّل الجمع والثاني التفرق المشار إليهما بقوله جل جلاله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] الأوّل فرق والثاني جمع، فالحضور فيه نوع من الوجود ومن لازمه التفرقة بحكم العقل والغيبة لا إحساس فيها، فلا حكم للعقل في أوطانها فالجمع مشهود في ناديها فإذا تفرّق اللب من العبد تعقل الكثرة ملتزماً للعبودية، وشهود صفات الربوبية، وذلك في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ وإذا اجتمع اللب واصطلم واحترق في سواطع أنوار التجلي الذاتي فني عن الإحساس، وذلك في ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فتأمل والله الموفق.

(**قوله: غيبة القلب عن علم الخ**) أي فهي تحصل بما غلب على القلب من تجليات الحق تارة بالخوف وتارة بالجلال وتارة بالجمال إلى غير ذلك من أنواع التجليات والواردات الإلهية على حسب تهيؤ واستعداد الإنسان، فبضعف قوته عن مشاهدها

ما **يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه)** بما هو أهم عنده مما هو فيه **(ثم قد يغيب القلب عن إحساسه بنفسه وغيره بوارد)** ورد عليه **(من تذكر ثواب أو تفكر عقاب)** أو شوق لمحبوب فيستغرق قلبه فيه حتى لا يلتفت لما سواه ولا يحس بمن حضره، فيكلم فلا يسمع ويمر به فلا يشعر. **(كما روي أن الربيع بن خيثم رحمه الله كان يذهب إلى ابن مسعود رضي الله عنه فمرّ بحانوت حدّاد فرأى الحديدة المحماة في الكير فغشي عليه)** لتذكره خروج المذنبين من النار أو عند حالهم فيها **(ولم يفق إلى الغد)** مع أنه ينادي كل صلاة يا ربيع يا ربيع، فلا يسمع ولا يعقل لغلبة

يستهلك فيها عن الالتفات إلى غيرها، ويدل لذلك أن سيد كمل المرسلين، ومختار رب العالمين أصبح ليلة الإسراء يدعو قومه بدون تأثر يظهر مما شاهده من عجائب لطف الله تعالى بخلاف سيدنا الكليم عليه، وعلى نبينا الصلاة والتسليم، فإنه تبرقع شهراً لما وقع له من التأثر بالتكليم، فتدبر حكمة الحكيم العليم تفهم سر فرق المقامين، ورفعة درجة أحد اليدين. **(قوله: لاشتغال الحس بما ورد عليه)** أي وذلك لأن الوارد قد يأتي من رب قهار على بساط القهر فكل شيء يصادفه لا يمكنه ثبات معه، فلا بقاء لرسوم الخلق مع ظهور آثار الحق لأنه إذا قورن الحادث والقديم تلاشى الحادث وبقي المولى القديم.
(قوله: ثم قد يغيب القلب الخ) أي القلب المقدس عن رجس البشرية الذي يقال له مستوى الاسم الأعظم والبيت المحرم ويقال له أيضاً البرزخ لكن لا يقال ذلك إلا لقلب الإنسان الكامل المقول فيه: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»، واعلم أنه قد أفصح صاحب الحكم عن هذا الرمز حيث قال: إن كنت بعين القلب تنظر إلى أن الله تعالى واحد في منّته فالشريعة تقتضي أنه لا بدّ من شكر خليقته، وإنَّ الناس في ذلك عى ثلاثة أقسام غافل منهمك في غفلته قويت دائرة حسه، وانطمست حضرة قدسه، فنظر الإحسان من المخلوقين، ولم يشهده من رب العالمين، أما اعتقاداً فشركه جليّ، وأما استناداً فشركه خفيّ وصاحب الحقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق، وفني عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب، فهو عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناؤها سالك للطريقة قد استولى على مداها غير أنه غريق الأنوار مطموس الآثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على حضوره، وأكمل منه عبد شرب، فازداد صحواً وغاب فازداد حضوراً فلا جمعه يحجبه عن فرقه، ولا فرقه يحجبه عن جمعه، ولا فناؤه عن بقائه يعطي كل ذي قسط قسطه، ويوفي كل ذي حق حقه إلى آخر ما قال رضي الله عنه.

(قوله: فغشي عليه) الذي يظهر من باقي كلامه أنها غشية خوف منعت إحساسه لقوّتها فصارت كإغماء بسبب قوّة ما صادفه من مظاهر جلال الحق تعالى والخوف منه.

حاله واستغراقه في خوفه، فهو حاضر بقلبه مع المخوف غائب عن كل مألوف، **(فلما أفاق سئل عن ذلك فقال: تذكرت كون أهل النار في النار، فهذه غيبة زادت على حدّها حتى صارت غشية، وروي عن علي بن الحسين)** رضي الله عنه **(أنه كان في سجوده فوقع حريق في داره)** ووقعت حركة وضجة عظيمة لذلك على العادة **(فلم ينصرف عن صلاته فسئل عن حاله فقال ألهتني النار الكبرى عن هذه النار)** باعتبار ما ورد عليه من الآيات التي فيها ذكر النار فغاب عما جرى من الحريق. **(وربما تكون الغيبة)** من العبد **(عن إحساسه)** بنفسه وغيره لاشتغاله **(بمعنى)** أي: بوارد **(مكاشف به من)** قبل **(الحق سبحانه ثم إنهم)** أي: من يرد عليهم الوارد **(مختلفون في ذلك على حسب أحوالهم)** فقد يكون الوارد وارد تعظيم وإجلال، وقد يكون وارد إعطاء وإفضال، وقد يكون وارد استصغار نفس وعمل واستقلال، وقد يكون وارد بسط وإدلال وقد يكون وارد عزة فيورث ذبولاً واضمحلالاً. **(ومن المشهور أن ابتداء حال أبي حفص النيسابوري الحدّاد)** أي: السبب **(في تركه الحرفة أنه كان على)** بمعنى في **(حانوته فقرأ قارىء آية من القرآن فورد على قلب أبي حفص وارد)** وجد به وجداً بحسب ما فتح الله به، واستغرق فيه حتى **(تغافل)** أي: غفل به **(عن إحساسه فأدخل يده في النار وأخرج الحديدة المحماة بيده، فرأى تلميذ له ذلك فقال: يا أستاذ ما هذا فنظر أبو حفص إلى ما ظهر عليه)** من الكرامة **(فترك الحرفة وقام من حانوته)** خشية الفتنة. فالربيع بن خيثم كان وارده الخوف من النار، وهذا كان وارده يشغله عن الخوف من النار. **(وكان الجنيد قاعداً وعنده امرأته، فدخل عليه الشبلي، فأرادت امرأته أن تستتر)** من الشبلي **(فقال لها الجنيد لا خبر للشبلي منك)** أي: لا علم له بك

(قوله: وربما تكون الغيبة الخ) لا يغاير ما قبله، بل هو أعم منه إذ ما يكاشف به العبد من الواردات كثيرة أنواعه فكل عبد يكاشف بما يليق بحاله من وارد دواء أو شفاء أو ترق إلى حال أو وصول إلى مقام وذلك على حسب التقدير الأزلي والحكمة الباهرة في تصاريف الحق سبحانه وتعالى. **(قوله: ثم إنهم مختلفون)** أي بحسب قوّة المجاهدة لأن بها وعلى حسبها تكون المشاهدة وذلك بشهادة خبر: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»، ولذا نقل عن السيد الشريف أبي الحسن المغربي أنه قال: «كنز خفي تحت جدارك، وأنت تطلبه من بيت جارك»، فافهم. **(قوله: فقد يكون الوارد الخ)** مراده أن الوارد يتنوّع، فقد يكون من مجالي الجلال، وقد يكون من بساط الجود والجمال.

(قوله: خشية الفتنة) يحتمل أن المراد افتتانه بالشهرة بين الخلق بالكراهة ففر ستراً لحاله وغيرة على أسراره، ويحتمل أن المراد بها افتتان الغير به بوقوفه مع غير ربه. **(قوله: فالربيع الخ)** أقول صاحب الذوق الأوّل من الكاملين، والثاني في مدارج المقربين. **(قوله: لا خبر للشبلي منك)** أي لما غلب على قلبه من سواطع أنوار الحقيقة،

(فاقعدي فلم يزل يكلمه الجنيد) بالعلم ويتحدث معه في حاله **(حتى بكى الشبلي)** بعد أن سري عنه **(فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الجنيد لامرأته: استتري فقد أفاق الشبلي من غيبته)** وهذا من الواردات المشغلة عن الوقوع في المحذورات، فيكون العبد في هذه الحالة غير مؤاخذ بما يجري عليه ويحفظه الحق فيها عن الوقوع في شيء من المحرمات. **(سمعت أبا نصر المؤذن)** بنسا **(وكان رجلاً صالحاً قال: كنت بنسا أقرأ القرآن في مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله بنسا وقت هناك، وكان يتكلم في الحج كثيراً فأثر في قلبي كلامه، وخرجت إلى الحج تلك السنة، وتركت الحانوت والحرفة وكان الأستاذ أبو علي رحمه الله خرج إلى الحج أيضاً في تلك السنة، وكنت في مدة كونه بنسا أخدمه، وأواظب على القراءة في مجلسه فرأيته يوماً في البادية)** قد مضى لقضاء حاجته فيها **(ثم نسي وتطهر)** بسبب وارد ورد عليه أشغله بالله **(قمقمة)** فيها ماء **(كانت بيده فحملتها فلما عاد إلى رحله وضعتها عنده فقال: جزاك الله خيراً حيث حملت هذا، ثم نظر إليّ طويلاً كأنه لم يرني قط وقال رأيتك مرة من أنت)** فتألمت لذلك **(فقلت المستغاث بالله قد صحبتك مدّة، وخرجت من مسكني ومالي بسببك وتقطعت)** وفي نسخة وانقطعت **(في المفازة والأسفار بك أي بسببك و)** أنت **(الساعة تقول رأيتك مرة من أنت)** وهذا إما لكثرة ورود الأحوال عليه حتى لا يتفرغ لملاحظة من يصحبه أو لحال عظيم ورد عليه في هذا الوقت شغله عن إحساسه والنظر لما يعهده ويعرفه من جلسائه وأصحابه ومن يخدمه. **(وأما الحضور فقد يكون)** من قام به **(حاضراً بالحق لأنه إذا غاب عن الخلق حضر بالحق على معنى أنه يكون كأنه حاضر وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه فهو حاضر بقلبه بين يدي**

وقوله بعد: فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الخ أي لعوده للصحو الأكمل الذي ينظر به أن الله واحد في منته غير أنه يعطي الحكمة حقها بالقيام بشكر الخليقة إذ هم مظاهر المنة، فلهم مجار الشكر، وله تعالى حقيقته وحقيقة المنة، وإنما كان شكر الخلق مجازياً لأنه رسم مأمور به، ولولا الأمر به لما صح لأحد عمل فيه.

(قوله: فلما أخذ) أي شرع الشبلي في البكاء أي بواسطة عوده إلى الإحساس فوقع له التأثر بما ورد عليه بعد أن كان متلاشياً بغلبة أنوار الحقيقة والله أعلم. **(قوله: وهذا من الواردات الخ)** مراده بذلك دفع ما يقال كيف نظر الشبلي إلى امرأة الجنيد وهي أجنبية منه. **(قوله: وقت هناك)** لعله وقت كونه هناك. **(قوله: ثم نسي وتطهر)** لعله ثم تطهر ونسي قمقمة الخ. **(قوله: وأما الحضور الخ)** المراد الإشارة إلى أن الحضور قد يكون بالخلق وبالحق، ويتحقق ما بالحق بالغيبة عن سائر الخلق، ونهاية الغيبة الفناء عن الفناء وحينئذ، فلا إحساس لصاحبه إلا بالحق إذ هو في هذا المقام بشرف الوجود مشتغلاً بما

ربه فعلي حسب) أي: قدر **(غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق فإن غاب)** عن الخق **(بالكلية كان الحضور بالحق على حسب الغيبة)** فيكون حاضراً معه بالكلية **(فإذا قيل فلان حاضر)** مع ربه **(فمعناه أنه حاضر بقلبه لربه غير غافلٍ عنه ولا ساهٍ)** بل **(مستديم لذكره ثم يكون مكاشفاً)** بفتح الشين **(في حضوره على حسب رتبته)** وفي نسخة مرتبته **(بمعان يخصه الحق سبحانه بها، وقد يقال لرجوع العبد)** إلى ما كان فيه **(من إحساسه بأحوال نفسه وأحوال الخلق أنه حضر)** أي: رجع **(عن غيبته)** أي: يقال الحضور للرجوع المذكور **(فهذا يكون حضوراً بخلق والأوّل حضوراً بحق)**. قوله ثم تطهر نسي قمقمة هو هكذا بنسخ المتن المعتمدة، ويدل عليه كلام الشارح فالحاضر بالمعنى الأوّل غائب حاضر بالنسبة إلى شيئين، وبالمعنى الثاني غائب حاضر بالنسبة إلى شيء واحد في وقتين وذلك كأن يمنّ الله تعالى عليه بالاشتغال بطرق محمودة كالحلم، والعفو عن من يؤذيه، فهو غائب عن أخلاقه المذمومة من الانتصار لنفسه، والحقد على من يؤذيه، حاضر مع أخلاقه المحمودة، وقد يرجع إلى أخلاقه المذمومة، فيكون غائباً عنها، وحاضراً فيها في وقتين. **(وقد تختلف أحوالهم في الغيبة فمنهم من لا تمتد غيبته)** مع طولها أو قصرها **(ومنهم من تدوم غيبته، وقد**

به كان التجلي، ويتحقق ما بالخلق بالرجوع إلى ما كان عليه من الإحساس، فالأوّل غائب حاضر بالنسبة إلى شيئين الخلق والحق، والثاني غائب حاضر بالنسبة إلى شيء واحد في وقتين كالتخلق بالأخلاق الحميدة بالتوفيق والرجوع عنها إلى ذميمة بالخذلان، فالمتخلق غائب عن الذميمة في الحالة الأولى حاضر معها في الحالة الثانية.

(قوله: وأما الحضور الخ) نقول من هذا المقام قول للصديق الأكبر لعائشة رضي الله عنهما حين نزلت براءتها من حديث الإفك على لسان رسول الله ﷺ **«يا عائشة اشكري رسول الله، فقالت والله لا أشكر إلاّ الله»** حيث دلها على الأكمل بشهود من جرت النعمة على يده، وإنما كان ذلك أكمل لأن فيه قياماً بحق الحقيقة وحكمة الشريعة للعمل بعمارة الدارين، قال في التنوير بعد ذكر الأسباب والقول الفصل في ذلك أنه لا بدّ من الأسباب وجوداً ومن الغيبة عنها شهوداً فأثبتها من حيث أثبتها بحكمته، ولا تستند إليها لعلمك بأحديته. **(قوله: كأنه حاضر الخ)** لعله أشار بالكانية إلى التنزه عن الحضرات الحسية، واعلم أن الحضور هو الشعور بوجود الخلق مع الحق غير أن صاحبه سلوكه في كل شيء بالتوحيد، والرجوع إلى الصانع الحكيم. **(قوله: من لا تمتد)** أي لا تدوم وذلك صادق بالطول والقصر، ولذا قال: مع طولها أو قصرها. **(قوله: فقال من أبو يزيد الخ)** فيه دليل على قوّة سكره بخمر وصال قربه، وغاية لذاته برفيع مراقباته بعد محق ناسوته، وتنوير لاهوته، فهو غائب عن نفسه ذاهل عن جنسه وجوداً بالمالك وغيبة عن الهالك.

حكي أن ذا النون المصري بعث إنساناً من أصحابه إلى أبي يزيد) البسطامي (لينقل إليه صفة أبي يزيد) أي: أحواله ولم يكن المبعوث يعرفه (فلما جاء الرجل) المبعوث (إلى بسطام سأل عن دار أبي يزيد) فدل عليها (فدخل عليه فقال له أبو يزيد ما تريد فقال أريد أبا يزيد فقال) له (من أبو يزيد، وأين أبو يزيد فأنا في طلب أبي يزيد) فيه دليل على كمال استغراقه في أكثر أوقاته وهو يحب أن لو خفف عنه ما هو فيه ليرجع إلى إحساسه وينتفع بما لا بدّ له منه (فخرج الرجل) من عنده (وقال هذا مجنون فرجع إلى ذي النون وأخبره) بذلك فعرف مقام أبي يزيد وأنه مشغول عن نفسه بالكلية (فبكى ذون النون وقال: أخي أبو يزيد ذهب في الذاهبين) أي: المشغولين بالله تعالى عن أنفسهم وسائر الخلق (إلى الله تعالى).

ومن ذلك (الصحو والسكر. فالصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة) بالسكر

(قوله: الصحو والسكر) اعلم وفقني الله وإياك أنّ السائر والمسافر لا بدّ له من مقامات يقيم فيها وموارد يردها حتى ينتهي إلى مقصده، فإذا وصل المقصد فهناك يكون له أحوال وشؤون وتقلبات، فكذلك السائر إلى الله تعالى مع أنه لا مسافة يقطعها، ولا جهة يقصدها، ولا مكان يتوجه إليه لاستحالة جميع ذلك في حقه تعالى، فحينئذ تعين أن المراد قطع مسافة النفس بالخروج عن أخلاقها الذميمة إلى الحميدة فإذا وصل العبد إلى ذلك ظهر له شؤون وتقلبات عن مبادي المقامات، ولذا قيل لولا مسافة النفس ما تحقق سير السائرين، فهي الحجاب الأعظم بين العبد وربه، فإذا زال هذا الحجاب الكثيف لمعت أنوار المحبة، وبدت إشارات الوصلة، فيعتوره أحوال مثل الصحو تارة والسكر أخرى، وهما حالتان شريفتان ووصفان عظيمان لا يكونان إلاّ لمن كوشف عن الجمال وبشر بالوصال، فهام بالمحبوب وجدّ في المطلوب، واعلم أنّ الصحو لا يقال إلاّ لمن سبق له سكر، فغاب في ميدان الذكر، فإن بقي له بعض إحساس يقال له المتساكر وإلا بأن غلب عليه الحال حتى غاب عن فكره يقال قد بلغ حدّ السكر، واعلم أنّ الصحو الذي هو في مقابلة السكر حال من أحوال المحبين، أو مقام من مقاماتهم بحسب اختلاف الإصطلاح في التعبير عنه بالحال أو المقام، ومأخذه من قوله جل شأنه: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ومن قوله جل وعلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [سبأ: ٢٣] وقال الهروي الصحو فوق السكر، وهو يناسب مقام البسط، ولهذا قال العارف الكبير قدّس الله سرّه:

ولما انقضى صحوي تقاضيت وصلها ولم يغشني في بسطها قبض خشية

فيكون تقدير كلامه ولما انقضى سكري الذي تقدّم له ذكره بصحوي حذفت الباء لضرورة الشعر، ولا يسوغ على هذا أن يكون صحوي فاعل انقضى، بل فاعله ضمير

بخلاف الصحو قبلها (**والسكر غيبة بوارد قويّ**) فالسكر أخص من الغيبة مطلقاً، ثم ذكر فرقاً آخر بينهما فقال (**والسكر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطاً**) وذلك (**إذا لم يكن مستوفىً في حال سكره**) بأن بقي فيه بقايا لإدراك الأشياء (**وقد يسقط أخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره**) فيكون مستوفىً فيه (**وتلك**) أي الحالة الأولى (**حال المتساكر الذي لم يستوفه الوارد**) منها (**فيكون للإحساس فيه مساغ وقد يقوى سكره**) وهي الحالة الثانية التي استوفاها الوارد فيها (**حتى يزيد على الغيبة فربما يكون صاحب السكر أشدّ**) أي: أقوى (**غيبة من صاحب الغيبة**) وذلك (**إذا قوي سكره وربما يكون صاحب الغيبة أتم في الغيبة من صاحب السكر**)(**وذلك**) **إذا كان متساكراً غير مستوفىً**) في سكره فالسكر فوق الغيبة من وجه والغيبة فوق السكر من وجه وقيل السكر يلزمه الطرب بخلاف الغيبة، ولو حذف ربما في الموضعين كان أحسن وأخصر. ثم أشار إلى فرق آخر بينهما فقال (**والغيبة قد تكون للعباد**) والمبتدئين (**بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة**

مستتر يعود على السكر المتقدّم، وإنما قلنا ذلك لأنّ الشيخ كان في مقام الترقي، وقد أسلفنا أنّ الصحو فوق السكر، وهذا معلوم مشهور عند العارفين، إذ هو مقام الأنبياء والمرسلين وأكابر الأولياء والسكر مقام من دونهم. (**قوله: فالسكر أخص**) أي لأنه لا يكون إلاّ عن وارد بخلاف الغيبة فإنها تكون به وبدونه. (**قوله: والسكر زيادة الخ**) محصله الفرق بين السكر والغيبة بأن السكر قد لا يقوى، فيبقى مع نوع إحساس للبسط يسمى صاحبه المتساكر وقد يقوى حتى يزول معه الإحساس أصلاً، فيكون صاحبه متوفي وهذه الحالة أشدّ من الغيبة، وهي أشدّ منه في الحالة الأولى أي وهي ما يقال فيها لصاحبها المتساكر.

(**قوله: يلزمه الطرب**) أي لبقاء بعض الإحساس الذي به يدرك الطرب. (**قوله: لو حذف ربما في الموضعين كان أحسن**) أي لأنها توهم خلاف المفروض في الحالتين باعتبار معناها.

(**قوله: والغيبة تكون للعباد الخ**) المراد أن الغيبة تكون بحسب وارد الحق على قلب العبد المقرب غير أن الكامل من العبيد يعطي كل ذي حق حقه هذا رسول الله ﷺ شد الحجر على بطنه إظهاراً للفقر والفاقة إلى ربه وأطعم ألفاً من الصاع إظهاراً للغنى بربه، ولهذا أشار نقطة دائرة وقته حيث قال:

فنقطة غين الغين عن صحوي انمحت ... ونقطة عين العين محوي ألغت

فمراده أن نقطة الغين الذي هو الحرف الهجائي يعني الحجاب النوري المشار إليه بخبر: «إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله» عن صحوي من السكر الذي أفقت منه بالحلول في

والرهبة) بفتح الجيم **(ومقتضيات الخوف والرجاء)** بفتح الضاد **(والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد)** وأهل المحبة **(فإذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر وطرب الروح وهام القلب)** وسقط التمييز بين ما يؤلمه وما يلذه لأن التجليات الجمالية وشهود الصفات الكمالية إذا استولت على العبد بحيث لا يشهد سوى الحق، فتصير الأشياء بالنسبة إليه شيئاً واحداً، فحينئذٍ لا يميز بين الأشياء لغلبة رؤية ما للحق عليه **(وفي معناه)** أي: السكر الناشيء من كشف الجمال **(أنشدوا فصحوك من لفظي)** أي: قولي **(هوالوصول كله. وسكرك من لحظي)** أي: ملاحظتك لجمالي يبيح لك الشربا فما مل ساقيهاأي: المتفضل بالإلهام والكشف **(وما مل شارب. عقار لحاظ)** أي: خمر ملاحظة الجمال **(كأسه سكر اللبا)** أي: العقل فبين بذلك أن

مقام الفرق الثاني انمحت أي زالت ونقطة عين بالمهملة أي العين الناظرة العين أي العيان أو الذات محوي ألغت أي أهملت يعني سلمت ونجوت من الحجاب، فلا أحجب بشيء من الأشياء، وكيف لا وكل شيء أشاهد فيه محبوبي وأعطي كل ذي حق حقه، فأعطي الكون حقه، والمكوّن حقه، وكل ذلك به تعالى لا بي والله أعلم. **(قوله: والغيبة الخ)** محصله أن الغيبة دون السكر حيث هي من أحوال المبتدين، والسكر من مقامات المقرّبين ولا نغفل دون السكر حيث هي من أحوال المبتدين، والسكر من مقامات المقرّبين ولا نغفل عما قدمناه في الفرق بنهما. **(قوله: والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد)** أي إلا لمن يجد الحق بعد منازعته في الطلب واجتهاده في الحصول عليه. **(قوله: فإذا كوشف بنعت الجمال)** أي فإذا تجلى عليه الحق تعالى تجلياً من تجليات جماله وكماله، بعد إماطة حجاب البشرية عنه حصل له السكر بالغيبة عن غير مشهود، وحصل الطرب لروحه فرحاً والهيام لقلبه شوقاً حتى لا يشعر بشيء سوى ما هو فيه. **(قوله: وسقط التمييز)** أي الذي هو بمقتضى البشرية، وسقوطه لكمال اشتغاله بما كوشف به من نعت الجمال كيف لا وقد يجد الإنسان مثل هذا أو قريباً منه فيما إذا تعلق قلبه بشيء دنيوي.

(قوله: فصحوك من لفظي) أي من سماع خطابي والعمل بمقتضاه هو الوصل كله أي بواسطة اشتماله على بشائر القرب لمرحمة ألطاف الرب، وقوله: وسكرك أي غيبتك عن الكائنات من لحظي أي من ملاحظتك إياي ومراقبتك لنعوت جمالي وتجليات صفات كمالي يبيح لك الشرب أي يجعل لك الشرب مباحاً وهو كناية عن دوام غيبته في لذة مناجاته، وقوله: فما ملّ أي سئم ساقيها أي الذي أنعم بها عليك ومل ملّ أي سئم شارب لثبوت نهمته في الشرب من بحر كرم أفضاله، وقوله: عقار هو من أسماء الخمرة، لحاظ أي خمرة ناشئة عن مشاهدة الكمال ومراقبة الجلال والجمال بسكر اللبا أي يؤثر في العقل غيبته عما سوى ما هو حاصل له، وحاصل المراد أن من دامت عباداته وتوالت وارداته غلب على قلبه وعقله

صحوه بما يفهمه من صريح المقال وإن سكره بملاحظة الجلال والكمال، وإن ما سكر به هو لحظه وشاهده من صفات الجلال والكمال وشبهه بالعقار أي: الخمر لكونها مسكرة، فالمراد بالشارب المتنعم باللطف **(وأنشدوا)** أيضاً **(فأسكر القوم دور كأسٍ)** أي: شرب الكأس الدائر **(وكان سكري من المدير)** فبين به أن سكره من الفاعل لا من الفعل بخلاف غيره **(وأنشدوا)** أيضاً **(لي سكرتان وللندمان)** بضم النون جمع ندمان بفتحها والمشهور في جمعه ندامى **(واحدة. شيء خصصت به من بينهم وحدي)** فبين به أن له سكرتين سكرة بالنعم وبمحبته لها، وسكرة بالجمال والكمال من المتفضل بذلك، ولغيره من الندامى سكرة واحدة، وهي الأولى وهي كثيرة في المحبين لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، والثانية قليلة فإنها من صفة العارفين. **(وأنشدوا)** أيضاً **(سكران)** بضم السين تثنية سكر **(سكر هوى)** هو محبة النعم التي نالها واستغرق فيها **(وسكر مدامة)** وهو محبة الجمال والكمال التي هو متشوّق إليها **(فمتى يفيق فتى به سكران)** بالنسبة لمن به سكر واحد. **(واعلم أن الصحو**

النور فكان الأشبه بحال المخمور. **(قوله: فأسكر القوم دور كأس الخ)** أقول من كان من أهل الذوق لا يحتاج إلى زيادة الإيضاح، بل يكتفي بالتلويح على ما لاح، ومن لم يكن من أهله لا يزداد إلا عمى كما لا يزداد إلا عمى بنور الإصباح زيادة على نور المصباح، فهو يشير فيما ذكره إلى مقامين عظيمين الثاني منهما أرقى من الأوّل فالأوّل الاستغراق في ملاذ آثار الأفضال والثاني الاستغراق في شهود ذي الجمال والكمال.

(قوله: أي شربت الكاس الدائر) أشار بذلك إلى أن إضافة دور للكاس من إضافة الصفة للموصوف. **(قوله: وكان سكري من المدير)** أي الذي هو الفاعل وهذا هو الأكمل لعدم توسط الأثر بخلافه على الأوّل. **(قوله: لي سكرتان)** أي لذتان بالنعمة الواصلة إليّ، وبمسديها وفاء بحق الأثر والمؤثر، وقوله وللندمان أي باقي المحبين لذة واحدة حيث وقفوا مع الآثار واشتغلوا بها من المؤثر جرياً على عادة البشرية.

(قوله: لأن النفوس الخ) في العلة مع المعلل نظر إذ المعلل محبة النعم وسكرته والعلة في محبة المنعم نعم يقال يلزم من محبة النعم محبة المنعم بها. **(قوله: سكران الخ)** أي غيبتان بفائق اللذات، وسنيّ المشاهدات سكر هوى أي غيبة ميل بتوجه القلب بالكلية إلى ما ناله من فيض الإحسان، وسرّ الامتنان حتى فني في تلك الآثار وقوله: وسكر مدامة أي غيبة طرب، ولذة نشأت عن خمرة شهود مبدا مظاهر الجمال، ومجلى تجليات الكمال، وقوله فمتى أي في أي وقت يفيق أي يصحو فتى واحد الفتيان به سكران قد غلبا على لبه حتى غاب بهما عن سائر الموجودات غير المشاهد له، والمعنى على استبعاد ذلك لمثله.

(قوله: واعلم أن الصحو الخ) أتى بلفظ اعلم لأجل أن يتوجه المخاطب بكليته إلى

على حسب السكر فمن كان سكره بحق كان صحوه بحق) ومن كان سكره في حق كان صحوه في حق، ومن كان سكره لحق كان صحوه لحق، والفرق بين الثلاثة أن الأوّل بعون بلا سبب، والثاني في طلب، والثالث استغراق في الأدب. **(ومن كان سكره بحظ مشوباً كان صحوه بحظ مصحوباً، ومن كان محقاً في حاله)** أي: في حال صحوه كما وجد في نسخة كذلك **(كان محفوظاً في حال سكره والسكر والصحو يشيران إلى طرف من التفرقة)** المقابلة للجميع **(وإذا ظهر من سلطان الحقيقة)** وهي غلبة ذكر الحق على القلب **(علم)** أي: علامة **(فصفة العبد الثبور)** أي: الهلاك **(والقهر، وفي معناه أنشدوا: إذا طلع الصباح لنجم راح)** أي: لإناء خمر **(تساوى فيه سكران وصاح)** لتمكن السكر من السكران **(قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾**

ما يلقيه إليه بعدها، والمراد أنّ الإفاقة والرجوع إلى ما كان عليه العبد بحسب الغيبة في المشاهد له، فمن غيبته بحق كان صحوه كذلك وقد بين الشارح باقي أنواع السكر والصحو وأسباب ذلك. **(قوله: فمن كان سكره بحق الخ)** أي بحيث يعطي صاحبه كل مقام حقه كما فعل الخوّاص نفعنا الله به وذلك أنه قام ليلة يصلي فوثب عليه أسد فلم يعبأ به فلما كان من الغد سقطت عليه بقة فصاح منها فقيل له في ذلك فقال البارحة كنت مأخوذاً عني، والليلة مردوداً عليّ ولله در من قال:

إذا كـنـا بـه تـهـنـا دلالاً ... عـلـى كـل الـحـرائـر والـعـبـيـد

وإن كـنـا بـنـا عـدنـا إلـيـنـا ... فـعـطـل ذلـنـا ذل الـيـهـود

(قوله: إنّ الأوّل) أي في كلام المصنف بعون بلا سبب أي حاصل بإعانة الحق تعالى من غير سبب يظهر لأحد. **(قوله: والثاني)** أي في كلام الشارح في طلب أي في استدعاء مطلوب بشاهد المتابعة، فهو من عمل التكيف والأخذ بالأسباب. **(قوله: والثالث استغراق في الأدب)** يظهر أنه أعمّ مما قبله لعمومه لما له سبب، ولغيره مما منحه الرب تعالى. **(قوله: ومن كان سكره بحظ الخ)** يشير إلى أن الصحو تابع للسكر في ملابسة الحظوظ، وقوله ومن كان محقاً في حاله أي متجرّداً عن حظوظه في حال صحوه كان محفوظاً عنها في حال سكره. **(قوله: والسكر والصحو الخ)** مراده ما يعم الأنواع الثلاثة المتقدّمة في الصحو والسكر وقوله: يشيران إلى طرف من التفرقة أي باعتبار شهود آثار الإحسان والإفضال في أغلب الأحوال.

(قوله: وإذا ظهر من سلطان الحقيقة علم الخ) أي بواسطة شهود تجلي قهر وغلبة للمشاهد، فحال العبد في ذلك التجلي التلاشي بغلبة المقهورية عليه. **(قوله: وفي معناه أنشدوا إذا طلع الصباح الخ)** أقول فمعناه الظاهر قد أشار له الشارح إجمالاً والمعنى المقصود منه أن العبد المقرب إذا بدا له بوادي تجليات العظمة والجلال والقهر في حال

[الأعراف: ١٤٣] **هذا) أي**: موسى (**مع رسالته وجلالة قدره خرّ صعقاً) أي**: مغشياً عليه لهول ما رأى (**وهذا**) أي: الجبل (**مع صلابته وقوّته صار دكاً**) أي: مدكوكاً مستوياً بالأرض (**متكسراً والعبد في حال سكره**) كائن (**بشاهد الحال وفي حال صحوه**) كائن بشرط أي (**بشاهد العلم إلا أنه في حال سكره** (**محفوظ**) **بالله (لا يتكلفه**) باضطراب وغيره (**وفي حال صحوه متحفظ بتصرّفه**) الحاصل بفعل الله، وإذا كان بشاهد الحال لزمه السكون تحت ما وهب له، وإن كان بشاهد العلم لزمه حسن العمل والأدب (**والصحو والسكر**) إنما يكون (**بعد الذوق والشرب**) وقد أخذ في بيانهما فقال.

ومن ذلك (**الذوق والشرب. ومن جملة ما يجري في كلامهم الذوق والشرب ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي ونتائج الكشوفات وبواده الواردات**) من

استغراقه في سلطان الحقيقة، وشاهدها بواسطة غلبة أنوارها التي هي كالصباح المزيل للظلم تحقق الأشياء على حقائقها، فعلم بذلك أنه لا فعل ولا وصف، ولا وجود إلا له تعالى، فعند ذلك يتلاشى عن سائر الكائنات، وعن فنائه عنها وفي هذه الحالة يستوي السكران والصاحي فافهم.

(**قوله: إذا طلع الصباح لنجم راح**) أي إذا طلع في القلب وانشق له نور قمر التجلي، ولمعت لوامع شموس نهار التداني والتدلي تساوى فيه سكران وصاح أي استويا في الذبول والانمحاق، وتلاشيا لظهور مبادي التلاق، ولا تغفل عما قدمه الشارح في مثل هذا من أن الأولى عدم ذكره. (**قوله: وخرّ موسى صعقاً**) أي فقد أشار به، وبما قبله من دك الجبل إلى أنه لا فرق في هذا التجلي بين ما هو كالجبل في الثبات وبين الجبل الحقيقي، وذلك بسبب قوّة عظمة ما شوهد من ذلك التجلي. (**قوله: والعبد في حال سكره الخ**) محصله بيان لحالتي العبد سكراً وصحواً بأن سكره بما شاهد من وارداته وصحوه وإفاقته بشاهد العلم، وهو في الحالتين محفوظ بالحق مؤيد بالصدق. (**قوله: بعد الذوق والشرب**) أي وسببهما إخلاص العبادة ودوام المراقبة حتى يصل إلى ذوق لذة ذلك بواسطة واردات الأنوار، ثم إذا تمكن في هذا المقام وتوالت عليه هذه الواردات ترقى إلى مقام الشرب بسبب قوّة تلك اللذة، ثم إذا تمكن فيما وصل إليه ترقى إلى درجة الريّ وبعدها لا يتشوّف إلى شيء آخر سوى ما هو فيه.

(**قوله: ويعبرون بذلك عما يجدونه الخ**) أي كما يجد العارف من تكرر نظره في اختلاف الآثار تنوّعها ودلالتها على معاني الأسماء لأنه يرى لكل اسم نسبة، ولكل نسبة وجوهاً ولكل وجه متوجهات لا نهاية لها، وكما يجد تحقق الصفات، وإنها راجعة لأوصاف الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر، والكلام، وذلك من جهة نظره

بدهه الأمر أي: فجأه **(وأوّل ذلك)** إدراكاً يقال له **(الذوق ثم)** إذا تمكن فيه يقال له **(الشرب ثم)** إذا تمكن فيه يقال له **(الري)** بفتح الراء وكسرها **(فصفاء معاملاتهم)** مع الله **(يوجب لهم ذوق المعاني ووفاء منازلاتهم)** وانتقالهم في أحوالهم **(يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم)** لمعاملاتهم ووفاء منازلاتهم **(يقتضي لهم الري فصاحب الذوق متساكر، وصاحب الشرب سكران، وصاحب الري صاح)**، قال السهروردي: السكر لأرباب القلوب والصحو للمكاشفين **(ومن قوي حبه)** لله **(تسرمد شربه)** أي:

في الأسماء إذ لا يخرج عن معناه اسم بمعناه وقصده، وكما يجد الذات العلية بالنظر في الصفات السنية على معنى وجود الذات لا لمعنى منها، بل من حيث لزومها لوجودها لأنه يستحيل قيام الوصف بنفسه أو بمثله، فمعرفة الذات من وراء معرفة الصفات، ومعرفة الصفات من وراء معرفة الأسماء ومعرفة الأسماء من وراء معرفة الصفات والآثار فافهم.

(قوله: من ثمرات التجلي الخ) يشير بذلك إلى أنه وإن كان ليس من كسب العبد ذلك لكنه يترتب عليه، وينشأ عنه بفضل الله سبحانه وتعالى على طريق الموهبة، والله أعلم.

(قوله: ونتائج الكشوفات) هو وما بعده تفسير، وبيان لقوله من ثمرات التجلي وتوضيحه أن العمل على طريق المتابعة يثمر إشراق النور في قلب العامل المنوّر الحق للإيناس، وقوّة اليقين كما أشار بعد. **(قوله: فصفاء معاملاتهم الخ)** أي ويدل له خبر: «إذا أخلص العبد لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه»، أو كما ورد.

(قوله: ووفاء منازلاتهم) أي استيفاء مقاماتهم التي نزلوها وأقاموا فيها لأنه إذا لم يستوف السالك ذلك لم يتهيأ للإنتقال للأشرف مما هو فيه والله أعلم. **(قوله: ودوام مواصلاتهم الخ)** أي الذي لا يتم إلا بعدم الوقوف معها، بل إنما يتحقق بالفناء عن جميع الأكوان والأحوال والمقامات. **(قوله: متساكر)** أي وهو من بقي فيه بقية شعور بما له من الأحوال، وقوله وصاحب الشرب سكران أي لكونه قد غلب عليه السكر حتى لم يترك فيه بقية يستشعر بها شيئاً من الأشياء، فهو قد تم استغراقه فيما ناله، والله أعلم. **(قوله: وصاحب الري صاح)** أي لكونه قد رجع إلى ما به كماله من متابعة سيد الكمل ﷺ، وإنما كان هذا أشرف لكونه في هذا المقام يعطي كل ذي حق حقه، وذلك هو الخلق المحمدي. **(قوله: السكر لأرباب القلوب)** أي ممن لم يصل إلى مقام الروح التي هي أشرف من القلب لأنه من عالم الخلق، وهي من عالم الأمر، ولذلك كان الصحو للمكاشفين لكونهم أرباب أرواح لترقيهم عن مقامات أرباب القلوب. **(قوله: ومن قوي حبه الخ)** أي فمن وقعت له الإفاقة والصحو من السكر وعاد إلى الكمال يدوم له شرب مدام الوصال غير أنه لتحققه بالحق لا يؤثر فيه السكر بالمحق بل يكرع من شراب

دام **(فإذا دامت به تلك الصفة لم يورثه الشرب سكراً)** ولهذا قال الجنيد في هذه الحالة، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مر السحاب. **(فكان)** من دامت به تلك الصفة **(صاحياً بالحق فانياً عن كل حظ لم يتأثر بما يرد عليه ولا يتغير عما هو به، ومن صفا سره لم يتكدّر عليه الشرب، ومن صار الشراب له غذاء لم يصبر عنه ولم يبق بدونه)** وفي نسخة دونه **(وأنشدوا)** في ذلك **(إنما الكأس رضاع بيننا. فإذا لم نذقها)** أي كأس المحبة الدائرة بين المحب والمحبوب **(لم نعش)** فالحق تعالى يوالي عليهم أحوال المحبة كلما توالت عليهم طاشوا في طلبها، وعاشوا بشربها **(وأنشدوا)** فيه أيضاً:

(عجبت لمن يقول ذكرت ربي فهل أنسى، فأذكر ما نسيت
شربت الحب كأساً بعد كأس

الإفضال مع الثبات في مدارج العمال والله أعلم. **(قوله: ولهذا قال الجنيد)** أي وللإشارة إلى أن من قوي حبه دام شربه، ولم يتأثر به لبه كما قال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] أي فالمحب وإن ظهر عليه السكون قد خفي طيران قلبه في شؤون الفنون، وهيمان لبه فيما لا تحيط به الظنون. **(قوله: إنما الكاس رضاع بيننا الخ)** أي حيث أشار إلى ما يسكر من لذة الأذواق الواردة على قلوبهم التي لا غنى عن شيء منها بالنسبة لكل محب مقرب، فمن جذبه الحق من الخلق ينجلي له بجلاله وعظمته وكبريائه بما تذهل بواسطته العقول الكاملة، ولا يدرك ذلك بالكسب، فيوجب له ذلك التجلي هيبة وأنساً ثم يردّه شهود صفاته حتى يجري معناها على قلبه، فيحصل له فرق في عين الجمع، وذلك موطن العلم والمعرفة التفصيلية، ثم يرده إلى أسمائه، وذلك حقيقة المعرفة بالصفات، فيسري له التفصيل في المعاني، ثم يردّه إلى شهود الآثار فيسري له من كل اسم ظهور نسبة في الوجود فينظر الخلق بما أبدى عليهم الحق فيدخل الشريعة من عين الحقيقة.

(قوله: إنما الكاس رضاع بيننا الخ) أي فمن اعتاد شرب خمر الكاس صار كالرضيع الذي لا غنى له عن شرب لبن الرضاع، فمن ثبتت له المحبة الإلهية يدوم عليها، ولا ينفك عنها دوم زمانه، وقوله: فإذا لم نذقها لم نعش أي إذا بعد من اعتاد شرب خمر المحبة عن الشرب لم يثبت عيشه أي معيشته والله أعلم. **(قوله: شربت الحب الخ)** أي فهو يدوم في العلل والنهل في الشرب لكاسات المحبة، ومع ذلك لا تنطفيء نيران أشواقه إلى محبوبه، فلا يفيق لثبوت نهمته مع عدم نهاية كمالاته تعالى فلا الأشواق تنتهي، ولا كمالات الحق تنفد. **(قوله: كاساً بعد كاس)** يريد أنه شرب كثيراً كما يرشد إليه قوله: فما نفد الشراب ولا رويت. **(قوله: ههنا الخ)** أي فمن ذاق لذة المحبة مرّة دام

فما نفد) أي: فني **(الشراب ولا رويت ويقال)** في ذلك **(كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي ههنا)** أي: في هذا المقام **(من شرب كأساً من المحبة، لم يظمأ بعده)** لدوام تعلق قلبه بمحبوبه لما وهب من مقام المحبة **(فكتب إليه أبو يزيد: عجبت من ضعف حالك)** إذ **(ههنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغر)** أي: فاتح **(فاه يستزيد)** من كمال المحبة، فإن من تمكن فيها قل سكره وقوي على حمل ما يرد عليه من أعبائها لكمال تمكنه في مقامه. **(واعلم أن كاسات القرب)** أي: مواهب الحق

استغراقه في محبوبه فلا يفيق إلى غير ذلك، وبهذا فارق ما وصل إليه أبو يزيد من كمالات المحبة، والتمكن فيها.

(قوله: إذ ههنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغر الخ) أقول وذلك واضح لأن المحبة تزيد وتربو بالإحسان من المحسن، وحيث فضل الله تعالى واسع وخزائنه ملأى، وكمالاته لا تتناهى، فالمحب يكون حينئذ دائم الشوق إلى ما يشاهده ويؤمله من زائد إحسان ربه، ويرشد إلى ما ذكرناه خبر: «لا يمل الله حتى تملوا» فتدبر. **(قوله: واعلم أن كاسات القرب الخ)** الغرض الإشارة إلى منازل الأبرار ورتب المقرّبين ممن جدّ في المتابعات، واجتهد في الرياضات ووفق لإخلاص المقاصد والنيات حتى قوي يقينه وصار وعده نصب عيشه التي لا تظهر من علم الغيب إلاّ على من تخلص من كل عيب من ذوي الأسرار المعتقة من جميع الأكدار، والأرواح المحرّرة عن رق الأشباح، وذلك بالتجرد عن الحظوظ والشهوات، والنزاهة عن الدنيء من العادات ممن لا يشهد غير الحق، ولا يفوه إلا بالصدق إن غاب فبالموجود، وإن حضر فبالمقصود، وإن قال فبالمكاشافات، وإن فعل فبالمتابعات، وإن رضي فبالله، وإن غضب فلله، فيكون خلقه المحمدي، وظاهره وباطنه الأحمدي.

(قوله: واعلم أن كاسات القرب الخ) أي فهو يشير بذلك إلى أنّ ما أسكر من لذة القرب شراب مخصوص بأهل الخصوص، وذلك مثل حال أهل الجذب في الله ممن عتقت أسرارهم عن رق الشهوات، وتحرّرت أرواحهم عن رق العادات لا مثل السالكين من أصحاب الصحو إذ بداية المجذوب نهاية السالك لأنه قد أخذ عن نفسه إلى حضرة الحق لا بترتيب ولا تدريج، بخلاف السالك مع أن كلاّ منهما له حظ مما لصاحبه، وإنما اختلف البساط فقط فكل مجذوب سالك، ولولا ذلك لكان زنديقاً وكل سالك مجذوب إذ لولا عناية الله ما أخذ في السلوك قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]. **(قوله: تبدو من الغيب الخ)** أي فهي مواهب إلهية على حسب سابق العناية الأزلية. **(قوله: المحور والإثبات)** محصله أنّ كلا منهما يقال على تبديل الذميم من الأخلاق بالحميد منها بحسب ما اقتضته رعاية المتابعة للطريقة المحمدية

لمن قرّبه (**تبدو من الغيب، ولا تدار إلا على أسرار معتقة، وأوراح عن رق الأشياء محرّرة**) أي لا ترد إلا على أرباب القلوب الزاهدة في الدنيا المعتقة عن رق الشهوات المحرّرة عن التعلق بالعادات الجارية في عموم الأوقات. (**ومن ذلك المحو، والإثبات المحو رفع أوصاف العادة**) بغيرها (**والإثبات إقامة أحكام العبادة فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة، وأتى بدلها بالأفعال والأحوال الحميدة، فهو صاحب محو وإثبات**) فمحو الجهل يحصل بإثبات العلم ومحو الكل يحصل بملازمة العمل وكذا القول في سائر ما يمحى ويثبت في القلوب، والجوارح من الصفات. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: قال بعض المشايخ لواحد**) من تلامذته (**أيش**) أي: أي شيء (**تمحو وأيش**) أي: وأي شيء (**تثبت**) سأله عن حاله في وقته ليعرف مقامه الذي هو فيه (**فسكت الرجل فقال**) له (**أما علمت أن الوقت محو وإثبات إذ من لا محو له ولا إثبات فهو معطل**) بفتح الطاء (**مهمل**) نبهه لما سكت على ما ينبغي له الاشتغال به في وقته حيث عرفه أن العبد متى لم يكن مشتغلاً بإزالة الصفات

والسنة المصطفوية، وقد قدمنا أنّ المحو أنواع فارجع إليه إن شئت، وسيأتي للشارح.
(**قوله: فمن نفى عن أحواله الخ**) محصله أنه أنواع بعضها من الكمال وباقيها من الأكمل وكل منها لا يتم إلا لمن قويت متابعته لسيد المرسلين، وإمام النبيين والعارفين من المحققين فجميع الأحوال والمقامات لا يترتب إلاّ على إخلاص العبادات بعد إيقاعها على سنن المتابعات. (**قوله: فقال أما علمت الخ**) أقول ما ذكره نفعنا الله ببركاته شامل لجميع أنواع المحو والإثبات الذي هو بالنسبة للعوام والخواص وخواص الخواص.
(**قوله: فهو معطل مهمل**) أي حيث فوت على نفسه ما به يكون الشرف، بل قد يكون تعرض إلى مهاوي المهالك وأسباب التلف.

(**قوله: وينقسم الخ**) محصله أنّ المحو والإثبات قد يعتبر من جهة العبد، وقد يلاحظ من حيث فعل الرب، أما الأوّل فأقسام ثلاثة محو المخالفات الظاهرة والباطنة برعاية المتابعات، ومحو الغفلات بنفي الحظوظ والمألوفات بدوام المراقبات، ومحو العلل المشغلات بحقق دوام المواصلات، وأما الثاني فهو ما نزه الحق عبده عنه ونفاه بما أثبته له من المقامات والمكاشفات، وذلك لا نهاية له إلا أنه بمشيئة الحق سبحانه وتعالى. (**قوله: إلى محو الزلة عن الظواهر**) أي وذلك يتحقق بعدم إيقاع الجوارح الظاهرة في شيء من الذنوب التي تكون بها كالغيبة والنميمة والنظر إلى ما حرم الله النظر إليه وأكل الحرام وشربه والزنا واللواط والسعي فيما لا يجوز في الشريعة وغير ذلك من باقي ما يتعلق بها. (**قوله: وفي نحو الغفلة الخ**) أي وهو يتحقق بدوام مراقبة الحق في جميع الحركات والسكنات.

الذميمة بإثبات أضدادها من الصفات الحميدة، فهو معطل مهمل. **(وينقسم)** المحو انقساماً آخر أعلى مما مر من محو العادة **(إلى محو الزلة عن الظواهر)** أي: الأبدان **(ومحو الغفلة عن الضمائر)** أي: القلوب **(ومحو العلة عن السرائر، ففي محو الزلة إثبات المعاملات)** مع الله تعالى **(وفي محو الغفلة إثبات المنازلات)** من المقامات **(وفي محو العلة)** وهي المشغلة عن الله تعالى **(إثبات المواصلات)** به تعالى **(هذا)** المذكور **(محور إثبات بشرط العبودية)** أي: بالإضافة إلى العبد **(وأما)** وفي نسخة فأما **(حقيقة المحو والإثبات)** وهي التي من جهة الحق تعالى **(فصادران)** الأولى فصادرة **(عن القدرة)** الإلهية **(فالمحو ما ستره الحق)** تعالى **(ونفاه)** عن العبد **(والإثبات ما أظهره الحق وأبداه والمحو والإثبات)** من هذه الجهة **(مقصوران على المشيئة)** من الله تعالى ولا نهاية لهما، **(قال الله)** سبحانه و **(تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] قيل يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى، ويثبت على ألسنة المريدين ذكر الله)** وجمهور المفسرين على أن المعنى يمحو ما يشاء، ويثبت من الأحكام وغيرها، فلا نهاية لذلك. **(ومحو الحق لكل أحد وإثباته)** له يكون **(على ما**

(قوله: وفي محو الغفلة الخ) أي وهو لا يتحقق إلاّ بتنقية الذاآت الباطنة كالحقد والحسد والكبر والعجب وغيرها، ثم بعد ذلك يخلص القصد في عبادته لله وحده.
(قوله: فصادران عن القدرة) أي بحسب القسمة بالحكمة ولذا تجد بعض المجذوبين هابطاً في تجليه من الحقيقة إلى الحكمة، وتجد بعض السالكين صاعداً في ترقيه من الأغيار إلى الحقيقة، وكل على كماله والله أعلم.

(قوله: الأولى فصادرة) أي لأن المحدّث عنه حقيقة المحو والإثبات. **(قوله: فالمحو ما ستره الحق تعالى ونفاه عن العبد)** أي ما ستره ونقله عنه من كل شاغل يشغله عن ربه، والإثبات ما أثبته له من كل ما يدنيه إلى قربه من رحمته. **(قوله: قيل يمحو عن قلوب العارفين الخ)** قصره عليهم للعناية وإلا فالتعميم أحق في الرعاية، أو هو باعتبار الشأن والعادة الإلهية. **(قوله: ومحو الحق لكل أحد الخ)** أي فما يمنح الله به عبده وما يورده عليه من واردات إحسانه هو على ما يليق بحال العبد بحسب سابق القسمة بالحكمة الباهرة، واعلم أنّ المحو والإثبات بالنظر للآثار، وذلك يختلف باعتبار الناظر فيها لأنه إما أن يكون مجوذباً أو سالكاً، فالمعنى الذي دخل به المجذوب في الآثار ليس هو المعنى الذي خرج عنه السالك لربه فهما بين داخل وخارج أبداً وقد يلتقيان في المنازل، فيكون المجذوب نازلاً والسالك في مشاهدتها صاعداً وكذلك حالهما في الأسماء والصفات فيتفق علمهما ومنازلتهما، ويختلف بساطهما مع الاتفاق في المقصد فافهم.
(قوله: على ما يليق بحاله) أي على حسب استعداده بمقتضى سابق القسمة والحكمة.

يليق بحاله ومن محاه الحق سبحانه) وتعالى **(عن مشاهدة)** أي: مشاهدته لنفسه، وأفعاله **(أثبته بحق حقه، ومن محاه الحق عن إثباته به)** أي: بحق حقه **(رده إلى شهود الأغيار وأثبته في أودية التفرقة، وقال رجل للشبلي رحمه الله: ما لي أراك قلقاً)** كالطالب غائباً **(أليس هو)** أي: الحق **(معك وأنت معه فقال الشبلي لو كنت أنا معه)**

(قوله: ومن محاه الحق الخ) محصله أن من أراد الحق سبحانه وتعالى سحقه ومحقه عن سائر الكائنات أثبته أي حققه بحق حقه أي جعل حاله الوجود بوساطة فنائه عن فنائه بحق الحقيقة أي بغلبة مشاهدة أنوار الحقيقة فيتم له الوجود بها، ومن محاه عن هذا المقام الذي أثبته له الذي هو الوجود بالحقيقة ردّه منه إلى شهود الأغيار بإثباته في أودية التفرقة، فإذا كان العبد ممن سبق له الكمال يدوم في التفرقة مشاهداً للخلق بما لهم وللحق بما له وإلا جازت غيبته عن الأغيار مرة أخرى بالثبوت في مقامه الأوّل وهو الوجود بغلبة الحقيقة عليه. **(قوله: فقال الشبلي لو كنت أنا معه الخ)** اعلم وفقني الله وإياك أنّ أنوار السماء نجوم وأقمار وشموس، وأنوار القلوب فهوم وعلوم ومعارف فكما أنّ أفق السماء مواضع طلوع وظهور، كذلك أفق القلوب مواضع وجود فما يظهر فيه أنوار القلوب وجود المعاملات، وهي أيضاً أفق لما يبدو فيها من الثمرات، وثمراتها أفق لما يرجى من قبولها، فالشبلي وغيره قد تكلم بحسب شربه وحظه من تلك الأنوار رزقنا الله وإياك حسن الاستبصار. **(قوله: فقال الشبلي الخ)** محصله إجمالاً التبري من القوّة والحول بإظهار حقيقة الفعل لمن له الطول. **(قوله: كنت أنا)** أي وذلك لكونه في أودية التفرقة، وقوله ولكني محو الخ أي وذلك لكونه في حظائر الجمع. **(قوله: ولما كان المحق مناسباً للمحو)** أي مناسباً له من وجه لا من كل وجه، فلا ينافي قوله بعد والمحق فوق المحو. **(قوله: والمحق فوق المحو)** أي ولا بدّ للمحب الطالب من منازلتهما، وقهر النفس على التخلق بهما ويشير إلى ما ذكرناه قول ابن الفارض قدّس الله سره:

ومن يتحرّش بالجمال إلى الردى	أرى نفسه من أنفس العيش ردّت
ونفس ترى في الحب أن لا ترى عنا	متى ما تصدّت للصبابة صدّت
وما ظفرت بالحب روح مراحة	ولا با لولا نفس صفا العيش ودّت
وأين الصفا هيهات من عيش عاشق	وجنة عدن بالمكاره حفت

يعني من أراد شهود الجمال ردّت نفسه إلى الهلاك، وذلت إذ تدلت من شوامخ الدلال وإن اعتقدت أن لا ترى مشقة في قصدها صدت عن ورودها، ولا يحصل الظفر بالمحبة لروح للراحة محبة، ولا ينال الودّ والولاء من ودّت نفسه صفاء العيش بالعافية من البلاء واستبعد الناظم الصفاء للعاشق في دار الأكدار، والجنة محفوفة بالمكاره لخبر: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»، وقال أيضاً: «الدنيا سجن المؤمن»،

بنفسي **(كنت أنا)** أي: ثابتاً مختاراً لما أنا فيه **(ولكني محو فيما هو)** مجريه عليّ من أحكام القدرة بالتصرف فيّ كيف شاء كلمه السائل بأحكام العبودية وأجابه الشبلي بأحكام الربوبية، ولما كان المحق مناسباً للمحو ذكره بقوله **(والمحق فوق المحو لأن المحو)** في العادة **(يبقي أثراً والمحق لا يبقي أثراً)** بل يزيل الشيء بالكلية **(وغاية همة القوم)** وطلبهم **(أن يمحقهم الحق عن شاهدهم)** أي مشاهدتهم لأنفسهم **(ثم لا يردّهم إليهم بعدما محقهم عنهم)** ومتى ردّهم إليهم لقيام حقه ورجاء فضله لم يكن ذلك نقصاً، بل هم في ذلك محل لجريان فعله لا شغل لهم بغيره.

(ومن ذلك الستر والتجلي) الستر من قبل العبد كون البشرية حائلة بين السر وشهود الغيب، فإذا ظهر النور الغيبي أزال حجاب البشرية، ومن قبل الحق ستره عن العبد حاله والتجلي من قبل العبد زوال حجاب البشرية والصقال مرآة القلب عن صدأ طبائع البشرية، ومن قبل الحق كشفه عن العبد حاله، وسئل بعضهم عن التجلي والتحلي والتخلي فقال: التجلي ظهور الذات في حجب الأسماء والصفات تنزلاً،

وقال: «لا راحة للعبد دون لقاء ربه» إلى غير ذلك من الأخبار، وقد لوّح الناظم لذلك أيضاً في اللامية حيث قال:

فإن شئت أن تحيا سعيداً فمت به شهيداً وإلّا فالغرام له أهل

(قوله: لا يردهم إليهم) أي لا يردّهم إلى الإحساس، وذلك لقوّة لذة يجدونه في حال سكرهم ومحقهم. **(قوله: الستر والتجلي)** أقول هما من متعلقات قدرته تعالى وإرادته فهما من المحدثات عن تصاريف الحق تعالى. **(قوله: كون البشرية حائلة)** أي وذلك باعتبار وقوف العبد مع عاداته ومألوفاته، وقوله: فإذا ظهر النور الغيبي أي إذا أشرقت أنوار المعاملات على طريق المتابعات بواسطة إخلاص النيات أزال ذلك حجاب البشرية أي كان سبباً في ذلك.

(قوله: ستره عن العبد حاله) أي لطفاً به ليدوم على جده واجتهاده في معاملاته لاحتمال وقوفه واستحسانه ما يمنحه ربه به لو كشف له ذلك. **(قوله: زوال حجاب البشرية)** أي سواء كان بكسب، أو موهبة باعتبار سابق القسمة. **(قوله: وانصقال مرآة القلب)** أي صفائها وجلائها بكثرة الذكر والفكر والاستغفار، أو بالموهبة في باطن الأمر، وإنْ لم يظهر في بادىء العين حتى يشهد ما يرد على السر من أنوار الواردات الإلهية. **(قوله: كشفه عن العبد حاله)** أي حتى يذوق لذة المناجاة، وما منح من توالي الإمدادات السرية.

(قوله: ظهور الذات في حجب الأسماء الخ) أي بأن يشهد العبد ذاته تعالى من وراء

والتحلي القيام بمعاني الأسماء تعبداً وتمثلاً، والتخلي سقوط الإرادة والإختيار اعتماداً وتوكلاً. **(العوام)** من الصوفية **(في غطاء الستر)** بأن يخفي الله عنهم أحوالهم **(والخواص)** منهم **(في دوام التجلي)** من الله لقلوبهم حتى يعبدوا الله كأنهم يرونه **(وفي الخبر: إن الله إذا تجلى لشيء خشع له)** هيبة **(فصاحب الستر بوصف شهوده، وصاحب التجلي أبداً)** كائن **(بنعت خشوعه والستر للعوام)** أي: ستر عيوبهم عنهم **(عقوبة)** لهم وبلاء، وأما ستر ما لا حاجة لهم به من العلوم، ولا قدرة لهم عليه عنهم لضعفهم عن إدراكه فرحمة لهم **(و)** الستر **(للخواص)** أي: يستر ما يكاشفهم الله به عنهم **(رحمة لهم (إذ لولا أنه يستر عليهم)** بمعنى عنهم **(ما يكاشفهم به)** ويظهره عليهم **(لتلاشوا عند سلطان الحقيقة، ولكنه كما يظهر لهم)** ما يكاشفهم به أي: عند ظهوره لهم **(يستر)** ه **(عليهم)** أما ستر ما يوجب لهم الغفلة عنهم فنقص، فالستر والتجلي يختلفان

حجب الأسماء والصفات بطريق التنزل منهما رحمة بالعبد ولطفاً به من ربه. **(قوله: القيام بمعاني الأسماء)** أي التحقق بما اقتضتها سواء لايم مألوفه أم لا وذلك لقيامه بحق عبوديته، وقوله: سقوط الإرادة والاختيار أي تحققاً بمقام التوكل والتفويض. **(قوله: بأن يخفي الله عنهم أحوالهم)** أي لطفاً بهم كما قدمنا ليدوموا على جدهم واجتهادهم في عباداتهم فقد أشار إلى أن الحجاب والستر على معنى صرف الحق عبده عما يريد ستره عنه لا على معنى أنه أمر وجودي يحول بين العبد وربه، إذ لو قيل بذلك لكانت الحجة في عين ما يدّعي العبد أنه حجاب، ويرحم الله التستري حيث قال:

ما للحجاب وجود في وجودكم ... إلا بسر صروف انظر إلى الجبل

فافهمه، فإنه لطيف. **(قوله: فصاحب الستر بوصف شهوده)** أي فيكون دائماً متحققاً بما منّ الله عليه به متنعماً به، وقوله: وصاحب التجلي أبداً بنعت خشوعه أي فيكون في دائم أوقاته خاشعاً هائباً خانساً لأنّ هواتف الحقيقة إذا بدت لعبد خشع لها وخنس، وتلاشى متبرئاً من نفسه وما لها. **(قوله: عقوبة لهم وبلاء)** أي لأنّ من أحبه الله تعالى يبصره بعيوب نفسه، ويشغله بها عن عيوب غيره وبعنايته به يعجل عقوبته بها في الدنيا، إن لم يدركه عفوه وإحسانه. **(قوله: وأما ستر ما لا حاجة لهم به الخ)** أي فالستر بالنسبة للعوام على قسمين، فقد يكون عقوبة لهم وبلاء كما تقدّم، وقد يكون رحمة لهم كما هنا.

(قوله: والستر للخواص الخ) محصله أنه يكون رحمة، وذلك بستر ما لا طاقة لهم على شهوده من أحوال الحقيقة مما لو بدا منه شيء لتلاشوا عند سلطانه، فالحق تعالى برحمته لهم يظهر لهم ما يطيقونه ويستر عنهم ما لا يطيقونه، فحينئذ الستر في حقهم دائماً يكون رحمة. **(قوله: أما ستر ما يوجب لهم الغفلة عنهم فنقص)** أي فهو وإن كان جائزاً في حقهم غير أنهم محفوظون منه. **(قوله: يختلفان باختلاف الأحوال)** أي وذلك بالشهود

باختلاف الأحوال، وبما تقرّر علم أن الستر على وجهين: ستر الله لعبده بإخفاء حاله عن غيره وستره عليه، مما يجوز أن يظهره له، فإن ستر عنه عيوبه كان ستره بلاء وإن ستر عنه نظره إلى أعماله واستحسانه لأحواله كان ستره رحمة له. (**سمعت منصور المغربي رحمه الله يقول: وافى بعض الفقراء حياً من أحياء العرب، فأضافه شاب فبينما الشاب في خدمة هذا الفقير إذ غشي عليه فسأل الفقير عن حاله فقالوا**) في جوابه (**له بنت عم وقد علقها**) أي: تعلق قلبه بها (**فمشت في خيمتها فرأى الشاب غبار ذيلها فغشي عليه فمضى الفقير إلى باب الخيمة وقال**) لبنت عمه (**إن للغريب**) مثلي (**فيكم حرمة وذماماً**) بمعنى الحرمة (**وقد جئت مستشفعاً إليك في أمر هذا الشاب، فتعطفي عليه فيما هو به من هواك**) أي: حبه لك (**فقالت**) له المرأة (**سبحان الله أنت سليم القلب إنه لا يطيق شهود غبار ذيلي فكيف يطيق صحبتي**) إشارة إلى الستر الذي هو رحمة من الحق فيمن لم يطق التجلي (**وقوام هذه الطائفة عيشهم في التجلي وبلا وهم في الستر**) كما مر، (**وأما الخواص فهم بين طيش وعيش لأنهم إذا تجلى لهم**) الحق (**طاشوا وإذا ستر عليهم ردّوا إلى الحظ**) أي: حظهم (**فعاشوا، وقيل إنما قال الحق تعالى لموسى عليه السلام ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]**) الآية (**ليستر عليه**

في الستر والخشوع في التجلي بالنسبة للعارفين، وبالنسبة للعوام يكون نقصاً وحجاباً، والحاصل أن الستر قد يكون نعمة ورحمة، وقد يكون نقمة، وذلك بالنسبة للعوام، وللخواص فأما ستر عيوب العوام عنهم، فهو نقمة وعقوبة وبلاء وأما ستر ما لا حاجة لهم به، ولا طاقة لهم عليه من العلوم والمعارف، فهو لطف بهم ورحمة لهم، وأما الستر بالنسبة للخواص، فيقال فيه أيضاً إن ستر عنهم ما يكاشفهم به على معنى أن يستر عنهم كنه ما كوشفوا به لعدم طاقتهم عليه فهو رحمة ولطف ومنه ستر حالهم عن غيرهم غيرة عليهم، وأما ستر ما يوجب لهم الغفلة فنقص فأنواع الستر خمسة اثنان للعوام، وثلاثة للخواص والله أعلم. (**قوله: يقول وافي بعض الفقراء الخ**) في ذلك تنبيه على أن الستر قد يكون رحمة، وذلك بالنسبة لمن لا يقوى على سطوع نور التجلي فافهم. (**قوله: عيشهم**) أي معيشتهم في التجلي أي بما يطيقونه، فلا ينافي ما قدّمه من ستر الرحمة. (**قوله: وبلاؤهم في الستر**) أي في ستر عيوبهم عنهم كما تقدم. (**قوله: بين طيش وعيش**) أي بين سكر ودهشة وصحو وإقامة.

(**قوله: لأنهم إذا تجلى لهم الحق طاشوا**) أي سكروا وغابوا في لذة ما أبداه ذلك التجلي لهم، وقوله: وإذا ستر عليهم ردوا إلى الحظ فعاشوا أي ردوا إلى حظهم من المتابعة والعبور على ظواهر الشرع فتلذذوا بمعيشتهم وداموا على مجاهدتهم في عبادة ربهم. (**قوله: ليستر عليه الخ**) أي فهو ستر رحمة لا رجاء به إلى إحساسه عما فجأه من

ببعض ما يعلله به) أي: يلهيه به **(بعض ما أثر فيه من المكاشفة بفجأة السماع)** أشار بذلك إلى أن الحق يلاطف بعض أوليائه ويؤنسهم قبل أن يفجأهم، فلا يطيقون حمله، فهذا الستر رحمة في حقهم **(وقال ﷺ إنه ليغان)** أي: يغطي **(على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرّة والاستغفار طلب الستر)** للذنب وشبهه **(لأن الغفر هو الستر، ومنه غفر الثوب والمغفر وغيره فكأنه أخبر أنه يطلب الستر على قلبه عند سطوات الحقيقة إذ الخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق وفي الخبر: لو كشف)** للعبد **(عن وجهه)** أي عن ذات الحق **(لأحرقت سبحات وجهه)** بضم السين والباء أي: نوره وجلاله وعظمته **(ما أدرك بصره)** أي: العبد، أشار إلى أن العبد لا يطيق رؤية الحق تعالى، ولا كمال جلاله وإنما يكشف لكل عبد من رؤيته في الدنيا ما تقوى

دهشة التكليم، وسماع كلام الحق سبحانه وتعالى. **(قوله: إنه ليغان الخ)** أي باغيان الأنوار القدسية التي توجب استغراقه بسبب غلبتها على قلبه، وقوله: حتى أستغفر الله الخ أي حتى يكثر طلب الإستغفار مني لأعود إلى إحساسي، فأقوم بما أمرت به من الإبلاغ، والحاصل أن ما يستغرق فيه وما يرجع إليه بالستر الحاصل بالاستغفار مما يدوم له به الترقي إلى المقامات الأنفسية، فهي أغيان أنوار لا أغيان أغيار فافهم.

(قوله: لو كشف عن وجهه الخ) أي لو أزيل الحجاب عن العبد المانع له من رؤية الرب لأحرقت سبحات وجهه أي: أنوار عظمته وجلاله وكماله تعالى ما أدرك بصره أي لأنه لا يبقى الخلق مع الحق، والحاصل أن رؤيته تعالى على حسب طاقة الرائي، وهي بالبصر ممتنعة في الدنيا إلا بالنسبة إليه ﷺ، وأما لغيره فهي فيها بالبصيرة فقط، وأما في الآخرة، فهي بالبصير لعموم المؤمنين على ما يليق به تعالى، وما يطيقونه بأن يخلق فيهم قوّة رؤيته على ما يليق به والله أعلم.

(قوله: أشار إلى أن العبد الخ) محصله أن رؤية الله في الدنيا بالبصيرة، وفي الآخرة بالبصر لا تكون على المعهود من الإحاطة بالكنه ولوازمها بل تكون على ما يطيقه العبد، وعلى ما يليق بجلال الرب. **(قوله: كان يكشف له الخ)** هو تصوير لما يكون في هذه الدار بالنسبة لمشاهدة بعض المقرّبين من المؤمنين. **(قوله: كأنك تراه)** أي حيث أشار بالكائنية إلى استحالة ما عهد للبشرية من علم الكنه كالمحسوسات مع الحصر للذات على جري العادات. **(قوله: المحاضرة الخ)** أقول هذه الألفاظ قد جرت على ألسنة الصوفية رضي الله تعالى عنهم، والمراد بها على طريقتهم علوم ومعارف ربانية ترد على القلوب على حسب قوّة الصدق والإخلاص في العبادة وضعفه، فيعبرون عنها بتلك الألفاظ بمقتضى اختلاف الوارد النوراني قوّة وضعفاً، ونهاية الغرض أنها باعتبار حال يقين العبد، فلا تظن فيها ما تعورف من معانيها والله أعلم.

عليه ببصيرته وفي الآخرة ما يدركه ببصره لا على الوجه المعهود، وليس المراد بقولهم المكاشفة، والمشاهدة ونحوهما من الألفاظ معاينة الذات حقيقة، فإن ذلك لا يقع في الدنيا، ولا في الآخرة على الوجه المعهود، بل على وجه آخر لا يحيط به التعريف من غير تعطيل، ولا تكييف كأن يكشف له علة صفات الجلال والجمال فإن من غلب على قلبه أمر كثر تصوّره له وأخطاره بباله بحيث يصير كالمشاهد له، وإليه الإشارة بقوله ﷺ في تفسير الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه».

(ومن ذلك المحاضرة) والكشف **(والمكاشفة والمشاهدة)** والمعاينة وهما أكمل من المكاشفة لا بالعكس خلافاً للغزالي والمكاشفة والكشف أكمل من المحاضرة كما أشار إلى ذلك في غير الكشف بقوله **(المحاضرة)** تكون **(ابتداء)** أي: أوّل المراتب **(ثم المكاشفة)** وفي نسخة والمكاشفة بعده **(ثم المشاهدة، فالمحاضرة حضور القلب)** مع الله تعالى بالبرهان **(وقد يكون)** حضوره **(بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر)** أي: الحجاب **(وإن كان حاضراً باستيلاء سلطان الذكر)** وبعدها الكشف وهو إزالة الستر الحسي واستنشاق الأسرار الإلهية من وراء الحجب البشرية، **(ثم بعده المكاشفة وهو حضوره)** أي القلب **(بنعت البيان)** التام بالبرهان **(غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمّل الدليل وتطلب السبيل)** أي: الطريق **(ولا مستجير)** أي: مستعيذ **(من دواعي الريب ولا محجوب عن نعت الغيب)** لأنه صار كالعلم الضروري الذي لا يستطيع دفعه عن

(قوله: المحاضرة تكون ابتداء) أي لأن المراد بها حضور القلب وقت الذكر واستحضار عظمة المذكور وإحاطة علمه، وذلك بواسطة قوّة تواتر البرهان على القلب، ومع ذلك يكون قلب الذاكر من وراء الحجاب لأنه مستور عنه ما هو إلاّ رفع مما كشف له كالمكاشفة وما بعدها. **(قوله: وإنْ كان حاضراً الخ)** هذه الغاية نظراً لكونه في حالة المحاضرة من وراء الستر فهو محجوب عن الإشرف، ولو غلب عليه سلطان الذكر واستغرق فيه. **(قوله: وهو إزالة الستر الحسي)** يحتمل أن المراد بيان معنى مطلق الكشف بقطع النظر عن المقام، ويحتمل أن جعله حسياً باعتبار مصدره من حركات العبد، وقوله واستنشاق الأسرار الإلهية أي التشوّف لبدوّها من وراء الحجب البشرية لكونها متحققة في هذا المشهد لم تنعدم بالكلية. **(قوله: وهو حضوره أي القلب بنعت البيان)** أي الذي هو نتيجة وثمرة البرهان، ومحصله أن صاحب مقام المكاشفة يستغني عن تكرّر النظر في البرهان اكتفاء بيقين ثمرته من البيان، ولذلك قال المصنف غير مفتقر الخ. **(قوله: ولا مستجير الخ)** أي لثبوت أمنه من تطرق دواعي الريب والشك إلى قلبه. **(قوله: ولا محجوب عن نعت الغيب)** أي وذلك من قوّة اليقين التي نشأت من البرهان والبيان المزيل لجميع الحجب من الظنون والشكوك والأوهام حتى صار معلومه كالمتحقق بالعلم

نفسه، **(ثم المشاهدة وهي حضور الحق)** تعالى **(من غير بقاء تهمة)** لما شاهده من الكمال وتطلق المشاهدة على رؤية الأشياء بأدلة التوحيد، وعلى رؤية الحق في الأشياء وعلى حقيقة اليقين، وهو الموافق لما ذكره المصنف، والضمير إذا وقع بين مؤنث ومذكر يجوز تأنيثه وتذكيره كما سلكه في ضميري المكاشفة والمشاهدة، **(فإذا أصحت سماء السر عن غيوم الستر)** أي: الحجاب **(فشمس الشهود)** للحق **(مشرقة عن برج الشرف وحق المشاهدة ما قاله الجنيد رحمه الله وجود الحق)** تعالى **(مع فقدانك)** وفنائك **(فصاحب المحاضرة مربوط بآياته)** أي: براهينه وخوارق عاداته **(وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته)** ونعوته **(وصاحب المشاهدة ملقى بذاته)** لفنائه عما سوى الحق **(و)** أيضاً **(صاحب المحاضرة يهديه عقله)** بالنظر في الأدلة

الضروري الذي لا يستطيع دفعه عن نفسه. **(قوله: وهي حضور الحق)** أي تحققه في قلبه بحق اليقين بحسب ما اتضح له من شهود العين. **(قوله: من غير بقاء تهمة)** أي شبهة لما شاهده من الكمال لتحقق يقينه بوجوده.

(قوله: وعلى رؤية الحق في الأشياء) أي فصاحب مقامها يطالع الحق في الخلق أي يرى الخلق قائماً بالحق بواسطة فنائه فعلاً ووصفاً في فعل الحق وفي وصفه. **(قوله: يجوز تأنيثه وتذكيره)** أي باعتبار المحدّث عنه والحديث. **(قوله: فإذا أصحت سماء السر الخ)** يشير بما اتقنه من الحكمة الإشارية، وأحكمه من نسج برد الواردات الأقدسية إن ما تشرّف به نوع الإنسان وارتفع به على سائر الأكوان من سر الله المودع في السر، ومدار التكاليف بالأمر والنهي إذا انجلى عنه حجاب الغفلات وستر المكاشفات وعين المراقبات، يبدو له بذلك بدر سماء السعود، وتشرق له شمس شرف الشهود، ويتجلى له الإله الحق المقصود، وذلك بواسطة إفاضة الأنوار على عين بصيرة الإستبصار، فيرى الحق بحق اليقين، ويشافهه بإلهام سر التمكين لتحققه بشرف مقام الوجود بفناء الفناء عن غير ذات المعبود، هذا ما أشار إليه بلطيف العبارة وما رمز له بفائق الإشارة تأمّل تفهم، والله بالحال أعلم. **(قوله: وحتى المشاهدة ما قاله الجنيد)** إذا تأمّلت ما تقدّم تعلم أنه مثل ما أشار إليه الولي الأعلم. **(قوله: وجود الحق تعالى مع فقدانك)** أي مع فنائك عما سواه حتى عن نفسك الذي هو لا يكون إلا إذا تحقق العبد في مقام الوجود وجمع الجمع. **(قوله: مربوط بآياته)** أي لوقوفه معها وسكونه إليها، وقوله: مبسوط بصفاته أي آنس بما منحه الحق تعالى من نعت البيان والإستغناء عن البرهان.

(قوله: ملقى بذاته) أي غريق في بحار أحدية الحق تعالى فهو لا يرى في الوجود غيراً لتحققه بمقام الوجود الحق، والله أعلم.

(قوله: يهديه عقله) أي يدله على الحق لأنه آلة في النظر في الأدلة والبراهين إذ هي

(وصاحب المكاشفة يدنيه) أي يقربه **(علمه)** بالحق وصفاته **(وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته)** بذلك **(ولم يزد في بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله عمرو بن عثمان المكي رحمه الله)**

(ومعنى ما قاله أنه تتوالى أنوار التجلي على قلبه من غير أن يتخللها ستر) أي: حجاب **(وانقطاع)**، وتتوالى **(كما لو قدر اتصال البروق)** في الليلة الظلماء **(فكما ان الليلة الظلماء بتوالي البروق فيها واتصالها)** أي: اتصال بعضها ببعض **(إذا قدرت** وجوداتها **(تصير في)** نحو **(ضوء النهار، فكذلك القلب إذا دام به دوام التجلي)** بدوام أنوار المعارف عليه، ولم يتخللها غفلة **(متع)** ببنائه للفاعل بالمثناة الفوقية، وتخفيفها أي: ارتفع وطال **(نهاره فلا ليل)** له، **(وأنشدوا)** في معناه:

(ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس ساري
والناس في سدف) جمع سدفة بضم السين وفتحها فيهما وهي الظلمة أي: ظلم **(الظلا * م ونحن في ضوء النهار * وقال النوري لا يصح للعبد المشاهدة،**

مرائي ينظر العقل فيها صور الأشياء بل يتحقق فيها حقائقها. **(قوله: يدنيه)** أي يقرّبه قرباً معنوياً على الذي هو ثمرة نظره في الدليل على معنى أنه يوصله لمقصوده، ويبلغه إلى غاية مطلوبه. **(قوله: تمحو معرفته)** أي لأنها تنتج أن الوجود عين الموجود، وأنه لا شيء غير الوجود الذاتي الحق. **(قوله: ولم يزد في بيان الخ)** أقول إذا نظرت فيما قدمته وأشرت إليه، وعوّلت في بيان المراد عليه عند قوله: فإذا أصحت الخ تعلم أنه يؤدّي معناه، ويناشد بفحواه، والله ولي الإحسان لا يخص بالحكمة أهل زمان والله أعلم. **(قوله: ومعنى ما قاله الخ)** محصله أن هذه الأنوار باعتبار عدم دوامها تكون كالبروق غير أن البروق إذا توالت وتراسلت في الليلة الظلماء تصيرها كالنهار بكثرة الأضواء، فكذلك القلب إذا دام به التجلي بدوام أنوار المعارف متع نهاره، وانتفع به انتفاعاً تاماً. **(قوله: ليلي بوجهك مشرق الخ)** الغرض له التحدّث بمظاهر الكرم والشكر لمولى النعم ببيان ما منحه من معارف الأنوار، وآيات التبصر والإستبصار مما صار به ليله كرابعة النهار بواسطة فنائه عن حظوظ الغفلات التي قد يخفي سريانها في طبع البشريات، فكأنهم بها في حالك الظلام محجوبين عن مقام الإحترام، وهو نفعنا الله به بواسطة توالي الأنوار دائم التنعيم، وبالمتابعات على الصراط المستقيم، قوله ليلي أي ما كان يشبهه في الظلمة التي تنشأ من الوقوف مع العادات والمألوفات، مشرق بوجهك أي مضيء بقصدك، والعمل بمتابعة نبيك، مع أن الحال في غالب الناس عموم ظلمته واستحكام مضرّته لعدم توفيقهم لإماطة عيوبهم، والحجة لله سبحانه وتعالى حيث لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وإلا فالكيل عبيد ومحل للتسديد، فافهم.

وقد بقي له عرق قائم) لإستغراق قلبه في ذات الحق وصفاته، **(وقال)** استشهاداً لذلك **(إذا طلع الصباح استغني عن المصباح)** أي: إذا وصل العبد إلى هذه الحالة استغنى بها عن الأسباب. **(وتوهم قوم أن المشاهدة تشير إلى طرف من التفرقة لأن باب المفاعلة في)** علم **(العربية)** تقتضي أن يكون الفعل **(بين اثنين)** فأكثر بفعل أحدهما بالآخر كما فعل الآخر به نحو ضارب زيد عمراً، فلا بدّ للعبد أن يدرك نفسه وربه **(وهذا وهم)** بفتح الهاء من وهم في الحساب بكسرها أي: غلط وبإسكانها من وهم في الشيء بفتحها أي: ذهب وهمه إليه **(من صاحبه)** أي قائله **(فإن في ظهور الحق سبحانه ثبور الخلق)** أي: هلاكهم وفناءهم عن أنفسهم بأن لا يدركوها، ولا يلزم من ذلك تفرقة **(و)** أيضاً **(باب المفاعلة جملتها لا تقتضي مشاركة الإثنين)** بل بعضها

(قوله: وقد بقي له عرق قائم) أي معرفة ثابتة بشيء من الأشياء غير الحقة. **(قوله: إذا طلع الصباح الخ)** أقول الغرض تقريب المعنى بالمألوف حيث مثل بالمحسوس المعروف، والقصد أنه بشهود رب الأرباب لا يعول على شيء من الأسباب. **(قوله: تشير إلى طرف من التفرقة)** أقول هو كذلك بقياس الغائب على الشاهد وإلا فمشاهدة القديم منفرداً في الوجود يلزمها الثبور والهلاك لسائر المكوّنات، وذلك مقام جمع الجمع، فلا تفرقة كما أشار إليه الشارح، والله أعلم. **(قوله: ولا يلزم من ذلك تفرقة)** الظاهر هذا هو المعوّل عليه في الجواب إذا نظر لقياس الغائب على الشاهد كما قدمنا، وإلاّ فلا تفرقة كما أوضحنا.

(قوله: وأيضاً باب المفاعلة الخ) محصله منع إطراد هذا في باب المفاعلة لأنها تأتي بمعنى فعل بدون مشاركة، وبمعنى فعل للتكثير وافعل. **(قوله: فلما استبان الخ)** مراده أنه لما اتضح الحق بمقام المعاينة أغنى نوره الأقوى بالنسبة لما دونه من أنوار المحاضرات، والمكاشفات إذ من منح المعاينة قد تجرع كؤوس المحبة التي لو ابتلي أحد بكاس منها لفني عن وجوده بواسطة قوّة نيرانها ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ومحصله أنه لما جدّ المريد تأسياً بخير العبيد في دوام المجاهدات، ورعاية محاسن المتابعات في أداء الواجبات والمندوبات أشرقت له الأنوار كفلق صبح النهار، فوردت على قلبه الواردات، وتوالت عليه الكرامات بلطيف الإشارات، فاستغنى بنور المصاحب عن إشراق نور الكواكب، فسقاه كاس المحبين، فغيبه به عن سائر العالمين حتى عن نفسه وفنائه، فبقي بوجوده في بقائه لا يشهد إلا الحق بالحق منعماً في مقعد صدق نفعنا الله بمن أحب، ومنحنا مقام القرب، وقوله: يجرعهم كاساً الخ ليس خافياً عليك هذه المبالغات، برقيق تلك العبارات، فلا حاجة إلى اللقلقة بما لا يفيد حيث فهم ذلك ليس إلاّ لذوي التسديد، ونهاية المقصود أن

يقتضيها، وبعضها لا يقتضيها فإنها تأتي بمعنى فعل (**نحو سافر وطارق النعل وأمثاله**) نحو دافع أي سفر وطرق ودفع وبمعنى فعله أي: للتكثير نحو ضاعفته أي: ضعفته وبمعنى افعل نحو عافاك الله أي: أعفاك، (**وأنشدوا**) في هذا المعنى أعني في قوّة الوارد المقتضية للاستغراق (**فلما استبان**) أي: تبين وظهر (**الصبح أدرج**) أي: غيب (**ضوءه**) الحاصل (**بأنواره أنوار ضوء الكواكب**) فاستغنى عن ضوئها، ثم أشار إلى كمال الوارد عليهم بحيث لم يبق لهم متسع لغيره بقوله: (**يجرعهم كأساً**) من ذلك الوارد (**لو ابتلى اللظى**) وفي نسخة ابتليت لظى أي: جهنم (**بتجريعه طارت**) أي: ذهبت وفنيت (**كأسرع ذاهب**) فهذه (**كأس وأيّ كأس**) كأس (**تصطلمهم عنهم**) أي: تستأصلهم عن أنفسهم، وأكد ذلك بقوله (**وتفنيهم وتختطفهم منهم**) أي: من أنفسهم (**ولا تبقيهم كأس لا تبقي ولا تذر**) منهم شيئاً (**تمحوهم بالكلية ولا تبقي شظية**) بتشديد الياء أي: فلقة (**من آثار البشرية كما قال قائلهم ساروا**) أي: عن إحساسهم بأنفسهم (**فلم يبق**) لهم (**لا رسم ولا أثر**) والمعاينة قيل غايتها تحقيق إحاطة الذات التي لا يصح مع وجودها كون الغير، واعلم أن معاني هذه الألفاظ وراء طور العقل لا يعرفها إلا أهل العنايات لأنها تتعلق بتوحيد الله وتوحيده تعالى المتعلق بذاته وصفاته لا يصح أن يكون من مدركات كل العقول.

(**ومن ذلك اللوائح والطوالع واللوامع، قال الأستاذ رضي الله تعالى عنه هذه الألفاظ**) كناية عن اختلاف أحوال أرباب السلوك، وما يفتح الله به عليهم من

العبد المقرّب إذا تجرّع كأس محبته تعالى أطفأت لظى مشتهياته ومألوفاته، وأذهبتها منه كأسرع ذاهب فيفنى عنها فناء لا عود بعده أبداً. (**قوله: فهذه كاس وأيّ كاس الخ**) محصله ما ذكرناه قبل مجملاً. (**قوله: ساروا**) أي سافروا عن حظوظ أنفسهم فلم يبق لهم رسم ولا أثر، أي وذلك لفنائهم عن الحظوظ والعادات.

(**قوله: تحقيق إحاطة الذات**) أي تحقيق عموم وشمول العلم الذي لا يصح مع وجوده وجود الغير، فليس المراد كنه الحقيقة الإلهية لاستحالة الكشف عنه لأحد من الخلق، والله أعلم. (**قوله: واعلم أن معاني هذه الألفاظ الخ**) محصله أن ما تقدّم من معانيها هو من باب التقريب للعقول القاصرة، وإلاّ فحقائق معانيها هي من وراء العقل المقيد بالرسوم الخلقية لا يعرفها إلاّ أرباب العقول المطلقة من حبس عقالها، وهم أهل العنايات والولايات. (**قوله: اللوائح والطوالع واللوامع**) هي كما سيأتي في الشارح قريبة المعاني، وهي من أحوال المبتدئين في السلوك والترقي واللوامع أقوى من اللوائح، والطوالع أقوى من اللوامع. (**قوله: كناية عن اختلاف أحوال الخ**) أي فلكل من هذه الأحوال أنوار مختلفة قوّة وضعفاً باختلاف قوّة وضعف أربابها، فهي كلها أنوار تقع لهم

المقامات التي يرومون بلوغ كمالها كالزهد والتوكل والرضا والتسليم والمحبة وهي (**متقاربة المعنى لا يكاد يحصل بينها كبير فرق**) وإن كان الطوالع أتم، ثم اللوامع كما يعلم مما يأتي (**وهي من صفات أصحاب البدايات الصاعدين في الترقي بالقلب فلم يدم لهم بعد**) مع اتصافهم بها (**ضياء شموس المعارف لكن الحق سبحانه وتعالى يؤتي**) أي يعطيهم (**رزق قلوبهم في كل حين**) وفي نسخة من كل خير (**كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] فكلما أظلم**) وفي نسخة أظلمت (**عليهم سماء القلوب بسحاب الحظوظ**) أي: حظوظ أنفسهم (**سنح**) أي: ظهر (**لهم فيها لوائح الكشف وتلألأ**) لهم (**لوامع القرب وهم في زمان سترهم**) أي: حجبهم عنها (**يرقبون فجأة**) بضم الفاء وفتح الجيم والمد وبفتح الفاء، واسكان الجيم أي: بغتة (**اللوائح**) أي: حصولها بغتة (**فهم كما قال القائل: يا أيها البرق الذي يلمع من أي أكناف السماء**) أي: جوانبها (**تسطع**) أي: لا نعلم له سبباً بل هو من فضل ربه وإلهامه وبعد هذا البيت:

هذا ولو يقضى لنا فرقة قل لي فيوم البين ما تصنع

في مبادي سلوكهم تكون مدارج لما وراءها إن ثبت الحق قدم العبد في تلك الأنوار.

(**قوله: من المقامات**) أي من إماراتها وإشاراتها، فإن العبد إذا نازل مقاماً من المقامات وصفا حاله فيه يلوح له منه أنوار تشير له إلى ما هو أعلى مما نازله يعبر عن تلك الأنوار باللوائح، والطوالع واللوامع. (**قوله: متقاربة المعنى**) أي باعتبار أن الكل من مدد النور، ونهاية الفرق بينها القوّة والضعف وسرعة الزوال وعدمها.

(**قوله: لا يكاد يحصل الخ**) أي يكون الفرق بينها إنما هو من وجه سرعة زوال اللوائح بالنسبة للوامع والطوالع، وسرعة زوال اللوامع بالنسبة للطوالع والله أعلم. (**قوله: فلم يدم لهم بعد**) أي لأنه لا دوام لنورها لزواله بسرعة على الوجه الذي قدمناه في سرعة زوال بعضها بالنسبة للبعض الآخر. (**قوله: ضياء شموس المعارف**) ضياء فاعل لقوله يدم المنفي بلم، قيل أي وذلك لما تقدّم من سرعة زوال تلك الأنوار. (**قوله: لكن الحق الخ**) أي فهي وإنْ كانت لا تدوم، فالحق يكرّر وجودها في قلوبهم ويواليها لهم، فتكون بذلك كالمستمرّة فضلاً من الله ورحمة.

(**قوله: وهم في زمان سترهم**) أي بسبب ملابسة بعض الحظوظ يرقبون أي ينتظرون فجأة اللوائح، وما بعدها أي مجيئها بغتة على حين غفلة بدون قصد. (**قوله: كما قال القائل**) لما كانت اللوائح واللوامع متقاربة صح الإستشهاد.

(**قوله: أي لا نعلم له سبباً الخ**) أي ويحتمل مع هذا أنه للإشارة إلى سرعة الزوال على حد ما سلم حتى ودّع. (**قوله: ولو يقض لنا فرقة**) أي مفارقة لتلك اللذات الحاصلة

فإن كان إبراقك داعي قلى فإن قلبي بالقلى مسوجع

(فتكون) الأشياء التي تظهر لهم **(أولاً لوائح ثم لوامع ثم طوالع)** وهي أسماء لأحوال السالكين كما مرّ لكن محلها غير المتمكنين في أحوالهم أما المتمكنون فيها، فلا تسمى أحوالهم بها بل بالوجد والوجود وغيرهما مما مرّ. **(فاللوائح كالبروق ما ظهرت حتى استترت)** لسرعة هجومها وذهابها **(كما قال القائل)** معنى ذلك **(افترقنا حولا فلما التقينا كان تسليمه عليّ وداعاً)** كذلك، **(وأنشدوا)** أيضاً في ذلك:

يا ذا الذي زار وما زارا كأنه مقتبس نارا
مر بباب الدار مستعجلاً ما ضرّه لو دخل الدارا

واللوامع أظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة التي للوائح **(فقد تبقى اللوامع وقتين وثلاثة)** مثلاً **(ولكن كما قالوا والعين باكية لم تشبع النظرا، وكما قالوا: لم ترد ماء وجهه العين إلا شرقت قبل ريها برقيب)** أي: حافظ شبه به زوال الحال في الرجوع إلى إدراك النفس بساعة بعد أخرى **(فإذا لمع)** الطالع **(قطعك عنك**

من شريف الحالات قل لي فيوم البين أي زمن الفراق لهذه الأنوار ما تصنع للألم الذي يحصل للقلب من مفارقتها، وفي المقام تجريد لا يخفى، وقوله إن كان إبراقك الخ محصله أنه يستفهم عن سرعة زوال هذه الأنوار بعد تحققها أي داع لها فإن كان القلى، فيكون قلبه دائم التوجع، ولا يخفى ما في المقام من البلاغة الحاصلة من مخاطبة الأبراق. **(قوله: فاللوائح كالبروق)** جمع لائحة وهي ما يلوح من نور التجلي، ثم يزول سريعاً وتسمى بارقة وخاطرة أيضاً. **(قوله: كما قال القائل الخ)** التشبيه في مطلق سرعة الزوال لا في الحصول والطرق لأنه قد يكون في اللوائح مع القرب في المعاودة.

(قوله: يا ذا الذي زار) أي في الصورة وما زار في الحقيقة فكانه في سرعة الرجوع مقتبس ناراً لا زائر. **(قوله: واللوامع أظهر الخ)** أي لأنها أنوار ساطعة تلمع لأهل البداية من أرباب النفوس الضعيفة فتنعكس من الخيال إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة بالحواس، وهي إما من غلبة أنوار القهر، والوعيد على النفس، فتضرب إلى حمرة وإما من غلبة نور اللطف والوعد فتضرب إلى الخضرة والفقوع فافهم. **(قوله: أظهر)** أي أتمّ نوراً لبقائها بالنسبة للوائح. **(قوله: ولكن كما قالوا الخ)** الغرض أن في كل انتفاء التمكن من المقصود بواسطة وجود بعض المكدّرات أفول، ومن ذلك وألطف قول بعضهم:

ما خلونا مع الحبيب ولا طر فة عين إلا علينا رقيب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت السحر فوافي فقلت كيم الطبيب

(قوله: فإذا لمع الخ) يريد أن الطوالع أتم من اللوامع واللوائح باعتبار بقاء النور

وجمعك به لكن لم يسفر نور نهاره حتى كرّ عليه عساكر الليل) لسرعة زواله (فهؤلاء بين روح ونوح) أي: راحة ونياحة أي: بسط وقبض (لأنهم بين كشف وستر كما قالوا:

فالليل يشملنا بفاضل برده والصبح يلحفنا رداء مذهبا

والطوالع أبقى وقتاً، وأقوى سلطاناً وأدوم مكثاً وأذهب للظلمة ونفي للتهمة لكنها موقوفة على خطر الأفول) أي: لكنها على خطر غروبها (ليست برفيعة الأوج) أي: بعالية الإرتفاع (ولا بدائمة المكث ثم أوقات حصولها وشيكة الإرتحال) أي: سريعة الزوال (وأحوال أفولها) أي: غروبها (طويلة الأذيال) يعني الغيبة لقلة تمكن صاحبها (وهذه المعاني التي هي اللوائح واللوامع والطوالع تختلف في القضايا) أي: الأحكام (فمنها ما إذا فات) أي: غاب (لم يبق عنها) الأولى عنه (أثر) على صاحبه لضعفه وقلة تأثيره فيه (كالشوارق) من الكواكب (إذا أفلت) أي: غابت (فكأن الليل كان دائماً) وهذا أشمل للوائح واللوامع، وأما الطوالع فهي ما ذكره بقوله (ومنها ما يبقى عنه أثر فإن زال رقمه) أي: أثره (بقي ألمه وإن غربت أنواره بقيت آثاره) كالشمس (فصاحبه بعد سكون غلبانه) أي: قلقه (يعيش في ضياء بركاته فإلى أن يلوح) ذلك (ثانياً يزجي) أي: فهو يدافع (وقته) إلى أن يظهر له ذلك الأثر ثانياً (على) أي: لأجل (انتظار عوده ويعيش بما وجد في حين كونه) في زمن وجوده بما

زيادة عنهما غير أنه يزول بطرو بعض الحظوظ الموجبة للظلمة. (قوله: قطعك عنك) أي غيبك عن مألوفاتك وحظوظ نفسك، وإذا قطعك عنك على ما ذكرناه فقد جمعك بالحق غير أنه لسرعة زواله ما أسفر نور نهاره في القلوب حتى كرّ عليه عساكر ليل الخطوب. (قوله: فهؤلاء بين روح ونوح) أي بين راحة بأنوار تلك الأحوال وعناء وبكاء بما يطرأ من ظلمات العادات. (قوله: فالليل الخ) التشبيه فيه باعتبار الوصل، والفرقة بالليل والفجر. (قوله: لكنها الخ) محصله أن الطوالع، وإن كانت أتم من اللوائح واللوامع، وأقوى سلطاناً غير أنها موقوفة على خطر بقاء الموانع بعد زوالها، ومن أجل ذلك كانت غير رفيعة الأوج حيث أنها بعدم دوام مكثها، وقرب ارتحالها وخطر تمكن الظلمة بعد زوالها لم تكن محمودة مطلقاً. (قوله: على خطر الأفول) أي الزوال والخطر فيه ببقاء بعض الموانع. (قوله: ليست برفيعة الأوج) أي العلوّ.

(قوله: وأحوال أفولها الخ) يريد بعد العود والطريان بسبب ملابسة بعض الحظوظ. (قوله: الأولى عنه) قد يقال أنه أنث باعتبار العود على المعاني. (قوله: فكان الليل الخ) أي فكما أن الليل يتحقق ويوجد سواه أشرقت كواكبه، أو أفلت لضعف نور الكواكب، فكذلك هذه الأنوار من حيث عدم ترتب الأثر على ذهابها. (قوله: فإن زال رقمه الخ) أي

كان قد وجده، وحاصله أنه يمشي حاله بآثار ما سبق إلى أن يعيده الحق فيزيل عنه ما هو فيه من القلق والكرب.

(ومن ذلك البواده والهجوم البواده) من بدهه الشيء أي: فجأه (ما يفجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة) أي: البغتة أو له موجب وهو (إما موجب فرح وإما موجب ترح) أي: حزن (والهجوم ما يرد على القلب بقوّة الوقت) والحال (من غير تصنع) أي: تكلف ونظر (منك) في سبب وكلاهما يقع ابتداء، لكن الأول له سبب والثاني لا سبب له (و) كل منهما (يختلف في الأنواع) والأحوال الواردة على العبد (على حسب قوّة الوارد وضعفه، فمنهم من تغيره البواده وتصرفه الهواجم) فيتأثر بها لقوّة الوارد عليه فينشأ عنه الحركة والصياح، والذهول والذبول (ومنهم من) لا يتأثر بها بل قد (يكون فوق ما يفجأه حالاً وقوّة) لضعف الوارد فيكون أقوى، وأثبت منه في الحمل، فلا يظهر عليه أثره كما قيل للجنيد رضي الله عنه لما كان في السماع، فتحرّك الناس ولم يتحرّك يا سيدي ما لك في هذا شيء فأجابه السائل بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] أي أنه يجد كما يجدون، وهو أقوى على حفظه منهم، ومن ثم قال المصنف (أولئك سادات الوقت كما قيل لا تهتدي نوب الزمان إليهم) أي: لا تتغير أحوالهم بخلاف ما يطرأ على العالم من السعة والضيق والعوافي والبلايا وغيرها مما يحدث في الزمان (ولهم على الخطب الجليل) أي: على ما

فهو لقوّة تمكن صاحبه بالنسبة لمن دونه يتأثر بألم الأفول، ثم يجد بعده بركات نوره ويتوقع عوده، ومحصله استمرار الإنتفاع زمن الوجود بالنور، وبعد الأفول والذهاب ببقاء الأثر إلى أن تعود هذه الأنوار. (قوله: البواده الخ) هي نور رحماني يبعث العبد بلا موجب على حين غفلة، وقد يكون له موجب. (قوله: إما موجب فرح أو موجب ترح) أي بواسطة كونه من وارد بسط أو وارد قبض.

(قوله: بقوّة الوقت) أي بقوّة ما يجريه الحق بتصريفه في وقت العبد من غير تصنع أو منشؤه بغير كسبه وقصده. (قوله: لكن الأوّل له سبب) أي قد يكون عن سبب، وإن لم يعلم، والثاني لا سبب له أصلاً لا معلوم ولا غير معلوم. (قوله: وكل منهما يختلف في الأنواع) أي من مرات الوارد على حسب قوّته وضدها، ويختلف أيضاً محل الوارد من العبيد قوّة وضعفاً وبذلك يظهر قوله فمنهم الخ. (قوله: أي إنه يجد كما يجدون الخ) أي بل قد يجد فوق ما يجد غيره بمراتب، ومع ذلك يقويه الحق على حفظه حتى يمسك نفسه، فلا يبدو منه شيء، وذلك خلق محمدي. (قوله: أولئك سادات الوقت) أي أشرافه بسبب ما منحوا بسابق العناية والقسمة.

(قوله: لا تهتدي) أي لا تصل نوب الزمان أي حوادثه التي يحدثها الحق فيه من

يطرقهم من الأمور العظيمة في أنفسهم **(لجام)** أي: قوّة وثبات وحفظ.

(ومن ذلك التلوين والتمكين التلوين صفة أرباب الأحوال والتمكين صفة أهل الحقائق) التلوين يقال لنيل الحال والرجوع عنه، فصاحبه يكون تارة مع الحق وتارة مع نفسه، فهو متلوّن ويقال للانتقال من منزل إلى آخر إلى أن يصل إلى مطلوبه الأقصى فيصير متمكناً **(فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف ويخرج من مرحل)** أي: محل الرحيل **(ويحصل في مربع)** أي: محل الربيع **(فإذا وصل)** إلى مقام التوحيد وغلب على قلبه الحق حتى لم يلتفت إلى غيره **(تمكن)** في مقامه **(وأنشدوا)** في معنى ذلك:

(ما زلت أنزل في ودادك منزلاً تتحير الألباب دون)

وفي نسخة عند **(نزوله * وصاحب التلوين أبداً في الزيادة)** ينتقل **(وصاحب التمكين وصل)** إلى مقام التوحيد **(ثم اتصل)** بحال الحق بأن غلب على قلبه حاله

تصاريف فعله، قبضاً أو بسطاً بالتأثير في تغير أسرارهم، وإن ظهر أثر ذلك على ظواهرهم، وذلك لما تحققوا به من مقام التمكين وقوّة اليقين، وقوله: ولهم على الخطب الخ كالدليل على ذلك فافهم. **(قوله: التلوين والتمكين)** هما وصفان وحالان الأوّل للسالكين والثاني للواصلين، وفي الاسم إشارة للمسمى إذ صاحب الحال الأوّل بين سكر وصحو وصاحب الحال الثاني دائماً في المحو. **(قوله: فصاحبه يكون تارة مع الحق)** أي فهو حينئذ غريق بحر المشاهدات، وقوله: وتارة مع نفسه أي بالقيام عليها يسوسها برياضة المتابعات، فهو متلوّن بالحالين متلذذ في المشهدين متنقل من حضيض المألوفات إلى أوج سماء المشاهدات والمكاشفات مجد في المطلوب ليصل إلى ديار المحبوب، هذا معنى مقام التلوين وسر قرب المحبين فافهم. **(قوله: ويقال للانتقال)** أي المعنوي من منزل ومقام إلى منزل ومقام آخر أعلى منه.

(قوله: فإذا وصل إلى مقام التوحيد) أي وظهر له الحميد المجيد غلبته سواطع أنوار الحقيقة، فغاب عن حسه بلب لباب الطريقة. **(قوله: ما زلت أنزل الخ)** يظهر أنه حكاية عن حال التلوين البالغ في نهايته إلى مقام التمكين فقوله منزلاً يعني به المقام كالزهد والورع وغيرهما، وقوله: تتحير الألباب دون نزوله أي تقع العقول الكاملة في حيرة صفائه حتى يتم التهيؤ للترقي لما هو أعلى منه من المقامات حيث ذلك غير مقدور للنفس إلا بإعانة الحق تعالى. **(قوله: بأن غلب الخ)** تصوير لمعنى قوله: ثم اتصل ومحصله أن الوصول معناه بلوغ العبد درجة النزاهة عن دنس المألوفات بواسطة غلبة ما للحق على ما للخلق.

(قوله: وأمارة) أي علامة إنه اتصل أي اتصاله أنه بفنائه واستغراقه في أنوار الحقيقة بالكلية عن كليته بطل فلم يشهد غير الحق ولم يلتفت إلى ما سواه حيث وصل إلى درجة

حتى لم يلتفت إلى غيره، **(وأمارة أنه اتصل بذلك أنه بالكلية عن كليته بطل)** أي: خلت نفسه، وكلّت عن طلب شيء آخر لخمودها وذبولها تحت سلطان الحقيقة **(و)** من ثم **(قال بعض المشايخ: انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم)** أي: غاية مطلوب السالكين الظفر بنفوسهم، وإليه انتهى سفرهم، **(فإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا. قال الأستاذ رحمه الله يريد)** كل منهم **(به إنخناس أحكام البشرية واستيلاء سلطان الحقيقة)** عليها بأن تخنس نفوسهم ويستولي على الإحساس بها سلطان الحقيقة **(فإذا دام للعبد هذه الحالة، فهو صاحب تمكين)** ثم أوضح ما مرّ من التلوين والتمكين بما ذكره بقوله: **(كان الشيخ أبو علي الدقاق رحمه الله يقول: كان موسى عليه السلام صاحب تلوين)** حيث كلم ربه **(فرجع من سماع الكلام)** منه إلى الناس **(واحتاج إلى ستر وجهه)** بأن أتى إليهم متبرقعاً **(لأنه أثر فيه الحال ونبينا ﷺ كان صاحب تمكين)** حيث ذهب ليلة الإسراء وشاهد ما شاهد **(فرجع كما ذهب لأنه لم يؤثر فيه ما شاهده تلك الليلة)** لتمكنه، ومن ثم قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

الأنفة التي لا يرضى من اتصف بها بغير ذات الحق تعالى. **(قوله: أي خنست نفسه الخ)** تفسير لبطلانه عن كليته، ومحصله أن دليل وصوله إلى الحق اكتفاؤه بعلمه وقسمته الأزلية، وهو قدم إبراهيمي مشار إليه بقوله صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم لجبريل في قصة المنجنيق حين سأله في حال رميه به، «ألك حاجة حيث قال له: أما إليك، فلا وأما إليه فعلمه بحالي يغني عن سؤالي» أو كما ورد. **(قوله: إلى الظفر بنفوسهم)** أي بملكها ومعرفة قدرها وحقها فتوصلوا بذلك إلى معرفة عظمة الله وجلاله وحقه عليهم، ولذلك قال بعد ذلك في معنى ظفرهم بها يريد كل منهم به انخناس أحكام البشرية الخ، فتحصل أن الوصول في كلامهم إنما هو لقطع مسافة النفس، وعلقها حتى تغفل عنها بالكلية.

(قوله: فإذا دام للعبد هذه الحالة) أي التي هي غلبة أنوار الحقيقة على إحساسه حتى انخنست نفسه بالوصول إلى غاية مطلوبها، فهو صاحب تمكين أي وإنْ عاد إلى الإحساس لمعنى شريف، فيدوم له نعت هذا المقام، ومني عليك السلام. **(قوله: كان موسى عليه السلام صاحب تلوين)** أي في خصوص هذا المقام وإلا فقد تمكنت في مقام التمكين منه الأقدام، وإنما ذلك من تصريف الحق ليظهر شرف السيد الأحق، والحاصل أنه بواسطة قوّة ما ورد عليه في مشهده وقع له التأثر بالتغير الظاهر والإنسان المحمدي الكامل قد قوي على وارده الأقوى بسر قوة اليقين، فلم يتأثر في الظاهر مع ثبوت التكليم له مكافحة مع رؤية الحق بالبصر في حضرة القدس، وذلك ليلة تشريفه بالمعراج الجسماني إلى مقام المكافحة، وذلك لقوّة تمكينه عليه الصلاة والسلام.

(قوله: ومن ثم) أي من قوّة تمكينه قال في الخبر الصحيح: «أنا سيد ولد آدم» أي

(وكان) أبو علي (يستشهد على هذا بقصة يوسف عليه السلام) من (أن النسوة اللاتي رأين يوسف عليه السلام قطعن أيديهن لما ورد عليهنّ من شهود يوسف عليه السلام على وجه الفجأة) أي: البغتة (وامرأة العزيز كانت أتم في بلاء يوسف) وحبه (منهنّ ثم لم) الأولى فلم (تتغير عليها شعرة) من شعرها ولا شيء من بشرتها (ذلك اليوم لأنها كانت صاحبة تمكين في حديث) أي: قصة (يوسف عليه السلام) لأنها لما توالى عليها النظر إليه، وعلى قلبها جماله لم تلتفت إليه وقت خروجه على النسوة اللاتي لم يطقن ما أطاقت لغلبة شغلهن به علىُ إحساسهن وكنّ صاحبات تلوين لتغير أحوالهن (قال الأستاذ واعلم أن التغير) الحاصل (بما يرد على العبد يكون لأحد أمرين إما لقوة الوارد أو لضعف صاحبه) عن تحمله (والسكون من صاحبه) يكون (لأحد أمرين إما لقوته أو لضعف الوارد عليه) فإن كان الوارد قوياً وصاحبه ضعيفاً لم يحمله، وإن كان بالعكس حمله ولم يتغير. (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول أصول القول) الجارية (في جواز دوام التمكين) على العبد (تتخرج على وجهين أحدهما ما لا سبيل إليه) أي: إلى دوامه (لأنه قال ﷺ) لما قال له حنظلة، وهو

المقدّم عليهم في جميع المشاهد والمقامات، وذلك بما منح من سر التمكين والتمكن، وقوله فيه: «ولا فخر» أي ولا فخر أعظم من هذا، ويكون قد قال ذلك تحدثاً بالنعمة، أو المعنى لا أقول ذلك افتخاراً على حسب ما جبل عليه من هضم النفس والتواضع اهـ.

(قوله: وامرأة العزيز الخ) الذي يفهم منه أن تمكن امرأة العزيز في ابتلائها بحب يوسف وقوّة شغفها به أقوى من باقي النسوة اللاتي رأينه معها غير أنها بواسطة تكرر رؤيته عليه السلام ومزاولة جماله وكماله بتكرّر تصوّر القلب مجاليه تمرّنت، وقويت بخلاف غيرها من باقي النسوة حيث أتاهم ذلك فجأة فغيبهنّ عن إحساسهنّ وبما قرّرناه يتبين الفرق أيضاً بين المقامين المحمدي والموسوي فافهم والله أعلم. (قوله: أما لقوّة الوارد الخ) اعلم أنّ الوارد هو ما ينزل على القلب فيزعجه عن معتاده ويرفعه عن مراده من مواد الحق ومعارفه، فيكون العبد الوارد وارداً على مولاه مستغرقاً به فيما أولاه، وفوائد الوارد أما الورود على المولى بلا علة، أو الخروج عن عبودية الأكوان في الجملة أو عن سجن النفس إلى شهود المنة فافهم.

(قوله: أما لقوّة الوارد الخ) اعلم أن قوّة الوارد وضعفه، وقوّة محل الوارد وضعفه جميعه من تصاريف الحق تعالى على حسب الإستعداد بسابق القسمة والحكمة العلية. (قوله: في جواز دوام التمكين) أي وعدم دوامه كما يفهم من بقية كلامه. (قوله: أحدهما ما لا سبيل إليه) أي لكونه من تصريف الحق من غير اختيار العبد. (قوله: نافق حنظلة الخ) قاله رضي الله عنه لما رأى من اختلاف حاله في اجتماعه به ﷺ ومفارقته من قوّة

يبكي: «نافق حنظلة» فإنا نكون عندك تذكرنا الآخرة والجنة والنار كانا رأي عين فإذا فارقناك عاسفنا الأهل، فزال عنا ذلك **(لو بقيتم)** أي: دمتم **(على ما كنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة)** في طرقكم وعلى فراشكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة **(ولأنه ﷺ قال لي وقت لا يسعني فيه غير ربي عز وجل أخبر عن وقته مخصوص)** به لا يشتغل فيه بغير الله وبقية الأوقات يشتغل فيها بمصالح الناس من نسائه وغيرهن ولا يلزم منهن أنْ يكون في غفلة، وميل إلى الدنيا، بل كل ما فيه هو طاعة لربه حتى ما كان من بسطه معهم كقوله لصغير: يا عمير ما فعل التغير وقوله للمرأة: في عين زوجك بياض، ومن ثم يقال «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً» ولا يلزم أن تكون أحواله متساوية في سائر الأوقات، بل على حسب ما يرد على قلبه من فتح ربه ورؤية جلاله وجماله وغيرها فتارةً يستغرق فيه بحيث لا يلتفت إلى غيره كما في نزول الوحي عليه ومكالمة جبريل له وتفصد جبينه بالعرق لشدة ما فيه، واستغراقه وتارةً لا يستغرق بهذه الحيثية. (قال) أبو علي رحمه الله تعالى **(والوجه الثاني أنه يصح دوام الأحوال)** على العبد **(لأن أهل الحقائق ارتقوا عن وصف التأثر بالطوارق)** إلى حالة لا

التأثر وضعفها. **(قوله: عاسفنا الأهل)** أي باشرناهم واجتمعنا بهم، فزال ذلك الحال عنا، وقوله: لو بقيتم على ما كنتم عليه عندي الخ الذي يظهر منه أن الغرض الحث على دوام المراقبة ليدوم لهم النور، فلا يتغير عليهم الحال غير أني أقول هو، وإنْ كان كذلك غير أنه بقوّة أنوار مباشرته ﷺ، وعدم ذلك لا بدّ من حصول الفرق باختلاف الحال، والله أعلم. **(قوله: ساعة وساعة)** أي فإن لربك حقاً ولنفسك حقاً ولزوجك حقاً أي فالرجوع للنفس في الذي لها بشاهد علم المتابعة لا يضر ولا يخرجها عن درجة كمالها. **(قوله: لي وقت الخ)** الذي يظهر أنه وقت غلبات الحقيقة عليه ﷺ، فيغيب فيها عن غيره تعالى، والله أعلم بمراد رسوله.

(قوله: وبقية الأوقات الخ) اعلم أنه ﷺ قد تحقق له حالان جبليان ونعتان شريفان، وهو الظهور بلوازم الإنسانية المؤيد بسواطع أنوار الشريعة المحمدية، وذلك لحكمة الإبلاغ لما أمر به من الأحكام والرجوع إلى مشاهد تجليات الحق بشهود معاينة العيان، وهو فيهما ظاهر باطن بحق لحق في حق تدبر تفهم، والرب بالحال أعلم. **(قوله: ولا يلزم الخ)** أي لأنه رجوع بحق لحق في حق، ولا يخفى ما في قوله، ولا يلزم الخ، فالأولى أن يقال، ولا يمكنه مع ذلك أن يكون في غفلة وميل إلى الدنيا كما هو اللائق بالأدب معه ﷺ. **(قوله: إنه يصح دوام الأحوال الخ)** أي وقد وقع له ﷺ دوام الإستغراق في أنوار الحقيقة، ولو في حالة الصحو وإبلاغ الأحكام وغيرها.

(قوله: لتضع أجنحتها الخ) يحتمل الحقيقة أو المراد إظهار عظمة طالب العلم

يتأثرون فيها بذلك **(والذي في الخبر)** السابق **(أنه)** ﷺ **(قال)** لحنظلة: «لو بقيتم على ما كنتم عليه عندي **(لصافحتكم الملائكة»، فلم يعلق الأمر فيه على أمر مستحيل)** حتى يدل على أنه لا سبيل إليه (و) أيضاً **(مصافحة الملائكة)** لمن ذكر معلوم أنها **(دون ما أثبت لأهل البداية من قوله ﷺ «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع»**[1]) (و) أما **(ما قال)** من قوله **(لي وقت)** لا يسعني فيه غير ربي **(فإنما قال على حسب فهم السامع و)** إلا فهو **(في جميع أحواله كان قائماً بالحقيقة)** فكل ما هو فيه حق وطاعة لربه، ولا يلزم أن تكون أحواله متساوية في سائر الأوقات كما تقرّر **(والأولى أن يقال أن العبد ما دام في الترقي فـ)** هو **(صاحب تلوين يصح في نعته الزيادة في الأحوال والنقصان منها فإذا وصل إلى الحق بانخناس أحكام البشرية مكنه**

بالتواضع له والاستغفار، واعلم أنه إذا ثبت هذا لأهل البداية، فما ظنك بأهل النهاية، فلا ينبغي للعبد اليأس من عدم حضور قلبه في معاملة ربه لأن ذلك سوء ظن بالرب تعالى واعتماد على العمل، وذلك غيبة عن المولى جل شأنه، بل إذا لم يكن الحضور بالتعبد والعرفان، فليكن بالطمع في الإحسان إذ الطمع في الله مع التجرد أفضل من طمع فيه مع وجود العمل، وإن كان العمل لا بدّ منه للعبودية لا للإستحقاق فافهم. **(قوله: فإنما قال على حسب فهم السامع)** أي اعتباراً بالمألوف المعهود، وذلك شأنه ﷺ حيث لا يقول إلا ما تسعه العقول بمظهر وصفه بقول الحق ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وإلا فحقيقة الحالة الثابتة له عليه الصلاة والسلام دوام الإستغراق بغلبة أنوار الحقيقة على قلبه، وإنما لشدّة تمكنه من مقامات القرب لا يتأثر في ظاهر الحال، وذلك أيضاً لسر الإرشاد والتبليغ. **(قوله: والأولى أن يقال الخ)** محصله أنه ما دام التأثر بالوارد بقوّته أو ضعف المحل، فصاحبه في التلوين مترق في المقامات عرضة للزيادة والنقص بخلاف ما إذا كان لا يتأثر بالوارد، فصاحبه في التمكين محفو عن التغير بالنقص.

(قوله: بانخناس أحكام البشرية الخ) أي وذلك على حسب التحقق بحقيقة الإخلاص بعد فناء سائر الحظوظ التي من جملتها استحلاء الطاعة، والتألم بفراق لذتها إذ هي أعظم العلل، ولذا قال الواسطي: استحلاء الطاعة سموم قتالة قال في الطائف المنن وصدق الواسطي، فأقل ما في ذلك إذا فتح باب حلاوة الطاعة أن يصير العبد قائماً فيها متطلباً لها فيفوته صدق الإخلاص في نهوضه لها ويحب دوامها لا قياماً بالوفاء ولكن لما وجد من الحلاوة والمتعة، فيكون في الظاهر قائماً لله، وفي الباطن إنما قام بحظ نفسه ويخشى عليه أن يكون ذلك جزاء تعجله في الدنيا، فيأتي يوم القيامة ولا خير له اهـ.

---

(١) أخرجه أبو داود (علم ١) والترمذي (علم ١٩) والنسائي (طهارة ١١٢) وابن ماجه (مقدمة ١٧) وأحمد بن حنبل (٤، ٢٣٩، ٢٤١، ٥، ١٩٦).

الحق سبحانه بأن لا يرده إلى معلولات النفس فهو متمكن في حاله على حسب محله واستحقاقه) لما وصل إليه فعلم أن التمكن عدم التغير بالواردات وإن اختلفت أنواعها وما دام العبد متغيراً فهو صاحب تلوين ومتى كان حاملاً لجميع أصناف ما يرد عليه وإنْ اختلفت في القوة والضعف فهو صاحب تمكين لكمال قوّته وعون ربه. **(ثم ما يتحفه الحق سبحانه)** من البر واللطف **(في كل نفس فلا حدّ لمقدوراته فهو)** أي العبد **(في الزيادات متلوّن بل ملوّن)** من قبل الحق **(وفي أصل حاله متمكن فأبداً يتمكن في حالة أعلى مما كان فيها قبله)** أي: قبل حاله الذي هو فيه **(يرتقي عنها إلى ما فوق ذلك إذ لا غاية لمقدورات الحق سبحانه في كل جنس)** وفي نسخة حين **(فأما المصطلم)** أي الغائب **(عن شاهده المستوفي إحساسه بالكلية)** فقد زالت عنه غلبة البشرية **(فللبشرية لا محالة حد)** معروفة **(وإذا بطل)** العبد باصطلامه **(عن جملته ونفسه وحسه وكذلك عن)** سائر **(المكونات بأسرها، ثم دامت به هذه الغيبة فهو محو فلا تمكين له إذاً ولا تلوين ولا مقام ولا حال، وما دام بهذا الوصف، فلا تشريف ولا تكليف)** ولا نقص لشبهه بالمغمى عليه، وهذا ليس بمحمود كامل وإنما المحمود الكامل من كمل اشتغاله بمولاه، حتى غفل عن نفسه فضلاً عمن سواه، فلم يغب عن شعوره بنفسه إلا لكمال شغله بربه بخلاف المصطلم الذي لا شعور له بنفسه، ولا بربه ولا بغيرهما، **(اللهم إلاّ أن يردّ)** إلى نفسه واحساسه **(بما يجري عليه من غير شيء منه)** بأن يدرك ما يجريه الحق عليه ويصرفه فيه **(فذلك)** العبد **(متصرف في ظنون الخلق)** من حيث أنه يأتي بما يلزمه بعد أن يرده الحق في غيبته إلى صحوه

(قوله: بل ملوّن) أي بتصريف الحق فيه، ومع ذلك لا يخرج عن مقام التمكين كما أشار إليه بقوله فأبداً يتمكن الخ.

(قوله: فأما المصطلم الخ) المراد أن ما تقدّم من التولين والتمكين إنما هو في حق غير المصطلم، أما هو فلا تلوين ولا تمكين له لدوام ردمه وانمحاقه غير أن الكمال في الكمال. **(قوله: فللبشرية لا محالة حد)** أي وعليه مدار التكليف، وبتحققه تكون زيادة التشريف إذ هو سر الله المودع في السر، ومحل شهود عالم الخفاء والجهر، ثم إذا غلبت سواطع الأنوار حتى غيبت عن الحس والإستبصار، فيكون في الفناء رديماً، وعن نفسه وغيره عديماً، فلا تكليف ولا حال ولا مقام حيث هو في شهود الحق على الدوام. **(قوله: فلا تشريف ولا تكليف)** أي لانتفاء مدار ذلك منه بانتفاء شعوره، فهو دائماً في سكر خمر غلبة أنوار الحق.

(قوله: وإنما المحمود الكامل) أي وهو خلق محمدي، وطريق أحمدي.

(قوله: فذلك العبد) أي في حال ارجاع الحق له إلى إحساسه متصرف بفعله في ظنون

(**مصرف في التحقيق**) من حيث أن الحق وفقه وغيبه عن شهود غيره (**قال الله تعالى** ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ [الكهف: ١٨] أي: لأن أعينهم مفتحة (**وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال**) لئلا تأكل الأرض لحومهم (**وبالله التوفيق ومن ذلك القرب والبعد**) من الله ومن العبد لا بالأبدان كما سيأتي لإستحالته عليه تعالى، بل لما أخذ في بيانه بقوله (**أوّل رتبة في القرب**) من الله (**القرب من طاعته والإنصاف في دوام**

الخلق اعتباراً بظاهر الحال، وهو مصرف بالحق في تحقيق المقال.

(**قوله: قال الله تعالى**) دليل لما قبله من قوله اللهمّ الخ. (**قوله: ومن ذلك القرب والبعد**) أقول القرب على وجوه ثلاثة أوّلها قرب الكرامة، وهو من الحق إلينا وآيته مشاهدة قرب الحق منا وإحاطة علمه بنا والثاني قرب الإحاطة بالعلم، والقدرة والإرادة، وهو قرب الحق من كل موجود قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٥] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] إلى غير ذلك، والثالث قرب المسافة والنسب، والمداناة، وهو قرب الأجسام وسائر المحدثات تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، فحينئذٍ المراد بالقرب المراقبة حتى لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك فافهم.

(**قوله: أوّل رتبة في القرب**) أقول في بيان هذا المقام على طريق ذوق الأحكام أن أوّل الدرجات تشخيص أحكام المتابعات بالتلقي من شيخ ناصح والتعليم بالدليل الواضح، ثم إذا أحكم التعلم، وأتقن التفهم شمر عن ساعد الجد والإجتهاد وعمر الوقت بعبادة رب الإسعاد مهتماً بأداء المفروضات بعد إسباغ ماء الطهارات وتخليص الباطن من القاذورات بأفراد المعبود بمحاسن النبات، فهذا أوّل القرب من منهل شراب الحب، ثم إذا أراد فتح الباب، والدخول في حظائر الأحباب يبادر بفعل المندوبات في أشرف أوقات التهجدات ليتعرّض لتنزل الرحمات، فإذا ثبتت في ذلك أقدامه، ولذ له في المكابدة إقدامه أشرقت أنوار الإله على سره وتوالت بالواردات على قلبه، فلا يشهد حينئذٍ إلا المعبود، ولا يعول إلاّ على المقصود، فحينئذٍ يصل إلى مقام الإحسان، ويكرع من رائق شراب الدنان، هذا معنى قرب العبد من الرب، وتحليه بنعوت الهائم الصب، وتحقيق محبة الله للعبيد وتوفيقه إياهم لدوام التسديد، وإفراغ أنوار الرحمات في أشرف أنواع التجليات حتى يفنى الفاني في القديم، وتتمكن الروح في مقام التعليم، فيكون قوله بالحق وفعله بالصدق محفوظاً في جميع الحركات والسكنات عن ملابسة شيء من العادات المألوفات، وهو معنى: «كنت له سمعاً وبصراً»، فيما ثبت في بعض القدسيات، والله أعلم. (**قوله: القرب من طاعته**) أي على معنى ملازمتها والاهتمام بوظائفها في أوقاتها المحدودة، أو غير المحدودة كما أوضحه قوله والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته. (**قوله: فهو التدنس**

الأوقات بعبادته، وأما العبد) منه **(فهو التدنس)** والتلطخ **(بمخالفته تعالى والتجافي)** أي: البعد **(عن طاعته فأوّل البعد بعد عن التوفيق ثم بعد عن لتحقيق بل البعد عن التوفيق)** في الحقيقة **(هو البعد عن التحقيق)** بالنسبة إليه تعالى. **(وقد قال النبيّ ﷺ** في الخبر الصحيح **(مخبراً عن الحق سبحانه ما تقرّب إليّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى يحبني وأحبه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً)** ويداً ورجلاً، وروي: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها» **(فبي يبصر وبي يسمع الخبر)** بنصبه أي: ذكر الخبر ويجوز رفعه وجره ففيه إشارة إلى أن قرب العبد من ربه إنما هو بطاعاته وأوّله القيام بالواجبات والبعد عن المحرمات، ثم القيام بالمندوبات والكف عن المكروهات والشبهات، ثم القيام بملازمة أفضل المندوبات، فإذا تعالت درجته ودامت مراقبته لأحكام ربه انتقلت همته إلى مقام الإحسان، وهو مقام المقربين وهو رؤية ربه في سائر الحركات والسكنات، فإذا دام ذلك عليه أحب مولاه لما رأى من توالي إحسانه إليه وإذا أحبه تزايد أدبه معه، وحينئذ يكون في أعلى مراتب القرب فيحبه مولاه ويسبغ عليه نعمه وألطافه، ويجري عليه كراماته وهذا هو المراد بقوله: كنت سمعه الخ إذ ظاهره غير مراد قطعاً، فالمراد إني أحفظه وأسبغ

بمخالفته تعالى) واعلم أنه لا فرق في طريقة الصوفية في تحقق المخالفة بين كبير الذنوب وصغيرها يعني أنهم لا يقولون بصغير من الذنوب، وكأنهم نظروا لعظمة المخالف وهو الحق تعالى.

(قوله: بعد عن التوفيق) أي ومن المعلوم أن المعاصي بريد للكفر والعياذ بالله تعالى. **(قوله: كنت له سمعاً وبصراً الخ)** المعنى كنت حافظاً له ذاتاً وصفة ولذا عبر بالسمع والبصر وهما من الصفات، وباليد والرجل وهما من الجوارح. **(قوله: تزايد أدبه معه)** أي زادت مجاهداته على طريق المتابعة له ﷺ. **(قوله: فقرب العبد أولاً الخ)** اعلم أن طلب الوصلة والقرب سببه غيبة العبد عن مولاه إذ لو كان حاضراً معه لشاهده قربه، وما التفت لغيره فضلاً عن طلب القرب منه غير أنه أقبح من ذلك طلب الوصلة بغيره تعالى لأنّ سببه عدم الحياء منه سبحانه، فإنه لو استحى منه لما كان يلتفت إلى غيره فضلاً عن كونه يراه أهلاً لذلك فذوو الهمم العالية لعلمهم بأنّ الأمور كلها بيده، وقدرته تعالى عكفت عليه هممهم وبالجملة، فالطلب كله معلول إلا ما كان من شاهد علم المتابعة. **(قوله: قرب بإيمانه وتصديقه)** عطف التصديق على الإيمان للتفسير، وقوله: ثم قرب بإحسانه أي بأداء العبادة مع المراقبة فيها بغاية الإخلاص الذي هو تحقيق الحق عند العبد حضوراً ثم كشفا ثم شهوداً ثم عياناً.

عليه النعم والالطاف في سائر حركاته. (**فقرب العبد أولاً**) من الحق (**قرب بإيمانه وتصديقه، ثم قرب بإحسانه وتحقيقه، وقرب الحق سبحانه من العبد ما**) أي: بما (**يخصه اليوم**) أي: في الدنيا (**به من العرفان وفي الآخرة ما**) أي: بما (**يكرمه به من الشهود والعيان وفيما بين ذلك**) أي: في أثنائه الشامل له ما ذكر (**من وجوه اللطف والإمتنان**) عليه (**ولا يكون قرب العبد من الحق إلا ببعده من الخلق وهذا**) القرب (**من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون**) أي: الوجود من القرب بالأبدان لإستحالته في حقه كما مر وكما سيأتي. (**وقرب الحق سبحانه**) من العبد يكون بالعلم والإحاطة وغيرهما كالحفظ وتوالي فضله على خلقه فقربه منه (**بالعلم والقدرة عام للكافة**) من الخلق (**وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ثم**) أي: قربه منه (**بخصائص التأنيس**) به تعالى (**مختص بالأولياء**) فقربه من العبد كقرب العبد منه متفاوت الرتبة، ومع ذلك فقربه من العبد إنما هو بالنسبة لشيء من ذلك لا بالنسبة للأبدان كما تقرّر. (**قال الله تعالى**: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [**الواقعة: ٨٥**]) أي: بالعلم (**وقال**) تعالى (**ونحن أقرب إليه**) أي: بالعلم (﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [**ق: ١٦**] **وقال**) تعالى (**وهو معكم**) أي: بالعلم (**أينما كنتم وقال**) تعالى (﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [**المجادلة: ٧**]) أي: بعلمه (**ومن تحقق**) الوصول (**بقرب الحق**) منه (**فأدونه دوام مراقبته إياه لأنه عليه رقيب التقوى، ثم عليه رقيب الحفاظ**) له ولأفعاله (**و**) رقيب (**الوفاء**) بما عوهد عليه (**ثم رقيب الحياء**) من الوقوع فيما لا يليق، وإذا وصل العبد إلى دوام مراقبته لربه واشتدّ حياؤه منه حتى لا يخرج عن

(**قوله: وقرب الحق سبحانه الخ**) محصله أنه في الدنيا بإشراف العبد على مظاهر الأسماء والصفات، وفي العقبى بكشف الحجب عن الذات. (**قوله: ألا يبعد من الخلق**) أي لأنه لا تستوي الظلمات والنور فعلى حسب البعد عن الخلق يكون القرب من المولى الحق. (**قوله: وهذا القرب من صفات القلوب**) أي وذلك لكونه من المعاني لا من حقيقة التداني. (**قوله: وقرب الحق سبحانه الخ**) محصله أن قربه تعالى من الخلق يختلف باختلاف أحوالهم قوّة وضعفاً بحسب سابق القسمة الأزلية.

(**قوله: ثم قربه منه بخصائص التأنيس الخ**) أي وإمارته الوحشة من الخلق والأنس بالرب الحق. (**قوله: إنما هو بالنسبة الخ**) أي فهو بمظاهر أسمائه وصفاته تعالى. (**قوله: قال الله تعالى**) الغرض الإستدلال على ما قدّمه من أن قرب الحق من الخلق يختلف بحسب استعدادهم. (**قوله: فأدونه**) أي فأقل درجات القرب يتحقق برعاية الحفظاء، وذلك بقيامه على نفسه بما يخص وظائف أوقاته. (**قوله: دوام مراقبته إياه**) أي في أداء ما افترض عليه مع حفظ الجوارح الظاهرة، والباطنة من غوائلها باستيفاء حظوظها حتى

الحق حسن منه أن يقول هذه الأبيات التي ذكرها المصنف مما يقوله **(وأنشدوا)** في ذلك **(كأن رقيباً منك)** يا رب **(يرعى خواطري * وآخر يرعى ناظري ولساني)** من الوقوع فيما لا يليق **(فما رمقت عيناي بعدك)** أي: بعد نظرهما إليك **(منظراً * يسؤك)** في شريعتك **(إلا قلت قد رمقاني)** أي: الرقيبان في ذلك فلا أقع فيه **(ولا بدرت من فيّ)** أي: أسرعت من في **(دونك)** أي: بعدك **(لفظة لغيرك إلا قلت قد سمعاني)** أي: الرقيبان **(ولا خطرت في السر بعدك خطرة * لغيرك إلا عرجا بعناني)** عنها أشبه ما يقوده للطاعة بعنان الفرس **(و)** لي **(إخوان صدق قد سئمت)** أي: مللت **(حديثهم. وأمسكت عنهم ناظري ولساني، وما الزهد أسلى عنهم غير أنني * وجدتك مشهوداً)** وأنا **(بكل مكان)** أي: اشتغلت بربي عنهم لا زهداً عنهم كما أزهد عن غيرهم من أرباب الدنيا، بل لكمال شغلي بمحبوبي. **(وكان بعض المشايخ يخص**

بذلك يوفي عهده ويقوي يقينه. **(قوله: حسن منه أن يقول هذه الأبيات الخ)** أي لأنه والحالة ما ذكر قد تحقق بمعانيها، وصار من أهل ناديها.

(قوله: كأن رقيباً منك الخ) كأن في كلامه منسلخة عن معنى التشبيه إلى التحقق في كامل الأزمنة، والرقيب بمعنى المراقب والخواطر جمع خاطر، وهو ما يرد على القلب من ملائمات البشرية، وقوله وآخر صفة لمحذوف أي ورقيب آخر يرعى ناظري ولساني أي يراعي ما يصدر عنها فيحصيه عليّ، وقوله: فما رمقت أي نظرت عيناي بعدك أي بعد معرفتي إياك وعلمي بما لك عليّ يسوؤك أي يغضبك لمجاوزته حدودك في شريعة نبيك، وقوله: إلا قلت قد رمقاني أي إلا اعترفت وأذعنت بإحصاء ما جنيته من المخالفات، وذل كناية عن رجوعه إلى ربه بالتوبة والندم، وقوله: ولا بدرت من فيّ دونك لفظة، أي ولا صدرت كلمة من فمي بسرعة دونك أي بعدك متعلقة بغيرك مما لا يرضيك إلا قلت قد سمعاني، فكتباها عليّ، وقوله ولا خطرت في السر بعدك خطرة أي ولا وقع لي التفات بقلبي إلى غيرك إلا عرجا بعناني أي أخذا بعناني لإرجاعي إلى طاعتك ومعاملتك، وقوله: ولي إخوان صدق أي بسبب أني آخيتهم في الله ولله وبالله قد سئمت حديثهم الخ أي وقع لي ملل منه بالفناء عنهم، والوجود به سبحانه وتعالى وأمسكت عنهم الخ أي لكوني شغلت عنهم بالأحق منهم كما يفيده قوله وما الزهد الخ الذي معناه أنّ أنسي بشهودك أوحشني من غيرك فأعرضت عنه، واعلم أن الشارح قدّر لفظة أنا في قوله مشهوداً وأنا بكل مكان للإشارة إلى نزاهة الحق تعالى عن المكان كالزمان وإن صح عدم التقدير إذ الحوادث دلائل وجود الحق المطلق لأنه ما من كائن إلاّ وفيه ما يدل على أنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله.

(قوله: وكان بعض المشايخ الخ) في ذلك تنبيه على أن القرب من الحق متفاوت

واحداً من تلامذته بإقباله) الزائد (عليه فقال أصحابه له في ذلك) أي: سألوه عن سببه (فدفع إلى كل واحد منهم طيراً، وقال إذبحوه بحيث لا يراه أحد، فمضى كل واحد منهم) إلى مكان (وذبح الطير) الذي معه (بمكان خال وجاء هذا الإنسان والطير معه غير مذبوح فسأله الشيخ فقال أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ولم يكن موضع إلا، والحق سبحانه يراه) فلم يمكنني ذبحه (فقال الشيخ لهذا أقدم هذا عليكم) إذ (الغالب عليكم حديث الخلق) فيغلب عليكم الغفلة عن الحق (وهذا غير غافل عن الحق) تعالى (ورؤية القرب) من الله (حجاب عن القرب) لأنه إذا رأى قربه منه فقد رأى غيره، فكمال قربه أن يشتغل بربه عن قربه منه (ومن شاهد لنفسه محلاً أو نفساً) بفتح الفاء (فهو ممكور به) مغرور به (ولهذا قالوا: أوحشك الله من قربه أي: من شهودك لقربه) أي: لقربك منه يعني شغلك الله به شغلاً حتى لا تجد لقربك منه أثراً (فإن الإستئناس) أي: استئناس العبد بقربه من الله (من سمات) أي: علامات (العزة به) وبعده من الحق (إذ الحق سبحانه وراء) أي: أمام (كل أنس وإن مواضع الحقيقة) أي: موجباتها (توجب الدهش) أي: التحير (والمحق) أي: يوجب دهشك بالحق ومحقك عن غيره (وفي قريب من هذا قالوا: محنتي فيك أنني. ما أبالي بمحنتي)

بحسب تفاوت المراتب في المراقبات فالعبد إذا زادت مراقبته لمولاه زاد قربه منه والله أعلم. (قوله: ورؤية القرب الخ) المراد الحث على التبري من شهود النفس وما لها من الأحوال والمقامات رجوعاً إلى صفة الفضل له سبحانه وتعالى. (قوله: ومن شاهد لنفسه محلاً الخ) أقول، ومن ذلك الإنس بنور الواردات إذا انبسطت أنوارها في عوالم القلوب، وأودعت أسرارها بكل أمر محبوب، لأن ذلك جهل ونقص ظاهر، أما الجهل، فلأن أوقات الصفاء لا تدوم فمن ظن دوامها فهو أحمق ومغرور، وإنما تدوم أوقات الوفاء وعليه عمل الأكابر دون الحركات والأحوال، وأما النقص فلأن الأنس بالواردات بعد عن الحق، وذلك مرجوح بكل حال فافهم. (قوله: فإن الاستئناس الخ) مراده أن الاستئناس بقرب الحق المذموم هو الذي يقف العبد معه ويستحسنه، ويكتفي به عما وراءه، فالعبد الكامل الموفق من قصر قصده عليه تعالى، ولم يشغله عنه حال ولا مقام.

(قوله: وراء كل أنس) أي يثبت من قبل النفس. (قوله: وإن مواضع الحقيقة) أي منازلاتها توجب الدهش أي اختلاط الفكر والحيرة وذلك ينافي الإستئناس بكل شيء. (قوله: وفي قريب من هذا الخ) أي فحقيقة القرب لا تعمّ إلا بالفناء في ذات الرب سبحانه وتعالى، ولله در من قال:

كانت لقلبي أهواءه موزعة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلاً بحبك يا ديني ودنيائي

هذا ساقط من نسخ (**قربكم مثل بعدكم، فمتى وقت راحتي** * **وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله كثيراً ما ينشد ودادكم**) أي: رؤيتي لمودّتي لكم (**هجر وحبكم**) أي: ورؤيتي لمحبتي لكم (**قلى.**) أي: بغضٌ لكم وإعراض عنكم (**وقربكم بعد**) أي: ووقوفي مع قربكم يدل على بعدي عنكم وهو محل الإستشهاد (**وسلمكم**) أي: صلحكم (**حرب**) يعني متى رددتموني عنكم. (**ورأى أبو الحسين النوري بعض أصحاب أبي حمزة فقال: أنت من أصحاب أبي حمزة الذي يشير إلى القرب إذا لقيته فقل له: أنَّ أبا الحسين النوري يقرئك السلام ويقول لك: قرب القرب فيما نحن فيه**) أي: رؤيتك له (**بعد البعد**) لدلالتها على اشتغالك عنه بغيره، فتلخص ان المراد بالقرب هذا القرب المعنوي (**فأما القرب بالذات**) أي: بالبدن من المكان (**فتعالى الله الملك الحق عنه فإنه تعالى متقدّس**) أي: متنزه (**عن الحدود والأقطار والنهاية**

فصار يحمدني من كنت أحمده وصرت مولاهم مذ صرت مولائي

قال في التنوير: إنما يدخلك الحق في الحالة لتنال منك وإنما جاءت لتحمل هدية التعريف من الله إليك فتوجه إليها باسمه البادي، فأبداها وأبقاها حتى وصلت إليك فلما وصلت الأمانة توجه إليها باسمه المعيد فأرجعها وتولاها، فلا تطلب بقاء رسوم بعد أن بلغ رسالته، ولا أميناً بعد أن أدّى أمانته. (**قوله: محنتي الخ**) أي امتحاني وابتلائي بالأشواق إلى شهود صفات جمالك فيك أنني ما أبالي بمحنتي لاستغراقي وفنائي وردمي في مشاهد الحب، ولذلك أشار بقوله قربكم مثل بعدكم حيث يرد أنه دائم على الانمحاق والإنسحاق، فمتى وقت راحتي أي فأيّ وقت وزمن أحصل فيه راحتي التي هي دوامي رديماً تحت تجلي سواطع أنوار الحقيقة، والله أعلم.

(**قوله: ودادكم الخ**) أي فينبغي للعبد أن يستغني عن كل شيء حتى يتحقق بنعت الفناء إذ لو تعلق بغيره وكله الله إليه، ففي الإشارة عن الله لأتركنن إلى شيء دوننا، فإنه وبال عليك وقاتل لك، فإن ركنت إلى العلم تتبعناه عليك وإن ركنت إلى العمل رددناه عليك، وإن وثقت بالحال أوقفناك معه، وإن أنست بالوجد استدرجناك فيه، وإنْ لحظت إلى الخلق وكلناك إليهم، وإنْ اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك، فأيّ حيلة لك وأيّ قوّة ملك معنا فارضنا لك رباً حتى نرضاك لنا عبداً، ثم علامة الاكتفاء بالله الرضا عن الله والاهتمام بأمره، وعدم الإلتفات لغيره لأن غير ذلك من الفقد والبعد. (**قوله: قرب القرب الخ**) أي ويؤيد ذلك قول بعض العارفين: سبحان من لم يجعل لمعرفته سبيلاً إلا العجز عن معرفته فافهم. (**قوله: لدلالتها على اشتغالك عنه بغيره**) أي فالكامل من لا يقف مع شيء دون ذاته تعالى. (**قوله: القرب بالذات الخ**) الغرض توضيح معنى القرب له تعالى، وأنه قرب معنوي لا كالمعتاد المتعارف الحسي الذي هو بالذات لأنه تعالى منزه عنه، وعن لوازمه من الحدود والأقطار، والنهاية والمقدار من كل ما يلزم الجسمية.

والمقدار) ونحوها مما يدل على الجسمية. **(ما اتصل به مخلوق)** إذ لا تحله الحوادث **(ولا انفصل عنه حادث مسبوق)** به لتنزهه عن ذلك، قال: **(جلت)** أي: عظمت **(الصمدية)** أي: صمديته تعالى **(عن قبول الوصل والفصل)** وقربه تعالى ثلاثة أقسام بينها بقوله **(فقرب هو في نعته)** تعالى **(محال وهو تداني الذوات)** أي: الأبدان كما مرّ، **(وقرب هو واجب)** أي: ثابت قطعاً **(في نعته وهو قرب بالعلم والرؤية)** ونحوهما، **(وقرب هو جائز في وصفه)** أي: نعته **(يخص به من يشاء من عباده، وهو قرب الفعل باللطف)** والأنعام وذكره.

ومن ذلك الشريعة والحقيقة.

والطريقة **(الشريعة أمر)** للعبد **(بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية)** أي: رؤيته إياها بقلبه، ويعبر عن ذلك بأن الشريعة معرفة السلوك إلى الله تعالى والحقيقة دوام النظر إليه والطريقة سلوك طريق الشريعة أي: العمل بمقتضاها، وبعضهم لم

(قوله: جلت أي عظمت الصمدية الخ) هي تقال على من لا جوف له وعلى المقصود لما سواه في جميع الحوائج وعلى غير ذلك. **(قوله: وهو قرب بالعلم والرؤية الخ)** المراد بالرؤية انكشاف الكائنات له تعالى، وحينئذٍ فالعطف للتفسير ويحتمل أن المراد رؤية عباده إياه في الآخرة ولرسوله فيهما.

(قوله: قرب هو جائز في وصفه) أي وهو ما تقدم الكلام عليه، وأنه مختلف باختلاف استعداد العبيد. **(قوله: ومن ذلك الشريعة والحقيقة)** أقول أهل الظاهر والشريعة مع الإيمان بالغيب لا بالمشاهدة لبقاء الرسوم عندهم لوقوفهم مع ظواهر متعلقات الإيمان، وأهل الباطن والحقيقة مع اليقين لتخلصهم من وهم الرسوم بانكشاف العلم اللدنيّ لهم فعاينوه، فصاروا على يقين جازم، وقال بعضهم: المراد بالحقيقة حقيقة العبد المنسلخ من جميع الصفات البشرية المتخلق بالروحانية الصرفة، وقيل الباطن عند الظاهر حقيقة، والسر عند الباطن حق وذكره بالدوام حقيقه الحق ومشاهدة السر حقيقة الحقيقة، وقيل الحقيقة تجمع الكل في الواحد وتجعل الكل فرداً وتضيف كون الكل إلى الواحد الحق. **(قوله: أمر للعبد بالتزام العبودية)** أي بحيث لا يرى حيث نهى، ولا يفقد حيث أمر لأن الشريعة هي ما شرعها الله من الأحكام أمراً ونهياً على لسان رسوله ﷺ. **(قوله: والحقيقة مشاهدة الربوبية)** أي في جميع الكائنات بحيث أنه يرى الخلق بالحق على معنى القيام به، ومن ذلك مراقباته تعالى في عبادته بالتحقق بمقام الإحسان المشار إليه في خبر: «أن تعبد الله كأنك تراه» الحديث.

(قوله: معرفة السلوك إلى الله تعالى) أي وذلك يعلم أحكام العبادة، وما يقرّبه إلى

يفرق بينها وبين الشريعة، والشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطن الشريعة، وهما متلازمان لا يتم أحدهما إلا بالآخر **(فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول)** وفي نسخة مقبولة **(وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة تغير محصول)** وفي نسخة محصولة فمن لا حقيقة له لا شريعة له، ومن لا شريعة له لا حقيقة له لأن الحقيقة أصل الإيمان والشريعة القيام بالأركان، فمن عرف الحق ولم يعبده تعرّض للخسارات ومن لم يعرفه استحالت منه الطاعات **(فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة إنباء)** أي: إخبار **(عن تصريف الحق)** أي: ان يشاهد ثم يخبر عنه. **(فالشريعة)** أخذا مما مرّ **(أن تعبده)** تعالى **(والحقيقة أن تشهده)** والطريقة أن تقصده **(والشريعة قيام)** من العبد **(بما أمر)** الله به **(وقدّر وأخفى وأظهر. سمعت الأستاذ أبا**

ربه ليوقع ذلك على الكمال حسب المطلوب. **(قوله: والحقيقة دوام النظر إليه)** أي حال التلبس بالعبادة وغيره مع الإخلاص في كل شيء. **(قوله: والشريعة ظاهر الخ)** أقول: هو المتجه الجلي. **(قوله: فقير مقبول الخ)** أي لأنه قد يغتر بطاعته وبنوره وفتحه ويكون اغتراره بمنزلته وصولته على الخلق معتمداً على ثبوت معرفته عندهم، وبالكشف عن الحقيقة تبدو العوارف وتنتهك الأستار فكن عبداً لله لا عبداً للعلل، فكما كان لك رباً بلا علة فكن عبداً له ولا علة لتكون له كما كان لك فافهم. **(قوله: فغير مقبول)** أي لأنها مجرّد صورة خالية عن السر في القبول وقوله: فغير محصول أي لفساد الأعمال ظاهراً وباطناً.

(قوله: فمن لا حقيقة له لا شريعة له الخ) تفريع على ما قبله وحاصله أن الأعمال لها أساس تبنى عليه، وهو الإيمان فإذا لم يتحقق الأساس تداعى ما بني عليه لفساده، وإذا تحقق الأساس، ولم يبن عليه فقد تعرّض للخسارات فعلى العبد أن يقدّم معرفة ربه، ثم يدوم على عبادته فعسى أن يشمله القبول، وينال من الله الوصول. **(قوله: لأن الحقيقة أصل الإيمان الخ)** أي فالحقيقة من خواص الجوارح الباطنة والشريعة من أعمال الظاهرة وحينئذ، فلا بدّ من كل منهما. **(قوله: فمن عرف الحق الخ)** أي من صدّق به بقلبه، ولم يعبده على طريق المتابعة فقد تعرّض للخسارة ديناً ودنياً ومن لم يعرفه، ولم يصدّق به استحالت منه الطاعات إذ شرط صحتها القصد، وهو متعذر حينئذٍ. **(قوله: جاءت بتكليف الخلق)** أي اعتباراً بظاهر الكسب، وقوله: والحقيقة أنباء الخ أي اعتباراً بمن له الأمر في نفس الأمر.

(قوله: فالشريعة أن تعبده) أي امتثالاً وقياماً بوظيفة التكليف وقوله: الحقيقة أن تشهده أي بإخلاص القصد لتنال القرب، وتدوم في النعيم إذ النعيم، وإن تنوّعت مظاهره، فإنما هو في شهود الحق، واقترابه فتشهده فيما تجلى فيه وبه من الفوائد

علي الدقاق رحمه الله **يقول قولك إياك نعبد حفظ للشريعة)** من حيث أن العبد أضاف العمل إلى نفسه ورأى أنه عامل، **(وإياك نستعين اقرار بالحقيقة)** من حيث تبرؤه من القيام بشيء من عبادته وافتقاره فيها إلى عون ربه**(واعلم أن الشريعة حقيقة من حيث أنها وجبت بأمره والحقيقة أيضاً شريعة من حيث أن المعارف)** أي معرفة العارفين به سبحانه **(أيضاً وجبت بأمره)** وذلك لأن الشريعة يغلب فيها حال مراعاة الأوقات والأعمال الموصلة إلى الخيرات التي منها رؤية خالق الأرض والسموات، والحقيقة يغلب فيها حال الإيمان على القلب حتى يصير مشاهداً بقلبه لربه، فلما كانت الأعمال الغالبة في الشريعة لا تصح إلا بالتوحيد والإيمان كانت كل شريعة حقيقة أي: هي غرتها، ولما كان الإيمان الغالب في الحقيقة مطلوباً شرعاً كانت كل حقيقة شريعة، وإنما وقعت التفرقة بينهما بالنظر للغلبة في حال العابد والعارف، ولما كان العابد يغلب عليه الوقوف مع الأعمال واتقانها وإخلاصها سمي صاحب شريعة، ولما كان العارف يغلب عليه حال الحق، ويرى أن جميع ما هو فيه من فضله سمي صاحب حقيقة فقد تبين أن بينهما اجتماعاً وافتراقاً بالاعتبار.

ومن ذلك النفس

بفتح الفاء **(النفس ترويح القلوب بلطائف الغيوب)** لأن النفس إنما هو ترويح

والـوائد، وغيرها مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين في هذه الدار، وفي تلك الدار والعذاب، وإن تنوّعت أنواعه، فإنما هو بالحجاب قال في التنوير ولو أنّ الحق سبحانه تجلى لأهل النار بجماله، وكماله لغيبهم عن إدراك العذاب كما أنه لو احتجب عن أهل الجنة ما طاب لهم نعيم فافهم. **(قوله: والطريقة أن تقصده)** أي يقطع علقك عن الكائنات بأسرها. **(قوله: يقول قولك إياك نعبد الخ)** الغرض له نفعنا الله به بيان المقامين الشريفين مقام الفرق الحافظ للشريعة، ومقام الجمع المحقق للحقيقة لأجل العمل عليهما، والتحلي بنعتهما.

(قوله: واعلم أنّ الشريعة الخ) محصله أن وحدتهما باعتبار رجوع كل إلى مظاهر الأمر وذلك على حسب وحدة الآمر، ثم ويحتمل أن رجوع كل للآخر باعتبار أن العبادة على وفق الشريعة توصل إلى شهود التوحيد القلبي بقوّة الإيمان، فالحقيقة حينئذٍ ثمرة الشريعة، والإيمان القلبي الذي هو معنى الحقيقة مأمور به شرعاً فرجعت بهذا الاعتبار الحقيقة إلى الشريعة كما أشار إلى ذلك الشارح، فتأمّله. **(قوله: النفس ترويح الخ)** قلت هو بالتحريك أدق الحركات النفسانية في عالم الملك والشهادة، وبعضهم قد جعله لأزمنة دقيقة يجري بها وجود الإنسان، فتظهر على وجوده ويظهر معها ما يقتضيه الحق للعبد من

الحصر إذ المتنفس يجد راحته بنفسه، ولو أمسك عن نفسه لهلك **(وصاحب الأنفاس أرق وأصفى من صاحب الأحوال)** وأرباب الأوقات هم الحافظون لأحوالهم في

الأمور العادية وغيرها فهي مراكب الأحكام الجارية على العباد، وبحسب هذا فكل نفس يقتضي تجلياً جلالياً أو جمالياً، وذلك التجلي يقتضي عبودية وتلك العبودية تقتضي محلاً ولا يزال ذلك متجدّداً على ممر الدهور بعدد الأنفاس، فيكون المدد في كل نفس سالكاً طريقاً إلى الله، وعلى هذا يتنزل قولهم الطرائق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق لا ما يسميه بعض الناس من اختلاف الحق ومخالفته فما ثم إلا طريق واحد، وهو طريق سيدنا محمد ﷺ ومسالكه ثلاثة: عبادة وإرادة وزهادة، هذا، ومحصل ما في المصنف أن النفس للواصلين من أهل السرائر والوقت للمبتدئين أصحاب الظواهر، والحال للمتوسطين أهل الضمائر، فالنفس لأصحابه أعلى وأغلى، والوقت لأربابه أظهر وأجلى، والحال في حلل الجمال تجلى.

(قوله: النفس ترويح القلوب) أي كما قيل:

يا عذولي سلم إليّ قيادي	ثم دعني فما عليك رشادي
حبه راحتي وروح حياتي	وكذا ذكره بلاغي وزادي
وإذا ما مرضت فهو طبيبي	كلما عادني بلغت مرادي
وإذا ما ضللت أو ضل ركب	عن حماها فوجهه لي هادي
يا عذولي فكن عليه عذيري	أو فقل لي ما حيلتي واجتهادي
إن تلمني أو لا تلمني فإني	حبه مذهبي وأصل اعتقادي

(قوله: ترويح القلوب) أي بإبداء ما يفرّج عنها من واردات الحق، وإشارات الصدق بشاهد الكتاب والسنة إذ لا يصح الخروج عنهما في ذرة من الذرات، فماذا بعد الحق إلا الضلال فافهم. **(قوله: إنما هو ترويح الحصر)** أي ولعل ما يقع لبعض المحبين من الملامتية من هذا النوع، والله أعلم. **(قوله: أرق وأصفى الخ)** أي لأنه من أهل مشهد الجمال فحاله غالباً البسط بخلاف صاحب الأحوال، فإنه من أرباب مشهد الجلال، فحاله غالباً القبض ولهذا يلزمه ملازمة الأدب، والله أعلم. **(قوله: فكأن صاحب الوقت مبتدىء الخ)** أي فالخلق درجات بحسب سابق العنايات، فمنهم موفق للخيرات يراقب تعمير الأوقات، وذلك من شيم المريدين، وأخلاق المبتدئين، ومنهم من تخلص من رق الأشباح، فعرج بروحه على معاريج الأفراح، فهو دائم الترقي والتنقل من حال إلى حال مرتضع ثدي الإفضال لا يسكن مع الواردات حتى يصل إلى المشاهدات، ومنهم صاحب أنفاس يدوم على شرب خمر الكاس، وهو لا ينطفي ظمؤه بالشرب، ولا تخمد نار حبه بالقرب يراعي كل نفس من الأنفاس أن يضيع مع غير رب الناس رضي الله عنهم وعنا ببركاتهم.

أوقاتهم لئلا يضيع عليهم فمن غلب عليه شغله بالأولى به في وقته سمي صاحب وقت، ومن توالت عليه أحواله المتوالية على قلبه وهو حامل لها متأدب مع الحق فيميز عليه منها سمي صاحب حال، ومن تنفس وروح قلبه بما وهبه الحق له من لطائف غيبه وإكرامه سمي، صاحب نفس. **(فكأن صاحب الوقت مبتدىء وصاحب الأنفاس منتهٍ وصاحب الأحوال بينهما فالأحوال وسايط والأنفاس نهاية الترقي)** والأوقات بداية **(فالأوقات لأصحاب القلوب، والأحوال لأرباب الأرواح والأنفاس لأهل السرائر وقالوا)** أي: الصوفية **(أفضل العبادات عد الأنفاس مع الله تعالى، وقالوا: خلق الله تعالى القلوب وجعلها معادن للمعرفة)** به **(وخلق الأسرار وراءها)** أي: بعدها **(وجعلها محلاً للتوحيد فكل نفس حصل من غير دلالة المعرفة، واشارة التوحيد على بساط الإضطرار)** إلى قضاء الوطر **(فهو ميت وصاحبه مسؤول عنه. سمعت الأستاذ أبا علي)** الدقاق **(رحمه الله يقول: العارف لا يسلم له النفس لأن لا**

(قوله: فالأوقات لأصحاب القلوب) أي لكونهم قد ابتدؤوا قصد التوجه والسير إلى الحق تعالى مع بقائهم على الرسوم الخلقية لعدم فناء أنفسهم، وقوله: والأحوال لأرباب الأرواح أي ممن ترقى بفنائه عن النفس الأمّارة، وتحقق بالنفس اللوّامة، فهم من التائبين قال تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] وقوله: والأنفاس لأهل السرائر أي الذين قد فنيت منهم النفوس، وشاهدوا جمال الحق القدّوس، ووصلوا إلى مقام الطهارة، ولذا قد تنفسوا بفائق العبارة، ومعالي الإشارة والله أعلم. **(قوله: أفضل العبادات عد الأنفاس مع الله تعالى)** أي لأن شأن أربابها أنهم يحاسبون أنفسهم على أنفاسهم فيم خرجت، وفيم عادت وإنما كانت هذه أفضل العبادات لكونها توجب الحرص على أنواع الطاعة، والخوف من الفوت والإضاعة. **(قوله: وجعلها معادن للمعرفة به)** أي حيث هي منشأ الإيمان ومنبع الإيقان وقوله بعد: وجعلها محلاً للتوحيد أي الذي هو شهود الكثرة في عين الوحدة، فصاحب هذا المقام يشهد الخلق بالحق، وقوله: فكل نفس الخ أي لأنّ شرط صاحب النفس قطعه لجميع المقامات التي هي طريق الوصلة إلى الحق، فإذا تنفس قبل هذه المرتبة كان كالميت، بل هو أسوأ حالاً من الميت لأنه حينئذٍ متشبع بما لم ينل والله أعلم. **(قوله: العارف لا يسلم له النفس)** أي ولذلك يقال في معنى قوله جل ذكره: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] أن المراد وإن يوماً عند ربك تكون فيه مشاهداً مقرّباً فذلك اليوم من هذه الحيثية كألف سنة خلت عن ذلك، بل أكثر ومن ذلك قيل العمر الطويل ما كان في الطاعة ولو نفساً والقصير ما كان في غير ذلك، وإن طال به المدى والله أعلم.

(قوله: لا يسلم له النفس الخ) أي لا يسلم له ضياعه في غير الطاعة، وذلك لأن

مسامحة تجري معه) فيه إذ لا تفرقة عنده لكمال شغله بربه حتى غفل عن جميع أحواله وأنفاسه، **(والمحب لا بدّ له من نفس إذ لولا أن يكون له)** نفس **(لتلاشى)** وهلك **(لعدم طاقته)** على تركه. قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد الأنصاري: والنفس على ثلاثة درجات نفس في حين الضيق مملوء من الكظم متعلق بالعلم إن تنفس تنفس بتنفس المتأسف وإن نطق نطق بالحزن، ونفس في حين التجلي مملوء من نور الوجود شاخص إلى روح المعاينة، ونفس مطهر بماء القدس قائم بإشارات الأزل، والنفس الأول للعثور سراج أي: لأنه يخلصه من عثرة وقعته، والثاني للقصد معراج أي: لأنه يتوصل به إلى مطلوبه من استغرقه في توحيده، والثالث للمحب تاج أي: لأنه قد وصل إلى مطلوبه، فصار تنفسه بما وجده من محبوبه تاجاً يتشرّف به، ولذلك قالوا إنّ العارف لا يسلم له النفس لكمال شغله بربه وإنما النفس للمحب.

ومن ذلك الخواطر

هي أقوال ينشئها الحق تعالى في قلوب الخلق تارةً بلا واسطة مخلوق، وتارةً

من ثبت له التشريف يعامل بأشق أنواع التكليف. **(قوله: لأنه لا مسامحة تجرى معه)** أي لأنه قد قيل سيروا مع الله عرجى ومكاسير، ولا تنتظروا الصحة، فإنّ انتظار الصحة بطالة، فيكون كمن يقول لا أتداوى حتى أجد الشفاء، فيقال له لا تجد الشفاء حتى تتداوى. **(قوله: والنفس على ثلاث درجات)** أي لأن الأحوال المتعاقبة على العبد بتصريف الحق تارة تنشأ عن الالتفات إلى مظاهر الجلال، فتورث القلب ضيقاً فيتنفس بالتأسف، وينطق بالحزم فيتقد له بذلك سراج البشائر، فتارة تنشأ من تجلي نور الحق المرقي إلى معارج المشاهدة والمعاينة، فلا ينطق إلا بمحبوبه، ولا يتفوّه إلا بمطلوبه، وتارة تنشأ من ماء القدس الوارد بإشارات الأزل، فتتحلى الحال بتاجات هامات الانمحاق، فحينئذٍ يتلاشى العبد ويفنى عن نفسه وما لها، والله أعلم. **(قوله: وإنما النفس)** أي بالشطح والدلال للمحب أي الثابت في مقام القرب، ممن كوشف بالجمال، ومنح عزيز الوصال، ومهدت له موائد التنصيص، وروّقت له معتقات التقديس، فسطعت عليه سواطع الأنوار، ورفعت له حجب الأستار، فشاهد صفات الكمال والجمال، وتوّج بتاج عز الدلال، فهام في جملة من هام، ممن أنهل من رائق المدام، فغاب حسه عن المخبر والخبر، وانعكست بصيرته في البصر، ففاه بالإشارات وما لا تسعه العبارات حيث هو في ديوان الحق بالحق على كراسي منصات الصدق يترجم عن الحضرات الغيبية بلغات المشافهات القدسية، هذا ما ذقته في حضوري وفهت به مع قصوري فافهمه.

(قوله: ومن ذلك الخواطر) اعلم أنها أقسام خمسة: رباني وملكي وعقلي ونفساني وشيطاني، فالأوّل ما يرد على القلب بإرادة الرب وهو لا يخطىء أبداً، ويكون من حضرة

بواسطة مخلوق من ملك أو شيطان أو نفس، وقد أخذ في بيانها فقال: **(والخواطر خطاب)** أو ما في معناه **(يرد على الضمائر)** أي: القلوب **(وهو قد يكون بالقاء ملك و)** قد **(يكون أحاديث النفس و)** قد **(يكون من قبل الحق سبحانه)** بلا واسطة **(فإذا كان)** القاؤه **(من الملك فهو الإلهام)** وهو إلقاء معنى في القلب بطريق الفيض **(وإذا كان من قبل النفس قيل له الهواجس)** والتسويل والتطويع قال تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨] فطوعت له نفسه قتل أخيه، والهواجس جمع هاجس، وهو الخاطر فقد يعبرون بالهاجس عن الخاطر الأول، وهو الخاطر الرباني، وهو لا يخطىء أبداً، وقد يسمى السبب ونقرد الخاطر، فإذا تحقق في النفس سموه ارادة، فإذا تردّد الثالثة سموه هماً، ثم عزماً وعند التوجه إلى الفعل قصداً ومع الشروع في الفعل نية **(وإذا كان من قبل الشيطان قيل له)** وفي نسخة فهو **(الوسواس)** قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠] الشيطان **(وإذا كان من قبل الله سبحانه والقائه في**

الربوبية والحضرة الرحمانية، والحضرة الإلهية والفرق بينها أن الرباني يرد بالجلال، والرحماني بالجمال والإلهي بالكمال والأول يمحق ويفني، والثاني يثبت ويبقي والثالث يصلح، ويهدي والعبد يستعد في الجلال بالصبر وفي الجمال بالشكر، وفي الكمال بالسكينة، والثلاثة للعارفين والملكي والعقلي لأهل المجاهدات والنفساني والشيطاني لأهل الغفلات والخاطر إذا تمكن صارهما، وإذا زاد تمكنه صار عزماً، وهو يصير قبل الشروع قصداً ومع أوّل نية والله أعلم. **(قوله: هي أقوال الخ)** أي أقوال روحانية نفسانية ينشئها الحق تعالى أي يقدرها ويوجدها في قلوب الخلق على حسب سابق العلم والقضاء الأزلي، وتلك الأقوال قد تكون من مظاهر الجمال، وقد تكون من تجليات الجلال رحمة بالخلق أو نقمة لهم وعذاباً. **(قوله: والخواطر خطاب الخ)** المراد تحقيق معناه وما يعمل به منه. **(قوله: وهو قد يكون الخ)** أقول ذلك بالنسبة لما بعد الوجود المقيد التفصيلي فيما لا يزال، وإلا فالأمر منه تعالى وإليه إذ هو الهادي جل اسمه فافهم. **(قوله: القاء معنى في القلب)** أي إيجاده فيه الطريق الفيض ولكن في الغالب لا يفاض ذلك إلا على القلوب المقدّسة عن الحظوظ المنوّرة بنور الحق تعالى. **(قوله: قيل له الهواجس)** أي وإنما قيل له ذلك لأنّ فيه ميلاً إلى نوع من الحظوظ والشهوات في غالب الأحوال، وفي النادر يكون رحمانياً. **(قوله: فقد يعبرون بالهاجس الخ)** هذا اصطلاح آخر في التعبير عن الخاطر، والحاصل أنّ الخاطر يطلق على ما يشمل الجميع، وذلك ما قدّمه، ويطلق على الخاطر الأوّل وهو الرباني الخ. **(قوله: وهو الخاطر)** أي الخاطر الجزئي المختص بالنفس، فلا ينافي ما تقدّم من إطلاقه على ما يكون من الحق ومن الملك وغيرهما من كل قول ينشئه الحق في قلوب الخلق. **(قوله: قيل له الوسواس)** أي وهو ما يلقيه

القلب فهو خاطر حق وجملة ذلك من قبيل الكلام) النفسي الملقى في الضمائر، (وإذا كان من قبل الملك، فإنما يعلم صدقه بموافقة العلم) الشرعي (ولهذا قالوا: كل خاطر لا يشهد له ظاهر) من الشرع (فهو باطل وإذا كان من قبل الشيطان، فأكثره يدعو إلى المعاصي) وأقله يدعو إلى خير في الظاهر، وهو من باب صدقك وهو كذوب (وإذا كان من قبل النفس، فأكثره يدعو إلى اتباع الشهوة أو) إلى (استشعار أي طلب أكبر أو) إلى (ما هو من خصائص) أو أوصاف (النفس) التي قال الله فيها ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وأما أقله فيدعو إلى خير كما ذكره بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣] ثم إذا عرف العبد كون الخاطر خيراً قبله، وإن لم يعرف كونه من الحق تعالى أو من الملك، وإن علم كونه شراً ردّه ونفاه، وإن لم

الشيطان في قلب العبد من ملائمات حظوظ النفس، لغرض الإغواء والإضرار. (قوله: وجملة ذلك) أي جميع ما تقدّم في معنى الخاطر هو من قبيل الكلام النفسي الكائن في الضمائر.

(قوله: وإذا كان من قبل الملك الخ) المراد التنبيه على عدم الوثوق به اتهاماً للنفس حتى يعرضه على أحكام الشرع الظاهر، فإن وافقها فحق وإلاّ كان من الدسائس. (قوله: فهو باطل) أي لا يجوز العمل به وبالجملة، فمدار الحق والصدق والمشروعية موافقة أحكام الشريعة، فلا تغتر بما يخالفها. (قوله: وهو من باب الخ) أي ومن باب قولهم أيضاً كلمة حق أريد بها باطل والله أعلم. (قوله: فأكثره يدعو إلى اتباع الشهوة الخ) أي ولذلك نجد العبد يفرح بالموجود، ويحزن على المفقود وذلك لا يكون إلا بشاهد حظ النفس، وفقدان الحقيقة وعدم النظر للأقدار لأن من عاين التوحيد حصل على التسليم والرضا، فلا يبقى له فرح ولا حزن ولا همّ، ولا غمّ أبداً قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣] الآية قال الشبلي من عرف الله لا يكون عليه غمّ أبداً، وقال السري من عرف الله عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح في لاش، والعاقل عن عيوبه فتاش، والله أعلم. (قوله: وإلى ما هو من خصائص أوصاف النفس) أي النفس الحيوانية لأنها هي التي تميل إلى رجس الحظوظ بخلاف النفس الإنسانية، فإنها لا تميل إلى ذلك، بل إلى العلوم والمعارف، فقوّتها وضعفها تابع لقوّة القلب وضعفه، والقلب تابع قوّة وضعفاً لقوّة وضعف الروح والروح تابعة لقوّة وضعف السر والله أعلم.

(قوله: ثم إذا عرف العبد كون الخاطر خيراً قبله) أي ولا يتم له هذه المعرفة إلا بالعرض على الكتاب والسنة، فما وافقهما قبله وعمل به وإلا ردّه، وذلك عام في كل

يعرف كونه من النفس أو من الشيطان وإنما فرقوا بين خاطريهما لأن الشيطان يكفي في ردّه المخالفة، والنفس يحتاج مع ذلك إلى مخالفة شهواتها، وأن يقطع عنها ملذوذاتها عقوبة لها لئلا تعود إلى ما دعت إليه. **(واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس)** لأن ذلك لا يقع إلا لمن قلت همته ولأن التمييز بينهما إنما يقع بدقيق النظر في الأحكام، وكمال العلم بالحلال والحرام. **(وسمعت الشيخ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: من كان قوته معلوماً)** أي: معيناً من جهة **(لم يفرق بين الإلهام والوسوسة)** لأن سكونه إلى جهة معينة يمنعه من النظر في كمال حاله، وهو تحسسه لما يرد على قلبه، فمن لم يبلغ درجة التوكل والاعراض عن السكون إلى الأسباب المعينة المعتادة لم ينل كمال إفراغ القلب للتفريق بين الإلهام والوسوسة في خواطر قلبه **(و)** اتفقوا **(على أن من سكنت عنه هواجس)** أي: خواطر **(نفسه بصدق مجاهدته نطق ببيان قلبه بحكم مكابدته)** أي: مجاهدته فالنطق المذكور ثمرتها كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. **(وأجمع الشيوخ)** أيضاً **(على أن النفس لا تصدق)** غالباً

خاطر سواء كان رحمانياً أو مليكاً أو نفسياً أو شيطانياً كما صرّح به الشارح. **(قوله: وإنما فرقوا بين خاطريهما الخ)** محصل الفرق الاكتفاء في الشيطاني بمجرّد المخالفة لضعفه بخلاف النفسي، فإنه يحتاج مع ذلك إلى مخالفة جميع شهواتها لقوّتها. **(قوله: لم يفرق بين الإلهام الخ)** أي لأن أكله الحرام من جهالاته الموجبة لزيادة ظلماته المطفئة لعين بصيرته التي هي الفارقة بين الحق والباطل. **(قوله: من كان قوته معلوماً الخ)** المراد الحث على الزهد بواسطة الانقطاع عن الأسباب حتى يتم له التفويض في مقام التوكل فتتزايد له الأنوار، فيحصل على فرق الأسرار. **(قوله: لأن سكونه الخ)** محصله أن طالب المقامات ومنازلتها لا يتم له ذلك إلا بالانقطاع عن الأسباب حتى يتمكن من تجسس أحواله فيما يرد على قلبه من لوازم المقامات هل نفسه ساكنة مطمئنة راضية به أو لا. **(قوله: واتفقوا على أنّ من سكنت الخ)** فيه تنبيه على تحقيق صدق المجاهد لأنّ ثمرتها نور في السر يظهر أثره على اللسان من ينابيع الحكم.

(قوله: فالنطق المذكور) أي التكلم بالحكم ثمرتها أي ثمرة المجاهدة، وذلك بشاهد خبر «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» وبدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] أي جاهدوا أنفسهم في قيامها بطاعة ربها، وقوله فينا أي في محبتنا أو لأجل رضانا لنهدينهم سبلنا أي لنوصلنهم إلى الطرق الموصلة إلينا.

(قوله: على أنّ النفس لا تصدق الخ) أي وعدم صدقها باعتبار ما طبعت عليه من قبيح الوصف، وكثافة الجبلة، وقوله: والقلب لا يكذب أي وعدم كذبه باعتبار ما طبعت

في مواعيدها لسرعة خلفها وكسلها ونفرتها عن المشقات (و) على أن (**القلب**) يعني العقل (**لا يكذب**) لأن العبد إذا عرف الحق بعقله نطق لسانه بما حققه في قلبه لأنه ترجمات القلب، فإذا صدق صدق ترجمانه (و) لهذا (**قال بعض المشايخ**) لبعض تلامذته (**إن نفسك لا تصدق، وقلبك لا يكذب ولو اجتهدت كل الجهد أن تخاطبك روحك لم تخاطبك**) لأنها إما جوهر أو عرض، وعلى كل حال فهي معنى به حياة الجسم لا غير، ولها تعلق بالمقامات العالية المشتغلة بها عن مخاطبتك، فلا يصدر عنها خاطر. (**وفرق الجنيد رحمه الله بين هواجس النفس ووساوس الشيطان بأن النفس إذا طالبتك بشيء ألحت**) عليك في طلبه لأنها مائلة لكل لذيذ فإذا التذت بشيء تعلقت به (**فلا تزال تعاودك**) مرّة بعد أخرى (**ولو بعد حين حتى تصل**) منك (**إلى مرادها**) وتحصل مقصودها (**اللهمّ إلا أن يدوم صدق المجاهدة**) لها فلا تصل إلى مرادها (**ثم إنها**) مع ذلك (**تعاودك وتعاودك، وأما الشيطان**) فإنه (**إذا دعاك إلى زلة، فخالفته يترك ذلك ويوسوس**) لك (**بزلة أخرى لأن جميع المخالفات له سواء، وإنما يريد أن يكون داعياً**) لك (**أبداً إلى زلة ما ولا غرض له في تخصيص**) شر (**واحد دون واحد وقد قيل**) في الفرق بين خاطر الملك، وخاطر الحق تعالى (**كل**

عليه أيضاً حيث هو نوراني لطيف كيف لا وهو محل نظر الحق من العبد، والله أعلم. (**قوله: يعني العقل الخ**) إنما أتى بهذه العناية لأنّ القلب باعتبار حقيقته، وهي الجسم لا ينسب إليه صدق، ولا كذب أما باعتبار ما أودع فيه من اللطيفة الإنسانية فيصح ذلك. (**قوله: لأنها إما جوهر أو عرض**) أقول الذي حققه العز أنها من الجواهر المجرّدة، وهي على شكل أشباحها لها تعلق بالجسم تعلق حياة لا هي متصلة بالأجسام، ولا هي منفصلة عنها فسبحان العليم الخبير. (**قوله: وفرق الجنيد الخ**) محصله أن مطلوب النفس لها في خصوصية لذة فتطالبك به مرّة بعد أخرى بخلاف مطلوب الشيطان، فإن غرضه منك الإغواء بأيّ شيء كان، فإذا طالبك بشيء فخالفته فيه لم يعاودك، بل ينتقل إلى غيره واعلم أن من علامات الخسر في النهايات الرجوع إلى النفس في البدايات لأنها إذا كانت البداية بالله كانت النهاية إلى الله فعلى العاقل أن يستعين عليها بالله، ويفوّض إليه فيما أولاه ويدوم على شكره في المنع والعطاء عسى أن يجود عليه بكشف الغطاء، وقد قال ابن الجلال رحمه الله من علت همته عن الأكوان وصل إلى مكونها ومن وقف بهمته على شيء دون الحق فإنه الحق لأنه أعز من أن يرضي معه شريكاً.

(**قوله: اللهمّ إلاّ أن يدوم الخ**) أقول لعل ذلك لكونها ذاقت لذة المجاهدة فدائماً تكون مشوقة إليها، وبذلك ترجع عن مرادها والله أعلم. (**قوله: وقد قيل في الفرق الخ**) محصله حتم التحقق في خاطر الحق وجواز التخلف في خاطر الملك. (**قوله: لكنه إنما**

خاطر يكون من الملك فربما يوافقه صاحبه) أي الخاطر **(وربما يخالفه)** لأن الملك إذا أمر بخير زين الشيطان للنفس الكسل والراحة فلذلك كان خاطر الملك يتردّد لما يقابله من تزيين الشيطان، **(فأما خاطر يكون من الحق سبحانه)** ينشئه لصلاح عبده **(فلا يحصل خلاف من العبد له)** إذ لا طمع له من منازعته لربه فيما أنشأه في قلبه لكنه، إنما يعرف كونه من الحق بعلمه من الشرع كما مرّ. **(وتكلم الشيوخ في الخاطر الثاني)** الموافق للأوّل **(إذا كان الخاطران من الحق سبحانه هل هو أقوى من الأوّل)** أو الأوّل أقوى منه أو هما سواء **(فقال الجنيد رحمه الله: الخاطر الأوّل أقوى لأنه)** سابق ولأنه **(إذا بقي)** مع الثاني **(رجع صاحبه إلى التأمل)** في أيهما أقوى **(وهذا)** أي: التأمل **(بشرط العلم)** بالأقوى منهما، وهو الآن لا يعلمه فيفوت علمه به **(فترك الأوّل يضعف الثاني)** لأنه المقتضي لفوت العمل بواسطة التأمل. **(وقال ابن عطاء رحمه الله: الثاني أقوى لأنه ازداد قوّة بالأوّل)** الذي صار مقدمة له **(وقال أبو عبد الله بن خفيف من المتأخرين: هما سواء لأن كليهما من الحق سبحانه)** ولأن كلا منهما لا يرد لو انفرد **(فلا مزية لأحدهما على الآخر)** وإنما يقوى حال العبد في نفسه لتواردهما عليه لا لأن أحدهما أقوى من الآخر، وهذا هو الصحيح، ولا يقال للأول مزية ببقائه **(لأنـ)**ـا نقول **(الأوّل لا يبقى في حال وجود الثاني لأن الآثار)** والأعراض **(لا يجوز عليها البقاء)** إذ لو جاز بقاء العرض لكان البقاء معنى قائماً به فيلزم قيام المعنى بالمعنى وهو محال كما هو مقرّر في محله، واعلم أنه قد يزاد على الخواطر الأربعة اثنان: خاطر اليقين وهو يكون مع خاطر الحق أو الملك، وخاطر العقل وهو يكون تارةً مع خاطر النفس أو الشيطان وتارةً مع خاطر الحق أو الملك، والمشهور

يعرف الخ) أي وذلك بسبب أنّ الورع دائماً في اتهام النفس حتى يشهد بالصدق ظاهر الشرع.

(قوله: فقال الجنيد الخ) محصله العمل بالأوّل لسبقه، وللزوم التأخر بواسطة التأمل في الأقوى من جهة العلم، فتفوت المبادرة بالطاعة مثلاً. **(قوله: الثاني أقوى الخ)** محصله العمل بالثاني لزيادة قوته بالأوّل على معنى أنه حينئذ من قبيل يمحو الله ما يشاء ويثبت، وهو وجيه.

(قوله: لأنه ازداد قوّة بالأوّل) أقول لا يظهر إلا إذا كان مثله، ومن واديه ومع ذلك، فيقال لا فائدة في الخلاف على أن الذي يظهر حينئذ قوّة الأوّل بالثاني فحرّر والله أعلم. **(قوله: لأنّ كليهما من الحقّ)** أقول وإنْ كان كما قال غير أن الأوّل مؤيد بالسبق، فالظاهر ما تقدّم عن الجنيد. **(قوله: لأنا نقول الأوّل يبقى في حال وجود الثاني)** هذا من طرف القائل بقوّة الأوّل، وقوله لأنّ الآثار الخ محصله المنع لذلك لما ذكره فتأمّله. **(قوله:**

الإقتصار على الأربعة بجعل هذين راجعين إليها كما لا يخفى.

(ومن ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين). اليقين عند جماعة توالي العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يغفل عنه، **فهو أخص من العلم** وعند آخرين هو العلم وسيأتي و **(هذه)** الألفاظ **(عبارات عن علوم جلية)** مع تفاوتها في القوّة بناء على أن اليقين مقول على افراده بالتشكيك والثلاثة مذكورة في القرآن قال تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] وقال: ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧] وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا

يجعل هذين راجعين الخ) أقول لا يتجه خلافه. **(قوله: ومن ذلك علم اليقين الخ)** أقول علم اليقين هو ما أثبته الدليل والخبر وعين اليقين هو ما يشاهد بالعين والنظر، وحق اليقين هو مقام لا يبقي ولا يذر، وقال بعضهم: علم اليقين هو قبول ما ظهر من الحق، وما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق، وعين اليقين هو الفناء بالاستدلال عن الاستدلال، وعن الخبر بالعيان، وفرق الشهود حجاب العلم وحق اليقين هو أسفار صبح الكشف، ثم الخلاص من كلفة اليقين، ثم الفناء في حق اليقين اهـ من منازل السائرين للسهروردي، وقيل علم اليقين عقد ذهني بلا اضطراب مطابق للواقع وعين اليقين مشاهدة بلا حجاب وحق اليقين اتحاد بعد اقتراب.

(قوله: اليقين عند جماعة الخ) أي ونقل عن سهل أن اليقين هو الله تعالى. **(قوله: توالى العلم بالمعلوم الخ)** وقال بعضهم: علم اليقين هو ما كان من طريق الإستدلال، وعين اليقين ما كان من طريق الكشف والنوال، وحق اليقين ما كان بحق الانفصال من لوث الصلصال بورود رايد الوصال اهـ.

(قوله: فهو أخص من العلم) أي لأنه علم خاص بالتولي وهو أخص من مطلق العلم. **(قوله: وعند آخرين هو العلم)** أي هو الذي يقال في حقه العلم على جهة المبالغة، فلا يقال يلزمه التهافت كما لا يخفى. **(قوله: عبارات عن علوم جلية الخ)** أي ولذا قال بعضهم: اليقين اعتقاد جازم ثابت مستقر بسبب يوجبه مطابق للواقع، فإذا أضيف إلى النفس والعقل من هذه الحيثية، فعلم اليقين أو إلى الروح من طريق رفع الحجاب، فعين اليقين أو إلى السر المبين بقوله جل شأنه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فحق اليقين تدبر واخرج عن قيد التقليد تفهم والله أعلم. **(قوله: عن علوم جلية)** أي واضحة منكشفة للعبد انكشافاً تامّاً لا يحتمل الظن والشك والوهم. **(قوله: بناء على أن اليقين مقول على إفراده بالتشكيك)** أي يطلق على إفراده به لا بالتواطؤ أما إذا بنينا تواطئه في إفراده، فلا تفاوت لها حينئذٍ لأن جزم القلب بذاته لا تفاوت فيه بالزيادة والنقص، وما يتخيل فيه من الزيادة فهو باعتبار المجزوم به لا الجزم. **(قوله: وفي نسخة يداخل)** أي وهي الأظهر.

﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥] **(فاليقين هو العلم)** وهو **(الذي لا يتداخل)** وفي نسخة يداخل **(صاحبه ريب)** أي شك **(على مطلق العرف)** أي: عرف العلماء **(ولا يطلق)** اليقين **(في وصف الحق سبحانه لعدم التوقيف)** عليه بخلاف العلم، وإذا كانت الثلاثة علوماً جلية **(فعلم اليقين هو اليقين وكذلك عين اليقين نفس اليقين و)** كذا **(حق اليقين نفس اليقين)** فالثلاثة بمعنى واحد لغة والإضافة فيها بيانية، وأما معناها في اصطلاح الصوفية، فهو ما ذكره بقوله **(فعلم)** الأولى وعلم **(اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان)** أي: بطريقه **(وعين اليقين ما كان بحكم البيان)** أي: بطريق الكشف والنوال **(وحق اليقين ما كان بنعت العيان)** أي: بطريق المشاهدة وعبر بعضهم عن ذلك بأن علم اليقين هو العلم الذي لا يقبل الإحتمال، وإن لم يتوال على القلب، وعين اليقين هو العلم المتوالي على القلب ذكره بحيث يقل الغفلات عنه، وإن ذكر صاحبه غيره، وحق اليقين هو الذي غلب ذكره على القلب حتى اشتغل به عن ذكر غيره **(فعلم اليقين لأرباب العقول)** الذي علموه بالبرهان **(وعين اليقين لأصحاب العلوم)** الذين ثبتت علومهم وتوالت على قلوبهم حتى استغنوا عن البرهان **(وحق اليقين لأصحاب المعارف)** الذين غلب على قلوبهم ما شغلهم عن ذكر غير ربهم، وهو حال الحقيقة، وهي الحالة التي يغلب فيها على القلب إدراك الحق كما مرّ، وقيل اليقين اسم ورسم وعلم وعين الحق فالإسم

(قوله: لعدم التوقيف عليه) أي لعدم ورود إطلاقه في حقه تعالى. **(قوله: فعلم اليقين الخ)** إن قلت فما فائدة اختلاف العبارات حينئذٍ قلت الإشارة إلى تفاوت القوّة فيها. **(قوله: الأولى وعلم)** أي لعدم صحة تفريعه على ما قبله، فالمحل للواو لا للفاء. **(قوله: بشرط البرهان)** أي بشاهد العلم عند ذوي الميزان. **(قوله: وعبر بعضهم عن ذلك الخ)** محصله أنه جزم لا يداخله تردد وإن كثرت معه الغفلات، فإن قلت معه الغفلات فعين اليقين، وإن انعدمت معه بالإستغراق فيه فحق اليقين.

(قوله: لأرباب العقول) أي من علماء الظاهر والرسوم، وقوله: وعين اليقين لأصحاب العلوم أي العلوم الذوقية الناشئة لهم من ثبوت إقدامهم في المعاملات الشرعية، وقوله: وحق اليقين لأصحاب المعارف أي المعارف اللدنية الفانين فيما شاهدوه من الأنوار الأحمدية، أو هم مثل يوسف والخليل على نبينا وعليهم الصلاة والتسليم حيث قال الأوّل عند خروجه من السجن حسبي من دنياكم ديني وحسبي من ديني ربي، وقال الثاني: وهو في المنجنيق حين سأله جبريل ألك حاجة حسبي من سؤالي علمه بحالي فافهم والله أعلم.

(قوله: وقيل اليقين اسم الخ) محصله أنه يختلف باختلاف محله فهو بالنسبة للعوام

والرسم للعوام، وعلم اليقين للأولياء وعين اليقين لخواص الأولياء، وحق اليقين للأنبياء، والتسليم وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا ﷺ. **(وللكلام في الإفصاح عن هذا)** المذكور **(مجال)** آخر و **(تحقيقه)** يعني ملخصه **(يعود إلى ماذكرناه فاقتصرنا)** من ذلك **(على هذا القدر)** الذي ذكرناه **(على جهة التنبيه)** على ما لم يفصح به هنا، قال الشيخ علاء الدين القونوي والظاهر أن الأوّلين من الثلاثة المذكورة من قبيل العلوم والمعارف، والثالث من قبيل الأحوال والمقامات ثم قال:

وقال بعضهم: علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع، وحق اليقين حال جمع الجمع.

ومن ذلك الوارد

(ويجري في كلامهم ذكر الواردات كثيراً، والوارد ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد) أي: بتكسبه بل هو كلام يفهمه العبد من غير صوت كما مرّت الإشارة إليه **(وكذلك)** يرد عليها مما **(لا يكون من قبيل الخواطر فهو أيضاً وارد)** والوارد قد يترتب على سبب، ثم ينساه العبد كأن يفكر في

من أهل الظاهر مجرّد اسم ورسم لوقوفهم مع أحكام الظاهر وعدم شغل قلوبهم بكشف مجوهرات الحظائر، وعلم اليقين بالنسبة لخواصهم ممن صفت ضمائرهم، ودامت على المجاهدات ظواهرهم، وعين اليقين هو لخواص الخواص ممن لهم مقام الإختصاص، وحق اليقين هو لساداتهم من النبيين، وأولي العزم من المرسلين، وحقيقة هذا الحق قد اختص بها الإنسان إلا حق عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم. **(قوله: وقال بعضهم الخ)** أقول: هو يرجع إلى ما قاله القونوي فتدبره. **(قوله: ومن ذلك الوارد)** أي الذي هو أتم من الخاطر لاختصاصه بنوع الخطاب بخلاف الوارد وكل من المواهب لا يقصد، بل يفجأ القلوب المنوّرة.

(قوله: والوارد ما يرد على القلوب الخ) أقول: والحذر من وارد سرور عند العطاء، وقبض عند المنع، لأن ذلك من بقايا رعونات النفس، وقد نقل وهب رحمه الله تعالى خبر: «ومن أظالم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلاً لأن أطاع»، وفي الخبر: «لا يكن أحدكم كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل»، ولا كالأجير السوء إن لم يعط الأجرة لم يعمل أقول، وإنما كان هذا أجير سوء لأنه أساء الظن بمستعمله، ولا يليق به ذلك فلم يعط الحرمة حقها، ولا جعل المروءة في محلها، وفي الخبر أيضاً: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه» فافهم. **(قوله: بل هو كلام يفهمه العبد الخ)** مراده أنه قد يكون كذلك، فلا ينافي ما سينكر من أنه أعم من الخاطر

أمر من أمور آخرته فيوجب له فكره قبضاً مثلاً، ثم ينسى ذلك ويحس القبض، وقد لا يترتب على سبب بل ينشئه الحق في قلب العبد تنبيهاً على ما كان أو ما يكون من قبض وبسط وسرور، وفرح وغيرها. **(ثم قد يكون)** من الواردات **(وارد من الحق)** تعالى **(ووارد من العلم)** إذا تقرّر ذلك **(فالواردات أعم من الخواطر لأنّ الخواطر تختص بنوع الخطاب أو ما يتضمن معناه)** كما مرّ في مبحثها بخلاف الواردات، ومن الوارد الذي لا يعرف صاحبه سببه حين وروده ما جرى للجنيد رحمه الله أنه قال: قمت ليلة إلى وردي فوجدت قبضاً، ولم أقدر على الصلاة فأردت أن أقرأ القرآن، فلم استطع ففتحت باب الدار، وخرجت ليزول ما أجده، فإذا برجل ملفوف في عباءة مطروح في الطريق فلما أحس بي قال لي إلى الساعة يا أبا القاسم، فقلت: يا سيدي من غير موعد فقال: بلى ولكن سألت محرّك القلوب أن يحرّك قلبك فقلت: قد فعل فما حاجتك فقال: متى يكون داء النفس دواها فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها فقال لنفسه: قد سمعت وقد أجبتك بهذا سبع مرّات، فأبيت

وقد تقدّم ذلك أيضاً. **(قوله: ثم قد يكون الخ)** أي فوارد العلم دون وارد الحق إذ وارد العلم يوجب الفرح والسرور وطلب المزيد ووارد الحق يوجب التوجه بمحض المحبة، وحق العبودية وشكر المنة لا لجلب ولا لدفع، إذ هو في استشعار شكر النعمة، والإستغراق في المنة، ولهذا أشار صاحب الحكم حيث قال من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه، أقول لأنها تقتضي أن يطاع الله، فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى لا لعلة، ولا لسبب بل لحق ربوبيته، وواجب العبودية له وسابق إحسانه وكرمه، فالعمل على الأغراض والأعواض إساءة أدب، والله أعلم.

(قوله: ووارد من العلم) متى يكون داء النفس دواءها الخ أقول تأمّل يا أخي بعين الاستبصار، فإن الشمس لا تخفى في رابعة النهار تجد أسباب الوصول في طرح رجس الفضول مما جبلت عليه النفوس الخبيثة بتحسينها لمألوفاتها الخسيسة الراجعة بالفائدة على الأجسام مع هلاك الأرواح على الدوام، ومع قلة المعيشة الدنيوية، ودوام الحياة الأخروية مع أنه لا يصح إيثار الفاني على الباقي، بل الأليق أن يستعد لهول ما يلاقي، وذلك بعلاج هذا الداء العضال بخلاف النفس لنيل الإفضال، فإن الخير كله في خلافها، والشر جميعه في ائتلافها، وتأمّل إشارة سائل الجنيد حيث عرج على بيت القصيد بواسطة ما منح من الحكمة القلبية، والتطبب بالطريقة الأحدية بالاستمداد بالأنوار المحمدية، والمعاملات الأحمدية، وتدبر جواب المسؤول حيث هو من عين المعارف الإرشادية، وحقيقة الحقيقة الإلهية عسى أن توفق لمثل هذا العلاج فتشمر عن ساعد الاجتهاد لتندرج في المقرّبين وتعد من المحبين المحبوبين، والله أعلم.

أن تسمعيه إلا من الجنيد، ثم ذهب ولم أعرفه. **(والواردات تكون)** تارة **(وارد سرورو)** تارة **(وارد حزن و)** تارة **(وارد بسط إلى غير ذلك من المعاني)**.

ومن ذلك لفظ الشاهد

هذا اللفظ يطلق حقيقة على من له شهادة لغيره، أو عليه وعلى المعاين للشيء ومجازاً على المشاهد لغيره بمعنى الحاضر عنده أو المنزل منزلته كما قال **(كثيراً ما يجري في كلامهم فلان بشاهد العلم)** أي متلبس به **(وفلان بشاهد الوجد، وفلان بشاهد الحال ويريدون بالشاهد)** وفي نسخة بلفظ الشاهد **(ما يكون حاضر قلب الإنسان وهو ما كان الغالب عليه ذكره حتى كأنه يراه ويبصره، وإذا كان غائباً عنه، فكل ما يستولي على قلب صاحبه ذكره فهو شاهده، فإن كان الغالب عليه العلم فهو بشاهد العلم)** أي: بما غلب على قلبه رؤيته ومشاهدته **(وإن كان الغالب عليه الوجد يقال: إنه بشاهد الوجدو)** على هذا **(معنى الشاهد الحاضر فكل ما هو حاضر قلبك، فهو شاهدك)** وإن لم يرك، **(و)** قد **(سئل الشبلي رحمه الله عن المشاهدة فقال: من**

(قوله: والورادات تكون الخ) أقول ذلك باعتبار حال السالك، أما العارف فهو بالنسبة إليه تفرق ونقص إذ هو دائماً في حال جمع الحقيقة لا إحساس له بشيء من سرور أو حزن، فحينئذٍ يكون وارد السرور وضده من واردات العلم لا من واردات الحق كما تقدمت الإشارة إليه. **(قوله: ومن ذلك لفظ الشاهد)** أقول الذي يفهم من كلامهم في معناه أنه ما يغلب على قلب الخلق من دواعي الملك الحق. **(قوله: هذا اللفظ يطلق الخ)** محصله أن له معنيين حقيقياً ومجازياً ومرادهم هنا منه المعنى المجازي يعني المشاهد لغيره الحاضر عنده، وما في معناه وفيه أن الظاهر من كلام المصنف حمله على ما يكون حاضر قلب الإنسان نعم يقال هو لازم لما ذكره الشارح فتأمّل. **(قوله: ويريدون الخ)** محصله أن الشيء إذا غلب حضوره على القلب، فهو بشاهده، وإن غاب عن حسه ففهم من ذلك أنهم قد أطلقوا لفظ الشاهد على المعنى المجازي له. **(قوله: ما يكون حاضر قلب الإنسان)** أي لأنّ ظواهر الأمور تدل على حقيقة ما في الصدور، والأثر يدل على المؤثر، والظاهر يدل على الباطن، فما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح أثره، والكلام صفة المتكلم، وما فيك يظهر على فيك، وأدب الظاهرعنوان أدب الباطن، لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ولتعرفنهم في لحن القول قال الشاعر:

دلائل الحب لا تخفى على أحدٍ كحامل المسك لا يخفى إذا عبقا

(قوله: فهو شاهدك) أي حاضرك بسبب ما يجده الإنسان في سره. **(قوله: وإنّ لم يرك)** فيه خفاء فتدبره.

أين لنا مشاهدة الحق) أي: رؤيته وإنما **(لنا شاهد الحق)** وهو حالنا الذي يشهد لنا بمعرفته، ودوام ذكره كما بينه المصنف بقوله: **(أشار بشاهد الحق إلى)** الحال **(المستولي على قلبه والغالب عليه من ذكر الحق والحاضر في قلبه دائماً من ذكر الحق ومن حصل له مع مخلوق تعلق بالقلب)** بحيث استولى عليه **(يقال إنه شاهده يعني إنه حاضر قلبه فإن المحبة توجب دوام ذكر المحبوب واستيلاءه عليه وبعضهم تكلف في مراعاة هذا الاشتقاق)** ومأخذ التسمية بلفظ الشاهد **(فقال إنما سمي)** ما ذكر **(الشاهد)** أخذا (من الشهادة) بمعنى المعاينة **(فكأنه إذا طالع شخصاً بوصف الجمال)** جرى هذا البعض على عادة طائفة كانوا يأخذون أجمل شاب، ويجملونه بأجمل الثياب والهيآت يوقد بيده شمعة في حال السماع، ويمتحن كل منهم حال نفسه هل هو مشغول بجماله وبشريته ملتفتة إليه أو مشغول عنه بما هو فيه من حال السماع بحيث سقطت بشريته عنه **(فإن كانت بشريته ساقطة عنه، ولم يشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من الحال)** المتلبس به **(ولا أثرت فيه صحبته بوجه)** من الوجوه **(فهو)** أي: ذلك الشخص **(شاهد له على فناء نفسه)** وسقوط بشريته **(ومن أثر فيه ذلك)** بحيث لم تسقط بشريته عنه، وشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من حاله **(فهو شاهد عليه في بقاء نفسه، وقيامه بأحكام بشريته فهو)** بما تقرّر **(إما شاهد له، وإما شاهد عليه وعلى هذا)** الطريق المذموم الذي سلكه هذا البعض، ولم يعهد في

(قوله: فقال من أين لنا مشاهدة الحق الخ) محصله امتناع رؤية الحق تعالى بالبصر في هذه الدار وهو كذلك بالنسبة لغيره ﷺ أما بالنسبة له، فهي قد وقعت على أصح الأقوال، وهذا كله بالنسبة للدنيا كما قدمنا أما في العقبى فتقع لعموم المؤمنين على حسب اختلاف رجائهم في الفضيلة. **(قوله: فإنّ المحبة توجب الخ)** أي ولذا قالوا من الناس من يسبق ذكره نوره، ومنهم من يسبق نوره ذكره، فالثاني هو المحب والأوّل من ذكر ليتنور قلبه، فهو السالك الطالب بخلاف الثاني فذكره اضطراري. **(قوله: توجب دوام ذكر المحبوب)** أي بواسطة تجلي صفات كرم الحق على عبده، وإلا فهو لا يليق للذكر من حيث هو ولا يقدر على تحصيله لنفسه، فحصوله له من المنن الإلهية قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] واعلم أن الذكر الظاهر ينشأ عن شهود باطن فإنه لولا غلبة الحقيقة على القلب ما آثر الذاكر الذكر في الظاهر فافهم. **(قوله: على عادة طائفة الخ)** أقول هي وإنْ كانت تظهر ما عليه الإنسان من بقاء بشريته أو فنائها غير أنّ فيها تعرّضاً لمجالي الشبه ومظانها، وقد نهينا عن ذلك فهي بهذا الاعتبار من شأم العادات، والله أعلم.

(قوله: وعلى هذا الطريق المذموم) أي شريعة وطريقة وحقيقة لما تقدّم إيضاحه فلا

الصدر الأوّل (**حمل قوله ﷺ: «رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة»**[1] **أي: أحسن صورة رأيتها تلك الليلة**) من رؤيتي صورة الملائكة والأنبياء وغيرهم على ما هم عليه (**لم تشغلني**) تلك الرؤية (**عن رؤيته تعالى بل رأيت**) في تلك الحالة (**المصوّر في**) حال (**الصورة**) التي رأيتها (**والمنشىء في**) حال (**الإنشاء**) الذي رأيته ولم أشتغل بالصورة، والإنشاء (**بريد بذلك رؤية العلم لا إدراك البصر**) وهذا الطريق المذموم يستغنى عنه بأفضل العبادات وهي الصلاة، فإنّ الداخل فيها يجد ما يجده من ذلك الشخص بأن يمتحن فيها نفسه هل هو مشغول فيها برؤية ربه، وكمال مناجاته، أو مشغول بصورتها متفكر في سوء عاداته وشهواته، وأمّا ما حملوا عليه الخبر مما ذكر فبعيد إذ لا خصوصية له ﷺ بذلك في تلك الليلة على سائر أحواله في الأرض، فإنه في سائرها ناظر إلى ربه لا يشغله شيء من الصورة الجميلة عنه بل إن صح الخبر، فمحمله أن رؤيته ﷺ لربه كانت في أحسن صورة هو عليها لأنه تعالى

تغفل. (**قوله: حمل قوله ﷺ الخ**) أقول ما درج عليه المؤلف في تفسير هذه الجملة دعاه إليه اعتبار حال الوجود المفيد وإلا فلو خرجه على حالة الوجود المطلق لم يحتج إلى ما ذكره إذ الكائنات بأسرها كانت في غيب الغيب بإشارة خبر: «كنت كنزاً مخفياً»، فلما اقتضت الحكمة العلية إفاضة المظاهر على الأسماء والصفات كان ما كان بسر أن أعرف، فافهم ولا تكن أسير التقليد قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧] من اتسعت عليهم أرزاق العلوم والمعارف هم الواصلون قد أنفقوا على قدر ما وصل إليهم، وذلك بحكم وقتهم ومن قدر عليه رزقه هم السالكون أنفقوا بحسب ما وصل إليهم، وذلك حكمهم ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وفضل الله مرجو للجميع ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧] فافهم.

(**قوله: بل رأيت في تلك الحالة المصوّر الخ**) أي رأيت الخالق والموجد في حال الصور على معنى أنه لم يقف مع الصور، بل شهد في حال رؤيتها أنها قائمة بالحق، فلم يشهدها في حالة الغفلة عمن أوجدها، ولذا قال: يريد بذلك رؤية العلم أي الذي هو مصباح القلوب تمشي به في ظلمة الأغيار فيرى المنافع والمضار، ويبصر الحق والحقيقة، ثم ذلك الإبصار يوصل إلى الإيمان وبه ينتهي إلى درجة العرفان حتى يصل إلى مقام الإحسان، ولذا قال كعب: من أراد خير الدنيا والآخرة فليكثر من الفكر.

(**قوله: يستغنى عنه الخ**) أي مع ما فيه من خطر من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. (**قوله: كانت في أحسن صورة**) أي حالة من حالاته ﷺ حيث أقدره الحق على

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في (السنة ١/ ٢٠٤).

خلق له من الإدراك الذي رأى به ربه المنزه عن الأجسام والجهات والصور والهيآت ما لم يخلقه له قبل، فتلك الصورة راجعة إلى حاله ﷺ التي خصه بها من الإدراك الشريف الذي يخلقه لأوليائه في الدار الآخرة، ويخصهم به وتكون الصورة معنوية لا محسوسة.

ومن ذلك النفس

بإسكان الفاء (**نفس الشيء في اللغة وجوده**) وتطلق على الحقيقة يقال: نفس الجوهر، ونفس العرض، ونفس العلم، ونفس الجهل أي: حقيقة كل منها وعلى الدم كقول الفقهاء ما له نفس سائلة إذا وقع في مائع نجسه، وعلى القالب الموضوع

رؤية من لا تدركه الأبصار بقوّة لم تقع له في غير تلك الليلة، ولا لغيره مطلقاً. (**قوله: بإسكان الفاء**) احترز بذلك عن النفس محرّك الفاء فإن المراد به على ما تقدّم للوظائف الوقتية لحق الحق أو نفس الوقت باعتبار الواقع فيه من تلك الوظائف وكثيراً ما تراهم يعتبرون الوقت، ومن ذلك ما حكي عن الجنيد من قوله: الوقت أعز شيء، وإذا فات لا يستدرك وانشدوا في ذلك حيث قال قائلهم:

السباق السباق قولاً وفعلاً حذر النفس حسرة المسبوق

وقال الجنيد أيضاً: أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حفظاً على دنانيركم ودراهمكم، وقال عليّ كرّم الله وجهه: بقية العمر ما لها ثمن يدرك به ما فات، ويحيا به ما مات، فكل نفس يقتضي تجلياً، والتجلي يقتضي عبودية، وتلك العبودية تقتضي عبادة فالعبد في كل نفس سالك طريقاً إلى الحق بنوع من السلوك، ولذا قيل الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق فما من نفس جديد إلا ولله فيه سر جديد، وأمر أكيد مثل شكر النعمة أو التوبة من الذنب أو الصبر على البلية أو حمد الله على الطاعة، فالأوقات مستحقة لما وجد فيها من حق الحق، فلا يصح لعامل الاشتغال بغيرها من حق النفس، أو حق الخلق إذ حق الجميع صورى، ثم أقول وإن تقدّم بعض هذا في محله فاعادته لمناسبة ما لزيادة فوائد لا تخفى على ذي بصيرة.

(**قوله: وتطلق على الحقيقة الخ**) محصله أنها تطلق على ثلاثة أمور على الحقيقة والماهية، وعلى الدم وعلى القالب والشخص المعين، ولكن لا يريدون من النفس إلا ما كان معلولاً من الأوصاف البشرية، والأفعال بمقتضى الأخلاق الطبيعية وذلك منهم في الغالب، وإلاّ فقد يريدون من النفس ذاتها من حيث أنها منشأ الصفات الذميمة كما سيوضحه الشارح.

(**قوله: وعلى القالب الموضوع**) أي الجسم القائم على شكل مخصوص. (**قوله: ما**

وهو الجملة (**وعند القوم**) أي: الصوفية (**ليس المراد من إطلاق لفظ النفس**) على شيء (**الوجود ولا القالب الموضوع**) بفتح اللام (**وإنما أرادوا بالنفس ما كان معلولاً من أوصاف العبد ومذموماً من أفعاله وأخلاقه**) وكثيراً ما يعبرون بها عن مبدأ الصفات المذمومة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] ولذلك عدّت أعدى عدوّ الإنسان لصعوبة الخلاص من شرها ألا ترى أنّ الإنسان إذا صالح سائر الأعداء أمن من شرّهم، وإن صالح نفسه أهلكته، ولذلك كان جهادها الجهاد الأكبر (**ثم إنّ المعلولات من أوصاف العبد**) الشاملة لأفعاله وأخلاقه (**على ضربين أحدهما ما يكون كسباً له كمعاصيه ومخالفاته**) لأمر ربه كالزنا والسرقة وشرب الخمرو والغيبة (**والثاني أخلاقه الدنية**) التي طبع عليها كالجبن والجراءة والميل للذيذ والنفرة عن الكريه (**فهي في أنفسها مذمومة**) ومع ذلك (**فإذا عالجها العبد ونازلها**) أي: نزها وانتقل فيها (**تنتفي عنه بالمجاهدة تلك الأخلاق على مستمر العادة**) أي: على العادة المستمرة وإن لم يتغير الطبع، وهو الميل لكل لذيذ والنفرة عن كل كريه، فالنفس بطبعها تميل إلى الدنيا لكونها لا تعرف حسناً غيرها، فإذا عرفت نقصها وحجبها عن الخيرات نفرت عنها، فالذي كان لذيذاً لها صار كريهاً لها، وطبعها لم يتغير وإنما تغير ظنه باللذيذ والكريه، وكذلك من نظر إلى الأعمال الصالحة ومشقة القيام بها يجد نفسه نافرة

كان معلولاً الخ) أي ذا علة أي صفة ذميمة. (**قوله: ولذلك**) أي لأجل كونها مبدأ الصفات المذمومة، وقوله: ألا ترى الخ دليل لعدها من أعدى عدوّ الإنسان، وقوله ولذلك أي لما تقدّم من عدها من أعدى عدوّ الإنسان، ودليله كان جهادها الجهاد الأكبر. (**قوله: أهلكته**) أي لأن صلحها لا يكون إلا بالاسترسال معها في شهواتها ومألوفاتها الخسيسة.

(**قوله: والثاني اخلاقه الدنية الخ**) أقول ومنها باعتبار حال المحققين البسط، والقبض بحسب ما وجد وفقد، وذلك للوقوف مع لذة النعمة وألم النقمة، وهو نقص في المشاهد قال صاحب الحكم: إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه مع ما في النعمة من خطر الغرور، قلت: لأنك لو فهمت عنه لتسليت بما فهمته من بره ومنعه إذ الكل منه رحمة وكرامة ولطف، وبالجملة فمن علم أن الله تعالى رحيم به ومتفضل عليه ولطيف به لم يتأثر بنعمة فرحاً ولا بنقمة ألماً، بل يرجع عن نظره إلى من له الأمر كله والله أعلم. (**قوله: فإذا عالجها العبد الخ**) أي عالجها وداواها بالقيام عليها بسياسة التعلم والتفهم في عواقب المستلذات والراحات التي تميل إليها النفس بحسب ما جبلت عليه وعلم فوائد التنزه عن ذلك، وثمرات المجاهدات في العبادة فربما ينعكس عند ذلك ظن حسن اللذة والراحة بشاهد العلم، والتطبع الذي إذا دام قد يكون كالطبع.

عنها، فإذا عرف ما يترتب عليها من الفوائد مال إليها وكره تركها، فالذي كان كارهاً صار مائلاً إليه والطبع لم يتغير. (والقسم) أي: الضرب **(الأوّل من أحكام النفس ما نهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه، وأما القسم)** أي: الضرب **(الثاني من قسمي النفس)** تفنن في العبارة، وإلا فالمناسب أن يعبر فيهما معاً بقوله من أحكام النفس، أو بقوله من قسمي النفس **(فسفساف الأخلاق والدنيء منها)** العطف فيه للتفسير **(هذا حده)** أي: الثاني **(على الجملة ثم تفصيلها)** أي: وأما تفصيل الجملة **(فالكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك من الأخلاق المذمومة وأشد أحكام النفس وأصعبها)** في ذاتها **(توهمها أن شيئاً)** يصدر **(منها حسن أو أن لها استحقاق قدر، ولهذا عدّ ذلك من الشرك الخفيّ)** وهو ظاهر **(ومعالجة الأخلاق وترك النفس وكسرها أتم)** أي: أشد **(من مقاساة الجوع والعطش والسفر)** وفي نسخة والسهر **(وغير ذلك من المجاهدات التي تتضمن سقوط القوة، وإن كان ذلك أيضاً من جملة)** معالجة **(ترك النفس)** وكسرها والنفس والروح والقلب والسر والعقل عند محققي الصوفية بمعنى واحد وهو ما يفارق الإنسان بموته من اللطيفة الإنسانية، والحقيقة الربانية، ومن هؤلاء الغزالي حيث قال: النفس يقال للدم

(قوله: والقسم أي الضرب الأوّل) يعني به ما يكون كسباً للعبد كمعاصيه. **(قوله: ما نهى عنه نهي تحريم)** أي الشامل للصغائر والكبائر، وقوله نهي تنزيه أي وهو المكروه في حكم الشرع. **(قوله: وأما القسم الثاني الخ)** يعني به أخلاق العبد الدنية. **(قوله: فسفساف الأخلاق الخ)** المراد به ما يعد نقصاً في الكمال وإن لم يرد فيه نهي شرعي.

(قوله: فالكبر الخ) هو وما عطف عليه تفصيل لما يكون كسباً للعبد. **(قوله: توهمها أنّ شيئاً الخ)** أي لأن ذلك من نوع الكبر وظاهر ذلك، وإن كان العبد مستعمل نفسه في طاعة ربه لأنّ المدار على القبول وهو غيب عنه، واعلم أن عدم القبول منع مصحوب بعطاء وعطاء مصحوب بمنع، فعاد الكل منعاً فلا عبرة بعمل لا قبول فيه، فإذا أراد العبد تحصيل سبب القبول فعليه بالإخلاص مع اتقان العمل على طريق اتباع الحق والصدق. **(قوله: أتم الخ)** أي أتم في طريق الوصول إلى المقصود، وذلك بين حيث الخير كله في مخالفة ما جبلت عليه النفس. **(قوله: هي الأوصاف والأخلاق المذمومة)** باعتبار أنها مبدؤها، أقول: ومن ذلك يعلم أنّ من ادّعى محبة الله ولنفسه بقية فدعواه زور وبهتان إذ المحب ميت بين يدي محبوبه، ولذا قيل المحبة أن تهب كلك لمن أنت له محب حتى لا يبقى لك منك شيء إذ العزيز يأبى ذل المشاركة، ويرحم الله ابن الفارض حيث يقول:

أنت القتيل بأيّ من أحببته　　　فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

وللحقيقة الربانية، والعقل للعلم وللحقيقة الربانية والسر لما يكتم وللحقيقة الربانية، والقلب للحم الصنوبري الشكل وللحقيقة الربانية، والروح للبخار الذي في جوف هذا الشكل وللحقيقة الربانية، وفرق جماعة منهم المصنف بينها كما يعلم مما هنا مع ما يأتي فالنفس على ما قدّمه هي الأوصاف والأخلاق المذمومة (**ويحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة في هذا القالب هي محل الأخلاق المعلولة كما أن الروح لطيفة مودعة في هذا القالب هي محل الأخلاق المحمودة**) ويعبر عن هذا بأن الروح جوهر نوراني علوي رباني والنفس ظلمانية سفلية شيطانية، وأما القلب فتقلب بينهما، فالروح طيبة شأنها الموافقة، والنفس خبيثة شأنها المخالفة والقلب إن مال إلى الروح اتصف بصفتها وانقهرت النفس معهما، أو إلى النفس فبالعكس (**وتكون الجملة**) أي: جملة الإنسان (**مسخراً بعضها لبعض والجمع إنسان واحد**) ولا يؤثر في الفرق بينهما اشتراكهما في اللطافة كما نبه عليه بقوله (**وكون النفس والروح من الأجسام اللطيفة في**

(**قوله: لطيفة مودعة الخ**) أي سر من أسرار الله تعالى أودعه أي جعله وديعة مردودة لمالكها وقت انقضاء ما أقت لها من الزمان.

(**قوله: هي محل الأخلاق المعلولة**) أي المذمومة في نظر الشرع، وإنما سميت معلولة لأن التخلق بها لأجل حظ النفس، والهوى. (**قوله: هي محل الأخلاق المحمودة**) أقول كيف لا تكون كذلك، وهي مناط العلوم والمعارف بمجلى الفكرة المستقيمة، وهي أنواع، فكرة تفيد التصديق والإيمان وتجري في دلائل الصنع طلباً لبرهان الحق، وفكرة فيما دل عليه الإيمان من لوازمه بعد تحققه كالفكرة في عظمة الله وشرف رسوله وما جاء به، وفكرة تقتضي الشهود والعيان، وهي فيما يهدي لذلك من عظمة الله سبحانه ووجوه تصريفه في خلقه بقضائه وحكمته وفكرة ناشئة عن شهود الحقيقة، ومرجعها لجولان القلب في بساط التعظيم والإجلال من إشهاد المشهود وكشف الوجود، حتى يرى كلا بحكمة على وجه لا تقدير فيه ولا قياس، ثم لكل فريق طريق يكون بحسب ظهور التحقيق، والله أعلم.

(**قوله: ويعبر عن هذا الخ**) محصله أن الروح باعتبار كونها نورانية علوية ربانية من عالم الأمر طيبة لا تدعو إلا إلى الطيب، وأن النفس باعتبار كونها ظلمانية سفلية شيطانية من عالم الخلق خبيثة لا تدعو إلا إلى الخبيث، وإن القلب باعتبار توسطه بينهما إن مال إلى الروح زاد قهر النفس بهما أو إلى النفس كان الحال بالعكس. (**قوله: جوهر**) أي مجرّد على شكل القالب غير متصل ولا منفصل.

(**قوله: نوراني**) أي من عالم النور فهي من عالم الأمر لا من عالم الخلق. (**قوله: مسخراً بعضها لبعض**) أي حركة البعض تتبع حركة البعض الآخر. (**قوله: وكون النفس**

الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة) في أنه لا يؤثر في الفرق بينهما، واللطافة فيما ذكر كلطافة الهواء في البدن والزبد في اللبن والدهن في الجوز ونحوه. **(وكما يصح أن يكون البصر)** أي: العين **(محل الرؤية)** للمرئيات **(والأذن محل السمع)** للمسموعات **(والأنف محل الشم)** للمشمومات **(والفم)** الأولى والحلق أو اللسان **(محل الذوق)** للمذوقات **(و)** مع ذلك **(السميع والبصير والشام والذائق إنما هي الجملة التي هي الإنسان فكذلك محل الأوصاف الحميدة القلب والروح، ومحل الأوصاف المذمومة النفس والنفس جزء من هذه الجملة والقلب جزء من هذه الجملة والحكم)** بمحلية الأوصاف لها **(والاسم)** وهو لفظ المحل **(راجع)** كل منهما **(إلى الجملة)** وهذا باعتبار العرف كما يقال للجالس في بقعة من المسجد أنه جالس في المسجد وإلا فالتحقيق أن المعنى إذا قام بجزء استحال رجوع حكمه، واسمه لغيره.

(ومن ذلك الروح الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة) والجماعة **(فمنهم من يقول إنها الحياة)** فقط، ورد بأن الحياة عرض والعرض لا يبقى زمنين كما مرّ ومنهم من يقول: إنها مما استأثر الله بعلمه لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] وتقدّم فيها أوائل الكتاب زيادة على ذلك، **(ومنهم من يقول)** وهم جمهور المتكلمين **(إنها أعيان مودعة في هذه القوالب لطيفة أجرى الله سبحانه العادة بخلق الحياة في القالب ما دامت الأرواح في الأبدان)** وعليه جرى المصنف فيما مرّ في المبحث السابق ويعبر عنه بأنها جسم لطيف يشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر، فالروح هو الذي يفارق الإنسان بموته ويقبضه الملك،

والروح الخ) مراده أنّ كونهما من الأجسام اللطيفة ككون الملائكة والشياطين بهذه الصفة، وقوله في أنه الخ بيان لوجه التشبيه.

(قوله: وكما يصح أن يكون البصر الخ) أي فكما أن القوى المذكورة في محال مخصوصة والمدرك بواسطتها الجملة فمثلها النفس والروح واعلم أن تخصيص القوى بهذه الحواس كل قوّة بحاسة مخصوصة إنما هو باعتبار عالم التركيب المقيد، والحال أن العارف قد يخرج عنه إلى فضاء عالم الإطلاق وحينئذ فلا يتقيد إدراكه بقوى تلك الحواس على ما كانت عليه في عالمها المركب المقيد، بل قد يسمع ويبصر ويذوق ويشم بحاسة واحدة، أو بغير حاسة أصلاً وتدبر قول عاشق وقته العارف ابن الفارض قدّس الله سره:

سقتني حميا الحب راحة مقلتي ... فكاسي محيا من عن الحسن جلت

تعلم ما ذكرته لك والله أعلم. **(قوله: فمنهم من يقول أنها الحياة فقط)** محصل ما ذكره ثلاثة أقوال فقيل هي عرض، وقيل جوهر مجرّد، وقيل بالوقف. **(قوله: إنها أعيان**

ويكون في عليين للسعداء وفي سجبين للأشقياء وفي حواصل طير خضر للشهداء كما جاءت به الأخبار (**فالإنسان حيّ بالحياة**) القائمة به (**ولكن الأرواح مودعة في القوالب ولها ترقٌ**) أي: صعود عن البدن (**في حال النوم ومفارقة للبدن**) حينئذٍ العطف فيه للتفسير (**ثم**) بعد مفارقتها للبدن لها (**رجوع إليه**) وفي نسخة إليها أي: القوالب (**و**) يقول (**إن الإنسان هو الروح والجسد**) معاً (**لأن الله سبحانه سخر هذه الجملة بعضها لبعض**) كما مر (**والحشر يكون للجملة، والمثاب والعاقب الجملة**) وفسر الأطباء الروح بأنها بخار لطيف وقسموها إلى ثلاثة أقسام: روح حيواني محله القلب حامل للقوى الحيوانية التي بها تكون الحياة، وروح نفساني محله الدماغ حامل للقوى النفسانية التي بها يكون الإحساس والحركات، وروح طبيعي محله الكبد حامل للقوى الطبيعية التي بها يكون التوليد والتغذية والتنمية وهذه كلها أجسام لطيفة (**والأوراح مخلوقة**) لكونها من الجملة المخلوقة (**ومن قال بقدمها**) من القائلين بالحلول (**فهو مخطيء خطأ عظيماً والأخبار**) التي فيها وصفها بالهبوط والعروج ولتردّد في البرزخ (**تدل على أنها أعيان لطيفة**) مع أن المقصود منها هنا آثارها، وهو المعنى الذي له تعلق بالمشاهدات وبالاطلاع على المغيبات، وحصول الأنس بالله والقرب منه، واعلم أن في كل جسد روحين إحداهما روح اليقظة، وهي التي ما دامت في الجسد كان متيقظاً، فإذا فارقته نام ورأت المرائي، ثانيتهما روح الحياة، وهي التي ما دامت في الجسد كان حياً فإذا فارقته مات فالنوم انقطاع الروح عن ظاهر

الخ) ذلك بمعنى قولهم جوهر مجرّد. (**قوله: وفسر الأطباء الروح الخ**) أقول أن ذلك مبني على حدسيات وظنون ضعيفة وإلا فلا مجال لتحقيق ذلك بالعلم.

(**قوله: والأرواح مخلوقة الخ**) أي لثبوت ذلك بالشرع والعقل كما هو معلوم من فن أصول الدين.

(**قوله: وهو المعنى الذي الخ**) أقول يعني بذلك صفة أهل الشهود والإستبصار ممن شهدوا الحق فعرفوه واستبصروا عن التحقيق، فأبصروه، فكانوا تارة يمشون في الخلق بنور الحق، وتارة بنور الحقيقة قال أبو العباس الحصرمي: وهؤلاء هم القائمون في كل شيء وهم معدن أسرار الله في الخليقة وعلومهم ومعاملتهم قد ارتفعت عنها حجب التقصير، وبإدراك هممهم انخرقت حجب أنوار التوحيد، ونفذت بصائرهم بالنظر في حقائق تجريد التفريد، فأنوارهم قد علت نور الوجود وسرهم قد ظهر فيه شعاع لبعض خواص أهل الشهود، فهم شاهدون مشهودون.

(**قوله: واعلم أنّ في كل جسد روحين الخ**) ويدل له قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى

البدن فقط، والموت انقطاعها عن ظاهره وباطنه، والروحان في باطن الإنسان، وقد يكون في باطنه روح ثالثة، وهي روح الشيطان واحدة اللطيفة الإنسانية لكنها مختلف باعتبارات مختلفة، ومقرها الصدر لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥] ولا تموت أرواح الحياة بل ترفع إلى السماء حية لا تفتح أبوابها لأرواح الكفار، ثم إذا نزلت تكون في القبور مجرّدة عن الأجساد منعمة بالثواب أو معذبة بالعقاب نبه على ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وقد أخذ بظاهرها من بقاء الصدور على معناها، وأكثر المفسرين على أن المراد بها القلوب كما في قوله تعالى: **﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾** [الشرح: ١] **(ومن ذلك السر)** وهو عند القوم **(يحتمل إنها)** وفي نسخة إنه **(لطيفة مودعة في القالب كالأرواح وأصولهم تقتضي إنها محل المشاهدة كما أن الأرواح محل المحبة والقلوب محل للمعارف)** قال العلامة علاء الدين

ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. **(قوله: واحدة اللطيفة الإنسانية الخ)** يشير إلى أن التقسيم والإختلاف بحسب أمر اعتباري، وإلا فهي واحدة في ذاتها.

(قوله: ومن ذلك السر الخ) اعلم أن الوصول في عبارة القوم بهذا السر، فالمراد به وصول القلب للعلم بجلال الله وعظمته على وجه يباشر حقيقة القلب، وذلك بواسطة هذا السر، فيجري معناه في الجوارح من غير توقف ولا اختيار، والناس في ذلك متفاوتون وإن اتفقوا في أصل الحقيقة، قال في عوارف المعارف: كل من وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق، فهو في رتبة الوصول، ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الأفعال، فيفنى عنده فعله وفعل غيره، فيخرج عن التدبير والاختيار، ومنهم من هو في مقام الهيبة والأنس لما يكاشف به من مطالعة الجمال والجلال بتجلي الصفات، ومنهم من ترقى إلى مقام الفناء بتجلي الذات، وهو لخواص الخواص المقرّبين، وفوق هذه رتبة حق اليقين، ويكون من ذلك في الدنيا لمحة وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحضر بها روحه وقلبه، بل وقالبه وذلك من أعلى مراتب الوصول، فإذا تحققت الحقائق يعلم العبد من هذه الأحوال الشريفة أنه في أوّل المنزل فأين الوصول هيهات هيهات والله أعلم.

(قوله: وفي نسخة أنه الخ) أي فالتأنيث باعتبار اللطيفة والتذكير باعتبار لفظ السر. **(قوله: وأصولهم تقتضي أنها محل المشاهدة)** اعلم أنّ المشاهدة والعيان رتبة نورانية من وراء الظلمانية والبيان مدارها على تحقيق الأمر حتى كأنه رأي العين لا يحتاج إلى دليل ولا برهان، ولقد قال بعضهم: بخبر عن نفسه كبر العيان عليّ حتى أنه صار اليقين من العيان فلكل فريق طريق. **(قوله: إنها محل المشاهدة)** أي حق اليقين وقوله كما أنّ الأرواح محل المحبة أي الميل الكلي بالكلية، وقوله: والقلوب محل المعارف أي باعتبار اللطيفة الغريزية النورانية. **(قوله: قال العلامة علاء الدين الخ)** أقول هو المتعين إذ لا

القونوي: والظاهر أنها أسماء لحقيقة واحدة وهي اللطيفة الإنسانية لكنها مختلف باعتبارات مختلفة **(وقالوا)** أيضاً **(السر مالك)** لكونها من الجملة المخلوقة **(عليه أشراف)** واطلاع **(وسر السر ما لا إطلاع عليه لغير الحق سبحانه)** لغفلة صاحبه عنه لكمال شغله بمن أسرّه له **(وعند القوم على موجب مواضعاتهم)** أي: اصطلاحاتهم **(و)** على **(مقتضى أصولهم السر)** بحيث يخفى على الإنس والجن والملك **(ألطف)** وأشرف **(من الروح والروح أشرف من القلب)** باعتبار شرف آثارها إذ أثر القلب العلم وأثر الروح المحبة، وأثر السر المشاهدة لأن الشيء إنما يجب بعد العلم به وإذا أحب تعلقت الهمة به ودام النظر إلى مشاهدته، فكانت المشاهدة فوق المحبة والمحبة فوق العلم. **(ويقولون)** أيضاً **(الأسرار معتقة عن رق الأغيار من الآثار والأطلال)** جمع طلل وهو ما شخص من آثار الدار **(ويطلق لفظ السر)** أيضاً **(على ما يكون مصوناً)** أي: محفوظاً **(مكتوماً بين العبد والحق سبحانه في الأحوال)** أي:

دليل على حقيقة هذا التقسيم. **(قوله: وقالوا أيضاً الخ)** محصله أن السر هو الذي يمكن الإطلاع عليه من مقدور العبد وسر السر هو ما استأثر الله بعلمه، هذا ما يظهر من عبارة المؤلف، والذي يفهم من قول الشارح لغفلة صاحبه عنه الخ أن سر السر يمكن إشراف العبد عليه فحرّره والذي ظهر لي من مجموع كلام المتن والشارح أن السر ما يمكن العبد أن يصل إليه بكسبه وسر السر ما لا يمكنه الوصول إليه إلاّ بإعانة مولاه لكونه من الغيوب التي لا تحصل إلا بالهبات الإلهية.

(قوله: وعند القوم الخ) محصله أن السر فوق الروح والروح فوق القلب في الشرف، وذلك لأن متعلق القلب علم الرب بالألطاف، فإذا دام ذوق ذلك العلم مالت الروح بالمحبة له لأنها جبلت على حب من أحسن إليها ثم إذا ثبت القدم في مقام المحبة دامت المشاهدة لذلك المحبوب، وما يخصه به من عالم الغيب والشهادة، فكانت بهذا الإعتبار مترتبة في الشرف على الوجه المذكور، والله أعلم.

(قوله: الأسرار معتقة) أي محرّرة ومخلصة باعتبار سابق العناية أزلاً بإعانة بارئها عن رق الأغيار أي بحيث الركون إليها والوقوف معها. **(قوله: والأطلال)** أي معتقة ومحرّرة عن الشغف بها، بل هي مشغوفة ومتعلقة بحب ساكنها كما يشير إليه قول قائلهم:

وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

(قوله: ويطلق لفظ السر أيضاً الخ) أنت خبير بأنّ ما تقدّم يشمله ويعمه حيث هو من جملة ما للعبد عليه إشراف، وإنما نص عليه اهتماماً به. **(قوله: على ما يكون مصوناً)** أي فهو على ما تقدّم من اللطائف الإلهية، وعلى ما هنا من الواردات الأنفسية والله أعلم.

الواردات على العبد قالوا: **فمن لم يكن بينه وبين الله سر، فهو مصر والأولى قول** غيره من، فالسر مختص بمن طهر قلبه من كل نقص، **(وعليه يحمل قول من قال أسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم و)** قول الذين **(يقولون صدور الأحرار قبور الأسرار و)** قول الذين **(قالوا: لو عرف زرّي سري لطرحته فهذا طرف من تفسير إطلاقاتهم)** الألفاظ المذكورة في هذا المحبث وغيره مما مرّ **(وبيان عباراتهم فيما انفردوا به من ألفاظ ذكرناها على شرط الإيجاز)** والاختصار **(ولنذكر الآن أبواباً في شرح المقامات التي هي مدارج)** أي: طرق **(أرباب السلوك ثم)** نذكر **(بعدها أبواباً في تفصيل الأحوال على الحد الذي يسهله الله تعالى بفضله إن شاء الله تعالى)**.

(قوله: فمن لم يكن بينه وبين الله سر فهو مصر) أي فمن لم يكن له جانب معه تعالى لا يطلع عليه أحداً من الغير والسوى فهو مصر على الجفاء بعيد عن الوفاء.

(قوله: أسرارنا بكر) أي بسبب عدم ولوج الأوهام فيها على حسب القسمة والتقدير، وقوله لم يفتضها أي لم يطرقها نوع من أنواع الأوهام الجائزة في حق غير المحفوظين. **(قوله: صدور الأحرار)** مراده المطهرون من رجس الحظوظات، وقوله قبور الأسرار أي هي مثل القبور في مطلق الإخفاء وستر ما تشتمل عليه.

باب التوبة

هي أصل كل مقام، ومفتاح كل حال فمن لا توبة له لا مقام له، وهي كما

باب التوبة

اعلم وفقني الله وإياك أن المقصود من التوبة خروجك عن كل ما يحجبك عن الحق من الذنوب، وهي ثلاثة أقسام: ذنوب الأعمال المتعلقة بالجوارح التي منشؤها القالب والنفس الأمارة، وذنوب الأحوال، وهي المتعلقة بالقلب والروح والسر، وذنوب الوجود المتعلقة باللطيفة الأنانية الإنسانية المختفية في الهيكل المخصوص الإنساني المحتجب بهذا الوجود عن شهود نور الأنوار، وهذا آخر حجب تلك اللطيفة الأنانية في طور الخفاء لأن الحجاب هو ما يحجب عن الحق من الدنيا والآخرة حتى نفس وجود العبد فطالب المعراج الأقدس يسلك هذا السبيل الأنفس، ويهدي الله لنوره من يشاء من عباده، وإنما قلنا في الأوّل التي منشؤها القالب، والنفس الأمّارة لأن النفس محل تراكم الظلمات، ومبدأ قبيح الشهوات، وفي الثاني قلنا المتعلقة بالقلب والروح والسر لأنها وإنْ كانت نورانية قد يطرأ عليها أدناس الأوساخ من غلبة مذموم الصفات كالوقوف مع استحسانها والعكوف على ملاذها مع الغفلة عمن منحها، وإنما أضفنا الذنوب للوجود لقولهم وجودك ذنب لا يقاس به ذنب. وإنما كان كذلك لأن الشخص إذا رأى له كوناً ووجوداً كان هذا من الحجب المانعة له من الوصول إلى حضرة الحق تعالى تحذيراً لك أن تركب مطية المعصية العرجاء، فتنقطع في مسافة الطريق العوجاء، بل سابق بالسير القويم على الصراط المستقيم، فالحق إنما أمرك بالتوبة ليطهرك من التدنيس، ويلبسك أوصاف التقديس، فألق من أوصافك الذميمة، وتخلق بالحميدة المجيدة شعر:

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

فإياك وترك التوبة، فعلامة الفلاح اتباع طريقة النجاح، وإياك أن تبني قلعة الأعمال على غير أساس التوبة فتكون كمن بنى على شفا جرف هار، وتوبة العوام من الهنات وتوبة الخواص من العادات، وتوبة خواص الخواص من السوي والأغيار، والركون إلى المقامات والأنوار، ولا تأمن بعد التوبة الصادقة وإن أتتك بشائر القبول، فإنه سبحانه لا يسأل عما يفعل، وأنت المسؤول قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:

....

١١] فقد أسقط اسم الظلم عن التائب، ثم للتوبة شروط وحقائق وسرائر، فشرائطها ثلاثة: الندم والاعتذار والإقلاع، وحقائقها ثلاثة تعظيم الجناية واتهام التوبة وطلب أعذار الخليقة، وسرائر تلك الحقائق ثلاثة تعظيم الجناية واتهام التوبة وطلب أعذار الخليقة وسرائر تلك الحقائق ثلاثة تمييز التقية من الغرّة ونسيان الجناية والتوبة من التوبة أبداً لأن التائب داخل في الجميع من قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١] فأمر التائب بالتوبة قال في عوارف المعارف: التوبة أصل كل مقام، وقوام كل مقام، ومفتاح كل حال وهي أوّل المقامات وهي بمثابة الأرض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له، ثم اعلم أن من أصول التوبة العلم بالذنب ليصح قصد الانخلاع عنه والعلم بالرب الذي خالفته بأن تعلم جلاله وعظمته فتخشاه، وجماله ورحمته فترجوه وستره وحلمه، فتشكره ونظره وإطلاعه، فتستحي منه ونداءه واستدعاءه لك فتجيبه وسعة جوده وكرمه، فلا يعظم عندك ذنب، وكبرياءه وعظمته، فلا تستخف بذنب إلى غير ذلك من أنواع المعارف، وقولنا فيما تقدّم أن التوبة أصل كل مقام لأنها مجلاة النهايات تظهر فيها إمارات النجح كظهور الصور في المرآة والمدار على الصدق فيها حتى يقال من شرفت بدايته أشرقت نهايته من كانت بدايته أحمد كانت نهايته أكمل، من كانت بدايته أصح كانت نهايته أوضح، على قدر أهل العزم تأتي العزائم. هذا واعلم أنّ الذنب ربما كان سبباً في الوصول وذلك لانكسار قلب المذنب، وفي الحديث القدسي «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»، وفي الحديث النبوي: «رب ذنب أدخل صاحبه الجنة» وقال أبو العباس المرسي في إشارة قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [فاطر: ١٣] يولج الطاعة في المعصية ويولج المعصية في الطاعة يطيع العبد الطاعة، فيعجب بها ويعتمد عليها ويستصغر من لم يعملها، ويطلب من الله العوض عليها، فهي حسنة أحاطت بها سيئات، ويذنب المذنب فيلجأ إلى الله ويعتذر منه ويستصغر نفسه، ويعظم من لم يفعله فهذه سيئة أحاطت بها حسنات والله أعلم. (**قوله: باب التوبة**) أقول الكلام على التوبة وفروعها وأصولها وشروطها وآدابها ومكملاتها وثمراتها مما لا يحتمله هذا المقام فقد أفرد بعضهم هذا الباب بالتأليف فارجع إليه إن شئت.

(**قوله: هي أصل كل مقام**) أي أس ينبني عليه جميع أنواع الشرف إذ المقامات والأحوال من حلل الصفاء والتلبس بالمألوفات من خسيس أنواع الجفاء، والصفاء لا يجامع الجفاء فافهم. (**قوله: ومفتاح كل حال**) أي سبب كل صفة جميلة يتحلى بها الطالب، ويتوصل بها إلى جميع المآرب. (**قوله: فمن لا توبة له الخ**) تفريع على ما قبله، ومحصله أن من لم يكن له أصل يبني عليه ينهار بناؤه، ومن لا سبب للفتح عليه لا يتحقق نوره وضياؤه.

يؤخذ مما يأتي لغة الرجوع من شيء إلى آخر، وشرعاً الرجوع في الواجبة عن الذنب بأن يقلع عنه ويندم عليه، ويعزم على أن لا يعود إليه ويرضى الآدمي في ظلامته إن تعلقت به، وفي المندوبة عن البطالات، والمباحات إلى الطاعات أو عن أدنى المندوبات إلى أرفعها في الدرجات ومنه قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] أي: رجاع إلى طاعة الله، ويقال للتوبة الأوبة والإنابة لكن باعتبارات تأتي وبكل حال، فهي مطلوبة (**قال الله**) **سبحانه** و**تعالى**: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] أي: تفوزون بالمقصود وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] **قد** (**أخبرنا**) **الإمام** (**أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله قال: أخبرنا أحمد بن محمود بن خرّاز**) بضم المعجمة وتشديد الراء وبالزاي المعجمة بعد الألف (**قال حدثنا محمد بن فضل بن جابر قال حدثنا سعيد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن زكريا قال حدثني أبي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب»**[1] **ثم تلا** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]) وذلك لأنه إذا أحبه تهمه التوبة من الذنب أو غفر له لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] (**وقيل يا رسول الله وما علامة التوبة قال الندامة**) أي: على ما تاب منه

(**قوله: الرجوع من شيء إلى آخر**) أي سواء كان ذلك الشيء دينياً أو دنيوياً، فهو أعم من المعنى الشرعي. (**قوله: وشرعاً الرجوع في الواجبة الخ**) محصله تقسيم التوبة إلى واجبة ومندوبة والأولى تتحقق بالرجوع عن الذنب والندم والعزم على عدم العود ورد المظالم لأربابها إن تعلقت بالغير، والثانية بالرجوع عن المباحات لنيل القربات. (**قوله: أو عن أدنى المندوبات**) أي الرجوع عن أدنى المندوبات إلى الأعلى منها يعني الأهمّ في الوقت والحال لأن الأفضل في حق العبودية الاشتغال بما هو الأولى من أحكام الألوهية. (**قوله: وبكل حال فهي مطلوبة**) أي طلبها الشارع سواء كان الطلب واجباً أو مندوباً. (**قوله: فهي مطلوبة**) أي على سبيل الوجوب والندب. (**قوله: نصوحاً**) قيل المراد بها ما تمنع من ملابسة الذنب ثانياً والله أعلم. (**قوله: كمن لا ذنب له**) أي في عدم المؤاخذة لكن لا يخفى ما يقتضيه التشبيه (**قوله: أو غفر له الخ**) الذي يظهر منه، ولو لم يتب وهو كذلك إذ فضل الله واسع. (**قوله: قال الندامة الخ**) أقول ولذلك أشار الجنيد حين سئل ما السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى حيث قال بتوبة تزيل الإصرار، وخوف يزيل التسويف،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (زهد ٣٠).

(أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي قال أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عبيد الصفار قال: أخبرنا محمد بن الفضل بن جابر قال: أخبرنا الحكم بن موسى قال: حدثنا غسان بن عبيد عن أبي عاتكة طريف بن سليمان عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب»[1]) سواء في ذلك التوبة الواجبة والمندوبة (**فالتوبة**) الواجبة (**أوّل منزل من منازل السالكين وأوّل مقام من مقامات الطالبين وحقيقة التوبة في لغة العرب الرجوع يقال تاب أي رجع فالتوبة**) الواجبة (**الرجوع عما كان مذموماً في الشرع**) من ترك واجب أو فعل محرّم (**إلى ما هو محمود فيه وقال ﷺ الندم توبة فأرباب الأصول من أهل السنة، قالوا شرط التوبة حتى تصبح**) أي: لتصبح وفي نسخة شرط صحة التوبة ثلاثة أشياء الندم على ما عمل من المخالفات) للشرع (**وترك الزلة**) أي: الإقلاع عنها (**في الحال والعزم على أن لا**

ورجاء يبعث على مسالك الأعمال وإهانة النفس بقربها من الأجل، وبعدها من الأمل، واعلم أنّ من أصول التوبة العلم بشهوات النفس ودناءتها بما طبعت عليه حتى يثمر ذلك دوام الانكسار والاستحياء، وتحقيق عجزها عن أدنى شيء جلباً أو دفعاً فيرجع العبد إلى رب الفعل منيباً تائباً، والعلم بعنصرها الأصلي العلوي الروحاني، وكونها مضافة إلى جناب الحق منزلة من عالم الأمر متخلفة في المملكة ممدّة بالعلم الأسمائي والصفاتي، وحقائق الأشياء، والندامة هي توجع القلب وتألمه على ما فرط من المخالفة.

(**قوله: ما من شيء الخ**) مراده بإيراده الترغيب في التوبة زمن الشباب لنيل ما أعدّ من الإحسان للعبد وإنما كانت في هذه الحالة أحب لمشقتها مع توفر الدواعي. (**قوله: أوّل منزل الخ**) أي ولذلك كانت للمبتدئين من أرباب السلوك. (**قوله: الندم توبة**) هو على حد: «الحج عرفة». (**قوله: قالوا شرط التوبة الخ**) مرادهم بالشرط ما لا بدّ منه، فيشمل الركن واعلم أن التوبة بعد توفر شروطها على حسب البدء فيها تكون نهايتها فمن دخل فيها بالله كانت نهايته منها إلى الله، ومن كانت بدايته بالتفويض إلى الله كانت نهايته بالرضا عن الله، ومن كانت بدايته بالتوكل على الله كانت نهايته بالرجوع إلى الله، ومن كانت بدايته بالإستعانة بالله كانت نهايته بحسن الظن بالله، ومن كان لله كان الله له، ومن كان في الله ملقه كان الله خلفه، ومن كان لغير الله كان الغير حظه من الله، ففي الخبر: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله»[2] الحديث.

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٤٣١٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (إيمان ٤١) (عتق ٦) (مناقب الأنصار ٤٥) (نكاح ٥) (أيمان ٤١) ومسلم (إمارة، ١٥٥) وأبو داود (طلاق ١١) والترمذي (فضائل الجهاد ١٦) والنسائي (طهارة ٥٩) (طلاق ٢٤) (أيمان ١٩) وابن ماجه (زهد ٢٦) وأحمد بن حنبل (١، ٢٥، ٤٣)

يعود) في الإستقبال (**إلى مثل ما عمل من المعاصي فهذه الأركان**) مع إرضاء الآدمي في ظلامته إن كانت (**لا بدّ منها حتى تصح توبته قال هؤلاء**) أي: أرباب الأصول من أهل السنة (**و**) أما (**ما في الخبر**) السابق من (**إن الندم توبة**) فهو (**إنما نص**) عليه الصلاة والسلام (**على معظمه**) أي: ركنها والأولى معظمها أي: أركانها (**كما قال عليه الصلاة والسلام «الحج عرفة** أي: **معظم أركانه عرفة**[1] أي: **الوقوف بها لا إنه لا ركن في الحج سوى الوقوف بعرفات ولكن معظم أركانه الوقوف بها كذلك قوله: «الندم توبة»**[2] **أي: معظم أركانها الندم ومن أهل التحقيق من قال يكفي الندم في تحقيق ذلك**) أي: ما ذكره من التوبة (**لأن الندم يستتبع الركنين الآخرين**) اللذين قدمهما (**فإنه يستحيل**) على التائب (**تقدير أن يكون نادماً على ما هو مصر على مثله، أو عازم على الإتيان بمثله، وهذا معنى التوبة على جهة التحديد**) لها (**والإجمال، فأما**) معناها (**على جهة الشرح والإبانة**) لها (**فإن للتوبة أسباباً**) تقتضيها وتقتضي الدوام

(**قوله: فهذه الأركان الخ**) ثم هي عن المحرّم واجبة عيناً على الفور، وعن الشبهة وفضول المباح وكل شاغل فضيله، ثم عن رؤيتها لرؤية المنعم بها الممد مع شكره عليها واتهام النفس في تحقيقها وتكميلها، ورؤية تفسيره فيها نهاية، وأرفع أنواعها التوبة عن تضييع الوقت، وعن مقام ما فوقه أعلى من دون ذلك التوبة من تسهيل الذنب باستقلال المعصية إذ ذلك جراءة على الله تعالى فلا تنظر ما عصيت، ولكن انظر من عصيته ولا يعظم عندك ذنب بحسن ظنك بربك، فمن عرف ربه استصغر ذنبه في جنب عظمته، فلا كبيرة إذا واجهك فضله، ولا صغيرة إذا قابلك عدله فافهم. (**قوله: لا بدّ منها**) أي لا غنى لتحقق حقيقة التوبة عن وجودها، وإن أردت ما يشفي الغليل في التوبة فعليك بكتاب الأحياء للغزالي. (**قوله: فهو إنما نص على معظمه الخ**) أي وإنما كان الندم معظم أركان التوبة لأنه يستلزم ما وراءه من بقية أركانها. (**قوله: لأن الدم يستتبع الركنين الآخرين**) أي يتبعه الركنان بمعنى يستلزمهما أو يتبعهما على معنى يحصل به فائدتهما. (**قوله: فإنه يستحيل الخ**) لعل المراد من جهة الشرع.

---

(١) أخرجه أبو داود في (سننه المناسك ب ٦٩) والترمذي في (سننه ٨٨٩) والنسائي (المجتبي) في سننه ٥/ ٢٥٦، ٢٦٤) وابن ماجه في (سننه ٣٠١٥) والبيهقي في (السنن الكبرى ٥/ ١٥٢، ١٧٣) والحاكم في (المستدرك ١/ ٢٦٤، ٢/ ٢٧٨) وابن حجر في (فتح الباري ١١/ ٩٤) والألباني في (إرواء الغليل ٤/ ٢٥٦) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/ ٢٨٩) والزيلعي في (نصب الراية ٣/ ٩٢، ٩٣) وابن حجر في (تلخيص الحبير ٢/ ٢٥٥) وابن الجوزي في (زاد المسير ١/ ٢١٠) والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٢٠٦١، ١٢٠٦٥) والبخاري في (التاريخ الكبير ٢/ ١١١، ٥/ ٢٤٢) وابن خزيمة في (الصحيح ٢٨٢٢) والعقيلي في (الضعفاء ٢/ ٣٢) والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٤٤٠) والدارقطني في (السنن ٢/ ٢٤١) والحاكم في (المستدرك ١/ ٤٦٤، ٢/ ٢٧٨)..

(٢) أخرجه ابن ماجه (زهد ٣٠) وأحمد بن حنبل (١، ٣٧٦، ٤٢٣، ٤٣٣).

عليها **(وترتيباً وأقساماً فأوّل ذلك)** أي: ما ذكر من الأسباب، وهو أوّل الأخذ في التوبة **(انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة)** التي هو متلبس بها **(ويصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للإصغاء إلى ما يخطر بباله)** أي: بقلبه **(من زواجر الحق سبحانه يسمع قلبه)** بأن يخطر الله بقلبه التفكر فيما هو فيه، وموعظة في قلبه لإصلاح شأنه **(فإنه)** قد **(جاء في الخبر «واعظ الله في قلب كل امرىء مسلم»)** فإذا تنبه قلبه وتفكر فيما ذكر بحيث يعزم على التوبة منه حيي من موت

(قوله: فإن للتوبة أسباباً الخ) اعلم أنّ من الأسباب الباعثة على التوبة تأمّل وعيد الحق، وإشارات وعد الصدق، وتقصير الأمل، واغتنام فرصة العمل بترك التسويف، فأكثر صياح أهل النار من التسويف، وقد أشار إلى ذلك صاحب الحكم العطائية حيث قال أحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس، وقال أيضاً لا تترقب فروغ الأغيار فإنه يقطعك عن وجود المراقبة. **(قوله: انتباه القلب الخ)** أي تيقظه من رقدة الغفلة عما يغني فإذا تم له ذلك بمعونة الحق تعالى بادر إلى الإنابة، وفارق لذيذ العادة، فكان كالوقت أو كالسيف في قطع المألوفات من شهوات البشرية.

(قوله: ويصل إلى هذه الجملة) أي ويتوصل بالتوفيق إلى انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة وذلك هو جملة ما تقدّم **(قوله: بالتوفيق)** أي بخلق قدرة الإصغاء المذكور، وقد روي أن الجنيد رآه بعض أصحابه مهموماً فسأله عن السبب، فقال فاتني ورد من أورادي فقال له صاحبه اقضه فقال كيف أقضيه والوقت مشغول بأهمّ منه، وفي وصية شهاب الدين السهروردي قدّس الله سره لا تخل إلى غد شغل يومك، فإنّ كل يوم آت بمشاغله ولعلك لا تلحقه، فتأمّل هذا وبادر إلى الأعمال لتصل إلى شرف الإفضال، واعلم أنّ التوبة هي أوّل السير والسلوك إلى ملك الملوك قال تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ [المائدة: ٨] وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ [سبأ: ٤٦] هذا وعندي أنّ القيام مستمر بداية ونهاية فقم أبداً ولا تؤخر سعيك غداً شعر:

إذا هبت رياحك فاغتنمها ... فإنّ لكل خافقة سكون
وبادر لاغتنام الخير فيها ... فلا تدري السكون متى يكون

(قوله: بالتوفيق للإصغاء الخ) أي فمن أراد الله به خيراً فتح عين قلبه وأزال صمم أذنه فرأى وسمع تالي زواجر الحق وتفكر وتذكر في مواعيد الصدق فنهض مجيباً لداعيه ملبياً من يناديه واقفاً على قدم الإمتثال راجياً بلوغ الآمال هذا معنى ما أشار المؤلف إليه وعوّل في كلامه عليه.

(قوله: واعظ الله الخ) أي ما يخلقه تعالى في قلوب المسلمين ممن أراد بهم خيراً

الغفلات، وهذا يعبر عنه بصلاح القلب **(وفي الخبر «إن في البدن لمضغة»[1])** وفي نسخة مضغة وفي أخرى بضعة **(إذا صلحت صلح جميع البدن، وإذا فسدت فسد جميع البدن ألا وهي القلب فإذا فكر بقلبه في سوء ما يصنعه وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال سنح)** أي: خطر **(في قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملات فيمدّه الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والأخذ في جميل)** وفي نسخة جميع **(الرجعى)** إلى الطاعة **(والتأهب لأسباب التوبة)** فصلاح القلب يحصل بما ينبهه الله عليه من الخيرات، وإذا صلح سعدت الجوارح في جهات البر والطاعات وترك المذمومات التي منها خلطة قرناء السوء كما قال **(فأوّل ذلك هجران أخدان السوء)** أي: أصدقائه فعلى العبد الفرار منهم أشد من فراره من الأسد والحيات فإن ضرر هؤلاء في الدنيا خاصة وضرر أولئك في الدنيا والآخرة **(فإنهم هم الذين يحملونه على رد هذا القصد)** الجميل **(ويشوشون عليه صحة هذا العزم)** الجليل **(ولا يتم ذلك إلا بالمواظبة على**

في الدين فينتبهون به من غفلاتهم اللاتي تصيرهم كالموتى بل أسوأ. **(قوله: إذا صلحت)** أي باعتبار ما أودع فيها من اللطفة الإنسانية وإلا فهي في ذاتها من قبيل الجمادات. **(قوله: فإذا فكر بقلبه الخ)** أقول وإلهام هذه الفكرة من أسباب سعادة الموفق ولا سيما إذا دام توجع قلبه على ما جنت نفسه، وهذا ما أشار له صاحب الحكم العطائية حيث قال: رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً، أقول وذلك لأن الخير في الطاعة بالذات والشر فيها بالعرض، والمعصية بخلاف ذلك، فإذا أوجبت الطاعة ما هو في المعصية بالذات كانت شراً وإذا أوجبت المعصية ما هو في الطاعة بالذات كانت خيراً قال ﷺ: **«لولا أنّ الذنب خير من العجب ما خلى الله بين مؤمن وبين ذنب أبداً»** وقال أبو مدين: انكسار العاصي خير من صولة المطيع.

(قوله: فإذا فكر بقلبه الخ) محصله أنّ التفكر المذكور يحقق للعبد الإنزعاج بقرع قلبه بطوارق الخوف، وبواسطة شهود ألطاف المولى العامة ينفتح له باب رجاء قبول الرجوع والإقلاع عما كان عليه من قبيح المعاملات فيمده الحق سبحانه بعقد العزيمة، وتصحيحها فيأخذ في جميل الرجعى إلى طاعة ربه، وبالجملة فالمدار في كل خير على إرادته تعالى. **(قوله: هجران الخ)** أي بسبب أن الطبائع سر قد يتبع بعضها بعضاً على أن إغواءهم قد يكون أقوى من إغواء الشياطين بل هم الشياطين.

(قوله: فإن ضرر هؤلاء في الدنيا خاصة) أي مع التمكن من علاجه لو بقي الأجل على أنه قد يترتب عليه خير في الدنيا والآخرة لمن صبر واحتسب. **(قوله: وتوفر دواعيه)**

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ٣٩) ومسلم (مساقاة ١٠٧) وابن ماجه (فتن ١٤) والدارمي (بيوع ١).

المشاهد) أي: مشاهد الخير **(التي تزيد رغبته في التوبة وتوفر دواعيه على إتمام ما عزم عليه مما يقوي خوفه ورجاءه)** ومن ذلك خلطته بالصالحين أو سماع أقوالهم وأفعالهم المرسومة في الكتب عنهم إذ بذلك يتوصل إلى معرفة أمور كثيرة يجهل وجوبها أو ندبها أو حلها أو كراهتها أو تحريمها لا سيما الغيبة والنميمة والحسد والغش في المعاملات **(فعند ذلك تنحل من)** وفي نسخة عن **(قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الفعال فيقف عن تعاطي المحظورات ويكبح)** أي: يجذب **(لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة في الحال ويبرم العزيمة على أن لا يعود إلى مثله)** أي: الذنب والأولى كما في نسخة مثلها أي: الزلة **(في الاستقبال فإن مضى على موجب قصده)** من الرجوع عن الزلة **(ونفذ)** في حاله **(بمقتضى عزمه)** على ذلك **(فهو الموفق صدقاً، وإن نقض التوبة مرة أو مرات و)** كان مع ذلك **(تحمله إرادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا أيضاً كثيراً فلا ينبغي قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء)** الذين ينقضون توبتهم، فلا تمنعه زلته بعد التوبة من توبة أخرى ولا ييأس من روح الله، فربما كان ذنبه إذا تاب منه، ثم عاد إليه سبب سعادته كما جاء في الخبر الصحيح «إن العبد ليذنب الذنب، فيدخله ذنبه الجنة» قيل كيف ذلك قال: لا يزال

أي بواعثه القلبية. **(قوله: خلطته بالصالحين الخ)** أي مخالطته لهم والمراد بهم العلماء العاملون القائمون بحق الحق وحق الخلق، وقليل ما هم في هذا الزمان فلا حول ولا قوّة إلا بالله. **(قوله: لا سيما الخ)** ما ذكره نفعنا الله به من كبائر الذنوب والجرائم اهتماماً بها. **(قوله: عقدة الإصرار)** الإضافة بيانية وسبب هذا الأصرار الميل إلى المألوف وتحسين الشياطين والمفسدين الإنسية والجنية. **(قوله: ويبرم العزيمة)** أي يقطع ويصمم في اعتقاده على عدم العود لمثل ما كان عليه وجوباً في الواجب وندباً في المندوب. **(قوله: فهو الموفق صدقاً)** أي لأنه قد منح مفتاح السعادة الأبدية. **(قوله: فلا ينبغي قطع الرجاء الخ)** أي لخبر «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» ويقال لمثل هذا المفتن التوّاب وهو مرجو له القبول بإشارة خبر سيدنا الرسول. **(قوله: ولا ييأس الخ)** أي لأن ذلك من الكبائر.

(قوله: فربما كان ذنبه الخ) أي بسبب تأمله إلى فاقته الدائمة الضرورية فيستوحش من كل شيء سوى من إليه فاقته، فلا يعود أبداً إلى شيء من الحظوظ إذ لا يكون الرجوع إلاّ بالغفلة عن تلك الفاقة، ومن هي إليه ولا سيما عند الإمتحان بدوام العافية التي ادّعى بها فرعون الربوبية للبثه نحو أربعمائة عام لم يتصدّع رأسه، ولم يحم جسده، ولم يضرب عليه عرق فلو أخذته الشقيقة ساعة واحدة لشغله ذلك عن الدعوى. **(قوله: فيدخله ذنبه الجنة)** أي يكون سبباً في ذلك كما أشار إليه الشارح. **(قوله: ولذلك قيل زلة الخ)** أي

نصب عينيه تائباً منه، وذلك لعظم ما وقع فيه فيجد في الأعمال ولا يراها كافية فيما وقع فيه ولذلك قيل زلة واحدة بعد التوبة أعظم من سبعين زلة قبلها فيحمله ذلك على الجد في الأعمال وكلما زل عاد **(فإن لكل أجل)** أي: مدة **(كتاباً)** مكتوب فيه تحديده **(حكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: اختلفت إلى مجلس قاص)** يقص على الناس القصص ويذكرهم بها فسمعت كلامه فاستحسنته **(فأثر كلامه في قلبي فلما قمت)** من مجلسه **(لم يبق في قلبي منه شيء فعدت)** إليه **(ثانياً فسمعت كلامه فبقي كلامه)** أي: أثره **(في قلبي في الطريق، ثم زال)** عن قلبي **(فعدت)** إليه ثالثاً **(فبقي أثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي فكسرت آلات المخالفات لله)** تعالى **(ولزمت الطريق)** الموصلة إليه **(فحكى)** الدراني **(هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركياً أراد بالعصفور ذلك القاص وبالكركي أبا سليمان الداراني)** يعني أن الدرجة التي وصل إليها الداراني من درجات الولايات أفضل من تذكير ذلك القاص. **(ويحكى أيضاً عن أبي حفص الحدّاد أنه قال: تركت العمل)** أي: الكسب **(كذا وكذا مرة فعدت إليه، ثم تركني العمل فلم أعد بعده إليه)** يعني ترك العمل في الدنيا ليتفرغ في العبادة، ثم غلبته محبته، فعاد إليه ثم غلب عليه محبة تركه لشدة محبته في الخير فتركه، ثم غلب عليه محبة العمل، فعاد إليه ثم قوي حاله فترك العمل، ولم يعد إليه نفرت نفسه عنه ورغب فيما هو أفضل منه وربما كان سبب ترك العمل له ما حكى أنه كان يعمل الحديد في دكانه فغلب عليه حاله، فأدخل يده في الكير وأخذ الحديدة بيده وجعل يطرقها، وهو لا يشعر فلما كلمه تلميذه في ذلك

لأن الجفاء بعد ذوق لذة الصفاء من أقبح الجفاء. **(قوله: وإن لكل أجل الخ)** أي فالمقدر كائن لا محالة والحذر لا ينفع من القدر، والله أعلم. **(قوله: حكي الخ)** فيه تنبيه على أن الحق تعالى إذا أراد أمراً هيأ أسبابه وعلى أن المريد المسترشد قد يفوق بعناية الله درجة المرشد، وفيه دلالة بالواقع على صدق المنقول بتكرر التأثر والعود إلى الخلق المعلول.

(قوله: فقال عصفور الخ) أقول ولا مانع لرب العنايات أن ينقل عبده من الضلالات إلى أرفع الولايات حيث أن الأمر منه وإليه، ولا معقب لحكمه لديه، هذا والغرض له بيان درجة أبي سليمان لا تحقير القاص كما لا يخفى. **(قوله: ويحكى أيضاً عن أبي حفص الخ)** فيه تنبيه على أن كل شيء له وقت بالتقدير على حسب حكمة العليم الخبير. **(قوله: تركت العمل الخ)** أقول الترك الأوّل بالنفس والثاني بالقلب والروح فلذا دام الثاني ولم يدم الأوّل. **(قوله: فغلب عليه حاله)** أي بسبب ما ورد على قلبه من واردات الحق وغلبة أنوار الحقيقة فاستغرق في ذلك حتى فني عن الإحساس، فحصل ذلك منه ولم يشعر به.

رجع إلى حاله وهرب من الشهرة، وعلم أن المراد منه ترك ما هو فيه (**وقيل: إن أبا عمرو بن نجيد في ابتداء أمره اختلف إلى مجلس أبي عثمان**) سعيد بن سلام الحراني وهو يذكر الناس فسمع كلامه (**فأثر في قلبه كلاماً فتاب**) عما كان عليه (**ثم إنه وقعت له فترة**) وعودة إلى ما كان عليه قبل التوبة (**فكان يهرب من أبي عثمان إذا رآه ويتأخر عن مجلسه**) فلم يحضره حياه من رؤيته له بعد زلته (**فاستقبله أبو عثمان يوماً**) في طريق (**فحاد أبو عمرو عن الطريق**) وفي نسخة عن طريقه (**وسلك طريقاً آخر فتبعه أبو عثمان فما زال به يقفو**) أي: يتبع أثره (**حتى لحقه ثم قال له يا بني لا تصحب من**) وفي نسخة مع من أي: لا توقع صحبتك مع من (**لا يحبك إلا معصوماً**) لأن العصمة إنما تكون للأنبياء فمتى كان أحد لا يصحبك إلا إذا كنت معصوماً فلا تصحبه، فإن مآل صحبتكما إلى الانقطاع لعدم الوفاء بما يريد، فسكن بهذا الكلام قلبه وقال له (**إنما ينفعك أبو عثمان**) يعني نفسه (**في مثل هذه الحالة**) التي وقعت لك (**قال فتاب أبو عمرو بن مجيد وعاد إلى الإرادة**) أي: الحالة التي فتر عنها (**ونفذ فيها**)، فيه تنبيه

(**قوله: ثم إنه وقعت له فترة**) أي بسابق القضاء الأزلي في مظاهر الربوبية ومثل ذلك لا يدافع بهمم العبودية ولذا أشار صاحب الحكم حيث قال: سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار. (**قوله: ثم قال له يا بنيّ الخ**) أي أفاده أنّ التوبة بذاتها لا تسعد ولا تركها يشقي، وإنما جعلت وقية لك تقي نعم من دام في التوبة على الحزم والعزم، فهذا هو الصادق الصديق البالغ بسيره مقاصد الطريق، فإياك والفترة والكسل فانهما أخوة الملوم والملل من صحبهم وقف به السير عن كل ما يرومه من كل ربح وخير. (**قوله: لا تصحب الخ**) فيه نصح مع لين القول وإرجاع إلى النظر في سعة فضل ربه وإبعاد عن سبل القنوط من الرحمة، وفيه تأنيس له ليترك ما حل به من الوحشة والنقرة وذلك من كمال العقل وقوّة الإرشاد.

(**قوله: لأن العصمة الخ**) أي وأما الولاية فلها الحفظ، وقد يجوز تخلفه بالقضاء ومع ذلك فلا ييأس من نيل المقامات، وثبوت أنواع الكرامات. (**قوله: فمتى كان أحد الخ**) أقول ليس الغرض له نفعنا الله به تسهيل سبيل المخالفة ولا عدم ذم المنكر بوجه الشرع، بل مراده إرجاع المريد إلى النظر في سعة فضل ربه كما قدمناه حتى لا يقع في القنوط بواسطة استعظام الذنب، ولا يقدم على صغيرة إجلالاً لله وحياء منه إذ لا يليق معاملة الكرماء بمثل ذلك والله أعلم. (**قوله: إنما ينفعك أبو عثمان**) أي إنما يكون سبباً في انتفاعك بما يرشدك إليه في عدم استعظام الذنب المؤدّي إلى اليأس من الرحمة، وعدم الإستخفاف به المؤدّي إلى التهاون.

(**قوله: قال فتاب الخ**) يدل ذلك على ان الأستاذ من أهل الدلال المحبوبين.

على أن الشيخ يحمل من تليمذه بعض ما يبدو منه من الزلل لضعف عقله وقلة أنسه بأسباب الدين (**سمعت الشيخ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: تاب بعض المريدين ثم وقعت له فترة**) وعودة على ما كان عليه قبل التوبة (**فكان يفكر وقتاً لو عاد إلى التوبة كيف حكمه فهتف به هاتف**) من ملك أو ولي أو جني يقول (**يا فلاناً أطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك فإن عدت إلينا قبلنا فعاد الفتى**) الذي تاب ثم فتر (**إلى الإرادة**) أي: الحالة التي فتر عنها ونفذ فيها، في ذلك تنبيه على أن باب التوبة مفتوح بعد الزلل وإن العبد إذ زل لا يعاجل بالإنتقام (**فإذا ترك المعاصي وحل عن قلبه عقدة الإصرار**) على شيء منها (**وعزم على أن لا يعود إلى مثله**) أي: مثل ما عصى الله به (**فعند ذلك يخلص إلى قلبه صادق الندم**) أي: الندم الصادق (**فيتأسف**) أي: يشتد حزنه (**على ما عمله ويأخذ في التحسر على ما ضيعه من أحواله وارتكبه من قبيح أعماله، فتتم توبته وتصدق مجاهدته ويستبدل**) وفي نسخة واستبدل (**بمخالطته**) الناس (**العزلة**) والخلوة (**وبصحبته**) أي: وبإيقاع صحبته (**مع أخدان السوء**) أي: أصدقائه (**التوحش عنهم والخلوة دونهم ويصل ليله بنهاره في التلهف**) أي: التحسر (**ويعتنق في عموم أحواله يصدق التأسف**) بحيث (**يمحو بصوب**) أي: بنزول دمع (**عبرته**)

(**قوله: فهتف به هاتف الخ**) بالتأمل في تلك الإشارات، والتفهم فيما يرد من الواردات يعلم أن الفضل مواهب، وأنه أقرب لذوي المصائب، فحينئذ لا يقنط العبد، وإنْ كثرت منه الذنوب وتوالت عليه عظائم الخطوب، حيث الوعيد حق غير أنه في حق من لا يتوب، فقو عزم الآمال لتحظى بلطف الإفضال. (**قوله: على أن باب التوبة به مفتوح بعد الزلل**) أي ويدل له قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] لصدقه بما ذكر، وقوله وإن العبد إذا زل لا يعاجل بالانتقام أي بل قد تشمله الرحمة بالعفو والغفران كيف وقد أمرنا بالعفو عمن جنى علينا، فهو تعالى أولى بذلك.

(**قوله: وحل على قلبه عقدة الإصرار الخ**) أي بشهود أن الأمور كلها قد أحاط بها علم العليم، وإنهم في قبضة قدرة الحكيم فإن علم ذلك يؤثر الجمعية على الله بالتوكل عليه والإنابة له (**وقوله: فعند ذلك الخ**) اعلم أن الندم ركن عظيم في التوبة، فهي لا تصح إلا به بخلاف ما أشار إليه بقوله ويستبدل الخ فإنه شرط في كماله. (**قوله: فيتأسف الخ**) أي بواسطة تأمله في الوعيد الحق وتفكره، فيما جناه على نفسه من خلاف الصدق، وذلك يشير إلى طرف من عناية الله، حيث نقله بذلك واصطفاه. (**قوله: يستبدل الخ**) المراد اعتزال الصفات الذميمة، والتخلق بالحميدة وإن لم ينفرد بشخصه عن أبناء جنسه، وذلك بالنسبة لمن قوي يقينه، أما ضعيفه ممن يتأثر بالمخالطة، فالمراد بالعزلة بالنسبة له البعد والانفراد عن الخلق المشغلين الذين هم كالشياطين. (**قوله: وإن يتم الخ**) أي وهو

بفتح العين ما يجلب الدمع (**آثار عثرته**) بالمثلثة أي: زلته (**ويأسو**) من الأسى بالقصر وهو المداواة أي: يدواي (**بحسن توبته كلوم**) بضم الكاف أي: جروح (**حوبته**) أي: إثمه يقال حبت بكذا أي: اثمت تحوب حوباً وحوبة وحيابة قاله الجوهري (و) بحيث (**يعرف من بين أمثاله بذبوله، ويستدل على صحة حاله بنحوله، ولن يتم له شيء من هذا**) أي: مما ذكر من التوبة الصحيحة (**إلا بعد فراغه من إرضاء خصومه والخروج مما لزمه عن مظالمه فإن أول منزلة في التوبة**) من التائب (**إرضاء الخصوم بما أمكنه فإن اتسع ذات يده**) أي: صاحبتها أي: ما فيها (**لإيصال حقوقها إليهم أو سمعت نفوسهم بإحلاله والبراءة عنه**) الأولى عنها أي: بأن يحللوه أو يبرؤوه منها فذلك وإلا فالعزم أي: فالواجب العزم (**بقلبه على أن يخرج عن حقوقهم عند الإمكان**) أي: عند تمكنه من ذلك (**والرجوع إلى الله سبحانه بصدق الابتهال**) أي: التضرع بالدعاء (**والدعاء لهم**) فعطف الدعاء على الابتهال من عطف العام على الخاص. (**وللتائبين صفات وأحوال هي من خصالهم بعد ذلك**) أي: مجموعها (**من جملة التوبة**) وكمالها (**لكونها من صفاتهم لا لأنها من شرط صحتها وإلى ذلك تشير أقاويل الشيوخ في معنى التوبة سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: التوبة على ثلاثة أقسام**) باعتبار الحاصل عليها، وإن كانت الأسماء مختلفة (**أولها التوبة، وأوسطها الإنابة وآخرها الأوبة**) والكل يرجع إلى معنى الرجوع (**فجعل التوبة بداية والأوبة نهاية والإنابة واسطتهما فكل من تاب لخوف**) وفي نسخة من خوف (**العقوبة فهو صاحب توبة ومن تاب طمعاً في الثواب فهو صاحب إنابة**) وإن كان صاحب توبة (**ومن تاب**

فيمن قد تعلق به حق آدمي سواء كان من الأموال أو غيرها. (**قوله: أو سمحت نفوسهم الخ**) أي ولو مع قدرته على وفاء حقوقهم. (**قوله: وإلا فالعزم الخ**) أي الذي هو جهد المقل. (**قوله: والرجوع إلى الله الخ**) أي كما هو شأن من لم يقدر على المكافأة لذي الحق. (**قوله: وللتائبين صفات الخ**) مراده أن ما تقدّم في مطلق التوبة غير منظور فيه إلى التائبين، وما هنا فهو باعتبار التائبين ولذلك قسموها على ثلاثة أقسام كما سيذكره المؤلف.

(**قوله: التوبة على ثلاثة أقسام الخ**) أقول والداعي للكل إنما هو العقل، وهو القوة المستعدة لإدراك الأشياء على ما هي عليه فإذا نظر عرف أن الباقي خير من الفاني، وإنَّ الأبقى خير من الباقي فإذا أدرك ذلك نشط إلى التوبة طلباً للباقي والأبقى. قال سهل: للعقل ألف اسم، ولكل اسم منه ألف اسم، وأوّل كل اسم منه ترك الدنيا. (**قوله: باعتبار الحامل**) أي الباعث عليها لا باعتبار ذاتها فإنها باعتبار ذلك هي الرجوع عما لابسه العبد من غير وصف الكمال. (**قوله: فهو صاحب أوبة**) أي وشتان بين توبة محب مشتاق،

مراعاة للأمر) أي: لامتثاله (لا لرغبة في الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة)، وإن كان صاحب توبة. (ويقال أيضاً التوبة صفة المؤمنين قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] والإنابة صفة الأولياء والمقربين قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾) [ق: ٣٣] أي: مقبل على طاعته (والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين قال الله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾) [ص: ٣٠] أي: رجاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات فمن تاب خوفاً من العقاب، ورجاء للثواب، فهو طالب حظ نفسه غير مخلص لله تعالى، ومن تاب حياء من الله لقدرته عليه وعلمه لا خوفاً من ناره ولا رجاء لثوابه، فهو المخلص في توبته ومن تاب عن

وبين من تاب للخوف والإشفاق حيث الأول قد أهاجه الشوق إلى شهود الجمال، والثاني قد أزعجه الخوف من سطوة الجلال، وفرق بين من تاب بشاهد الآثار، وبين من تاب بشاهد نور الأنوار حيث الأول هيجته مشغلات الجنان والثاني دعاه داعي شهود الرحمن.

(قوله: التوبة صفة المؤمنين) أي لأنهم لما نظروا بقوة إيمانهم، وكمال عقولهم إلى خسة الدنيا بما اشتملت عليه وشدّة كدرها أعرضوا عنها، وهربوا منها فارين إلى قرع باب الفتاح بمطراق التوبة عسى أن يسعفهم فتح القبول ولله در من قال في وصف الفتنة شعراً:

شمطاء قد خلقت لنا وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل

ولقد رأيت في عالم الخيال امرأة طويلة عليها ثياب حافلة، ووجهها لناحية أخرى فقلت من هذه قيل الدنيا قلت لو أرتني وجهها قيل لي أنها لا تري وجهها لأحد لأنه ما رآه أحد قط إلا بغضه فحينئذ المراد صفة المؤمنين أي المصدقين وذلك لقوله ﷺ «الدنيا سجن المؤمن».[1] (وقوله: كن في الدنيا كأنك غريب)[2] الحديث، والغريب لا يتشبع بشيء ولا يعتدّ به، بل هو فيما هو به من غربته وذلته كما قيل شعراً:

ما للغريب وللتصابي والهوى فكفاه ذلاً إن تقول غريبا

والغريب شأنه طلب السلامة والمعاملة بالإنصاف وعدم المنازعة والمسجون شأنه أن لا يرى ما يسره ويتوقع أسباب الهلاك وحينئذ فلا راحة للمؤمن بدون لقاء ربه. (قوله: صفة الأولياء) أي ممن دام على الرعاية وحسن المتابعة.

(قوله: فمن تاب خوفاً الخ) أي فالتوبة تختلف باختلاف الباعث فأدناها ما كان

---

(١) أخرجه مسلم (زهد ١) والترمذي (زهد ١٦) وابن ماجه (زهد ٣) وأحمد بن حنبل (٢/ ١٩٧، ٣٢٣، ٣٨٩، ٤٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (رقاق ٣) والترمذي (زهد ٢٥) وابن ماجه (زهد ٣) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٤، ١٣٢).

كل ما سوى الله تعالى، فهو المقرب وهو أرفع درجة، ومن ثم قيل حسنات الأبرار سيآت المقربين، وقيل إخلاص المريدين رياء العارفين لأن المريد إذا تقرب بالطاعة ونظر إليها لم يكن منافياً لإخلاصه فيها بخلاف العارف فإنه إذا اشتغل سره بغير الله نافى ذلك عرفانه. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجنيد يقول: التوبة**) مبنية (**على ثلاثة معان**) وتقدم أنها شروط لها (**أولها الندم**) على ما تاب منه، (**والثاني العزم على ترك المعاودة إلى ما**) ارتكبه مما (**نهى الله تعالى عنه**) وكأنه ضمنه الإقلاع عن الذنب لما مر أنه شرط أيضاً، (**والثالث السعي**) وفي نسخة يسعى (**في أداء المظالم**) لمستحقها إن علمه وإلا تصدق به عنه، ولا يخفى أن لكل جارحة حظاً من التوبة فللقلب نية الترك والندم وللعين الغض عن غير المباح، ولليد ترك البطش فيه، وللرجل ترك السعي فيه وللسمع ترك الإصغاء له وهكذا (**وقال سهل بن عبد**

الباعث عليه الخوف وأوسطها ما كان الباعث عليه المحبة والإجلال، ومن ذلك: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه»، وأعلاها التوبة عما سواه سبحانه وتعالى.

(**قوله: ومن ثم قيل الخ**) توضيحه أن الالتفات إلى شيء من الكائنات ولو دينيا نقص يتاب منه بالنسبة لأولي الهمم العالية من المقربين وكمال بالنظر لغيرهم ممن يشهد تصاريف الحق سبحانه.

(**قوله: أولها الندم الخ**) أي ويلزمه التشمير لتدارك الفائت بنظره أنه ضيف في دار ليست له الذي من شأنه العمل بما أمره به ربها والرجوع فيها إلى ما يريده تفويضاً واتكالاً لأن حق الضيف أن لا يعول هماً مع رب المنزل، بل يكون حيث أنزله وذلك هنا بامتثال أمره والاستسلام لقهره وملازمة ذكره وشكره، وعدم الالتفات لغيره، فأصول الخير ثلاثة حفظ الحرمة وحسن الخدمة وشكر النعمة، وأصول الشر ثلاثة: خوف الخلق وهمّ الرزق والرضا عن النفس، فالفرار من هذا أصل كل طهارة والتحلي بتلك أساس كل كمال.

(**قوله: والثاني العزم**) أي تصميم القلب الجازم على ترك المعاودة إلى ما ارتكبه كالمطية مما نهى الله تعالى عنه نهيا جازماً أو غير جازم احتمل التأويل أو لا كما هو الاحتياط في حق من يعامل العظماء.

(**قوله: وكأنه ضمنه الاقلاع عن الذنب**) أي حيث لم يصرّح به اكتفاء بالعزم على عدم المعاودة اللازم له الاقلاع عن الذنب. (**قوله: ولا يخفى أن لكل جارحة الخ**) مراده أنها لا تتحقق في الحال إلا كذلك، ويحتمل أنه اشارة إلى ثمرة التوبة في المستقبل، فمحصل ما ذكره الشارح أن التوبة لا تتحقق في الحال للعبد إلا إذا كان الأمر كذلك كما يصرّح به الاقلاع عن الذنب والندم من أجله، أو يكون ذلك للإشارة إلى ثمرة التوبة في

الله) التستري **(التوبة ترك التسويف)** هذا ليس بتوبة، بل من أسبابها أي: تجب المبادرة إليها، ولا يكفي فيها العزم عليها، فالعازم عليها مع التمكن من تنجيزها ليس بتائب، بل مسوف. **(سمعت الأستاذ محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عبد الله القرشي يقول: سمعت الجنيد يقول سمعت الحرث يقول: ما قلت قط اللهم إني أسألك التوبة ولكني أقول أسألك شهوة التوبة)** أي: لأنها الأكمل لأنه إذا رزقها حملته على سائر مقامات التوبة كالتوبة من المكروهات ومن ترك المندوبات، ومن ترك الأولى ومن الغفلات، ومن رؤية الأعمال الصالحات، فلا يزال سؤاله لها مترقياً في درجات التوبة، ويحتمل إنه رأى التوبة منزلة رفيعة ولم ير نفسه أهلاً لسؤالها فسأل سببها، وهو أن يحرك الله همته لها. **(أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي رحمه الله قال: سمعت أبا عبد الله بن مصلح بالأهواز يقول: سمعت ابن زيزي يقول: سمعت الجنيد يقول: دخلت على السري)** السقطي **(يوماً فرأيته متغيراً فقلت له: ما لك)** متغيراً **(فقال: دخل علي شاب فسألني**

المستقبل حتى تكون نصوحاً وعلى كل حال فالمعنى على حفظ ما به يكون الذنب من الجوارح الظاهرة والباطنة في الحال والاستقبال. **(قوله: ترك التسويف)** أي وهو قد يجب وقد يندب وقد يكون الأولى. **(قوله: ما قلت قط الخ)** أي بعداً عن توبة الكذابين وهي الصادرة مع غفلة القلوب فتكون من حظ النفس فقط.

(قوله: ولكن أقول الخ) أي وذلك لأنها هي التي أناخت ركاب النفس في مطايا القبول والأبدان في دائرة التقديس والمطلق من التقديس تقديس العبد لمولاه حتى لا يعصيه، ثم لا يلتفت لغيره حتى لا يكون سواه، ثم حتى لا يرى سواه حتى يفنى فيه في فنائه وعن فناء فنائه، فيعود ذلك عليه بتقديسه عن العبودية للغير والتنزه عن مخالفة الأمر والنهي وذلك هو بساط الأنس بالحق، وبما منَّ جنابه به حتى لا يكاد يصبر عن مولاه في نفس من الأنفاس ويصير لحد لا يرى سوى بقاء معروفه لا للشيء من وجوده، ولا يزال به التنزه إلى موقف العجز الذي لا نهاية له فافهم. **(قوله: أسألك شهوة التوبة)** أقول وهي إذا تحقق بها العبد يكون كما قيل.

لو قيل ما تتمنى والعبد يعطي مناه لقلت منية قلبي في أن يطول بقاه.

فهو إنما سأل شهوة التوبة ليمنح بذلك شهود لذة منازلاته في مقاماتها وبذلك يتم ما أشار له الشارح أولاً، ويبعد قوله أخيراً، أو ويحتمل الخ ووجه بعده ظاهر بشاهد المتابعة حيث التوبة مطلوبة من الجميع، ودليل قوله جل جلاله ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١] وغير ذلك من الآيات ومن السنة كثير. **(قوله: فسألني عن التوبة الخ)**الذي يظهر أن السري فهم أن المسؤول عنه توبة الخائفين من وهج نار المخالفات لا

عن التوبة فقلت له) هي (أن لا تنسى ذنبك فعارضني وقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك فقلت) للسري (إن الأمر عندي ما قاله الشاب فقال لم) كان ذلك (قلت: لأني إذا كنت في حال الجفاء فنقلني) الحق (إلى حال الوفاء) أي: الصفاء (فذكر الجفاء) يعني الذنب (في حال الصفاء) يعني التوبة (جفاء فسكت) السري وهو حسن إذ الغرض من ذكر الذنب الحمل على الأعمال الجميلة لخبر: «إن العبد ليذنب الذنب، فيدخله ذنبه الجنة قيل كيف يدخله ذنبه الجنة يا رسول الله قال: «لا يزال نصب عينيه تائباً منه هارباً»[1] فإذا حصل للعبد حال شريف، واستغرق فيه فاشتغاله بذنبه حينئذٍ

توبة المحبين المحبوبين لرب البريات، ولذلك أجاب بقوله أن لا تنسى ذنبك ومقام الأولى لم يخرج صاحبه عن البداية، ومقام الثانية صاحبه في حظائر الرعاية والعناية، والبداية شغل بتعب المجاهدة، والنهاية لذة بانواع المشاهدة وإن شئت قلت البداية تخل، ثم تجل والنهاية تهيؤ لنور التجلي، وإن شئت قلت البداية ملء الاناء بأنا، والنهاية تفريغ الإناء من أنت وأنا. (**قوله: وقال بل التوبة أن تنسى ذنبك**) أقول يؤيده ما ذكروه في أسرار حقائق التوبة، وهي ثلاثة: تمييز التقية من الغرة ونسيان الجناية، والتوبة من التوبة أبداً فافهم.

(**قوله: قلت لأني الخ**) أقول في بيان معناه وإن كنت بعيداً عن مغناه أن السري وإن جلت مرتبته، وعلت درجته قد حجب عن مشاهد المحبين، وغايات المقربين اعتباراً بظاهر حال السائل، ولهذا رجع بغير طائل إذ الفضل بسابق التقدير لا يكون لكبير دون صغير، فكان بهذا تأديبه ليدوم له تقريبه حيث حضر لديه الجنيد، فكشف له عن بيت القصيد، وأسفر عن مناهل أهل الحب، ومشهد مشاهدات أهل القرب، ومثل هذا قد وقع لسيدنا الكليم، فلا لوم حينئذ على هذا الأستاذ العظيم، فإن حكمة الفاعل المختار سبقت بتأديب الكبار بالصغار، فالواجب على العاقل التسليم لباهر حكمة العليم الحكيم. (**قوله: في حال الجفاء**) أي البعد عن مقامات المقربين بسبب التلوّث بدنس المخالفات، وقوله: فنقلني الحق إلى حال الوفاء أي حيث قذف في قلبي بواعث الأنوار، والتنبه لطريق الاستبصار، فسلكت طريق الوفاء بحق الربوبية، ودرجت في مدارج أعمال العبودية حتى وصلت بذلك إلى صفاء الحال فحينئذ تذكري لسبب الجفاء والذنب يعد من الجفاء الذي هو من مكدورات عيش المحبين، ومن الرجوع إلى أسفل سافلين، والحاصل أن ما ذكره سيد المحبين هو المتعين في نظر العارفين يختص الله برحمته من يشاء، ويهدي إليه من يشاء. (**قوله: الخبر الخ**) أقول ولهذا أشار صاحب الحكم العطائية حيث قال: «رب معصية أورثت ذلا وانكساراً خير من طاعة أورثت عزا واستكباراً». (**قوله: يفسد عليه ما**

---

(١) أخرجه القرطبي في (التفسير ١٨/ ٢٤٤) والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ٢٥٣).

يفسد عليه ما هو فيه، فالسري كلم الشاب بما هو الأولى في حق التائبين فإن ذكر ذنوبهم يهيج خوفهم ويحملهم على ما هو إصلاح أحوالهم وكان الشاب ممن ارتفعت درجته في ذلك فكلم السري بما يناسب حاله المستلزم باستغراق صاحبه فيه نسيان ذنبه فشبهه بذلك على مقام شريف في درجات التوبة، ولذلك اغتم وتغير لإشكال الأمر عليه، وهذا شأنه تعالى أن يؤدّب الكبار بالصغار في السن ليفتقروا إليه.
(سمعت أبا حاتم السجستاني رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر السراج الصوفي يقول: سئل سهل بن عبد الله عن التوبة فقال) هي **(أن لا تنسى ذنبك)** ووجهه ما مر آنفاً. **(وسئل الجنيد عن التوبة فقال: أن تنسى ذنبك)**ومن ثم **(قال أبو نصر السراج أشار سهل إلى أحوال المريدين)** أي: المبتدئين **(والمتعرضين)** لارتكاب الذنوب **(تارة لهم وتارة عليهم)** يعني أنهم يتوبون وينكثون فإذا ذكروا ذنوبهم ثار عليهم الخوف المانع لهم من النكث، **(فأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة المحققين فإنهم لا يذكرون ذنوبهم مما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى ودوام ذكره)** وشغلهم وإعراضهم عن غيره حتى عن أنفسهم وقيل: معنى نسيانك الذنب أن تخرج حلاوته من قلبك خروجاً لا يبقى له في سرك أثر حتى يكون كمن لا يعرفه قط وقيل: المراد بنسيانه ترك العود إليه **(قال)** أبو نصر **(وهو)** أي: ما قاله الجنيد **(مثل ما)** هي مصدرية **(سئل رويم عن التوبة فقال: هي التوبة من التوبة)** أي: من رؤية كونه تائباً فإنه لا يرى ذلك إلا إذا كان مفرق القلب ناظراً لنفسه، وتوبته فيتحجب بذلك، فكمال توبته دوام

هو فيه) أي ما هو مشغول به من تصاريف الحق حيث هو الأولى في حقه أن لا يشتغل بغيره. **(قوله: فالسري كلم الشاب الخ)** محصله عامله معاملة المبتدئين، وذلك لما خفي عليه من سر رب العالمين.

(قوله: سئل سهل الخ) الغرض تقوية ما تقدم عن السري والشاب، ونسأل الله بحبهم أن يحقق لنا المناب. **(قوله: وأما الجنيد الخ)** توضيحه أن للتوبة سببين الخوف والإجلال والأول للمريدين والثاني للواصلين، وحينئذ فلا حاجة لذكر الذنب الجالب للخوف لقيام الإجلال مقامه بالنسبة للواصلين، وهو وجيه، ومنه: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه» **(قوله: إن تخرج حلاوته الخ)** أي حلاوة سببه من الحظوظ، وقوله: خروجاً الخ معناه تحقق غفلة النفس عنه بحيث لا يخطر لها قط بسبب اشتغالها بما ترقت له بعد مفارقتها إياه.

(قوله: فقال هي التوبة من التوبة) يحتمل أن المراد بذلك الحث على النصوح منها على معنى عدم ملابسته بعدها شيئاً يحوج للتوبة، وذلك الإحتمال هو بالنسبة للسالكين، وما قرره الشارح نفعنا الله ببركات علومه هو بالنسبة

شغله بربه حتى ينسى توبته كما قال الجنيد، وقيل: معنى كلام رويم ما قالته رابعة: استغراقه من قلة صدقي في قولي أستغفر الله إشارة إلى التوبة من التقصير في الأعمال والاستغفار عما عساه أن يقع فيها من دخول أو إهمال أو نحوه مما لا يليق بحضرة الحق تعالى **(وسئل ذو النون المصري عن التوبة فقال: توبة العوام)** تكون **(من الذنوب)** وهي واجبة **(وتوبة الخواص)** تكون **(من الغفلة)** وهي مندوبة. **(وقال أبو الحسين النوري: التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله تعالى. سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي بن محمد التميمي يقول: شتان)** أي: بعد **(ما بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات)** وأفضلهم الأخير وأفضل منه التائب من كل ما سوى الله إن لم يرجع إليه. **(وقال الواسطي: التوبة النصوح لا تبقي على صاحبها أثراً من المعصية سراً ولا جهراً، ومن كانت توبته نصوحاً)** أي: خالصة لله **(لا يبالي كيف أمسى و)** كيف **(أصبح. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل الهاشمي يقول: سمعت محمد بن الرومي يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: إلٰهي لا أقول)** عند عدم رجائي الحفظ والمعونة من الله **(تبت)** من ذنبي **(ولا أعود)** إليه **(لما أعرف من خلقي)** وطبيعتي **(ولا أضمن)** لنفسي **(ترك)** ارتكاب **(الذنوب)** في المستقبل **(لما أعرف من ضعفي ثم إني)** مع ذلك **(أقول)** عند رجائي الحفظ والمعونة من الله تبت و **(لا أعود لعلي أموت قبل أن أعود. وقال ذو النون)** المصري **(الاستغفار)** من الذنب **(من غير إقلاع)** عنه **(توبة الكذابين)** فلا يكفي مجرد الاستغفار، وإن كان فيه أجر. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت النصر أباذي يقول: سمعت بن يزدانيار يقول: وقد سئل عن العبد إذا خرج إلى الله**

للعارفين الكاملين، والله أعلم. **(قوله: وقيل معنى الخ)** محصله أنه التوبة من عدم توفية المقام حقه في المعاملات، وفي العبادات إذ المرء لا يخلو عن تقصير في ذلك، وله الإشارة بخبر: «سبحانك ما عبدناك حق عبادتك». **(قوله: إن تتوب من كل شيء الخ)** أي وذلك مقام العارفين من عباد الله. **(قوله: شتان الخ)** أي فإن الأول من المهتدين، والثاني من الأبرار المحبين، والثالث من الواصلين، المحبوبين. **(قوله: لا تبقي الخ)** أقول هو اشارة إلى امارتها التي هي عدم معاودة الذنب بعدها. **(قوله: لا يبالي الخ)** أي بواسطة استغراقه فيما منحه الحق سبحانه وتعالى. **(قوله: لا أقول تبت الخ)** محصله التبري من الحول والقوّة واتهام النفس بعدم الوفاء، ثم الالتفات إلى معونة الحق سبحانه وتعالى. **(قوله: الاستغفار من الذنب الخ)** أي ومن ذلك كل شيء كان غالب الحظ منه ذكر اللسان مع غفلة

تعالى على أي: أصل يخرج) إليه **(فقال: على أن لا يعود إلى ما منه خرج)** بالتوبة **(ولا يراعي إلا من إليه خرج)** وهو الله تعالى، فلا يلتفت لمدح الناس وذمهم له **(ويحفظ سره عن ملاحظة ما تبرأ)** وخرج **(منه)** فيكون قد خرج منه ظاهراً وباطناً **(فقيل له: هذا حكم من خرج)** إلى الله تعالى **(عن وجود)** أي: مال **(فكيف حكم من خرج)** إليه **(عن عدم)** لذلك **(فقال)** حكمه **(وجود الحلاوة في المستأنف)** أي: المستقبل **(عوضاً عن المرارة)** التي كان يجدها بفقره **(في)** الزمن **(السالف)** أي: الماضي كما قيل: إذا افتقروا عضواً على الفقر ضنة * وإن أيسروا عادوا سراعاً إلى الفقر. **(وسئل البوشنجي عن التوبة فقال: إذا ذكرت الذنب ثم لا تجد حلاوته عند ذكره)** بل تجد كراهته **(فهو التوبة)** وزاد بعضهم، وأن تجد له مع كراهتك له أثر ذلك في ظاهرك، وقد مرّ بعضهم بمكان فغشي عليه فيه وسقط على الأرض، فلما أفاق سئل عن ذلك فقال: هذا المكان كنت عصيت الله فيه، وهذا إنما يحصل بكمال

القلب. **(قوله: فقال على أن لا يعود إلى ما منه خرج)** يعني من جند النفس الذي هو الظلمة التي يحصل بها ثلاث: الجهل والتلف والتخليط، وهي إذا حصلت غلب الهوى، وذهب الحق فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وهي يحصل منها ثلاث: الكشف والعلم والتحقيق فيباشر الإلهام قلبه بما يعلمه من خير أو شرّ حتى يقبل على الحق ويدبر عما سواه وذلك لا يتم إلا بيقين لا يداخله شك، وعلم لا يخالطه هوى والهام لا يفسده وهم، قال الشاذلي: إذا أكرم الله عبداً نصب له العبودية بين عينيه فافهم.

(قوله: فقال على أن لا يعود الخ) فيه حمل على علوّ الهمة في التوجه إلى الحق سبحانه وتعالى. **(قوله: هذا الحكم الخ)** يشير إلى ان الخروج عما يلائم النفوس مع توفر الدواعي بما تقدم وهو مع عدم توفرها بوجود حلاوة الفقد فيما يأتي. **(قوله: كما قيل الخ)** محصله غاية الرضا بالفقر عند وجوده والمسارعة للبذل وقت الوجود وهذا كله سببه قوة اليقين. **(قوله: ثم لا تجد حلاوة الخ)** أي لأن النور إذا كان تاماً كشف الشيء على ما هو عليه، وإذا كانت البصيرة مستقيمة حكمت بالشيء على وجهه فأقبل القلب في محل الإقبال، وأدبر في محل الإدبار، وإذا كان النور مفقوداً أو ناقصاً والبصيرة غير مستقيمة أقبل القلب في محل الإدبار وأدبر في محل الإقبال فكان شبه حال الأعمى تارة يخطيء، وتارة يصيب فإذا أصاب فعلى غير أصل ولا حقيقة قال الله تعالى ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فقد جعل الهداية فرع الشرح، والشرح فرع النور. **(قوله: وقد مر بعضهم الخ)** دليل على قوله وأن تجد له.

المعرفة بجلال الله، ودوام مراقبته والإستحياء منه، فإذا وصل العبد إلى هذه المنزلة ظهرت عليه آثارها. **(وقال يحيى بن معاذ: زلة واحدة للتائب أقبح من سبعين زلة قبلها وقال ذو النون)** المصري **(حقيقة التوبة)** بمعنى الغالب من حالها **(أن تضيق الأرض عليك بما رحبت)** أي: مع رحبها أي: سعتها **(حتى لا يكون لك فرار)** ولا مكان تطمئن إليه **(ثم تضيق عليك نفسك)** أي: قلبك للغم الوحشة بتأخير توبتك ولا يسعه سرور ولا أنس **(كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله:** ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨] أي: أيقنوا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨] فتابوا.

(وقال ابن عطاء: التوبة) باعتبار الحامل عليها **(توبتان توبة الإنابة، وتوبة الإستجابة، فتوبة الإنابة أن يتوب العبد خوفاً من عقوبته)** وهي توبة واجبة **(وتوبة الإستجابة أن يتوب حياء من كرمه)** وقربه تعالى، وهي مندوبة وظاهره كما قال العلامة القونوي: إن الثانية أعلى رتبة من الأولى، وإن كانت مندوبة وتلك واجبة لأن صاحبها ليس طالباً حظ نفسه، بل عبودية ربه بخلاف صاحب الأولى، وسميت الأولى توبة الإنابة لافتقارها إلى الإنابة إلى الله المفسرة بالرجوع إليه عما سواه، والثانية توبة الإستجابة لاقترانها بالقرب في قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ [البقرة: ١٨٦] وتقدّم عن الدقاق أن التوبة تكون للخوف من العقاب، وأنها للمؤمنين والإنابة للطمع في الثواب وأنها للأولياء والأوبة لمراعاة

(قوله: أقبح من سبعين زلة الخ) أقول لأن الجفاء في عين الصفاء أقبح منه في استمراره إذ هو من كفر النعم.

(قوله: أن تضيق الخ) أقول قد تقدم هذا له وتقدم الكلام عليه، ومحصله إجمالاً أن يقال حقيقة التوبة أن تضيق عليك أرض الطبيعة البشرية الشهوانية مع رحبها وسعتها وتوفر قواها وتسيير مألوفاتها حتى لا يكون لك قرار تسكن إليه ثم تضيق عليك نفسك الحيوانية بغلبة اللطيفة الإنسانية عليها غماً ووحشة بما جنته بجهلها، وتسويف توبتها منه حتى تيقنت أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فعند ذلك أدركتها عواطف الرحمة الإلهية فوفقها الله للتوبة فتابت، وخرجت من ضيق أرض الطبيعة الحيوانية إلى فضاء اللطيفة الإنسانية.

(قوله: وتوبة الاستجابة) أقول ومن هذا القبيل خبر: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه». **(قوله: وإن كانت مندوبة الخ)** أقول ولا بعد فيه فقد تفضل النافلة الفريضة وذلك كما في ابتداء السلام ورده.

(قوله: لأن صاحبها ليس طالباً حظ نفسه) أي لكونه لم يتشوّف لشيء سوى عبودية ربه، وذلك شاهد بتمام قربه ومحبته لربه بخلاف حال الأول لتشوقه لثمرات أعماله التي

الأمر وأنها للأنبياء. (**وقيل لأبي حفص لم يبغض التائب**) مما ارتكبه (**الدنيا فقال لأنها دار باشر فيها**) لما احتوت عليه من الشهوات (**الذنوب**) ولبغض الله وذمه لها في خبر: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء». (**فقيل له فهي أيضاً دار أكرمه الله فيها بالتوبة فقال: إنه من الذنب على يقين، ومن قبول التوبة**) أي: العفو عما تاب عنه (**على خطر**) لاحتمال عدم قبولها (**وقال الواسطي: طرب داود عليه السلام**) أي: سروره وخوفه من الله (**وما هو فيه من حلاوة الطاعة أوقعه في أنفاس متصاعدة**) يعني في حزن طويل (**وهو على حالته الثانية**) وهي حالة حزنه (**أتم منه في وقت ما ستر عليه أمره**) أي: في حالته الأولى وهي حالة طاعته في كمال اجتهاده ورؤية تقصيره فيها، والطرب قال الجوهري: خفة تصيب الإنسان لشدّة حزن أو سرور. (**وقال بعضهم: توبة الكذابين**) كائنة (**على أطراف ألسنتهم يعني قول أستغفر الله**) من ذنبي من غير إقلاع عنه كما مرّ عن ذي النون (**وسئل أبو حفص عن التوبة فقال: ليس للعبد في التوبة شيء**) أي: تأثير (**لأن التوبة**) واصلة (**إليه لا**) ناشئة (**منه**) كسائر الطاعات فإن الله تعالى هو الموفق لها، والمعين عليها، وما قاله مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ [التوبة: ١١٨] أي وفقهم الله للتوبة فتابوا

مرجعها حظوظ النفس. (**قوله: فقال لأنها دار الخ**) أي ولذا قيل أنها سجن المؤمن، فإذا خرج منها وقع في راحة الأبد أي لأنه يصير الحال للرضا وعدم التغير بالإعراض فيكون كما قيل شعراً:

أصبحت لا أمل ولا أمنية ... أخشى ولا موعودة أترقب

فيفنى عن الأغيار بحيث لا يبقى له إليها استناد، ولا له عليها اعتماد، بل يكون لمولاه وحده بلا علة لا تشوف لغيره، وذلك عين التحرر عن رق العبودية لشيء غير مولاه، فبذلك تقع راحة الأبد كما تقدم. (**قوله: فقال لأنها دار الخ**) محصله الحث على الإعراض عنها مطلقاً باعتبار أنها دار ابتلاء محقق واكرام مظنون وشتان ما بينهما عند أهل البصيرة. (**قوله: سروره وخوفه الخ**) أشار بذلك إلى أن سبب الطرب إما استغراقه في أنس السرور أو شهود مظاهر الجلال، ومع ذلك هو في حالة الحزن أرقى من حالة السرور في مجاهدة العبادة مع حسن المراقبة.

(**قوله: خفة تصيب الإنسان الخ**) أفاد بذلك أن الطرب لا يختص بطيش الفرح والسرور بل قد ينشأ عن الحزن أيضاً خلافاً لما يتوهمه بعض الناس من أن الطرب من الفرح فقط. (**قوله: على أطراف الخ**) أي فالذي يصيبهم منها مجرد الذكر مع غفلة القلب. (**قوله: ليس للعبد الخ**) أي بالنسبة لسابق القضاء أو القدر الأزليين وإن العبد مجرى لتصاريف الحق تعالى، فلا فعل إلا لله وحده لا شريك له.

(وقيل: أوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام يا آدم ورثت ذرّيتك التعب والنصب) بخروجك من الجنة أي: بسببه والعطف للتفسير (وورثتهم) أيضاً (التوبة من دعاني منهم بدعوتك) أي: بسؤالك لي التوبة عليك (لبيته كتلبيتك) أي: أجبته إليها كما أجبتك فيه حث على التوبة وإن الله تفضل بها على ذرية آدم كما تفضل بها عليه ويؤيده قوله (يا آدم) أنا (أحشر التائبين من القبور مستبشرين) بالخير (مناحكين) لما مننت به عليهم من فضلي ونعمتي (ودعاؤهم) مع ذلك (مستجاب وقال رجل لرابعة العدوية رضي الله عنها (إني قد أكثرت من الذنوب والمعاصي، فلو تبت إلى الله هل يتوب عليّ فقالت لا) إذ لا تأثير لفعلك حتى يكون سبباً موجباً لتوبته عليك (بل لو تاب) هو (عليك) أي: وفقك للتوبة (لتبت) لأنه المؤثر في الأفعال، وقد قال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ كما مرّ، ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] (قال الأستاذ الإمام رضي الله عنه، واعلم أن الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ومن قارف الزلة فهو من خطئه) بارتكابها (على يقين فإذا تاب فإنه من القبول) لتوبته (على شك) لاحتمال عدم قبولها

(قوله: يا آدم ورثت ذريتك الخ) انظر هذه النسبة إليه، والتعويل في التسبب عليه نجده بظاهر الشرع من كسبه، وبباطن التحقيق بقضاء ربه حيث: «لا ينفع حذر من قدر» كما ثبت في صحيح الخبر كيف وآدم ممن ثبتت عصمته، وعلت في القرب مرتبته، فلا تجوز في حقه المخالفات ولا يقال قد غلبته الشهوات، بل ما صدر فيفعل الحكيم على حسب سابق العلم القديم ليظهر سر التكوين من طلاسم السيد الأمين إذ هو نسخة الوجود، والسبب في كل موجود، وإنسان الله الكامل في الأزل والأبد، ومظهر مظاهر الفرد الصمد من أمد الله به الملايين، وشرف بوجوده الكونين، فهو نقطة عين النور وشمس سماء الظهور ومرآة الكمالات من أول الأوليات، ومفتاح التفضلات، ومغلاق الرسالات، فمن تقدم عنه فبالنيابة، ومن تأخر فله الجسنى وزيادة، فتأمل بإنصاف، واحفظ رتب الأشراف. (قوله: وورثتهم التوبة الخ) أقول في ذلك بشرى لذريته بثبوت مثل حظه لهم، والله أعلم. (قوله: فقالت لا الخ) أقول لعله صدر ذلك منها في حال شهودها حقيقة الأمر حيث كان تأثير الباعث في قلب الموفق بايجاده تعالى إذ لا فاعل غيره وتعالى.

(قوله: ولا ينافيه الخ) أي لأن توبة العبد إنما تكون بالتوفيق الإلهي. (قوله: ومن فارق الزلة الخ) مراده حث التائب على أشرف طرق الوصول إلى الحق تعالى، وذلك بدوام انكسار النفس، وذلتها برؤية عدم الاستحقاق لشيء من منح القبول بواسطة الرجوع عما سلف من التقصير عسى بذلك يتم له قرع باب الفتاح. (قوله: فهو من خطئه

(لا سيما إذا كان من شرطه وحقه) أي: مريدها (أن يكون مستحقاً لمحبة الحق) تعالى إياه (و) المسافة من حين التلبس بالمعصية (إلى أن يبلغ العاصي محلاً يجد في أوصافه إمارة) استحقاق (محبة الله تعالى إياه مسافة بعيدة، فالواجب إذا على العبد إذا علم إنه ارتكب ما تجب منه التوبة دوام الإنكسار وملازمة التنصل) منه (والاستغفار) ويقاس بما تجب التوبة منه ما تندب منه (كما قالوا استشعار الوجل) بفتح الجيم أي: الخوف مستمر (إلى الأجل) يعني ينبغي للعبد أن يكون خائفاً من عدم صلاح أعماله مستمراً عليه إلى حين موته كما قال تعالى: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] ثم حث على اتباع النبي ﷺ بقوله: (وقال عز من قائل «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» وكان من سننه عليه السلام دوام الاستغفار وقال ﷺ «إنه ليغان) أي: ليغطي (على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرّة»)[1] وروي مائة مرّة، وفائدة استغفاره مع أنه مغفور له طلب ما عسى أن يكون فاته شيء حال الغنى وطلبت زيادة الدرجات والاستدعاء لمحبة الله له الخاصة بالأنبياء قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

بارتكابها على يقين) أي وحيث كان كذلك، وإن أمر القبول من غيب الله الذي لا يعلمه سواه خصوصاً إذا خالط التوبة ظنّ استحقاق المحبة من الله بتوبته مع بعد هذا الطريق لدى التأمل، فلا يكون للعبد حينئذ طريق أسلم من دوامه بعد التوبة ذليلاً منكسراً متنصلاً من ذنبه مستغفراً منه وذلك عام في كل توبة سواء الواجبة والمندوبة هذا حاصل ما أشار إليه.

(قوله: إلى حين موته) لعل مراده بالموت سببه كالمرض وإلا فالمطلوب في هذه الحالة مشاهدة رجاء الفضل والإحسان كما هو معلوم من الفروع الشرعية. (قوله: إنه ليغان على قلبي الخ) أي أغيان أنوار وهي من الظلال الواقعة في الصدور من المعاني التي أتت بها الواردات وهي مطايا القلوب بايضاح الفهم إلى حضرة علام الغيوم كما أن مطايا الأسرار بيان العلم إلى حضرة الملك الجبار، فمن طلع النور في قلبه سار على مطية فهمه، ومن طلع في أفق سره سار بمطية عمله، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور فافهم. (قوله: طلب ما عسى الخ) محصله أن الاستغفار من العبادة وهو سلم الترقي إذ لا تستدعي المغفرة سبق ذنب. (قوله: وطلب زيادة الدرجات الخ) أي وتقدم أنه يحتمل

---

(١) أخرجه مسلم بن الحجاج في (صحيح مسلم الذكر ٤١) وأبو داود في (السنن ١٥١٥) وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ٢١١، ٢٦٠) والبيهقي في (السنن الكبرى ٧/ ٥٢) والطبراني في (المعجم الكبير ١/ ٢٨٠) والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٢٣٢٤) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٥٧، ٨/ ٢٩٩، ٥١٧، ٩/ ٥٩، ٦٢٨) والبخاري في (التاريخ الكبير ٢/ ٤٣) وبغوي ٦/ ١٨٠) والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ٦٣) وابن حجر في (فتح الباري ١١/ ١٠١) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٠٧).

﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وأيضاً المغفرة هي الستر، وطلبه الستر معناه استر عني المقام الذي ارتقيت منه حتى أكمل آداب المقام الذي ارتقيت إليه لأن نظره إلى الأوّل يمنعه من تكميل آداب الثاني، أو استر عني المقام الثاني حتى أكمل الأوّل، وبالجملة فمقاماته كلها عالية ليس فيها أدنى حتى يستغفر الله منه، وإنما مراده طلب ما ذكر. (**سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت الحسين بن علي يقول: سمعت محمد بن أحمد يقول: سمعت عبد الله بن سهل يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها**) لأن الفعل القبيح من العالم بكمال قبحه أقبح من غيره، ولهذا كان عذاب العالم أشد من عذاب الجاهل، وذكر السبعين هنا وفي الخبر السابق ليس للتقييد بل للمبالغة كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] وكذا ذكر المائة في الرواية السابقة. (**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: في قوله عز وجل ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥] قال**) معنى إيابهم (**رجوعهم**) إلى الله تعالى (**وإن تمادى بهم الجولان**) أي: الطواف (**في المخالفات**) للأوامر فيه الحث على التوبة اختياراً فإنهم إن لم يرجعوا إليه اختياراً رجعوا إليه اضطراراً يوم القيامة، وهو المراد بقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ وقوله: قال زائد (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمر**

التشريع، أو ذلك بالنسبة لحال أتته حين أطلعه الله على ما سيقع منهم. (**قوله: لأن نظره إلى الأولى الخ**) أي فإنّ الاشتغال بغير الأهمّ يكون مانعاً من الأهمّ. (**قوله: بالجملة فمنا مائة كلها عالية الخ**) أقول وكيف لا تكون كذلك، وهو المختار للإرشاد، والمقصود من العباد على أن أرباب الكمالات والمقامات مرجعها إليه، وتعويلها في قربها من الحق تعالى عليه، فلا ذرة من أحوال السعادة إلاّ وهي بواسطة، ولا جمال لشيء إلا يتجلى صورته في مرايا أمته ﷺ وعلى آله وأصحابه وأهل محبته.

(**قوله: زلة واحدة الخ**) أي لأن المنع بعد ذوق لذة العطاء أضر من المنع ابتداء وأقبح وتقدم مثله، فلا تغفل. (**قوله: ولهذا كان عذاب العالم أشد**) أي لما قام به من الجراءة بعد علمه بوعيد الحق سبحانه وتعالى. (**قوله: بل للمبالغة**) أي جريا على عادة العرب حيث كانوا إذا أرادوا التكثير عبروا بمثل ذلك. (**قوله: قال معنى ايام رجوعهم الخ**) أي فهو يشير إلى أنه حيث كان الأمر كذلك فتجب التوبة وقت التمكن منها في حالة الاختيار قبل المصير إليه تعالى اضطرارا والله اعلم. (**قوله: فانهم إنْ لم يرجعوا الخ**) أقول هو بحسب ظاهر الحال بحكم الشرع وإلا فالعبد في تصريف الحق تعالى في كل أطواره.

الأنماطي يقول: **ركب علي بن عيسى الوزير في موكب)** بكسر الكاف **(عظيم)** كما وكيفا **(فجعل الغرباء)** الذين لا يعرفونه ممن يحب الدنيا ويستحسنها **(يقولون من هذا من هذا)** تعجباً مما هو فيه من المملكة **(فقالت امرأة قائمة على الطريق)** زاهدة في الدنيا عارفة بها وبالآخرة **(إلى متى تقولون من هذا من هذا هذا عبد سقط من عين الله)** أي: حفظه **(فابتلاه الله بما ترون)** من اشتغاله بالدنيا عن الآخرة **(فسمع علي بن عيسى ذلك)** فكانت موعظة له **(فرجع إلى منزله واستعفى من الوزارة، وذهب إلى مكة وجاور بها)** فكان كلام هذه المرأة سبب توبته وسعادته.

(قوله: ركب علي بن عيس الخ) فيه تنبيه على أن التوسع في الدنيا لم يكن من أخلاق الكمل من عباد الله باعتبار إن الشأن فيه الغفلة بسبب الاشتغال به عما يعني، ولذا ورد في الخبر «إذا أحب الله عبداً زوى عنه الدنيا».[1] **(قوله: فقالت امرأة الخ)** فيه تنبيه على انّ الحظ في الدنيا لا يجامع شرف الآخرة غالباً وله الإشارة بقوله جل شأنه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥٥] الآية.

---

(١) أخرجه الترمذي (طب ١).

باب المجاهدة

وهي الأعمال التي تزيل الأخلاق الذميمة، وتحصل الأخلاق الحميدة سواء كانت من أعمال القلوب أم الجوارح، وهي مطلوبة (**قال الله عز وجل**: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾) [العنكبوت: ٦٩] أي: طرقنا الحميدة (**وإن الله لمع المحسنين أخبرنا أبو الحسين عليّ بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد**

باب المجاهدة

أي الجهاد الأكبر للنفس كما يشير إليه خبر: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» إذ رد النفس عن مألوفاتها من أكبر الجهاد لصعوبته ومشقته، وكثرة الأجر المرتب عليه وهي مطلوبة وجوباً أو ندباً بحسب المجاهد فيه. (**قوله: وهي الأعمال الخ**) أي عملاً بخبر الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، فعلى العاقل أن يستعمل طرق هضم نفسه عن غرّتها ويوقظها من سنة غفلتها ويدوم على محاسبتها، فذلك مقام عجيب لا بدّ منه لكل متوجه لما ورد حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وهي شعوب، ومنازل وموارد، ومناهل، فينبغي لكل عاقل أن يحاسب نفسه كمحاسبة الشريك الشحيح لشريكه، فلا يسامحها في شيء من حظوظها ومألوفاتها ما استطاع إذ الخواطر إلى قسمين: محمود ومذموم، والمحمود إلى قسمين رباني وملكي والمذموم كذلك نفساني وشيطاني، ثم هو قد يكون من الملبوس بالوارد الرباني أو الملكي فيحتاج المريد إلى شيخ عارف وبصير وناقد ناصح يبين له ذلك ليتبع ما يصح اتباعه ويجتنب ما يلزم اجتنابه.

(**قوله: سواء كانت من أعمال القلوب الخ**) أي سواء كانت تلك الأعمال التي يحصل بها جهاد النفس وردّها عن مألوفاتها من أعمال الجوارح الظاهرة أم من أعمال القلوب. (**قوله: قال الله عز وجل الخ**) استدلال على أن المجاهدة للنفس مطلوبة فقوله والذين جاهدوا فينا أي في مرضاتنا ولذاتنا لنهدينهم سبلنا أي لنوصلنهم إلى الطرق المبلغة لرضانا والمقرّبة من رحمتنا. (**قوله: فقال كلمة عدل الخ**) أي وإنما كانت من أفضل الجهاد لما فيها من المخاطرة بالنفس باعتبار جور ذلك السلطان. (**قوله: فإن قلت الخ**) محصله أن هذا الخبر يعارضه ما رواه البخاري المفيد صراحة أن أفضل الأعمال الإيمان ثم الجهاد، وإن أفضلها

الصفار قال حدثنا العباس بن الفضل الأسقاطي قال: حدثنا ابن كاسب قال: حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الجهاد فقال: «كلمة عدل عند سلطان جائر»[1] فدمعت عينا أبي سعيد) فإن قلت روى البخاري خبر: «إن أفضل الأعمال الإيمان، ثم الجهاد» وخبر: «إن أفضلها الصلاة لوقتها»، قلت الأجوبة مختلفة في أوقات فأجاب في كل منها بما هو الأفضل في حق السامع، فمن ظهر منه قلة الكلام في العدل عند السلطان قال له: أفضلها كلمة عدل عند سلطان جائر، ومن ظهر منه قلة إيمان قال له أفضلها الإيمان ومن ظهر منه قلة صلاة قال له: أفضلها الصلاة ومجاهدة كل أحد تكون بقيامه بحقوق ما أقيم فيه من أمرية وتحابب في الله وتعلق قلبه في المساجد وغير ذلك، فالأمير يقوم بما يتعلق به من حقوق الناس، والمتحابون في الله لا يصح لهم الحب فيه حتى تزول عنهم محبة الدنيا بالكلية، ويؤثر كل منهم صاحبه بما أمكنه

الصلاة لوقتها ومحصل قوله قلت إن الأجوبة مختلفة باختلاف أحوال السائل، فأجاب كلا بما هو الأولى في حقه. (قوله: قلت الأجوبة الخ) محصل ذلك أنه ﷺ لما كان طبيباً روحانياً بعثه الله رحمة للعالمين، وفيهم مرضى بأمراض مختلفة فقد داوى كل إنسان بحسب ما يوافق علته وجزاه الله تعالى عن أمته أفضل الجزاء.

(قوله: ومجاهدة كل أحد الخ) محصله أن الأهمّ من أنواع المجاهدة فيما أقيم فيه العبد من تصاريف الحق في الحال فعليه القيام بحقوق ما أقيم فيه من حقوق الحق وحقوق الخلق. (قوله: من زين ظاهره الخ) اعلم أن حكمة الحكيم قد اقتضت أنه إذا قطع مدد الشهوة المذمومة عن النفس بالمجاهدة أشرق القلب وعوالمه، انكشفت له الحقائق وأمطرت عليه من سماء الفضل غيوث المعارف، فيذوق لذة لم يدركها قبل ذلك ويباشر راحة لم ينلها إلا من هنالك، ويتصل به المدد المحمدي فيظل عند ربه يطعمه من أقوات العرفان، ويسقيه من شراب المحبة فتسترق النفس السمع فتحن إلى الألحان ومفاكهة الندمان، ويسترق الطبع من الطبع، فيرجع إلى أحكام صحو الشرع وبعبارة أخرى يقال أيضاً إن بالمجاهدة ورد النفس عن عاداتها ترجع إلى صحبة القلب بعد نفرتها منه بمقتضى شهواتها، عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير، والله غفور رحيم، فإذا ذاقت النفس من اللذائذ الملكوتية ما لم يخطر لها ببال ولم تذقه من اللذائذ الحسية الملكية صارت تطلب السبب الذي يوصلها إلى زيادة هذه اللذة،

---

(١) أخرجه أبو داود (ملاحم ١٧) والترمذي (فتن ١٣) والنسائي (بيعة ٣٧) وابن ماجه (فتن ٢٠) وأحمد بن حنبل (٣، ١٩، ٦١، ٤، ٣١٤، ٣١٥، ٥، ٢٥١، ٢٥٦).

(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] واعلم أن من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة لأنه إذا اجتهد في شبيبته في الأعمال وجد بركة ذلك حين عجزه وكبر سنه. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: من ظنّ أنه يفتح له شيء من هذه الطريقة أو يكشف له عن شيء منها إلا بلزوم المجاهدة)** يعني

ويوصل تلك اللذة إليها وهو لا يكون إلا بحمل المشقة وتجشم الكلفة بالمجاهدة فصارت الحواجب تقضي الحوائج كما قيل شعراً:

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا ونحن سكوت والهوى يتكلم

وشاهد هذا الطفل في أوّل أمره لا يسير إلى محل التعلم إلا بكلفة فلما كابد تلك المرارة مدّة وتجرّع هذه المشقة برهة حتى صارت في مقام الإمامة والتعليم وأقبلت عليه القلوب وأحدقت به العيون، ونال من افتضاض الأبكار من المعاني ما لم يتصل إليه بافتضاض الغواني صار لو قيد بالسلاسل لما امتنع عن هاتيك الفضائل، فسبحان مقلب القلوب لا إله إلا هو علام الغيوب تدبر تفهم، والله سبحانه أعلم.

(قوله: من زين ظاهرة الخ) المراد أن ذلك امارة على حسن السرائر وإلا فتزيين الظاهر سببه تنوير الباطن والله أعلم. **(قوله: من لم يكن في بدايته الخ)** البداية ابتداء التوجه، إلى نيل الوصول بالدخول في حظائر الأصول. **(قوله: من ظنّ أنه يفتح له الخ)** أي ودليله في الشاهد ظاهر اذ من طلب نفيساً في ظاهر الحال العاجل بذل غاية جهده في تحصيله فمن طلب الحق فهو أحرى في بذل الروح فضلاً عن غيرها. **(قوله: إلا بلزوم المجاهدة الخ)** أي يترك التسويف المؤدي إلى فوات وقت الطاعة إذ في ذلك كرامات منها مبادرة الأمر ومراقبة الذكر، وعمارة السر وانشراح الصدر، والتفرغ لوظائف الوقت وفي ذلك حجة على التارك والمجانب قال الشاذلي قدّس الله سره: لا تؤخر طاعة من وقت لوقت فتعاقب بفوتهما أو بفوت غيرهما أو مثلهما فإن لكل وقت سهماً من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية شعر:

(غيره)

وردنا حيّ ليلي على كل ضامر ولم نخش من حد السيوف البواتر

(غيره)

تهدّدون محبكم بمماته ومماته في الحب عين حياته

لو أنهم شربوا مدامة وجده عملوا الذي جهلوه من راحاته

بغير لزومها (**فهو في غلط سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته جلسة**). وعن أبي محمد الجريري قال: سمعت الجنيد يقول: ما أخذنا التصوّف من القيل والقال، ولكن من الجوع، وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات وقد قيل: حقيقة الإرادة استدامة الجد وترك الراحة. وقال أبو عثمان: عقوبة قلب المريد أن يحجب عن حقيقة المعاملات والمقامات إلى أضدادها، ومبنى طريق القوم في معاملاتهم على حسب المتابعة ومن ظنّ أنه يبلغ غرضاً أو يظفر بمراد لا من طريق المتابعة، فهو مخذول مغرور. قال أبو سعيد الخرّاز: كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل، وقال بعضهم: من أمّر السنة على

واعلم أن كل ذلك إنما هو بالنسبة للفضائل الكسبية، فلا يعارض بما له تعالى من المنح الوهبية، فإن السبب والمسبب بإيجاده، والمنح والتشريف من إسعاده.

(**قوله: من لم يكن له في بدايته قومة الخ**) أي فمن لم يذق المشقات في طريق السلوك إلى ملك الملوك في بدايته لم يشرب من راحة الوصول في نهايته إذ من جد وجد، ومن توانى يخشى عليه العطب. (**قوله: ما أخذنا التصوّف الخ**) أي لم تكتف بنقل عبارات القوم وذكر أخلاقهم وما كانوا عليه في المعاملات لأنّ الاكتفاء بذلك ضار غير نافع إذ هو مما تقوم به الحجة على غير المتخلق بمثل أخلاقهم.

(**قوله: حقيقة الإرادة الخ**) أي تحقق العبد بوصف العبادة لا يتم إلا باستدامة الجد بجهاد النفس، وترك راحتها. (**قوله: عقوبة قلب المريد الخ**) أي فعدم القيام بوظائف الطاعة والبعد عن معاملاتها دليل على عقاب القلب وكفى بظلمة القلب بالترك عقوبة وأيّ عقوبة.

(**قوله: ومبنى طريق القوم**) أي أصلهم وأساسهم الذي يبنون عليه في معاملاتهم مع الحق تعالى، ومع الخلق على حسن متابعته ﷺ إذ هو الطريق لا طريق غيره. (**قوله: ومن ظنّ أنه يبلغ غرضاً الخ**) تأمّل ذلك وقابل به حال أهل زماننا المدعين أنهم من الفقراء الزاهدين، بل يدعون أنهم من الأولياء المعظمين مع ما ابتدعوه من الضلالات وارتكبوه من السيئات حيث جعلوا هذا سبباً في وصولهم إلى العرض الفاني، واشتغالهم به عن تحصيل الأجر الباقي، ولا سيما كيفية ذكرهم وتصنع جذبهم، والتفوه بما لا يتعقله عقل، ولا يشهد لصحته نقل، فعلى العاقل أن يجتنبهم، ويبعد عن مخالطتهم إذ الضرر بهم أقرب، والله بعباده أعلم.

(**قوله: كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل**) أي كل حال من الأحوال الباطنة لم يشهد لصحته شاهد علم الظاهر من أحكام الشريعة المحمدية، فهو باطل لا يجوز اعتماده ولا العمل به. (**قوله: من أمر السنة الخ**) أي من لم يخرج عن متابعة سيد الكمل في سائر

نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة **(وسمعته أيضاً يقول: قولهم الحركة)** لله **(بركة)** إذ **(حركات الظواهر)** بالمجاهدات **(توجب بركات السرائر)** من تنوير القلوب ونفي الغفلة عنها بتكرار النيات بالحضور مع الله في سائر الأوقات **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن علي ابن جعفر يقول: سمعت الحسين ابن علوية)** بفتح العين وضم اللام المشدّدة **(يقول قال: أبو يزيد البسطامي كنت اثنتي عشرة سنة حدّاد نفسي وخمس سنين كنت مرآة قلبي وسنة أنظر فيما بينهما فإذا في وسطي زنار ظاهر)** بضم الزاي وهو خيط غليظ

حركاته وسكناته أثمر ذلك له بواسطة إشراق نور المتابعة أنه ينطق بالحكمة، ومن تابع هواه وشهوات نفسه أثمر ذلك له بواسطة ظلمات جهالاته أنه ينطق بالبدعة. **(قوله: الحركة لله بركة)** أي ويشهد له خبر: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم». **(قوله: توجب بركات السرائر)** أي حيث دوام العمل بتوجه القلب حضوراً مع الحق من أقوى أسباب الترقي إلى نيل الدرجات. **(قوله: سمعت محمد بن الحسين الخ)** تقدّم الكلام على هذا المبحث مستوفىً، ونهاية القصد من تكراره الحث على التبري من الحول والقوّة وعدم الوقوف مع الأسباب والأحوال والمقامات نظراً إلى تصاريف الحق في كافة الخلق.

(قوله: قال أبو يزيد الخ) أقول ولمثله قد أشار قدوة العارفين ابن الفارض قدّس سره حيث قال شعراً:

وقد أقول لمن تحرّش للهوى	عرّضت نفسك للبلا فاستهدف
أنت القتيل بأيّ من أحببته	فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي
قل للعذول أطلت لومي طامعاً	إنّ الملام عن الهوى مستوقفي
دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى	فإذا عشقت فبعد ذلك عنف

فأشار بدر نظمه ونظم دره ألى أن من ادّعى المحبة قد عرّض نفسه لبلائها وتلاف نفسه في مجاليها، فهو إذا كان صادقاً في دعواه لا بدّ له من الهلاك وتلف النفس في محبته فعليه حينئذ أن يختار من يكون هلاكه بسببه وصلة للبقاء بمدده، فيكون تلفه عين صلاحه وموته عين حياته وتعبه في مرضاته هي حقيقة راحاته، ولا شيء بهذا الوصف إلّا الذات العلية ولا وصول لها إلا بالمتابعة الأحمدية، ثم هو إذا وصل إلى هذا الكمال رد منه لسان الحال على العذول القال بدع عنك تعنيفي إلى آخر ما ذكره الذي محصله أن الذي دعا عذوله لتعنيفه بلومه الطويل طمعه في كون لومه يستوقفه عن هوى من أتلف نفسه في محبته، وذلك منه جهل وحمق فإنه لو ذاق طعم هواه، وشرب من خمر مناه ما أمكنه اللوم، بل يصير من أشراف القوم، والله أعلم بكلام أوليائه وأسرار أصفيائه.

يشد به الدمى وسطه (**فعملت في قطعه ثنتي عشرة سنة، ثم نظرت فإذا في**) باطني زنار فعملت في قطعه خمس سنين انظر كيف أقطعه فكشف لي **فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات**) أشار بذلك إلى كمال مجاهدته في أوّل بدايته، إذ شأن الحدّاد أن يحمي الحديد، ثم يطرقه حتى يبرد فتخرج أوساخه ثم يعيده إلى النار فيعدله حتى يستقيم على ما يراد منه فلذلك قال: أقمت ثنتي عشرة سنة أعدل جوارحي من سمعي وبصري ولساني، وسائر أعضائي بالخوف والرجاء حتى استقامت على الخير، ثم عملت في قلبي في إزالة الأخلاق الذميمة، والتخلق بالأخلاق الحميدة خمس سنين، ثم نظرت فيما حصل لي من الخير من جمال باطني وظاهري سنة فوجدت نفسي ملتفتة إلى الخلق محبة لإطلاعهم على حسن أعمالي ومدحهم لي على ذلك فشبهته بعلامة الشرك، وهو الزنار الظاهر لما فيه من الالتفات إلى غير الله فعملت في قطعه ثنتي عشرة سنة ثم نظرت فإذا بباطني استحسان لأعمالي

(**قوله: فرأيتهم موتى**) أي بالنظر إلى حقيقة الأمر إذ لا فاعل إلا الحق تبارك وتعالى، وإلا فمن جملة الخلق من يرزق به أهل الأرض.

(**قوله: أشار بذلك الخ**) أي حيث المجاهدة في أوّل البداية وبدوام حكم التكليف إلى النهاية تصير لذة للنفس، فيحمل صاحبها عليها، وذلك لأنّ المريد أوّلا يكلف نفسه عبادة ربه حتى تتمرّن عليها وتعتادها، فتصير كالحق لها وله الإشارة بخبر: «إن لنفسك عليك حقاً» فتطالب صاحبها به، فيتكفل لها به حتى تكلف العمل وتشفق به وتلتذ به، وإلى ذلك أشار عارف وقته ابن الفارض قدّس الله سره حيث قال شعراً:

لا تحسبوني في الهوى متكلفاً   كلفي بكم خلق بغير تكلف

(**قوله: إذ شأن الحدّاد الخ**) الغرض للشارح توضيح ما أشار إليه الشيخ بإبداء أوجه التشبيه الذي انطوى عليه كلامه الذي محصله إجمالاً ارتكاب المشاق والكلف الزائدة ابتداء طلباً لتعديل النفس واستقامتها على ما أريد منها باعتبار ظاهر الجوارح وباطنها حتى استقامت وتعدّلت، وصارت لها العبادة حقاً من حقوقها تطالب به كما أوضحناه قبل.
(**قوله: فوجدت نفسي الخ**) أي بحسب ما جبلت عليه من محبة إظهار محاسنها والثناء عليها بذلك.

(**قوله: فشبهته الخ**) الغرض المبالغة في التنفير عن مثل هذه الأخلاق. (**قوله: إن يغلب على قلب الخ**) أي يعلم أنه كريم، وإن الكريم لا تتخطاه الآمال لأنّ جماله يغني عن اختيار غيره وإحسانه يصرف الوجه إليه دون ما سواه ولا سيما ولا غير إلا به وله فالرجوع إليه أولى في كل حال لمن عقل فقد ورد في بعض الآثار يقول الله تعالى عبدي

ولمدح الناس لها على ذلك فشبهته بالزنار الباطن، وهو العجب بالعمل أو بمدحه، فعملت في قطعه خمس سنين، ثم نظرت في الخلاص من ذلك، فوجدت الطريق فيه أن يغلب على قلبي حال انفراد الحق تعالى بالأفعال وهو أنه لا ضار، ولا نافع ولا معطي ولا مانع إلا هو فشبهت غيره من الخلق بالموتى، فكبرت عليهم أربع تكبيرات، ونفسي منهم، فعاش رحمه الله بذلك الحياة الحقيقية التي أحياه الله بها، وشغله به عمن سواه. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي**) رحمه الله (**يقول: سمعت أبا عباس البغدادي يقول: سمعت جعفراً يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري**) السقطي (**يقول: يا معاشر الشباب جدوا**) أي: اجتهدوا في العبادة (**قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا**) عنها (**كما ضعفت وقصرت**) عنها (**وكان**)

اجعلني مكان همك أكفك كل همّ ما كنت بي فأنت في محل القرب، وما كنت بك فأنت في محل البعد فاختر لنفسك أو كما ورد. (**قوله: فشبهت غيره الخ**) أي بسبب غلبة هذا الحال عليه من أن الخلق محل لتصريف الحق في نفس الأمر وإلا فنسبة النفع للخلق ثابتة بحكم الشرع كما قدمنا. (**قوله: فكبرت الخ**) منه يفهم أنه شرع في مقام الجمع بعد أن تحقق بحق الفرق والله أعلم. (**قوله: ونفسي منهم**) أي لكونها في هذه الحالة متحققة بمقام الوجود به تعالى. (**قوله: يا معاشر الشباب الخ**) أقول وجه حثه على الجد في العبادة تابع لما قيل إنه لما علم الحق أن من ينهض لمعاملته دون تنبيه، ولا تأكيد من العباد قليل وإن أكثر الخلق إنما يطلب الدنيا، ويميل مع الهوى عزم لهم بالإيجاب ليكون حجة للعاقل وحجة على الغافل، فلزمهم ذلك طوق أعناقهم كالسلاسل، قال صاحب الحكم: فساقهم إليها بسلاسل الإيجاب قلت: فقد أشار إلى وجوه ثلاثة عدم الإنفكاك بكل حال وكونها قائدة وسائقة وتوصيلها لعين المراد لا من حيث تعلقت به، فافهم والله أعلم. (**قوله: جدوا في العبادة الخ**) أي وذلك بتكليف النفس وإخراجها عن عادتها فالشرع لا يجيء إلا بخرق العوائد، ومن ثمة ضل أهل الزيغ بسكونهم إليها قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة: ١٠٤] فعلى العبد تعديل أوصافه لروحانيته بعد تعديله لأوصاف حيوانيته، فالنفس باعتبار أوصافها الحيوانية من الشهوة والغضب أمارة بالسوء، فإذا ارتفعت عنها إلى الأوصاف الإنسانية تصير لوّامة فإذا انخلقت بالأخلاق الروحانية صارت مطمئنة قال سيد الخلق ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعاً لما جئت به»[1]. (**قوله: وكان هو في ذلك السن**

---

(١) أخرجه البغوي في (شرح السنة ١/ ٢١٣) والتبريزي في (مشكاة المصابيح ١٦٧) وابن أبي عاصم في (السنة ١/ ١٢) والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٠٨٤) وابن حجر في (فتح الباري ١٣/ ٢٨٩) والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٩).

هو (في ذلك السن) وفي نسخة الوقت (لا يلحقه الشاب في العبادة وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت عبد العزيز التجراني يقول: سمعت الحسن القزاز يقول: بني هذا الأمر) أي: علم التصوّف (على ثلاثة أشياء: أن لا تأكل إلا عند الفاقة ولا تنام) عن فعل الطاعات (إلا عند الغلبة ولا تتكلم إلا عند الضرورة) لعموم خبر «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1] ولخبر «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان ولا بدّ فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»[2] ولقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ [النساء: ١١٤] الآية. وقال مالك

الخ) فيه تنبيه على أنه معان بالمحبة بسابق عناية التوفيق الإلهي.

(قوله: بنى هذا الأمر الخ) أقول لما عظم البلاء بشهوة البطن وفلتات اللسان أشار إلى طريق المداواة من ذلك بما ذكره امتثالاً للأخبار، وليصل إلى درجة الأبرار. (قوله: على ثلاثة أشياء) أي والناس أيضاً ثلاثة رجل نهض لأمر ربه وخدمته لمحض العبودية وحق الخدمة، فهو حر كامل، ورجل نهض لحسن الخدمة أو حسن من نسبت إليه الخدمة فهو مريد طالب أو عارف مستبشر، ورجل نهض لرجاء الثواب، وخوف العقاب، فهو من عوام المؤمنين وكافة أصحاب اليمين.

(قوله: أن لا تأكل إلا عند الفاقة الخ) أي لأن الأكل من حظ النفس الحيواني، وبقلته يقوى الخلق الشهواني، وقوله ولا تنام الخ أي لأن النوم أخو الموت الذي هو من أعظم أسباب الفوت. (قوله: ولا تتكلم إلا عند الضرورة) أي لأن فلتات اللسان أضر من وقع السنان، ولقولهم: من كثر لغطه كثر سقطه ولقولهم: ما ندم من سكت، فاللسان وإن صغر جرمه، فقد عظم جرمه. (قوله: من حسن إسلام المرء الخ) أي والحسن إنما يتحقق كماله بترك المحرّم والمكروه وخلاف الأفضل. (قوله: حسب ابن آدم الخ) أي كافيه ذلك واللقيمات المذكورة مقدّرة في الشرع بثلث البطن كما يشير إليه باقي الخبر والحاصل أن المرغب فيه ما يبقى معه النشاط للعبادة من الطعام، ونهايته إلى ثلث البطن والزيادة عن ذلك خلاف الأفضل أو مكروهة، وذلك لخبر: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرّاً من بطنه»، والحس شاهد عدل بذلك.

(قوله: وقال مالك) أي الإمام وهو ممن ثبت أنه يدوم على محاسبة نفسه حتى قيل إنه مرّ يوماً في بعض طرق المدينة الشريفة فوجد داراً تنشأ فسأل لمن هذه الدار فقيل له:

---

(١) أخرجه الترمذي (زهد ١١) وابن ماجه (فتن ١٢) والموطأ (حسن الخلق ٣) وأحمد بن حنبل (١، ٢٠١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (أطعمة ٥٠).

رضي الله عنه: من عدّ كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه، وفي الخبر: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»، وعمر الإنسان رأس ماله الذي فيه تجارته، فإذا ضيعه فيما لا يعنيه، فقد أتلفه في لا شيء (وسمعته) أيضاً **(يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: سمعت أحمد بن خضرويه يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أولها يغلق)** من أغلق **(باب النعمة ويفتح باب الشدة، والثاني يغلق باب العز ويفتح باب الذل، والثالث يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد، والرابع يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر، والسادس يغلق باب الأمل، ويفتح باب الاستعداد للموت)** ولا تحصل هذه الخصال إلا بالمبالغة في المجاهدة لأنها خلاف المعتاد للناس فإنهم يفزعون من

إنها لفلان فلما أمسى حاسب نفسه على ما صدر منه في ذلك اليوم، فوجد هذا السؤال فرأى أنه مما لا يعنيه فصام عاماً كاملاً كفارة لهذا السؤال والله أعلم. **(قوله: من عد كلامه الخ)** أي فعلى العاقل الإمساك عنه إلاّ في خير ديني. **(قوله: وهل يكب الناس الخ)** أقول لعله في المحرّم منه أو هو من قبيل الزجر. **(قوله: فقد أتلفه في لا شيء)** أي مع عدم التمكن من تدارك الفائت. **(قوله: سمعت إبراهيم الخ)** قد تقدّم هذا فإعادته لأجل المبالغة في الحث على الجد والاجتهاد في العبادة. **(قوله: حتى يجوز ست عقبات الخ)** أقول ومن العجيب القعود عن هذا مع أنه مما يوصل إلى الجنة الدائم نعيمها، وهي أنواع جنة الطاعة، وجنة المجازاة، وجنة المشاهدة وهي أعظمها وذلك لأن جنة الطاعة مستلزمة لجنة المجازاة إذ هي ثوابها، والله لا يخلف وعده والآتي قطعاً كالموجود في الحال ومن جملة نعيمها أنها مجالي المشاهدات لرب الكائنات، والحاصل أن الجنان أربع جنة المعاملة باللذة بعظم المنة، وجنة الفتح بظهور الكرامة وهما في الدنيا، وجنة الجزاء في الدار الآخرة وفيها تكون جنة المشاهدة رزقنا الله الجميع بمنه وكرمه.

(قوله: حتى يجوز الخ) أي وذلك عين الكمال ومع ذلك فالأولى أن يدوم العبد على اتهام النفس عملاً بقوله جل شأنه حكاية عن الصديق: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ [يوسف: ٥٣] الآية لأن حظ النفس في المعصية ظاهر جليّ، وفي الطاعة باطن خفيّ علاجه أصعب وخطره أعظم كما قيل أن في الطاعات من الآفات ما يغنيكم أن تطلبوا المعاصي في غيرها وعلى ذلك حمل قوله جل شأنه ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، ولهذا أشار البوصيري حيث قال:

وإن هما محضاك النصح فاتهم

التعب والفقر والشدة والسهر والذل والاستعداد للموت، ويجمعها كلها الأخير فإنه إنما يحصل بالقيام، وهذه الحكاية قدمها الشيخ أيضاً في باب ذكر مشايخ هذه الطريقة بالسند المذكور، ولكنه ذكر ثم بدل شيخه السلمي شيخه محمد بن الحسين وإن إبراهيم ذكر ذلك لرجل في الطواف (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله**) الأنسب بما تقدم، وبما يأتي أن يقول وسمعته (**يقول: سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول: من كرمت عليه نفسه**) ووافقها فيما تحب من الشهوات، وترك مشقة الطاعات (**هان عليه دينه، وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام**) أي: أو نحوها (**أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب**) له أي: بأن يكتسب لنفسه، نبه بذلك على أن العبد لا يعرض نفسه إلى الطلب من الناس بترك التكسب، وإن كان قليل الصبر على الجوع (**واعلم أن أصل المجاهدة وملاكها**) بفتح الميم وكسرها وهو

(**قوله: ويجمعها كلها الأخير**) أي ولذا قال ﷺ «أكثروا من ذكر هاذم اللذات فإنه ما ذكر في كثير إلا قلله، ولا في قليل إلا كثره»(1). (**قوله: فإنه إنما يحصل الخ**) اعلم أن الله تعالى غني عنك فطاعتك لك وحيث كان كذلك وجب أن لا تقصر فإن ساعدك القدر على ذلك، فالأمر ظاهر، وإلا فلا تيأس من رحمة مولاك لأن ذلك قادح في يقينك كما قال صاحب الحكم من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرجه من وجود غفلته، فقد استعجز القدرة الإلهية قلت، وذلك لأنه حينئذٍ قد استثنى منها شيئاً هو صلاح حاله والله أعلم.

(**قوله: من كرمت عليه نفسه الخ**) أي فالذي ينبغي خلافها فيما تشتهي وتهوى ليتم لها النعيم بالشفاء من أمراضها المردية لها. (**قوله: إذا قال الصوفي الخ**) الغرض الحث على تقوية العزائم على تحمل المشقات في طريق السير إليه تعالى إذ المعونة على قدر المؤونة، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم. (**قوله: واعلم أن أصل المجاهدة الخ**) أقول لا تستصعب ذلك في نفسك بحسب ما استرسلت فيه من حظوظك قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] إذ من جملة اقتداره تبديل أخلاقك الذميمة بغيرها حميدة فإنه قد فعل ذلك بجماعات من الخلق كإبراهيم بن أدهم، وفضل بن عياض وبشر الحافي وعبد الله بن المبارك وأبي بكر الشبلي وذي النون المصري وغيرهم فانظر حكاياتهم، فإنها عون لك فأكثر اللجأ إلى الله تعالى فيما عسر عليك من قياد نفسك موقناً بأنه المالك لصلاح شأنك، وتوفيقك وتسديدك، ولا تيأس من رحمة الله التي وسعت كل شيء والله أعلم. (**قوله: واعلم الخ**) أقول ما ذكره يشبه أن يكون من جوامع الكلم في

---

(١) أخرجه الترمذي (قيامة ٢٦) (زهد ٤) والنسائي (جنائز ٣) وابن ماجه (زهد ٣١) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٩٣).

ما يقوم بها **(فطم النفس)** أي: قطعها **(عن المألوفات، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات)** فإن العبد كلما اندفع عنه الصارف والمانع سهل عليه تحصيل العمل النافع، ولذلك قال المشايخ: الإرادة ترك ما عليه العادة، والنفس تحتاج إلى سائق وقائد في ابتداء أمرها فالرجاء يقودها، والخوف يسوقها فإذا استقام السائق والقائد مشت إلى الخير بسهولة، ومتى أفرط القائد ذللها وأمنها ومتى أفرط السائق قنطها وقتلها. **(وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير: انهماك في الشهوات وامتناع عن الطاعات، فإذا جمحت)** أي: غلبت صاحبها **(عند ركوب الهوى يجب عليه كبحها)** أي: جذبها **(بلجام التقوى وإذا حرنت)** عليه بفتح الراء، وضمها أي: وقفت ولم تنفذ **(عند القيام بالموافقات)** أي: المأمور بها **(يجب عليه سوقها على خلاف الهوى وإذا ثارت)** أي: هاجت **(عند غضبها)** من استنقاص قدرها **(فمن الواجب)** على

طريق الإرشاد إلى سلوك طريق الحق، فتدبره بقلبك وعض عليه بنواجذك. **(قوله: فطم النفس الخ)** أي وتقدم للجنيد التصريح بمثله حيث قال إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها، فلا تغفل عن حكم المتقدمين لتكون من السابقين. **(قوله: الإرادة الخ)** أقول اصطلاحهم نفعنا الله ببركاتهم أنهم يطلقون الإرادة ويريدون منها العبادة فعليك بخلاف العادات تنل كل المرادات. **(قوله: في ابتداء أمرها)** احترز بذلك عن زمن النهاية فإن السائق والقائد فيه إنما هو المحبة والإجلال وذلك لأن الرجاء والخوف من منازل النفس وهما معلولان زمن النهاية في نظر العارف لما يشعر أن به من عدم الاكتفاء بالقسمة لفناء مراداته في مرادات سيده.

(قوله: ومتى أفرط القائد الخ) أي فالأولى التوسط بين درجة الإفراط، والتفريط إذ خير الأمور أوساطها. **(قوله: وللنفس صفتان الخ)** مراده تمهيد طريق سياسة النفس لردها عن معايبها حتى تتخلق بمحاسن الأخلاق فعض عليه بالنواجذ. **(قوله: انهماك في الشهوات)** أي وهو يستدعي أنه كلما أراد العبد النهوض أخلده، وإن نهض بالفعل أمسكه عن السير، وإن سار منعه من الإسراع وإن أسرع ثبطه في الطريق فكلما اجتمع له رغبة فكرة فرقها جنود الشهوة، فلا يصح ارتحاله عن عوالم طبعه إلى بساط الحق ما دام مع شهواته، فلذلك لزم الإنخلاع عنها لمن أراد القرب. **(قوله: وامتناع عن الطاعات)** عطفه على ما قبله من عطف اللازم على الملزوم، وذلك لأن قوة الشهوات من الأسباب القوية في الإبعاد عن الخيرات. **(قوله: لجام التقوى)** هو من إضافة الصفة للموصوف، وما أجمع ما قاله الجنيد في معنى التقوى حين سئل عنها حيث قال أن لا يراك مولاك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، والله أعلم. **(قوله: وإذا ثارت أي هاجت عند غضبها)** أي وإذ ثارت نيران غضبها بمقتضى الطبيعة من استنقاص قدرها أطفأها بالالتفات إلى مصدر

صاحبها **(مراعاة حالها فما من منازلة)** أي: نزول في مرتبة **(أحسن عاقبة من غضب يكسر)** بالبناء للمفعول **(سلطانه)** أي: قوته **(بخلق حسن وتخمد نيرانه)** أي: يسكن لهبها **(برفق وإذا استحلت شراب الرعونة)** أي: الحمق **(فضاقت في نفسها عن كل شيء (إلا عن إظهار مناقبها والتزين لمن ينظر إليها ويلاحظها فمن الواجب)** على صاحبها **(كسر ذلك عليها وإحلالها بعقوبة الذل بما يطهرها من حقارة قدرها وخساسة أصلها وقذارة فعلها)** قال الغزالي: كسر النفس الجموح يحصل بثلاثة أشياء: أحدها منعها الشهوات فإن الدابة الحرون تلين إذا نقص من علفها، ثانيها حملها أثقال العبادات، فإن الدابة إذا زيد في حملها مع نقص علفها تذللت وانقادت، ثالثها الاستعانة بالله، وإلا فلا مخلص، أما تسمع قول يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣]. **(وجهد العوام)** بضم الجيم وفتحها يكون **(في توفية الأعمال)** أي: تمامها وتكثيرها **(وقصد الخواص)** يكون **(إلى تصفية**

الأفعال، وهو الحق سبحانه وتعالى إذ لا فاعل في الحقيقة غيره، وهو لا يفعل عبثاً بل إما لمصلحة التأديب، وإما لحاجة التكميل. **(قوله: فمن الواجب الخ)** قال بعض العارفين: قيل لي في يقظة كالنوم أو في نوم كاليقظة لا تبدين فاقة إلى غيري فأضاعفها عليك مكافأة بسوء أدبك وخروجك عن حد عبوديتك إنما ابتليتك بالفاقة لتفزع منها إليّ، وتتضرع بها لديّ، وتتوكل فيها عليّ، سبكتك بالفاقة لتصير ذهباً خالصاً فلا تزيفن نفسك بعد السبك وسمتك بالفاقة، وحكمت لنفسي بالغنى فإن وصلتها بي وصلتك بالغنى، وإن وصلتها بغيري قطعت عنك مواد معرفتي وحسمت أسبابك من أسبابي طرداً لك عن بابي، فمن وكلته إليه هلك.

(قوله: بما يذكرها الخ) وأقوى طرق التذكير التدبر في ابتدائها، والتفكر في انتهائها، وغاية ضعفها فيما بين ذلك. **(قوله: بثلاثة أشياء)** أي مع القيام على النفس بها تدريجاً على حسب ما تقتضيه السياسة لأجل عدم نفرتها بسبب الهجوم عليها كرة واحدة. **(قوله: أما تسمع قول يوسف)** أي حيث أشار إلى أنه لا طاقة لبشر على ردّ النفس إلاّ بواسطة إعانة الحق له بإحسانه وإفضاله. **(قوله: وجهد العوام الخ)** أي اجتهادهم إنما هو في توفية الأعمال بالإتيان بها وافية كاملة على طريق المتابعة وتكثيرها. **(قوله: وقصد الخواص الخ)** أي ولهذا قال الجنيد: لا تصفو لأحد قدم في العبودية حتى تكون أفعاله كلها رياء، وأحواله كلها دعاوى، وقال النهرجوري من علامة من تولاه مولاه في أحواله أن يلهمه التقصير في إخلاصه والغفلة في أذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المبالاة في فتوره لكون أفعاله عنده غير مرضية ويزداد فقره إلى الله تعالى في سيره حتى يفنى عن كل ما دونه اهـ.

الأحوال) أي: تكميلها **(فإن مقاساة الجوع والسهر)** وإن كان سديداً هو بالنسبة إلى مراعاة الأحوال، والانتقال عن الأخلاق الذميمة، والتخلق بالأخلاق الحميدة **(سهل يسير ومعالجة الأخلاق، والترقي عن سفسافها)** أي: دنيئها **(صعب شديد ومن غوامض آفات النفس ركونها إلى استجلاء المدح)** لها **(فإن من تخسى منه جرعة حمل)** لأجله **(السموات والأرضين)** مثلاً **(على أشفاره)** أي: أطراف أجفانه التي ينبت عليها الهدب لأن العبد يتحمل في وقت الهوى وشدة الرغبة في المقصود ما لا يتحمله في غير ذلك الوقت لا سيما إذا غلب على ظنه أن ذلك المقصود ينقله إلى ما هو أعلى منه **(وإمارة ذلك أنه إذا انقطع عنه ذلك الشرب)** أي: نصيبه من المدح **(مال)** أي: رجع **(حاله إلى الكسل)** أي: التثاقل عن الأعمال **(والفشل)** أي: الضعف عنها **(و)** لهذا **(كان بعض المشايخ يصلي في مسجده في الصف الأوّل سنين كثيرة فعاقه يوماً عن الابتكار إلى المسجد عائق فصلى في الصف الأخير)** فوجد في نفسه انكساراً وتألماً فقام عنده أن سببه أن نفسه كانت فرحة بمدح الناس لها، وملازمتها للصف الأول مرائية بذلك **(فلم ير بعد ذلك مدة فسئل عن السبب فقال: كنت أقضي صلاة كذا وكذا سنة صليتها)** في الصف الأول **(وعندي أني مخلص فيها لله سبحانه وتعالى فداخلني يوم تأخري عن)** البكور إلى **(المسجد من)** أجل **(شهود الناس، إياي في الصف الأخير نوع خجل)** منهم **(فعلمت أن نشاطي طول عمري إنما كان على**

(قوله: ومعالجة الأخلاق الخ) أي ولهذا قال نبي الله شعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب فذكر لإنابة والتوكل للإستسلام كما ذكر إرادة الإصلاح للعبودية وذكر التوفيق للتبري من الحول والقوّة فافهم. **(قوله: ومن غوامض الخ)** الغرض منه الحث على التبري من شهود حسن الأعمال وحب الثناء عليه بذلك. **(قوله: فإن من تحسى الخ)** أي فينبغي الحذر من أن يكون للنفس غرض دنيء في أنواع العبادة كحسن الثناء والشهرة بها، فيلزم إخلاص القصد له تعالى ليحظى العبد بالقبول ويدوم له التوفيق. **(قوله: حمل لأجله السموات والأرضين الخ)** أي تحمل الأثقال العظيمة قياماً بحظ نفسه مع كونه يصير هباء منثوراً على أنه قد يكون السبب في هلاكه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(قوله: ولهذا كان بعض المشايخ الخ) فيه تنبيه على تمام مراعاته لأحواله وصدقه في إخلاصه وزيادة تشويقه لمثل مرغوباته. **(قوله: فعلمت أن نشاطي الخ)** أقول من ذلك يعلم أن ما وقع له إما من التأديب أو التقريب لما ذكروا من أن الظلم مثل الشهوات إذا وردت على قلب الإنسان تارة تكون طرداً وتارة تكون تأديباً، وتارة تكون تقريباً فإذا أثمرت التبري عن الحول والقوة كانت تقريباً. وإذا أثمرت إنكساراً وتذكيراً كانت تأديباً،

رؤيتهم) إياي في الصف الأول **(فقضيت صلاتي، ويحكى عن أبي محمد المرتعش أنه قال: حججت كذا وكذا حجة على التجريد)** أقاسي فيها التعب والجوع **(فبان لي أن جميع ذلك كان مشوباً بحظي، وذلك أن والدتي سألتني يوماً أن أستقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي، فعلمت أن مطاوعة نفسي في)** أعمال **(الحجات كانت لحظ وشوب)** وفي نسخة وشرب **(لنفسي إذ لو كانت نفسي فانية)** عن حظها **(لم يصعب عليها ما هو حق)** أي: واجب عليها **(في الشرع)** ويسهل عليها ما هو نفل فيه **(وكانت امرأة عجوز قد طعنت في السن، فسئلت عن حالها فقالت: كنت في حال الشباب أجد من نفسي نشاطاً)** في العمل **(وأحوالاً)** تزعجني **(أظنها قوة الحال)** الذي يحصل للصوفي **(فلما كبرت زالت)** هذه الأحوال **(عني فعملت أن ذلك)** إنما **(كان قوة)** أي: عمل قوة **(الشباب)** والنفس **(فتوهمتها أحوالاً)** إذ لو كانت عين اليقين والعرفان لداست بدوامها في كل زمان. **(سمعت الشيخ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: ما سمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقالوا إنها كانت منصفة)** من نفسها. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: ما أعز الله عبداً بعز هو أعز له من أن يدله على ذل نفسه، وما أذل الله عبداً**

وإذا أثمرت تعلقا بها كانت طرداً فاعرف ذلك. **(قوله: فعلمت أن مطاوعة نفسي الخ)** أي وذلك لأن النعم إنما يعرف قدرها بفقدانها، ولذا قيل الولد العاق المصر على التأفيف إنما يعرف قدر الأب يوم وفاته، وقيل أيضاً إنما يعرف قدر الماء من ابتلي بالعطش في البادية لا من كان على شاطىء الأنهار والأودية الجارية، فحينئذ درجة الكمال إنما هي في دوام النشاط لما طلب من المكلف واجباً كان أو مندوباً بلا فرق فيما طلب منه، وإلا فيدل ذلك على حظ النفس فيما فيه نشاطها والله أعلم. **(قوله: فعلمت أن ذلك الخ)** أقول فقد أشعر حالها رحمها الله تعالى بأنها كانت لا تشغلها النعم عن شكرها لأن ذلك نقص ينشأ عن عيوب النفس، فقد قال داود عليه السلام، إلهي ابن آدم ما فيه شعرة إلا وفوقها نعمة وتحتها نعمة فمن أين يكافنها، فأوحى الله تعالى إليه يا داود إني أعطي الكثير وأرضى بالقليل، أو اليسير وإن شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمني اهـ.

هذا، واعلم أن من راعى الصدق في حال الشباب حفظه الله في حال قرب المآب. **(قوله: وقالوا إنها كانت منصفة)** أي لاتهامها نفسها في حال الشباب. **(قوله: ما أعز الله عبداً الخ)** أي ويؤيده خبر: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» وذلك لأن النفس من أقوى الحجب بين العبد وربه وحينئذ لا يتم له زوال ذلك الحجاب إلا بمعرفة قدرها ومعرفة ما خلقت له حتى تقوى على خلاف عادتها ومألوفها. **(قوله: وما أذل الله عبداً الخ)** أي لأنه

بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه) وذلها بان يعرفه الله قدرها في أصلها وتقلبها في أطوار خلقها من دم إلى نطفة إلى علقة إلى مضغة، وعجزها عن جلب ما ينفعها، ودفع ما يضرها عنها، وبأن يعرفه أنها مربوبة مكلفة مسؤولة مؤاخذة بكل حركة وسكون من أفعالها فإن حسنت وقامت بما كلفها به ربها سعدت ونجت، وإن أهملت وفرطت عثرت وهلكت فما أعز الله عبداً بعز أعز له من أن يدله على هذه الأمور، فإذا عرف قدر نفسه سلم من عجبها وكبرها وسائر آفاتها، وإن عرف تكليفها وما هي مؤاخذة به اجتهد في العمل للقيام بما عليها، وأخذ ما لها. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: ما هالني)** أي: افزعني **(شيء)** يجوّزه الشرع من جوع وسهر ومخالفة ما اعتيد من كسب الأرزاق التي فيها شبهة **(إلا ركبته، وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت محمد بن الفضل يقول: الراحة هو الخلاص من أمانيّ النفس)** أي:

قد ابتلاه بداء عضال لا تزيده المداواة إلا تمسكناً وذلك لأن الهوى ثابت بمقتضى داعية النفس في مقابلة داعي الحق، وإنما كان داء عضالاً لوجوه أحدها أنه راتب في النفس لازم لها ملازمة الأوصاف لموصوفاتها، فلا تسمح به بعد جهد جهيد، الثاني أنه لا يكون غالباً إلاّ ملتبساً بحظ يخفي كونه مضراً إلا بعد نظر دقيق، الثالث إن الهوى إذا تمكن أثمر علماً على وفقه، فكان في موضع الحجة على صاحبه بفتح باب التأويل والجدل الذي هو مفتاح الضلال قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]. **(قوله: بأن يعرفه الله قدرها في أصلها)** أي ويعرفه أيضاً ما يؤول إليه أمرها من هلاكها بالموت وطول رقدتها في القبر وحيدة ذليلة مأكولة للدود منهشة للحشرات بالية آيلة إلى الثرى لا ينفعها في ذلك كله غير ما قدمته في حياتها من أعمال البر والخير، فلا حول ولا قوة إلا بالله. **(قوله: ما هالني شيء الخ)** أي فقد ارتكب التعاسيف بعدا عن أكاذيب التسويف وطلباً لمعالي الأمور بما قد يقصم الظهور، وهكذا تكون صفة المحبين في السير إلى ديار المحبوبين إذ من طلب الجواهر ترك مألوفات الظواهر، ومن رام الوصول تنزه عن الفضول، ومن تمنى شهود الجمال فني عن طبع الإنسان، وهان عليه بذل الروح، وسهل له طريق البكاء والنوح ودام على قرع الباب عسى أن يكون من الأحباب تدبر تفهم، وربنا بالحال أعلم.

(قوله: الراحة هو الخلاص من أمانيّ النفس) أي لأن النفس بما جبلت عليه لا تتمنى إلا ما يرديها ولا تميل إلا إلى ما يؤذيها، فإذا قدر العبد على التخلص من أمانيها، وأعرض عن كل شيء يطغيها، فقد حاز أنواع الراحات، وتهيأ لرتب ذوي السيادات من أهل العنايات. **(قوله: هو الخلاص من أماني النفس)** أي شغلاً بالواحد الأحد الصمد إذ

شهواتها واختياراتها فكمال الراحة في الدين بلوغ العبد إلى مقام التوكل والرضا، ولا يتم ذلك له إلا بعلمه أن الحق سبحانه أرحم به وأعلم بما يصلحه. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة**) مع النفس (**فسألته ما سقم الطبيعة فقال: أكل الحرام**) لأنه يلازم سقمها (**فقلت**) له (**ما ملازمة العادة فقال: النظر والاستماع بالحرام والغيبة**) وذلك بأن لا يثبت في أموره حتى يعرف ما يجوز له وما لا يجوز، بل يجري على مقتضى عادته لصبوته، (**قلت**) له (**فما فساد الصحبة**) مع النفس (**قال كلما هاج في النفس شهوة تبعتها**) فالصحبة النافعة معها التي بها نجاتها أن يخالف العبد هواها، ويحملها على ما طلبه منها ربها، فحصل من مجموع ذلك أن الفساد دخل من أكل الحرام وقلة التثبت قبل الفعل والتصرف بمقتضى الهوى، وعطف الاستماع على النظر من عطف العام على الخاص عكس عطف الغيبة على الحرام. (**وسمعته**) أيضاً (**يقول سمعت النصر أباذي يقول: سجنك نفسك فـ**)ـأنت محبوس فيها (**إذا خرجت منها**) أي: بإعراضك عن شهواتها،

القلب إيوان الملك بشهادة خبر: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»، يعني من حيث المعرفة والاعتقاد لا من جهة الحلول والاتحاد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (**قوله: من أماني النفس الخ**) أشار بذلك إلى خلق ذميم يدخل به الشيطان على الجم الغفير خاصة وعامة من أبناء الدنيا والدين وهو الغرور، فلا يكاد يسلم منه عالم ولا عامل، ولا زاهد ولا عابد ولا عارف، ولا جاهل. ولقد شرح الغزالي قدس الله سره حكمه، وأوضح أمره في كتابه الأحياء ولولا الإطالة لذكرت لك نبذا منه، وأعلم أن أكثر ما يدخل به الشيطان على أهل الخير الرضا عن النفس، وكيف ومن كانت حقيقته دعاوى لا تكون دعاويه دعاوى ومن كانت محاسنه مساوي لا تكون مساويه مساوي.

(**قوله: وملازمة العادة**) لا يخفى عليك أن عطف هذا وما بعده على ما قبله من عطف العلة أو السبب. (**قوله: كلما هاج الخ**) أقول ولا ينفع من هذا الداء إلا خوف مزعج، أو شوق مقلق فالخوف لانزعاج السر بما عمل من الوزر عنده مشاهدة القهر، والشوق اهتياج القلق لتمكن الخوف، وقد قال أبو العباس، الحضرمي: اعلم أن الموعظة الحقيقية هي جذب الحق لك ولطف الحق بك، وأن يخلق الله في قلبك الخوف الشديد، فتستحضر عظمة الله تعالى، فترجع إليه قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]. (**قوله: سجنك نفسك**) أي وإنما كانت كذلك لأنها باعتبار ما جبلت عليه تحبس عن مقامات المقربين، فإذا وفقك الحق للتخلص من ذلك الحبس بقيامك عليها بشاهد العلم حتى تخالف ميلها المذكورة فقد وصلت إلى أعلى المقامات وسنيّ المشاهدات وبعبارة

وعن العمل بمقتضى أوامرها، وجعل تصرفاتك كلها لأوامر الله خاصة **(وقعت في راحة الأبد)** بقربه تعالى منك، وهذا قريب مما قال أبو يزيد: رأيت الحق سبحانه في المنام، فقلت يا رب كيف أجدك قال فارق نفسك وتعال، وسيأتي هذا في الباب الآتي. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول سمعت محمد الفراء يقول: سمعت أبا الحسن الوراق يقول: كان أجل أحكامنا في مبادي أمرنا في مسجد أبي عثمان الحيري الإيثار بما يفتح علينا)** بأن نعطي ما نحن محتاجون إليه لمن نراه مساوياً لنا أو أحوج منا ونصبر، **(وأن لا نبيت على معلوم)** بل إذا أخذنا قدر حاجتنا وفضل شيء أخرجناه للمحتاج **(و)** أن **(من استقبلنا بمكروه)** وإساءة **(لا ننتقم لأنفسنا)** منه **(بل نعتذر إليه)** بأننا الذين أحوجناه إلى الإساءة علينا حيث لم نبادر إلى حصول مقصوده قبلها **(ونتواضع له)** ونتذلل حتى يزول ما في نفسه منا **(وإذا وقع في قلوبنا حقارة)** وازدراء **(لأحد قمنا بخدمته والإحسان إليه)** والتواضع له **(حتى يزول)** ما في نفسه منا وما في

أخرى أن تقول إنما كانت سجناً لتعلقها بالأكوان وانطباعها فيها إما من حيث الاعتماد عليها والاستناد إليها أو من حيث جمالها واستحسانها الموجب لمحبتها والعبودية لها، أو من حيث الشهوة الموجبة للإستغراق في الغفلة، وكل ذلك من أعظم الحجب المانعة عن درجة المقربين، فهي من هذه الإعتبارات رجس وأيّ رجس، وحبس وأيّ حبس اهـ. واعلم أنها حيث كانت سجناً فكيف يستغيث المسجون بالمسجون قال الشاذلي قدس الله سره: يئست من نفع نفسي بنفسي، فكيف لا أيأس من نفع غيري لها ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي، وسئل عن الكيماء فقال اقطع طمعك من الله أن يعطيك غير ما قسم لك، ومن الخلق أن ينفعوك أو يضروك فتأمله فإنه في غاية النفاسة والله أعلم.

(قوله: إذا خرجت منها الخ) أي وذلك لا يكون إلا بقوّة الإيمان قال بعضهم: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب العبد نعمته ودنياه، وكان مرة مع نفسه ومرة مع ربه، فإذا دخل الإيمان القلب وتمكن من باطنه أبغض العبد دنياه، وهجر هواه، أقول وذلك لأن الإيمان نور وهو لا يبقى معه ظلمة فلا مانع لنفوذ ذلك النور إلاّ الإشتغال بالنقائص والفضول. **(قوله: وقعت في راحة الأبد)** أي حيث انقطعت عن التشوف إلى شيء من الأكوان الدنيوية والأخروية، فلا يكون لك مطلب غير الحق تعالى وشهود جماله وكماله.

(قوله: كيف أجدك) أي كيف الطريق الموصل إلى القرب من شهودك في كل حال ومقام وقوله قال فارق نفسك وتعال معناه أخرج عن سجن حظوظ نفسك ومألوفاتها تصل إلى مطلوبك، وترقى إلى شهود محبوبك، فتحصل أن النفس بما جبلت عليه من أقوى الحجب المانعة لكل كمال. **(قوله: كان أجل أحكامنا الخ)** أقول إذا تأملت تلك الأحكام

نفسنا منه. **(وقال أبو حفص: النفس ظلمة كلها وسراجها سرها)** سيذكر معناه **(ونور سراجها التوفيق، فمن لم يصحبه في سره)** يعني معاملته لربه **(توفيق من ربه كان ظلمة كله)** لأنه يبقى في ظلمة جهله وشهواته، ومن صحبه من ذلك توفيق في علمه وعمله بقي في نور علمه. **(قال الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري)** رحمه الله **(معنى قوله سراجها سرها يريد)** به **(سر العبد الذي بينه وبين الله تعالى، وهو محل إخلاصه)** ومحل معاملته لربه **(وبه)** أي: بما قاله أبو حفص من أن نور سراج النفس إنما هو بتوفيق الله **(مع ما هو معلوم من أن المحدث لأفعال الخير هو)** المحدث لأفعال الشر **(يعرف العبد أن الحادثات)** إنما تحدث **(بالله لا بنفسه ولا)** هي ناشئة **(من نفسه ليكون متبرئاً من حوله وقوته على استدامة أوقاته ثم)** هو **(بالتوفيق يعتصم من شرور نفسه، فإن من لم يدركه التوفيق)** من ربه **(لم ينفعه علمه بنفسه ولا بربه، ولهذا قال الشيوخ من لم يكن له سر)** أي: بينه وبين الله **(فهو مصر)** أي: على المخالفات. **(وقال أبو**

تجدها من الأخلاق المحمدية والسيرة الأحمدية يهدي الله لنوره من يشاء.

(قوله: النفس ظلمة كلها الخ) أقول كيف لا تكون كذلك وهي تنازعه تعالى في أفعاله بإدعائها ما ليس لها من الأخلاق والأحوال والمقامات وسكونها إليها ووقوفها معها إذ النفس، وإن صدقت فيما ادعته من ذلك فقد أعجبت وتكبرت وافتخرت بما ليس لها في الحقيقة إذ لا تضاف الأشياء مصدراً ومورداً إلا للحق تبارك وتعالى وحده، ألا ترى إلى علماء هذه الطريقة تأولوا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١] بدعوى ما ليس للعبد ولهذا قال ﷺ «ألا وقول الزور»[1] وقال: «ولا تكن أسير ما يظهر».

(قوله: النفس ظلمة الخ) أي باعتبار ما جبلت عليه وسراجها سرها فبسبب تنويرها متابعة سيد الكاملين عليه صلاة وسلام رب العالمين نسأل الله التوفيق مع القبول متوسلين في ذلك بحضرة سيدنا الرسول.

(قوله: وسراجها سرها) محصله أن سر التنوير إنما هو في إخلاص المقاصد في العبارة على طريق المتابعة مع التبري من الحول والقوة بشهود أن الله هو الفاعل المختار.

(قوله: يعرف العبد الخ) أقول وله أشار عارف زمانه في تائيته حيث قال:

وأين السها عن أكمه عن مراده ... سها عمها لكن أمانيك غرت

(قوله: من لم يكن له سر الخ) السر لطيفة ربانية أودعها الله قلوب العارفين التي

---

(١) أخرجه ابن كثير في (التفسير ٢/ ٢٤٠) (وبغوي ١/ ٥١٣) والطبري في (التفسير ١٨/ ١٤٠) وابن حجر في (فتح الباري ٥/ ٢٦١، ١٠/ ٤٠٥، ١١/ ٦٦) والهيثمي في (مجمع الزوائد ١/ ١٠٣).

عثمان: **لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن)** وفي نسخة مستحسن **(من نفسه شيئاً وإنما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الأحوال)** لأن العبد متى حسن ظنه بنفسه، ورضي بأفعالها لم يتهمها فلم يفتشها فلم يطلع على عيبها وهذا غرور، ولذلك قيل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فلا بدّ للعبد أن يسيء ظنه بنفسه لما يعرفه من عوائدها الرديئة ورضاها بالأقوال دون الأفعال، ومدح الناس لها ولو بالمحال فعلمه بذلك يوجب له تهمتها وتفتيشها ليتخلص من خدعها وخدع إبليس. **(وقال أبو حفص ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه فإن المعاصي)** الناشئة من عدم معرفة عيب النفس واتهامها **(بريد الكفر)** أي: طريقه. **(وقال أبو سليمان)** داود بن نصر الطائي **(ما استحسنت من نفسي عملاً فاحتسبت)** أي: فاعتددت **(به)** أي: الغالب من الإستحسان الغير الشرعي فساد الأعمال. **(وقال السري)** السقطي **(إياكم وجيران الأغنياء)** يعني مجاورتهم لأن الطبع

هي محل أسراره ومناط إخلاص عبادته، فإذا تخربت قيل لصاحبها أنه مصر. **(قوله: من لم يكن له سر فهو مصر)** أي لأن السر نور والإصرار ظلمة فمتى وجد أحدهما انتفى الآخر، ومتى انتفى أحدهما تحقق الآخر. **(قوله: وقال أبو عثمان الخ)** محصله أنه ينبغي للإنسان أن يدوم على اتهام نفسه ليكون حاملاً له على تفتيشها على ما يخفي من خداعها وتلبيسها. **(قوله: وعين الرضا الخ)** محصل معناه أن العبد متى رضي عن شيء كل لسانه عن عيوب ذلك الشيء لعدم علمه بما شغله من محبته، وإذا أبغض شيئاً فتش وبحث عن عيوبه فنشرها، فالداء العضال في الرضا عن النفس نسأل الله السلامة منه. **(قوله: ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه الخ)** أي ولا سيما الخفي منها لأن العيوب حجاب ظلماتي إذا قوي أعمى البصيرة فربما أوصل صاحبه إلى الكفر بسبب مساهلته في المعاصي واستخفافه بها، ولذا قال بعض الحكماء لا ترجو أن تصح ولك عيب ولا تطمع أن تنجو وعليك ذنب.

(قوله: فإن المعاصي الخ) يريد الإصرار على المعاصي بعدم تجديد توبة منها وعدم تفتيش النفس عما يمكنه من ذميم أخلاقها طريق يوصل إلى الكفر بسبب كثرة ظلمات القلب بالمخالفات ونكت الملك أثر الذنب في القلب الذي إذا عم قلب العبد، ولم تسبق له عناية بما يصقله من ذلك النكت من مقبول الإنابة صار القلب أعمى أصم لا يرى عيوبه، ولا يسمع زواجره فيؤديه ذلك إلى الكفر والعياذ بالله تعالى. **(قوله: وقال أبو سليمان الخ)** محصله أن استحسان الأعمال بدون شاهد العلم مفسد لها. **(قوله: وقال السري الخ)** محصله الحث على التباعد عما يشغل عن الحق مما شأنه أن تتأثر به النفس

يميل إلى أفعال جاره، فإذا جاورهم العبد ورأى ما هم فيه من السعة والتحدث بأمرهم مالت نفسه إلى ما هم فيه فبعده عنهم أولى به ليدوم له قناعته بفقره والرضا بما قسم له ربه، ويتأسى بنبيه ﷺ في تخلقه في الفقر ودعائه الإلٰه به كما قال: «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً لا إقتاراً ولا إسرافاً» وإياكم **(وقراء الأسواق)** لأنهم يهينون كتاب الله تعالى بتلاوته فيها لا سيما إذا جعلوه سبباً لطلب الدنيا كما هو الغالب، وإياكم **(وعلماء الأمراء)** لأن الغالب من حال الأمراء عدم الجريان على القوانين الشرعية، فالعالم إذا لازمهم على ما هم عليه فإما أن يعينهم بالقول والتحسين، وإما أن يقر ما هم عليه من غير كراهة ولا إنكار وكلاهما خطأ. **(وقال ذو النون المصري: إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء الأول ضعف النية)** المطلوبة **(بعمل الآخرة)** لأن العبد إذا ضعفت نيته في العمل قلت رغبته فيه بل ربما

إذ هو من باب من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والمراد بالأغنياء في كلامه من شغلهم غناهم عن طاعة مولاهم أو المراد بهم الأعم من ذلك، ومن الموفق منهم وسبب ذلك التحذير أنه ما دام العبد على بساط الإقبال يرجى له عالي النوال لأنه قد أتى الأمر من بابه، وتوصل إليه بوجود أسبابه، فيرحم الله من قال شعراً:

وما رمت الدخول عليه حتى ... حللت محل ذي العبد الذليل

وأغضيت الجفون على قذاها ... وصنت النفس عن قالٍ وقيل

(قوله: إياكم وقراء الأسواق الخ) أي احذروا من مخالطتهم، فإن أخلاقهم ذميمة فهو من أسباب العطب في الدين وقد بين الشارح وجهه وقوله وعلماء الأمراء الخ أي احذروا مخالطتهم كذلك إذ هم ممن عني ﷺ بعلماء السوء حيث جعلوا ثمرة العلم طلب الفاني من عرض الدنيا وكسب الشهوة من ذلك، وقد قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]. **(قوله: إنما دخل الفساد الخ)** أقول جماعها أي الستة المذكورة حجاب النفس بما جبلت عليه من الشهوات والأخلاق الذميمة، ومحصله أنهم قد حجبوا بأنفسهم عنهم وهم عدم فالعدم حينئذٍ قد حجب بالعدم، ولذلك الإشارة بقول صاحب الحكم العطائية مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود أقول ثم احتجاب العدم بالعدم دليل على ظهور الوجود بالوجود البتة قال معروف الكرخي رحمه الله تعالى طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع حمق وجهل، وفيما ذكره لمن تأمله غاية الموعظة والحاصل أن جماع المفاسد الدنيئة الثاني في كلامه وإنما صرح بالباقي اهتماماً بها لتحذر أيضاً والله أعلم.

نفر عنه، **(والثاني)** إن **(صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم)** هذا ثمرة الأول لأن العبد إنما ينتقل عن شهواته بقوة نيته وعزمه في طاعته، فإذا فاته ذلك صار بدنه رهيناً لشهواته، فصارت حركاته وسكناته في مصلحة نفسه وهواها، **(والثالث)** إن **(غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل)** لأنهم إذا أجلوا للطاعة أجلاً خيبروا أنفسهم في الحال، وقد يقطعهم الموت قبل بلوغ الأجل وإن داموا إليه تأكد تعلق قلوبهم بالشهوات، وعسرت عليها الطاعات، **(والرابع)** إن **(آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق)** لأن ذلك ناشيء من قلة الدين وضعف الإيمان بأنه لا ضار ولا نافع ولا معطى، ولا مانع إلا الله، **(والخامس)** إن **(اتبعوا أهواءهم ونبذوا)** أي: ألقوا **(سنة نبيهم ﷺ وراء ظهورهم)** لأن ذلك من سوء الاعتقاد، وقبح الأعمال، **(والسادس)** إن **(جعلوا قليل زلات السلف)** رضي الله عنهم **(حجة لأنفسهم ودفنوا كثير مناقبهم)** هذا ثمرة الخامس وهو اتباع الهوى، واعتقاد أنه على الحق فيما فعل أو نوى فإذا عورض من اتصف بذلك فيما هو فيه قال قد فعل ذلك من هو أفضل مني ويتمسك بقضيته في ظنه أنها زلة وليست كذلك، ويترك كثير مناقبهم وجميل فضائلهم، فلا يقتدي بها لكونه بعيداً عما هم فيه من الخيرات والجد في الطاعات.

(قوله: هذا ثمرة الأول الخ) أي لأن النية إذا ضعفت صارت الأبدان رهينة للشهوات كما صرح به الشارح وإذا قويت ضعفت الشهوات، بل قد تنعدم بإعانته تعالى فينتقل العبد من حضيض الطبيعة إلى سماء الهمة والرفعة. **(قوله: إن غلبهم طول الأمل)** أي المشار إليه بما اشتهر من طال أمله ساء عمله ومفهومه أن من قصر أمله حسن عمله. **(قوله: والرابع إن آثروا الخ)** أي وسببه غلبة الباطل وظلمات الجهالات التي أعمت القلوب وأكثرت الغفلات وأثمرت ضعف اليقين، والبعد عن عز التمكين. **(قوله: والخامس إن اتبعوا أهواءهم الخ)** ربما يغني عنه الأول نعم قد يقال إنه من ذكر العام بعد الخاص.

(قوله: والسادس إن جعلوا قليل زلات الخ) أي وذلك بواسطة ظلمة بصائرهم عن تصريف الحق في خواص الخلق حيث أنه قد يؤدبهم بملابسة بعض هفواتهم ليدوموا على الانكسار بشهود الفاعل المختار، فيزعم الغبي من الناس أن يكون له بمثل هذا استئناس بسبب غفلته عما لهم من غلبة الخيرات، ودوامهم على جد المجاهدات مع أن الاعتبار بغالب الأحوال لا بما ندر من أحكام الأفعال. **(قوله: ويتمسك بقضيته في ظنه أنها زلة)** أي مع أنه قد يكون فيها مخرج وعلى فرض عدمه، فقد تكون سبباً لمعالي الأخلاق بما يترتب عليها من الانكسار القلبي وشهود التقصير.

باب الخلوة والعزلة

وهي قبل الخلوة كما يعلم مما سيأتي وهما مطلوبتان. **(أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا عبد العزيز بن معاوية قال: حدثنا القعنبي قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه**

باب الخلوة والعزلة

أقول والناس في ذلك على ثلاثة أقسام: منفرد بقلبه لا بشخصه، وهو كائن بائن راحل قاطن، فحاله حال الأقوياء وأهل الكمال، ومنفرد بشخصه دون قلبه، وهذا سالم إن توفرت شروطه متعرض لنفحات الرحمة وإنْ كان لا عبرة به في الحال ومنفرد بهما معاً وهو المستخلي، وأنواعه ثلاثة معتزل ليسلم، ومعتزل ليغنم ومعتزل لينعم، فشرط الأوّل القيام بواجبات وقته وسلامة الناس من سوء ظنه، وشرط الثاني التحفظ في السنة مع الجد في العمل، وشرط الثالث تحرير الأحوال والتبري من المقال، والله أعلم.

(حكاية فيها موعظة) قيل إن بعضهم أراد أن ينزل عن عزلته ومجاهدته إلى قتال الكفار فاتهم نفسه خوفاً من أن يكون لها فيه حظ، فلجأ إلى الله تعالى فألهمه أن مرادها أن تقتل في الجهاد فيشهر لها صيت الشهادة، فاختارت ذلك القتل على قتلها بالمجاهدة المعنوية لأن ذلك قتلة واحدة وهو يقتلها كل يوم كذا كذا مرة، والموت الإضطراري شدته ساعة، وهذا الإختياري دائم لا ينقضي. **(قوله: والعزلة)** أقول وهي متأكدة للمريدين لضعف قواهم عن الصبر على محنة الخلطة مع غيرهم وفي العزلة انقطاع عن الخلق اشتغالاً بالحق وبعد عن أبناء الجنس ممن تكون أخلاقهم كالرجس، والذي يظهر من عطف العزلة على الخلوة مغايرتهما، وهو كذلك لأن الخلوة في اصطلاحهم الاعتكاف في مكان مخصوص لينقطع فيه لعبادة بإشارة مرشد ناصح يلقنه الذكر الذي يناسبه، ثم ينقله لغيره بحسب ما يراه من استعداده حتى يبلغه إلى درجة كماله مع رياضة أو بدونها على حسب ما يعلمه من حاله بعين بصيرته، والعزلة هي الاعتزال عن الناس والبعد عنهم بشخصه طلباً للسلامة أو الغنيمة أو التنعم بملاذ الذكر والعبادة.

(قوله: وهما مطلوبتان) أي مطلوبتان وجوباً إن تعينتا لدفع الإثم والفسوق وإلا

عن بعجة بن عبد الله بن بدر الجهني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ: «إنّ من خير معايش الناس كلهم رجلاً آخذاً بعنان فرسه في سبيل الله أن سمع فزعة أو هيعة كان على متن فرسه»**[1] أي: ظهرها **(يبتغي الموت أو القتل في مظانه أو رجلاً في غنيمة له في رأس شعفة من هذه الشعاف أو في بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين)** أي: الموت **(ليس)** هو **(من الناس إلا في خير)** هذا الخبر روي بألفاظ مختلفة وكلها متفقة على أنّ البعد عن الناس للتفرغ للعبادة أفضل من الاختلاط بهم على ما يأتي بيانه، والشعفة بفتح العين رأس الجبل وجمعها شعف وشعوف وشعاف وشعفات ذكره الجوهري. **(الخلوة صفة أهل الصفوة والعزلة من إمارات الوصلة)** إلى الله تعالى ومحل طلبها من العبد إذا

فندباً. **(قوله: رجلاً آخذ الخ)** أي معيشة رجل الخ ومثله يقدر فيما بعده. **(قوله: يبتغي الموت أو القتل)** لعل المراد أنه يبتغي الموت شهيداً، أو قتل غيره بحكم الشرع. **(قوله: أو رجلاً في غنيمة له)** أقول ذلك هو محل الاستدلال. **(قوله: ليس هو من الناس إلا في خير)** أي ليس هو في هذه الحالة دون غيره من الناس في حالة من الأحوال إلا في خير لانفراده عن كل شاغل يشغله عن عبادة ربه، وسلامة الناس منه وسلامته منهم. **(قوله: على ما يأتي بيانه)** أي من علمه ما يلزمه مما يصحح أعماله واستغنائه عن الناس. **(قوله: الخلوة صفة الخ)** أقول حكي عن بعض شيوخ الشيخ عبد الرحمن الصقلي أنه قال: كنت أخلو لأسلم فصرت أخلو لاغنم، فصرت أخلو لأفهم، فصرت أخلو لأعلم، فصرت أخلو لأتنعم، فانظر رحمنا الله وإياك إلى هذه المقامات الجليلة التي انتقل منها وإليها واحدة بعد واحدة، فأوّلها طلب سلامة الناس منه، فحصل في القسم الذي شهد له صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه بالإسلام حيث يقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، ثم ترقى من هذا المقام السني إلى ما هو أسنى منه، وهو حصول الغنيمة فهو في أعمال الآخرة ينتهبها إذ أن الخلوة فيها إعانة على افتراس ذلك، والنهوض إليه لعدم العوائق، ثم بعد حصول هذا المقام الشريف ترقى إلى ما هو أشرف منه وهو الفهم عن الله تعالى في آياته وأحكامه، وفي تدبيره لخلقه وإحسانه إلى أوليائه، ثم انتقل بعد هذا المقام الأسنى إلى ما هو أسنى منه وهو العلم لأنه نتيجة الفهم لأنه إذا فهم علم وهذا عام في العلم بالله وبأحكامه إذ لا يوجد جاهل بأحكام الله عالم بالله والعلم بالله ليس له حد ينتهى إليه بخلاف العلم بأحكامه، فإن له نهاية كما هو معلوم، فلما حصل هذه الرتبة السنية انتقل إلى ما هو أسنى منها وهو التنعم في خلوته والتلذذ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (فتن ١٣) ومسلم (إمارة ١٢٥).

استغنى عن الناس واستغنوا عنه وإلا فمتى دعاه الشرع إلى الخلطة بهم إما في التعلم منهم أو التعليم لهم، فلا خير في البعد عنهم، وبهذا يجمع بين الأدلة الدالة على طلب العزلة والأدلة الدالة على طلب الخلطة، **(ولا بدّ للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه)** أي: من الناس ليبعد عما طبعوا عليه من الأخلاق الرديئة، والأعمال الذميمة **(ثم في نهايته)** أي: ثم لا بد له في نهاية حاله **(من الخلوة لتحققه بأنسه)** تعالى لأنها تجمع همته على مقصوده وانفراده بمحبوبه لتكمل مناجاته، ويترقى في درجات قربه وحقيقة الخلوة الانقطاع من الخلق إلى الحق لأنه سفر من النفس

بالطاعة التي يحاولها إذا نه عبد قد خلعت عليه خلع القرب التي لا يستحقها ولا بعضها إلا بفضل ربه وكرمه، وامتنانه إذ لا فرق بينه وبين غيره من إخوانه المسلمين فكونه خلع عليه دونهم هذا فضل عميم لا يقدر أن يقوم بشكر بعضه اللهمّ لا تحرمنا ذلك فانك وليه، والقادر عليه بمحمد وآله ﷺ، فإذا حصل في هذا المقام السني جاءته الألطاف تترى حيث تشبه بالملائكة الكرام الذين لا يأكلون ولا يشربون وبذكرهم يتنعمون، فإن الذكر بالنسبة لهم كالنفس لنا، ومن كانت هذه حاله تكون العبادة له كالغداء، ولذا نقل عن بعضهم أن له أكلة في الشهر، وبعضهم في ثلاثة أشهر وبعضهم في ستة وبعضهم لا هذا ولا هذا يختص برحمته من يشاء والله أعلم.

(قوله: الخلوة صفة أهل الصفوة الخ) أي صفاء القلوب والسرائر من كدورات العادات، وقوله: والعزلة من امارات الوصلة: أي الوصول إلى الحق أي الوصول لمظاهر أسمائه وصفاته أما ذاته تعالى باعتبار الكنه، فهي من غيب الغيب الذي لا يعلمه غيره تعالى، فمن طمع في الشهود لها أو عوجل على شيء في الوصول إليها فهو أحمق وأعمى البصيرة، وهذا خبر سيد الواصلين: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله»، فقد أرشد إلى النظر في النعم لأنها من جنس الناظر إذ هي حادثة، فلا يدرك الإنسان شيئاً إلا إذا كان بوصفه، ولا يفهم ولا يسمع ولا ينظر إلا بوصفه فحينئذٍ قد انسدّ عليه باب الإدراك للذات العلية. **(قوله: ومحل طلبها من العبد الخ)** حاصله أن الخلوة والعزلة لا يطلب كل منهما إلا بالنسبة لمن لم يحتج إلى غيره ولم يحتج إليه غيره في التعلم والتعليم وإلا فلا يطلبان، وعلى هذا التفصيل يحمل الخلاف في طلبهما وعدمه وفيه أن هذا سيأتي للمؤلف التنبيه عليه. **(قوله: ولا بدّ للمريد الخ)** أي بعد استغنائه عن غيره واستغناء غيره عنه على ما تقدّم ليقوى على السفر عن نفسه وعن قلبه.

(قوله: ثم في نهايته الخ) أقول لعله باعتبار المريدين أما باعتبار نهاية الوصول، فلا فرق فيه بين الخلطة والعزلة لفناء الواصل عن شهود ما سواه تعالى. **(قوله: الانقطاع الخ)** أي الانقطاع بالقلب، وهو قد يجامع الاختلاط وذلك بالنسبة لمن قوي يقينه، وانعدمت

إلى القلب، ومن القلب إلى الروح، ومن الروح إلى السر ومن السر إلى واهب الكل. **(ومن حق العبد إذا آثر العزلة)** على الخلطة **(أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره، ولا يقصد سلامته من شر الخلق، فإن الأول من)** هذين **(القسمين نتيجة استصغار نفسه)** ومعرفته بآفاتها وسوء أخلاقها **(والثاني)** منهما **(شهود مزيته)** أي: فضيلته **(على الخلق، ومن استصغر نفسه فهو متواضع، ومن رأى لنفسه مزية على أحد)** بأن تعاظم بها واستصغر غيره **(فهو متكبر)** قال ﷺ: «الكبر بطر الحق وغمه الناس»[1] أي: رد الحق واستصغار الناس **(و)** قد **(رؤي بعض الرهبان فقيل له إنك راهب فقال لا بل)** أنا **(حارس كلب)** وهو نفسي **(إن نفسي كلب)** أي: ككلب **(يعقر الخلق أخرجتها من بينهم ليسلموا منها)** فيه استصغار نفسه ورؤية نقصها، **(ومرّ إنسان)** أي: رجل **(ببعض الصالحين)** أي: بشيخ منهم **(فجمع)** ذلك الشيخ **(ثيابه منه فقال له الرجل لم تجمع عني ثيابك ليست ثيابي نجسة فقال له الشيخ وهمت في**

مشغلاته. **(قوله: لأنه سفر من النفس الخ)** أي ولما كان المعتبر في السير إلى الحق تعالى مفارقة ميل النفس بالطبع وعدم الوقوف مع واردات القلب، وعدم القنع بمشاهدة ما في السر حيث المقصود من له الأمر لزم لمن توجه قصده لذلك هذا السفر على حسب ما قدمنا.

(قوله: من حق العبد الخ) فيه تنبيه على تحسين الخلق بالدوام على أسباب هضم النفس ليتهيأ إلى بلوغ الكمالات المعنوية. **(قوله: وغمط الناس)** هو بالطاء المهملة، ويقال بالصاد أيضاً. **(قوله: وقد رؤي بعض الرهبان الخ)** فيه تأييد لما قدّمه من قوله، ومن حق العبد إذا آثر العزلة الخ. **(قوله: فقال لا الخ)** فيه تنبيه على أنه مراقب لنفسه عارف بمضارها ومكايدها. **(قوله: وهمت في ظنك الخ)** أي وذلك مما لا ينبغي إذ الحمل على أحسن الحالات بعداً عن سوء الظن بالخلق هو الأولى بالكاملين. **(قوله: وثياب الإنسان الخ)** أي فيحمل على أن هذا الشيخ تباعد عن ذلك الإنسان خوفاً عليه من ملابسة بعض الأخلاق الذميمة له بواسطة الاختلاط به فعبر عن ذلك بجمع الثياب.

(قوله: ومن آداب العزلة الخ) الغرض بذلك تقييد ما تقدّم من طلب الخلوة والعزلة وإن محله في عبد استغنى عن غيره في التعلم وتقدّم أيضاً أنه لا بدّ من استغناء الغير عنه تعلماً وتعليماً، فهي لا تنفع إلا من تابع هديه ﷺ بتعلم العلوم المحتاج إليها في أعماله زمن عزلته واستغنى عنه غيره كذلك. **(قوله: ثم بعد تحصيله ذلك الخ)** أي فأوّل واجب على المكلف معرفة الحق سبحانه بما يجب في حقه وما يجوز، وما يستحيل وذلك ظاهر

---

(١) أخرجه أبو داود (لباس ٢٦) والترمذي (بر ٦٠) وأحمد بن حنبل (١، ٣٨٥، ٤٢٧).

ظنك) أني أعتقد أن ثيابك نجسة بل **(ثيابي هي النجسة جمعتها عنك لئلا تنجس ثيابك بها لا لكي لا تنجس ثيابي)** بثيابك ومعلوم أن ثياب كل منهما لم تكن نجسة، ولكن الشيخ أدّب هذا الرجل على سوء ظنه بالناس المفهوم من كلامه السابق لأنه لا يدري لم جمع الشيخ ثيابه، ولعله جمعها لمقصود آخر لا لنجاستها، وثياب الإنسان قد تطلق على حالته التي هو فيها من سوء خلقه، وكثرة وقوعه في الغيبة، والكذب والكلام فيما لا يعنيه ونحوها، فكأنه قال: نفسي هي الحقيرة التي لا تصلح أن تخالط الناس، وهذا هو اللائق بما قصده من أن العبد يقصد بعزلته عن الناس سلامتهم من شره لا سلامته من شرهم. **(ومن آداب العزلة أن يحصل)** العبد قبل اعتزاله **(من العلوم ما يصحح به عقد توحيده لكيلا يستهويه الشيطان)** أي: يطلب منه عند انفراده به أن يتبع هواه **(بوساوسه)** في إيمانه وسائر طاعته، **(ثم)** بعد تحصيله ذلك **(يحصل من علوم الشرع ما يؤدي به فرضه)** ونفله **(ليكون بناء أمره على أساس محكم)** أي: متقن فمن اختل اعتقاده أو علمه بالأحكام وقع فيما لا ينبغي **(والعزلة في الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة)** والاتصاف بالحميدة، وإن اختلط صاحبها بالناس، فمتى كان العبد بهذه الصفة كان في عزلة وإن كان بين الناس، لأن ما يحصل بها حاصل مع ذلك لأنه حينئذٍ لا يضر الناس، ولا يتضرّر بهم لعفوه عما

إذ لا تثبت النبوّات إلا بعد تحقق الإلهيات بالبراهين ثم بعد ذلك يلزمه أن يحصل من علم الفروع ما يصحح به أعماله فرضاً كانت أو نفلاً. **(قوله: والعزلة في الحقيقة الخ)** أفاد بذلك أن العزلة قد تكون بالأبدان والقلوب، أو بالأبدان دون القلوب، أو بالقلوب دون الأبدان، وإنَّ النافع منها ما كان بالقلوب سواء مع الأبدان وهو أتم أو لا والغرض له الحث على ما به الانتفاع في نفس الأمر، وإلا فللعزلة بالبدن سر ظاهر ولاسيما في أوّل الأمر وفي زماننا هذا.

(قوله: اعتزال الخصال الذميمة الخ) قال أبو العباس المرسي رحمه الله ونفعنا به: أوقات العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية، ولله عليه في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منه بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة، فسبيله شهود المنة من الله تعالى عليه أن هداه لها ووفقه للقيام بها، ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر، وهو فرح القلب بالله، ومن كان وقته المعصية فسبيله التوبة والاستغفار، ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا والصبر إلى آخر ما قال. هذا، وقال رسول الله ﷺ: «من أعطي فشكر وابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر قالوا: ما ذاك يا رسول الله قال: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» فتدبر. **(قوله: فمتى كان العبد بهذه الصفة الخ)** أي فالمدار على انتفاء الأخلاق الذميمة والاتصاف بدلها بالحميدة والعزلة إنما قصدت

يبدو منهم لعلمه ببراءتهم منه وببراءته من الاتصاف بالخير إلا بعون الله تعالى **(فالتأثير)** أي: فتأثير العزلة إنما هو **(لتبديل الصفات لا للتنائي)** أي: التباعد **(عن الأوطان ولهذا قيل من العارف)** بالله **(قالوا: كائن بائن يعني كائن مع الخلق)** بالظاهر **(بائن عنهم بالسر)** أي فيما بينه وبين الله، ومنهم من يعبر عنه بقوله: كائن بجسمه مع الخلق بائن عنهم بشغله مع الحق من الإخلاص والتعظيم والإجلال والتفكر ونحوها **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: ألبس مع الناس ما يلبسون وأتناول)** أي: وآكل معهم **(مما)** وفي نسخة ما **(يأكلون وأنفرد عنهم بالسر)** أي: فيما بينك وبين الله **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: جاءني إنسان، وقال جئتك من مسافة بعيدة)** يعني أنا محب فيك، وفي قربك والتخلق بأخلاقك وزيارتك **(فقلت: ليس هذا الحديث)** أي: علم الصوفية أي: حصوله **(من حيث قطع المسافات ومقاساة الأسفار)** بل من حيث تغيير الأخلاق الذميمة بالحميدة وهي مراده بقوله **(فارق نفسك، ولو بخطوة فقد حصل مقصودك)** من مخالفة الهوى والجري على سمعة التقوى. **(ويحكى عن أبي يزيد)** البسطامي **(قال: رأيت ربي عز وجل في المنام فقلت)** له **(كيف أجدك)** أي: كيف الطريق إلى القرب منك **(فقال)** له **(فارق نفسك وتعال)** أي: إذا خالفت هواك وعملت بما أمرتك به، فقد وجدتني وقربت مني، وما يرى في المنام مثال لا

لذلك، فإذا تم هذا للعبد فلا يضره حينئذٍ الاختلاط بالغير لما أوضحه الشارح. **(قوله: فالتأثير الخ)** أي فحيث أن الاعتزال بالبدن وسيلة إلى تبديل الصفات فلا حاجة إذا إلى التنائي عن الأوطان، ومع ذلك فلا يخفى أنّ الوسائل لها حكم المقاصد وسرها في الابتداء ظاهر، وحاصل كلامه أنّ الغرض من العزلة تبديل الصفات فإذا تحقق ذلك فالأمر ظاهر وإلاّ فلا ثمرة لمجرّد التنائي عن الأوطان.

(قوله: ولهذا الخ) أي لكون القصد إنما هو تبديل الأخلاق الذميمة بالحميدة قيل الخ، وفيه أن ذلك بالنسبة للعارف لا للمريد أما بالنسبة للمريد، فالعزلة بالبدن أشد له تأثيراً لضعف حاله في ابتداء أمره. **(قوله: ومنهم من يعبر عنه الخ)** إن لم يكن عين ما قبله في المعنى فهو قريب منه، ثم أقول يشير إلى هذا قوله جل جلاله: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. **(قوله: ألبس مع الناس الخ)** الغرض منه الحث على ستر السر بموافقة الناس فيما لا يضر.

(قوله: جاءني إنسان الخ) فيه إشارة إلى أن العمل ولو شق في الظاهر لا يفيد مع عدم طهارة السرائر. **(قوله: فارق نفسك الخ)** أي فارق ما تميل إليه نفسك بمقتضى ما جبلت عليه، وقوله: ولو بخطوة يشير به إلى أنّ ما به النفع هو السفر عن المألوفات ولو لم يقطع العبد شيئاً من المفازات. **(قوله: فقد وجدتني)** أي حيث اهتديت إلى الطريق

عين الممثل به لأن الشخص الواحد يراه عدد كثير في أماكن مختلفة في وقت واحد ويراه واحد شيخاً وآخر شاباً وآخر كهلاً، وحقيقة الرؤيا الصالحة أن يخلق الله في قلب النائم، وفي حواسه الأشياء كما يخلقها في اليقظان، وسيأتي بيانه في باب رؤيا القوم. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خالياً من جميع الأذكار إلا ذكر ربه**)، وخالياً من جميع الإرادات إلا إرادة (**رضا ربه وخالياً من مطالبة النفس من جميع الأسباب**) لأن الشيء العزيز لا ينال العبد بعضه حتى يعطيه كله ولا أعز من قرب الله تعالى وحفظه (**فإن لم يكن بهذه الصفة، فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية**) فإنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وقد صح في الخبر: «يأتي الشيطان أحدكم ويقول: من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول له: من خلق ربك فإذا وجد ذلك، فليستعذ بالله ولينته»، فعلى العبد أن يديم ذكره لربه، ويعرض عن الأسباب المشوشة عليه ويجتهد في تحصيل رضاه عنه حتى يحفظه عن عدوّه ويكفيه شره. (**وقيل: الإنفراد في الخلوة أجمع لدواعي السلوة**) أي: دواعي تطييب النفس يقال: سقيتني سلوة وسلواناً أي: طيبت نفسي عنك قاله الجوهري (**وقال يحيى بن معاذ:**

الموصل لقربك من رحمتي. (**قوله: وما يرى في المنام الخ**) محصل ذلك أنّ الرؤيا من شهود المنال لا من قبيل ما تتخيله الأوهام، وقد قرب ذلك بحال الخلق في الرؤيا ليعلم ما يتعلق بالحق تعالى منها. (**قوله: من اختار الخلوة**) أي من اختارها بعد توفر شروطها له وصحة منازلتها في حقه ينبغي له فيها أن يكون خالياً من جميع الأذكار المشغلة له عن ذكر ربه ليتفرّغ سره لمقصوده من ذكر ربه وعبادته، وإلاّ كانت خلوته محنة وبلية. (**قوله: وخالياً من مطالبة النفس الخ**) أي وينبغي له أن ينقطع عن الأسباب المعطلة له عما هو بصدده.

(**قوله: وإنْ لم يكن بهذه الصفة**) أي التي هي خلو عن كل ذكر إلا ذكر ربه وعن كل سبب إلا اكتفاءه به تعالى. (**قوله: توقعه الخ**) أي لأنه إذا كان منفرداً في الخلوة، ولم يشغله ذكر الحق تعالى كان للشيطان عليه سبيل وأيّ سبيل. (**قوله: في فتنة أو بلية**) أي افتتان وابتلاء بما يورده الشيطان على قلبه مما لا يجوز في حقه سبحانه وتعالى. (**قوله: فليستعذ بالله**) أي لأننا نهينا عن التفكير في ذات الله تعالى وأمرنا به في آلائه. (**قوله: اجمع لدواعي السلوة**) أي وذلك لما يحصل في الخلوة من الإنس بالله تعالى بواسطة لذة ما يناله فيها من المحاضرات والمشاهدات التي توجب له الوحشة من الخلق والنفرة منهم. (**قوله: وقال يحيى الخ**) محصله أنّ الخلوة في الحقيقة ليست بدنية فقط بل هي إنما تتحقق بفراغ القلب عن كل ما سواه تعالى استغراقاً في مقامات الصدق، وهذا يظهر

انظر) إذا حصل لك أنس هل **(انسك)** كان **(بالخلوة أو أنسك)** كان **(معه)** تعالى بدوام مناجاته وما يجريه عليك من عطائه، وأنواع كراماته **(في الخلوة فإن كان أنسك)** كائناً **(بالخلوة ذهب أنسك)** وتألمت **(إذا خرجت منها)** واختلطت بالناس **(وإن كان أنسك)** كائناً **(به)** تعالى **(في الخلوة)** لكمال معرفتك به، ودوام مناجاتك له **(استوت بك الأماكن في الصحاري والبراري)** وغيرهما فأنت في خلوتك بربك، وإن اختلطت بالناس ولذلك قال الصوفي كائن بائن كما مرّ، وعطف البراري على الصحاري للتأكيد كعطف الرحمة على الصلوات في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة: ١٥٧] وحسنه تغاير اللفظ. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: جاء رجل إلى زيارة أبي بكر الورّاق فلما)** أن زاره ثم **(أراد أن يرجع قال له: أوصني فقال: وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة)** عن الناس **(و)** في **(القلة)** من الطعام والمنام والكلام **(وشرهما في الكثرة)** من ذلك **(و)** في **(الاختلاط)** بالناس إذا استغنى العبد عنهم واستغنوا عنه كما مرّ وتقدّم خبر: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» والذي لا يعنيه ما لا تدعو إليه حاجة، وهي إما دينية، أو دنيوية، فالدينية ما لا يعتان به على العلم والعمل، والدنيوية ما يستقيم به البدن والعقل. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت**

عند الامتحان للنفس، فيعلم بذلك أنه ممن يكرم أو يهان، وفيه تنبيه على علوّ الهمة باخلاص المقاصد له تعالى، وهو إنما يتم بفناء النفس عن شهود أعمالها تحققاً بمن أولاها وتفضل بها. **(قوله: فقال وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة عن الناس)** أقول ولا تغفل عن معناها لمن قصدها وعناها من كون القصد فراغ السرائر لمراقبات ما يرد على الضمائر من إشارات تلك المظاهر.

(قوله: وفي القلة من الطعام والمنام والكلام) أي لأن ثمرة قلة الطعام تنوير القلب وخفة الجسم في العبادة، وثمرة قلة المنام عدم فوات شيء من أسباب الخيرات، وثمرة قلة الكلام السلامة من آفاته. **(قوله: وشرهما في الكثرة من ذلك)** أي لأن كثرة الطعام تثقل البدن، وتظلم القلب وتقسيه وتوجب كثرة النوم الذي هو مثل الموت في كونه من أعظم أسباب الفوت، وكثرة الكلام تسقط الاحترام وقد توقع في كبير الآثام. **(قوله: والذي لا يعنيه الخ)** أي لأنّ السبب في الكمال قصر الهمة في السير إلى الحق على طريق المتابعة ودوام الجد والاجتهاد بشهادة علم الظاهر والاقتصار من أمور الدنيا على ما يقوم به البدن والعقل مما يسد الرمق. **(قوله: ما لا يعتان به على العلم والعمل)** أي ما لا يستعين به على تصحيحهما وتحققهما له، وقوله: والدنيوية ما يستقيم به البدن والعقل أي لا ما زاد عن ذلك لكونه من المعطل عن بلوغ الآمال، هذا، والأولى أن يقول وما يزيد

منصور بن عبد الله يقول: سمعت الجريري يقول: وقد سئل عن العزلة) الحقيقية (فقال: هي الدخول) أي: أن تدخل (بين الزحام) الحاصل بخلطة الناس أي: بينهم (وتحفظ سرك أن لا يزاحموك) أي: يشغلوك عنه (وتعزل نفسك عن الآثام) بالمثلثة أو بالنون (ويكون سرك مربوطاً بالحق) تعالى، ما قالوه مأخوذ من قولهم الصوفي كائن بائن وتقدّم بيانه. (وقيل: من آثر العزلة) عن الناس على الخلطة بهم (حصل العز له) من الله تعالى في كلامه الجناس المحرف (وقال سهل: لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال) الذي لا يحصل للعبد إلا بعد تحصيل ما يحتاج إليه من العلم والعمل، ومنه العلم بالحلال والحرام، وأخذ القدر الذي يكفيه من الحلال وصرف الفاضل لمستحقه (ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله) من زكاة وغيرها وما قاله: هو الخلوة بالله وهي أفضل الخلوات، فإنّ من كانت خلوته بعده عن الناس تشوّش حاله منهم إذا خالطهم بخلاف من كانت خلوته بالله لكمال معرفته به، ودوام مناجاته له كما علم مما مرّ (وقال ذو النون المصري لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة) لسلامة صاحبها من المراآة والإعجاب فإذا تكرّر عليه ذلك بحيث لم يبق في قلبه التفات لغير الله من طلب حمد وخوف ذم وجزاء على عمل كان مخلصاً حقيقة لأنه لم ير إلا واحداً وبهذا الإعتبار قيل: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين، فعند العارف التفات نفسه إلى حسن عمله رياء إذ هو التفات إلى غير الله في العمل (وقال أبو عبد الله الرملي: ليكن خدنك)

عما يستقيم به البدن والعقل على ما لا يخفى. (قوله: هي الدخول الخ) قد أجاب بمقام الكمل عن عباد الله حيث حمل على فراغ القلب من الشواغل بشهود رب تلك الفضائل، وإنْ كان بجسمه مع أبناء جنسه.

(قوله: من أثر العزلة حصل العزلة) مراده بالعزلة الأعم من البعد عن الاختلاط، وفراغ القلب عن الشواغل، ولو مع الاختلاط خلافاً لما ذكره الشارح نفعنا الله به. (قوله: وقال سهل الخ) مراده أنّ الخلوة لا تثمر إلا بعد تعلم العلم الشرعي والعمل بموجبه. (قوله: وقال ذو النون الخ) لعل مراده مما ذكره بالنسبة للمبتدئين في طلب الحق لا من هم في مقعد صدق. (قوله: كان مخلصاً) أي وحينئذٍ فخلوته لاننا في خلطته، وذلك لطهارة سره عن الأغيار بدوام الاشتغال بالفاعل المختار. (قوله: وبهذا الاعتبار الخ) أي وذلك هو معنى قولهم حسنات الأبرار سيئات المقرّبين. (قوله: فإما أن تموت الخ) أي فعلى أيّ حال لا بدّ من ثمرة عظيمة أو درجة جليلة إما التحلي بحلية الأبرار، أو ذوق شراب المقرّبين الأطهار. (قوله: وقال ذو النون الخ) أقول لما كانت الخلوة ربما كان للنفس فيها حظ قد حمل نفعنا الله به على الأشرف فقال ليس الخ أي فالموصل

أي: رفيقك وصاحبك **(الخلوة)** التي تلازمها **(وطعامك)** الذي تقتات به على أمرك **(الجوع)** لأنه معين لك على صلاح قلبك وخفة بدنك **(وحديثك)** الذي يتحدّث به لسانك **(المناجاة)** أي: المكالمة مع الله من سؤال ودعاء وذكر وثناء وغيرها من أنواع المناجاة، **(فإما أن تموت)** وأنت ساع في الوصول إلى الله **(وإما أن تصل إلى الله سبحانه)** قبل الموت، وبالجملة إذا بعد العبد بالخلوة عن المشوشات، وفرغ قلبه ونشطت جوارحه بالجوع ودام شغله بالله، وتبرأ من حوله وقوّته استقامت أحواله فيما يرومه من نيل الدرجات والولايات. **(وقال ذو النون)** المصري **(ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة كمن احتجب عنهم بالله تعالى)** لأن احتجاب العبد عنهم بالخلوة حجاب محسوس يمكن الخلق الإطلاع عليه في وقت واحتجابه عنهم بالله حجاب معنوي يصونه عنهم من جميع الآفات ولا يدرك هذا المحجوب إلا من قاربه في الدرجات فإن حاله إنما يدرك بالإمارات. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت جعفر بن نضير يقول: سمعت الجنيد يقول: مكابدة العزلة أيسر)** على العبد **(من مداراة الخلطة)** لأن مكابدة العزلة اشتغال بالنفس خاصة ورد لها عما تشتهيه بخلاف مداراة الخلطة بالناس مع اختلاف أخلاقهم وشهواتهم وأغراضهم، وما يبدو منهم من الأذى وما يحتاج إليه من الحلم والصفح. **(وقال مكحول: إن كان في مخالطة الناس خير فإن في العزلة السلامة)** من الشر والسلامة منه آكد من تحصيل الخير نعم إن وجبت الخلطة لتحصيل علم أو عمل لم تصح الخلوة كما مرّ. **(وقال يحيى بن معاذ: الوحدة جليس)** يعني شعار **(الصدّيقين)** لأنها أنسهم إذ تصفو فيها مناجاتهم، ويقوى فيها جدهم وصدقهم

للكمال إنما هو الاحتجاب بالله على معنى أن يكون القلب مستغرقاً فيما له تعالى وليس له إلى غيره التفات، فهذا هو الحجاب وأيّ حجاب لا المحسوس من الخلوة وغيرها.

(قوله: إلا من قاربه) أي أو من ماثله أو كان أعلى منه بالأولى والله أعلم. **(قوله: مكابدة العزلة الخ)** يريد الحث على الأشق لنيل الفضل بذوق خبر: «الأجر على قدر النصب» أي وحيث كان كذلك، فيقال إن وثق العبد بنفسه في حالة اختلاطه بغيره الذي يحتاج فيه إلى مداراتهم مع اختلاف أخلاقهم، فالاختلاط أفضل في حقه ولاسيما وقد يترتب له به زيادة أجور بتحمله ما يبدو منهم وبحمله وصفحه عنهم وإن لم يثق بها، فالأفضل في حقه مكابدة العزلة، والله أعلم إن قلت ينافي ما تقدّم من التفصيل ما سيذكره مكحول قلت لا ينافيه لأنّ محله فيمن لم يثق بنفسه.

(قوله: إن كان في مخالطة الناس الخ) ويؤيده قولهم درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح. **(قوله: الوحدة جليس)** أي حيث أن ثمرتها الأنس بالله والأنس بغير ذلك باطنه

واستغراقهم في مطلوبهم وتلذذهم بمحبوبهم. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول: سمع)** بالبناء للمفعول **(أبو بكر الشبلي يقول: الإفلاس الإفلاس)** أي: احذروا ذلك **(يا ناس فقيل له: يا أبا بكر ما علامة الإفلاس فقال: من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس)** إذ لو كمل وجدهم وتحققوا بموجودهم لاشتغلوا عن أنفسهم فضلاً عن غيرهم فمن علامات الإفلاس التلذذ بحديث الناس، وقوله: من علامة الإفلاس محذوف من بعض النسخ. **(وقال يحيى بن كثير: من خالط الناس داراهم)** بأن يتألفهم ويطيب نفوسهم، ويؤثرهم على نفسه بالدنيا **(ومن داراهم راياهم)** بأن يدع لهم شيئاً من دينه متابعة للهوى، حذر بذلك من الخلطة لأنها تحوج إلى المداراة التي يخشى منها أن يخرج العبد منها إلى المراياة والمداهنة أو التشبع بما لم ينل من مقامات الدين، والخلوة تريحه من جميع ذلك. **(وقال شعيب بن حرب: دخلت على مالك بن مسعود بالكوفة، وهو في داره وحده فقلت له: أما تستوحش وحدك فقال له ما كنت)** قبل كلامك هذا **(أرى)** أي أظن **(أن أحداً يستوحش مع الله)** تعالى في دليل على كمال معرفته بربه وكمال محبته له وأنسه به حتى استنكر وقوع ذلك من الناس فعبر عن حاله وحكم به على غيره من الخلق. وكل إناء بالذي فيه ينضح. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمرو الأنماطي يقول: سمعت الجنيد يقول: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فإن هذا زمان وحشة)** أي: يستوحش فيه من الناس **(والعاقل من اختار فيه الوحدة)** هذا قول الجنيد في زمنه فكيف تطلب السلامة بغير عزلة في زماننا الذي لا يجتمع فيه اثنان، ويفترقان غالباً إلا عن خسارة منها ما يذكره أحدهما للآخر من ذكر نقص بعض الإخوان متوجعاً بذلك ومتألماً به وهو غيبة وخدعة من

الوحشة. **(قوله: الإفلاس الإفلاس)** أقول إنما سمي بذلك لأنه تجرّد عن الثمرات الباقية بملابسة الحظوظ الفانية. **(قوله: التلذذ بحديث الناس)** أي لأنه يدل على بقاء حظوظ النفس الدنية إذ لو فنيت عنها لكان بدل الإنس الوحشة وبدل الاختلاط النفور. **(قوله: من خالط الناس الخ)** أقول قد حذر من المشروع خوفاً من تدريج الوقوع، وذلك بإشارة خبر: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». **(قوله: إلى المراياة والمداهنة)** أي وهما من كبائر الذنوب. **(قوله: وحكم به على غيره)** أي كما يشير إليه خبر: «المؤمن مرآة المؤمن». **(قوله: من أراد أن يسلم الخ)** أقول حيث ثبت هذا في زمنه مع القرب من أثر بركة النبوّة، وكان الحكم في ذلك الوقت الندب، فهي في وقتنا آكد، بل لو قيل بالوجوب لم يكن بعيداً. **(قوله: لا يجتمع فيه اثنان الخ)** أقول ومثل هذا في وقتنا يقال له عند الخاصة والعامة المسامرة فيقع منهم كأنه من المباحات، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

الشيطان. (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: قال أبو يعقوب السوسي الانفراد**) عن الناس (**لا يقوى عليه إلا الأقوياء**) في الدين (**ولأمثالنا**) من الضعفاء (**الاجتماع**) مع الناس (**أنفع**) من الإنفراد من حيث أنه (**إنما يعمل بعضهم على رؤية بعض**) لأنهم إذا انفردوا كسلوا، وإذا اجتمعوا بغيرهم، ورأوه يعمل، حركتهم رؤيتهم ونشطتهم للعمل، فالخلطة أنفع لهم بشرط سلامتهم من الرياء. (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت أبا عثمان سعيد بن سعيد يقول: سمعت أبا العباس الدامغاني يقول: أوصاني الشبلي وقال الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم**) بحيث ينساك من كان يخالطك (**واستقبل الجدار**) أي: القبلة باشتغالك بالله، وبكثرة سهرك (**حتى**) أي: إلى أن (**تموت**). حكي أن رجلاً سمع كلام الجنيد الذي يبدو على لسانه من مواهب الحق تعالى فقال له من أين لك هذا، فقال من جلوسي تحت تلك الأسطوانة كذا كذا سنة. (**وجاء رجل إلى شعيب بن حرب فقال له ما جاء بك فقال: أكون معك قال: يا أخي إن العبادة لا تكون بالشركة**) لأنها إنما تكون بالإخلاص لله وحده لا شريك له (**ومن لم يستأنس بالله لم يستأنس بشيء**) يعبد به ولما كان العبد قد يفتقر في عبادته لكونه ضعيفاً إلى رؤية غيره ومساعدته فيها، وكان شعيب قوياً أراد أن ينقل هذا الرجل إلى مقام القوّة ليشتغل بالله وحده، ولا يفتقر في عبادته إلى رؤية غيره ومساعدته فيها (**حكي أن بعضهم قيل له: ما أعجب ما لقيت في سياحتك فقال لهم: لقيني الخضر فطلب مني الصحبة، فخشيت أن يفسد علي توكلي**) لأن

(**قوله: الانفراد عن الناس الخ**) الذي عندي أن الاجتماع في هذا الزمن الذي قدّر الله بوجودنا فيه ينبغي أن يكون على قدر ما تدعو إليه الضرورة، كالتعلم لما يجب ويندب للعبادة وتحصيل ما يلزم لضرورة المعيشة لأن ما ذكره من داعي الاجتماع، فهو غير متيسر لأنّ الخلق في هذا الزمن كأنهم ارتضعوا من ثدي ولبن واحد. (**قوله: ولأمثالنا**) مراده أن اجتماع الضعفاء مع العمال أبعث لهم على العمل، وذلك لحب المشاكلة ولا تغفل عما قدمناه لك قبل.

(**قوله: أوصاني الشبلي الخ**) أقول مثله نفعنا الله به قد منح الحكمة، واطلع بواسطة تنويره على ما قدّر له فعض عليه بالنواجذ. (**قوله: فقال من جلوسي الخ**) أي وذلك لأن العمل بالسنة يظهر ينابيع الحكمة بدليل خبر: «من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه وقلبه»، أو كما ورد. (**قوله: لا تكون بالشركة الخ**) أقول لما ضعفت الهمم عن حفظ القلوب مع الاختلاط حمل هذا الأستاذ على الانفراد طلباً للسلامة في النفس بإخلاص العبادة له تعالى، هذا ما ظهر خلافاً لما أبداه الشارح. (**قوله: فقال لهم الخ**) فيه دلالة على أنه قد قوي يقينه بما عند مولاه، فخشي تغير الحال بالركون إلى شيء

الخضر إما ولي أو نبي على الخلاف فيه، ومن صحب من هذه صفته سكن قلبه إليه، وعلم أنه لا يعجزه شيء مما هو محتاج إليه وهذا اعتماد على غير الله، وهو قوي على مقام التوكل العالي فخشي أن يفسد عليه حاله يشكوه إلى من علت عند ربه منزلته، وبذلك علم أن كراهة الخلطة للعبد إما لخوف ضرر عليه أو على غيره. **(وقيل لبعضهم: ههنا أحد تستأنس)** أنت **(به فقال نعم ومد يده إلى مصحفه ووضعه في حجره فقال هذا)** أستأنس به **(وفي معناه أنشدوا: وكتيك)** يا ربي **(حولي ما تفارق مضجعي وفيها شفاء للذي أنا كاتم)** وذلك لأن من فهم كتاب الله وتفكر فيه عظمته في قلبه معرفته تعالى وغلب عليه جلاله وعظمته، فكان له كتابه أحسن جليس، وأعظم أنيس، **(وقال رجل لذي النون المصري: متى تصح لي العزلة قال: إذا قويت على عزلة النفس)** وعزلتها بمفارقة أخلاقها الذميمة، واتصافها بالحميدة، فمتى فارق العبد الملذوذات وتحمل لمولاه المشقات في الطاعات فقد بعدت عنه الآفات، وخفت عليه العزلة، ومفارقة المشتهيات، **(وقيل لابن المبارك: ما دواء القلب قال قلة الملاقاة للناس)** لأن الأخوين في الله إذا تلاقيا بعدت سلامتهما مع كمال جدهما في الخير وشدّة حذرهما من الشر، فكيف ممن سواهما وقيل لبعض الصالحين: إنّ فلاناً يحبك ويكثر ذكرك قال: إنه لحبيب لي وأعرف قدره لكن يهون عليَّ أن ألقى الشيطان مائة مرّة، ولا ألقاه مرّة واحدة فقيل له: كيف ذلك فقال: أخشى أن أتزين له ويتزين لي أي: لأن الشيطان عرفت عداوته، فيشتد حذري منه، والأخ الصالح النفس مطمئنة ساكنة له. **(وقيل: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه، فمن أعطي ذلك فقد أعطي**

آخر. **(قوله: ومد يده الخ)** فيه تنبيه على أنه ينبغي للعبد أن لا يستأنس بشيء خلاف ما شرعه الله تعالى بواسطة نبيه ﷺ. **(قوله: وتفكر فيه الخ)** أي تفكر في ترتيبه العجيب وأسلوبه الغريب وحكمه الظاهرة وألفاظه الرقيقة، ومعانيه الدقيقة وأسراره الغريبة الغيبية وآياته الجليلة الجلية كيف وهو صفة الحق، ودليل رسول الصدق والله أعلم. **(قوله: قال إذا قويت الخ)** أنت خبير بأنّ هذا لا يتم إلا بعد تعلم علم الشريعة إذ هو الكاشف عن الذميم من الأخلاق وضده.

(قوله: قال قلة الملاقاة الخ) أقول هذا في حق من قصرت همته عن حفظ نفسه مع ملابسة: الأمثال، ولو مع كمال الجد في طريق الخير ومن ذلك يتحقق لزوم ذلك في زمننا بل أولى، إذ لا مجد بل الأمر بالضد.

(قوله: فقال أخشى الخ) أي يخشى بمقتضى ميل النفس الخبيثة. **(قوله: من ذل الخ)** انظره فانه جماع كل خير نسأل الله التوفيق لمحابه. **(قوله: فقد أعطى خير الخ)** إن

خير الدنيا والآخرة) لأن الوحدة تسلمه من آفات الخلطة والقناعة تريحه من أسباب الكثرة، ورؤيته لعيوب نفسه تعينه على الانتقال عن الأخلاق الذميمة إلى الأخلاق الحميدة والله أعلم.

قلت لم كانت الآخرة دار جزاء المؤمنين قلت لحكمتين أحداهما اتساع عطائه وذلك في الصفة والمقدار ودليله قوله ﷺ: يقول تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] الآية ومعناها في كل وجه، في كل معنى، وفي كل جزاء وفي كل فرع، وثانيتهما كون ما أعدّه الحق فيها كاملاً ببقائه لا يحول ولا يزول لأنّ الآتي قطعاً كالموجود في الحال، وما كان مآله إلى الزوال فكأنه قد زال، وقد جاء في الخبر: «لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى لاختار العاقل الذي يبقى على الذي يفنى»، فيرحم الله القائل:

فما الدنيا وزخرفها بشيءٍ	وما أيامها إلا عواري
وليس بعاقلٍ من يصطفيها	أبشري الفوز ويلك بالبوار

باب التقوى

هي اسم جامع للحذر من جميع ما أمر الله أن يحذر منه كما يؤخذ مما يأتي

باب التقوى

اعلم أنه تعالى أكرم المتقين بكرامات الأولى: العلم قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] الثانية: العاقبة قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ يعني الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وفي ذلك بشارة بأنّ عاقبتهم محمودة وأنه لا مؤاخذة عليهم وفيه تحريض على الأخذ بكل سبب من أسبابها، الثالثة: الفرقان قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] قال سهل يعني نوراً في القلب يفرق به بين الحق والباطل، الرابعة: محبة الله تعالى لهم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، الخامسة: نصره تعالى لهم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] قال الفضيل رحمه الله: أي اتقوا الله فيما نهاهم عنه، وأحسنوا فيما أمرهم به، السادسة: الحسنة قال تعال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠]، السابعة: النجاة قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢] الثامنة: ركوب النوق من القبور إلى القصور قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] أي ركباناً على الإبل قال عليّ كرم الله وجهه: ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكنهم يحشرون على نوق أرجلها الذهب ونجائب سروجها اليواقيت، التاسعة: الكرامة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] قال بعضهم: يستدل على تقوى الرجل بثلاث خصال: حسن التوكيل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نزل، وحسن الصبر فيما قد فات، العاشرة: القبول قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وفي الرقائق عن فضالة بن عبيد لأن أكون أعلم أنّ الله تقبل مني مثقال ذرّة أحب إليّ من الدنيا وما فيها، الحادية عشرة: وقاية العذاب قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الطور: ١٧، ١٨]، الثانية عشرة: جوار الله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤]، الثالثة عشرة: المخرج قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢]، الرابعة عشرة:

....

اليسر قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤] أي يسهل عليه أمر الدارين، ويخلصه من شدائدهما، الخامسة عشرة والسادسة عشرة: التكفير وعظم الأجر قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]، السابعة عشرة: الجنة قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣]، الثامنة عشرة: الفوز قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١] أي فوزاً ونجاة من النار، التاسعة عشرة: الرحمة قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، العشرون: صلاح الأعمال قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠] أي يزكها ويقبلها ويغفر لكم ذنوبكم أي يسترها أو يمحها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١] أي نال غاية مطلوبه اهـ. من نشر المحاسن لليافعي.

تنبيه

حكي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان في المسجد يوماً مع المهاجرين والأنصار، وإذا بامرأة وقفت على باب المسجد وبين يديها طفل تربيه، فقالت: يا أمير المؤمنين عساك أن تأخذ ابنك هذا عني فقد ضاق به ذرعي فرفع عمر لها رأسه، وقال لها: يا هذه ومن أين هو ابني فقالت: هو ابنك من الزنا فقال: يا معشر المسلمين هذا شيء ما أحببته قط في الجاهلية، فكيف أحبه في الإسلام فقالت: يا أمير المؤمنين هذا ولد ولدك أبي شحمة فقال عمر: وكيف فقالت: خرجت ذات يوم ألتمس المعيشة فدخلت خربة لبني النجار، فجلست فيها أتفكر في أمري فغلبني النوم فما استيقظت إلا وابنك قد واقعني وغلب عليّ وانصرف، وتركني بهذا المولود فقال لها عمر قفي يا هذه الجارية حتى يأتي ابني وأسأله بحضرة أصحاب رسول الله ﷺ، فخرج عمر إلى ابنه فوجده يأكل خبزاً بزيت وملح يتغدى به فقام الشاب إلى أبيه، فقال له يا عمر: اقعد يا ولدي حتى يتم غداؤك فقال الولد لأبيه: هل لك أن تشاركني في طعامي فقال عمر: لا يا ولدي مالي إليه من سبيل ربما يكون آخر طعامك من الدنيا فقال: يا أبتي أنزل عليك وحي فقال له يا ولدي لا وحي بعد رسول الله ﷺ فقال الولد: فما الخبر يرحمك الله فأخبره عمر بقضية المرأة فلما سمع ذلك اصفرّ لونه، ثم قال لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، ثم قال له عمر يا بني تعلم أنّ الدنيا فانية والآخرة باقية ونعيم الدنيا لا يدوم، وعذابها لا يدوم ومن أدّى حق الله في الدنيا لم يطلبه الله في الآخرة، وأريد منك أن تصدقني بالحق في هذا اليوم، وتخبرني بما وقع منك في هذه المرأة فقال: يا أبت والله إنها لصادقة فقال عمر: وكيف جرى ذلك يا ولدي فقال يا أبتي خرجت من منزلي يوماً فلقيني يهودي فأخذ بيدي، وأدخلني منزله وأطعمني طعاماً وسقاني شراباً أي خمراً

فلما سكرت أخرجني من الدار وأغلق بابه، فجعلت أمشي في أزقة المدينة حتى دخلت خربة لبني النجار فوجدت فيها تلك المرأة نائمة فواقعتها فبكى عمر فقال له: يا أبتي فما الذي أبكاك لا بكيت عيناك فإن كنت تريد إقامة الحد عليّ فأنا أصبر لقضاء ربي فأخذ عمر بيد ولده، وخرج به إلى المسجد وقعد مع المهاجرين والأنصار وقال لهم: يا معشر المسلمين هذا ولدي قد اعترف على نفسه بالزنا، ثم نادى عمر غلامه فقال له: يا غلام ناد في أزقة المدينة ليجتمع الناس حتى يشهدوا عذاب ولدي على الزنا فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] فخرج الغلام ينادي في أزقة المدينة يا معشر المسلمين إنَّ عمر بن الخطاب أراد أن يقيم الحد على ولده في هذا اليوم فلتشهدوا عذابه، فاجتمع الخلائق من كل جانب، ثم قال عمر يا غلام اخلع الثوب عنه وخذ السوط بيدك واضربه كما أمرك الله ورسوله، فقال الغلام: وكيف أضربه وهو سيدي وابن سيدي فقال عمر: يا غلام إنك عبد مأمور فلا تترك من حق الله شيئاً فيحاسبك الله عليه غداً يوم القيامة فنزع الغلام ثوبه، وأخذ السوط بيده وضربه واحدة فانشق منها جلده وجرى دمه فلما رأى الغلام ذلك جعل يبكي فقال عمر: يا غلام اضرب كما أمرك الله ورسوله ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [النور: ٢] فلما كمل عليه عشرة أسواط قال الشاب إني تائب فقال: يا ولدي لا يطالبك الله إلا بما مضى، ثم قال: يا غلام اضرب فلما كمل عليه عشرين سوطاً قال: يا أبت ما لي صبر على البلاء قال عمر: يا ولدي هذا العذاب أهون عليك من العذاب غداً بين يدي الله تعالى فسمعت أمّه بذلك فخرجت من بيتها وهي مريضة متكئة على امرأتين حتى وقفت خلف المسجد وسمعت ابنها يضرب، وهو يستغيث بالله، ويدعو فقالت: يا أمير المؤمنين انظركم بقي على ولدي من حدود الله تعالى واصرفه إليّ، وأنا أحج عن ابني كل سنة وأعتق عنه رقبة فقال لها عمر اذهبي يا مسكينة، فهذا حكم ما أمر الله به ولا رسوله، فقال المسلمون يا أمير المؤمنين هل يجوز لنا أن نقتسم ما بقي عليه من الحد، فقال لهم: يا قوم ما رأيت رسول الله ﷺ يأخذ الحد إلا ممن فعل الذنب، ثم قال: يا غلام اضرب كما أمرك الله ورسوله، وأنت حر لوجه الله، فضربه الغلام حتى وقع الشاب في الأرض وعمر يبكي، والمسلمون يبكون، والملائكة في السماء قد تعجبت من صبر عمر، فقال المسلمون أيهلك ابنك على يديك، فقال: والله يا قوم لآخذن حق الله فلما كمل عليه مائة سوط وقع الشاب على الأرض مغشياً عليه، فرفعه أبوه إلى بيته فمكث خمسة أيام ومات رحمه الله فلما دخل عليه أبوه وهو ميت ترامى عليه وقبله وهو يبكي، ويقول ليتني يا بني ما كنت أمير المؤمنين حتى لا يكون موتك على يدي، فهكذا قضى عليك علام الغيوب فغسله عمر ودفنه، فرآه رجل من الصحابة تلك الليلة في المنام، وهو

فتارة يحذر العبد تضييع الواجبات أو المندوبات فيتقيه وتارة يحذر ارتكاب المحرمات أو المكروهات فيتقيه، وتارة يحذر فوات أعالي الدرجات فيتقيه بأن لا يشتغل بأدونها واتفقت الأمة على فضيلة التقوى وطلبها. (قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ

مع رسول الله ﷺ فقال له: سلم على أبي وقل له جزاك الله عني خيراً كما رحمتني من عذاب الله في الآخرة فإني قدمت على ربي وأراني ما كان اعدّ لي من العذاب، فقال لي: يا ابن عمر لولا ما أخذ منك أبوك الحد في الدنيا ما نجوت اليوم من العذاب الأليم، فتدبر حكم التقوى لتأخذ بالسبب الأقوى، والله أعلم. من نشر المحاسن لليافعي، واعلم أن الإرادة حلية العوام، وهي تجريد القصد وجزم النية والجد في الطلب، وذلك في طريق الخواص نقص وتفرق ورجوع إلى النفس إذ الإرادة من حظ النفس، فهي عين الدعوى، وإنما الجمع والوجود فيما يراد بالعبد لا فيما يريد العبد، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله ولذا قيل شعراً:

أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد

قال بعضهم: والتقوى بساط تزكية النفس وتطهيرها من العيوب، فمن أراد التقوى فعليه بذلك قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] والله أعلم. وقال بعض آخر: التقوى بساط العلم قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢] قال الداراني إذا اعتقدت النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت ورجعت إلى صاحبها بظرائف الحكم من غير أن يؤدي إليها عالم علماً فبلغ ذلك أحمد بن حنبل رضي الله عنه فصدقه وذكر الحديث «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» أقول وتمام معنى التقوى للعبد إنما يكون بالغفلة عن سائر الأكوان شغلاً عنها بالمكون لها، فمن شهده فيها فاعلاً مختاراً مدبراً نسيها به فافهم.

(**قوله: هي اسم جامع الخ**) اعلم أن طرق الاهتداء على نوعين بالنسبة للمهتدين توجه ومواجهة فظاهر الأول الاستدلال للتوصل والعمل للتوسل، والتعلق للتقرب، ومظاهر الثاني التوفيق للهداية والإلهام للعناية، والتحقيق للولاية، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور فافهم. (**قوله: فتارة يحذر العبد تضييع الواجبات الخ**) أي يحذر تركها بالكلية أو ترك ايقاعها في أوقاتها المحدودة لها، وقوله: فيتقيه أي يتجنبه وذلك إنما يتحقق بالقيام بها حيث أمر وفي الوقت الذي أمر. (**قوله: وتارة يحذر ارتكاب المحرمات الخ**) انظر وجه مغايرته لما قبله مع تلازمهما، نعم يقال إنه من جهة صحة اعتبار كل وملاحظته على انفراده، واعلم أن حذر تضييع الواجبات أو المندوبات وحذر ارتكاب المحرمات أو المكروهات من أقل درجات المؤمنين لأن ذلك بمقتضى الإيمان والتصديق القلبي. (**قوله: واتفقت الأمة الخ**) أي فدليل فضيلتها وطلبها الاجماع والكتاب والسنة.

﴿أَتْقَىٰكُمْ﴾) [الحجرات: ١٣] وقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠] **(وأخبرنا أبو الحسين علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصغار قال: حدثنا محمد بن الفضل بن جابر قال: حدثنا ابن عبد الأعلى القرشي قال: حدثنا يعقوب العمي عن ليث عن مجاهد عن أبي سعيد الخدري)** رضي الله عنه **(قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله أوصني فقال: عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير)** أي: جميعه **(وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلم)** أي: شعاره وانقطاعه للعبادة **(وعليك بذكر الله فإنه نور لك)** يهديك إلى الصراط المستقيم **(وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: أخبرنا عباس بن المفضل الأسقاطي قال: حدثنا أحمد بن يونس قال: حدثنا أبو هرمز نافع بن هرمز قال: سمعت أنساً رضي الله عنه يقول: قيل يا نبي الله)** وفي نسخة يا محمد **(من آل**

(قوله: قال الله تع﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾) [الحجرات: ١٣] أقول فيه الإشارة إلى من لا التفات له إلى غيره تعالى سواء فقد أو وجد أطاع أو عصى إذ كان لله فكان الله له بلا علة من نفسه، فهم هم رضي الله عنهم ورضوا عنه.

شعر

هم الرجال وعيب أن يقال لمن ... لم يتصف بمعالي وصفهم رجل

(قوله: قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾) وجه الدلالة افادة الآية الشريفة أن الإكرام يترتب على التقوى، وزيادته على زيادتها ولا يكون ذلك إلا إذا كانت التقوى مطلوبة ولها فضيلة وضدها منهي عنه لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده.

(قوله: وقال ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب الآية) أفادت أيضاً طلب التقوى منا معاشر الأمة المحمدية ومن أوتي الكتاب من قبلنا فهي حينئذ من الشرائع القديمة، وقوله: وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠] هي أظهر في الدلالة على طلب التقوى كما لا يخفى. **(قوله: فقال عليك بتقوى الله)** أي الزمها وقوله: فإنه جماع الخ أي فإن المذكور الذي هو التزام التقوى جماع كل خير أي يجمع خير الدنيا والآخرة لمن تحقق بمعنى التقوى قيل إن الجنيد لما سئل عن معنى التقوى أجاب السائل بقوله أن لا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، فتأمل فيما منحه الحق من شرب الخلق المحمدي حتى كان ما ذكره من جوامع الكلم نفعنا الله ببركات علومه، وقوله: وعليك بالجهاد أي الزم الجهاد الشامل لجهاد النفس، وقوله: فإنه رهبانية المسلم أي فإنه تبتله وانقطاعه لعبادة ربه، وقوله: وعليك بذكر الله أي الزم ذكره تعالى بلسانك

محمد قال: كل تقي) من اتباعه وهذا ما اختاره الأزهري وغيره من المحققين، وقيل: آله عترته والأصح عند الشافعي وجمهور الأصحاب أنهم مؤمنو بني هاشم وبني المطلب (و) بالجملة **(التقوى جماع الخيرات)** كلها **(وحقيقة)** التقوى التحرز بطاعة الله سبحانه عن عقوبته، يقال: اتقى فلان بترسه أي: تحرز به عما يضره من عدوّه. **(وأصل التقوى اتقاء الشرك)** بالله **(ثم بعده)** اتقاء **(المعاصي والسيئات)** غير الشرك **(ثم بعده)** اتقاء **(الشبهات ثم يدع)** أي: يترك **(بعده الفضلات)** كخلاف الأولى. وقد نزل بعضهم قوله تعالى: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟

وقلبك فإنه نور لك أي فإنه يثمر لك النور المعنوي في قلبك فتهتدي به إلى الصراط المستقيم، وإذا فاض من القلب ظهر على صفحات الوجه. **(قوله: قال كل تقي الخ)** اعلم أن المنصوص عليه عند إمامنا الشافعي رضي الله عنه أن المراد منه يكون بحسب المورد، فإن ذكر في الزكاة فالمراد به مؤمنو بني هاشم وبني المطلب، وإن ذكر في مقام التمدح، فالمراد به كل تقي، وإن ذكر في مقام الدعاء فالمراد به مطلق المؤمن، ولو كان عاصياً إذ هو الأحوج للدعاء.

(قوله: والتقوى جماع الخيرات كلها) أي فمن اتصف بها فقد حاز جميع الخيرات ولا سيما إذا قام بكل معنى أريد منها من حذر تضييع الواجبات والمندوبات وحذر ارتكاب المحرمات والمكروهات، وحذر فوات أعالي الدرجات. **(قوله: وحقيقة التقوى الخ)** اعلم أنه قيل لسيدنا عيسى صلوات الله وتسليماته على نبينا وعليه من أدبك؟ قال: ما أدبني أحد ولكن رأيت جهل الجاهل، فتجنبته ولقد صدق فلو اجتنبت الناس ما يكرهون من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدب فما أعظم المصيبة على من فقد قلباً واعياً، وما أسرع العقوبة على من فقد طرفاً باكياً، وما أكثر حسرة من كان في أمره متوانياً، وما أدوم ندامة من أمسى وأصبح لاهياً. **(قوله: التحرز بطاعة الله الخ)** وقيل هي أن لا ترى نفسك خيراً من أحد، وقيل هب الاقتداء به ﷺ وقيل إنها أول منازل العابدين، وقيل من كان رأس ماله التقوى كلت الألسنة عن وصف ربحه، هذا ولكل جارحة حظ من التقوى فافهم. **(قوله: واصل التقوى الخ)** أي أسها وجماعها اتقاء الشرك بالله، وذلك لأنه لا عمل معه والعياذ بالله تعالى، ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات أي وذلك أقل درجات المؤمنين، ثم بعده اتقاء الشبهات أي وذلك من مقامات الزاهدين ثم بعده اتقاء الفضول أي وهو من نعت الكاملين أقول وبعده اتقاء الالتفات إلى ما سوى رب العالمين وهو من منازل الواصلين.

(قوله: وقد نزل بعضهم الخ) أي فحمل التقوى أولا على اتقاء المعاصي بدوام الأعمال الصالحة، وثانياً على اتقاء الشبهات وثالثاً على اتقاء الفضول مع مراقبة مقام

﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣] على هذه المراتب دفعاً للتكرار. **(كذلك سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول)** أي: هكذا يقول **(سمعته يقول)** ذلك. **(ولكل قسم من ذلك باب)** يذكر فيه **(وجاء في تفسير قوله عز وجل: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾** [آل عمران: ١٠٢] **(أن معناه أن يطاع الله، فلا يعصى ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر)** وهذا أعلى درجات التقوى إذ حتى التقوى أن يتقي العبد الغفلات عن ذكر ربه ومكره، وهذا عزيز ربما يعجز عنه، ولهذا لما سمع الصحابة رضي الله عنهم ذلك خافوا العجز عن القيام به فأنزل الله تخفيفاً عليهم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت أحمد بن عاصم يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا معين إلا الله تعالى ولا دليل إلا رسول الله ﷺ ولا زاد إلا التقوى)**

الإحسان المشار إليه بخبر: «أن تعبد الله كأنك تراه». **(قوله: إن معناه أن يطاع الله فلا يعصى)** أي لتدوم ثمرة التقوى، وقوله ويذكر أي باللسان والقلب فلا ينسى أي لتدوم ثمرة المراقبة، وقوله: ويشكر فلا يكفر أي يصرف العبد جميع قواه وجوارحه الظاهرة والباطنة، فيما خلقه الله له من العبادة في مقابلة إنعام الحق عليه إذ لو لم يكن كذلك لا يكون شاكراً، بل يكون كافراً بنعمه تعالى والله أعلم.

(قوله: وهذا عزيز الخ) أقول ولو نظر إلى أن المعنى بحق التقوى عبادته تعالى على ما يليق بعظيم جنابه جل جلاله لما كان ذلك في وسع مخلوق فسبحان الرؤوف الرحيم. **(قوله: فأنزل الله تخفيفاً الخ)** أي وعليه فحق التقوى في الآية الأولى بحسب الاستطاعة ومقدور العبد لقوله جل شأنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] أي طاقتها. **(قوله: لا معين إلا الله تعالى الخ)** أي لأنه الفاعل المختار لا فعل لغيره خلافاً لجهلة المعتزلة، وقوله ولا دليل إلا رسول الله أي لأنه ختام المرشدين من رسل رب العالمين مع جمع شريعته لما تفرق في غيرها من الشرائع بإشارة قوله جل جلاله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٣٨] وقوله: ولا زاد إلا التقوى أي لأنها خير الزاد النافع في المعاد بذوق آية ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقوله: ولا عمل إلا الصبر بمعنى حبس النفس على فعل المأمورات، واجتناب المنهيات والرضا بالامتحانات الإلهية.

(قوله: ولا دليل إلا رسول الله ﷺ) أقول كيف لا يكون كذلك وهو ﷺ قد جمع في أخلاقه الشريفة ما تفرق من كمالاتها في غيره من النبيين والمرسلين زيادة عما خصه الله به مما لم يشاركه فيه غيره منهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، وقولي قد جمع الخ مأخوذ من قوله عز اسمه ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ومن المعلوم أن الذي

أي: العمل الصالح **(ولا عمل إلا الصبر عليه)** أي: على العمل لأن الله تعالى يبتلي عبده بالمرض والعافية والفقر والغنى وغيرها فإن صبر على المشق المؤلم أثابه، وإن شكر على النعم أثابه. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الكتاني يقول: قسمت الدنيا على البلوى وقسمت الآخرة)** وفي نسخة الجنة **(على التقوى)** لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧] ولخبر «إنما هي أعمالكم ترد عليكم» **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: من لم يحكم بينه وبين الله عز وجل التقوى والمراقبة)** بأن يأتي بالمأمورات وينكف عن المنهيات على وجهها **(لم يصل إلى الشكف والمشاهدة)** والمراد بها غلبة حال الحق على القلب حتى لا يلتفت إلى غيره وتقدم تحقيقهما. **(وقال النصر أباذي: التقوى أن يتقي العبد ما سوى الله)** تعالى مما يشغله عنه **(وقال سهل: من أراد أن يفتح له باب التقوى فليترك الذنوب كلها)** بأن يجتهد في أن لا يقع في شيء منها **(وقال النصر أباذي: من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا لأن**

أمر بالاقتداء بهم فيه إنما هو أصول الدين وكمالات الأخلاق، ولا شك أنه اقتدى بهم بالفعل لوجوب عصمته فهو حينئذٍ قد جمع ما تفرق فيهم من كمالات الأخلاق ﷺ. **(قوله: قسمت الدنيا على البلوى)** أي لأجل البلوى أي الابتلاء فعلى بمعنى لام التعليل، ولذلك كان الموفق فيها يشتد بلاؤه ليعظم جزاؤه، وقوله: وقسمت الجنة على التقوى أي لأجلها كذلك حيث هي دار جزاء وإحسان، فهي من ثمرة كسب العبادة والمجاهدة في الدنيا. **(قوله: ترد عليكم)** أي يرد عليكم جزاؤها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. **(قوله: من لم يحكم)** أي يتقن بينه وبين الله التقوى والمراقبة على معنى من لم يكن أساس أعماله عليهما لم يصل أي لم يتوصل إلى طريق الكشف والمشاهدة المراد منهما علم اليقين وحقه. **(قوله: أن يتقي العبد ما سوى الله الخ)** فيه دليل على علو همته حيث انبأ عن أشرف المنازل. **(قوله: إن يفتح له باب الخ)** أي ولا سبيل إلى ذلك إلا بالبعد عما يشغل عن حق الحق تعالى.

(قوله: فليترك الذنوب كلها) أي بعد أن يغتسل من جنابة الغفلة بماء الغيب عما سواه تعالى لأن مقام التقوى دائرة ولاية الله تعالى ولا يدخلها إلا المطهرون، فالتطهير من هذه الجنابة المعنوية إنما يكون بمطهرة معنوية وهو الذكر والفكر. **(قوله: لأن الله تعالى يقول وللدار الآخرة خير للذين يتقون)** أي وحيث كانت الآخرة هي الخير لهم لزم أنهم يشتاقون مفارقة الدنيا ليصلوا إلى ما هو الخير لهم. **(قوله: من تحقق ودخل الخ)** مراده بالدخول في التقوى ذوق لذتها بقوّة يقين ثمرتها حسبما وعد الحق، فإذا تم له ذلك هان عليه الإعراض عن الدنيا بشاهد يقين فنائها وخستها في جنب أقل الأقل من نعم الآخرة،

الله تعالى يقول: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] **وقال بعضهم: من تحقق)** ودخل **(في التقوى هون الله على قلبه الإعراض عن الدنيا)** وذلك لأن النفس مائلة إلى كل لذيذ فإذا تقابل عندها لذيذان مالت إلى ألذهما الحامل على الطاعات رجاء الخلود في الجنان ورضا الملك الديان، فإذا عمر العبد بها أوقاته حتى رزقه الله فيها اللذة وتنعم بالمناجاة، زهده في الدنيا واشتاق إلى شغله بالآخرة. **(وقال أبو عبد الله الروذباري: التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى)** من ترك الواجبات وارتكاب المحرمات خوفاً من العقاب أو فوات درجات الأحباب **(وقال ذو النون المصري: التقي من لا يدنس ظاهره بالمعارضات)** أي: بالإعتراضات من جهة الشرع بشيء من المخالفات **(ولا باطنه بالعلالات)** جمع علالة أيضاً وهي ما تعللت به، والمراد أنه يعرض بباطنه عن المشتهيات، ويحسن نيته في التجرد لنيل المقامات العاليات **(ويكون واقفاً مع الله موقف الاتفاق)** منه مع الله بأن يكون راضياً بما يجريه الله ويرضاه فيتفق رضاه بما رضيه مولاه فيصدق به قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: للتقوى ظاهر)** يحل بظاهر البدن **(وباطن)** يحل

والله أعلم. **(قوله: مالت إلى ألذهما)** أي بشهود العلم الذوقي والنقلي فتطبع النفس بذلك حتى تميل إلى اللذات المعنوية وترجع عن الشهوات الحسية باعتبار ما يترتب على كل. **(قوله: واشتاق إلى شغله بالآخرة)** أي رغب في الاشتغال بالأعمال الموصلة إلى نعيم الآخرة.

(قوله: خوفاً من العقاب الخ) أي وذلك من درجات المتوسطين من الأبرار. **(قوله: وقال ذو النون الخ)** فيه دلالة على علو همته حيث حمل غيره تلويحاً على هذا المقام. **(قوله: ويكون واقفاً الخ)** أقول وما ألطف ما قيل مما يشير إلى هذا المعنى شعراً:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة ... طرباً لذكرك فليلمني اللوّم

فإنه يدل على فناء مرادات هذا القائل في مرادات الحق سبحانه وتعالى والله أعلم. **(قوله: بأن يكون راضياً)** أي بشاهد العلم النقلي مما يصح الرضا به من تصاريف الحق تعالى. **(قوله: فيصدق به قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه)** أي حيث يندرج فيمن ذكر ومعنى رضا الله عنهم إحسانه إليهم ورحمته بهم، ومعنى رضاهم عنه دوام شكرهم، وذكرهم وفكرهم وصبرهم ومحبتهم له تعالى. **(قوله: للتقوى ظاهر الخ)** محصله أن التقوى مظهرها الجوارح الظاهرة والباطنة فإذا تدنس الظاهر منها بعدم الوقوف مع حدود

بباطنه وهو القلب (**فظاهره**) أي: ما ذكر من التقوى (**محافظة الحدود**) أي: حدود الله فلا يتجاوزها (**وباطنه النية والإخلاص**) اللذان محلهما القلب، والقلب أول عامل من العبد لأنه محل ورود الخواطر من الحق ومن عدوه، فإذا ثبت العبد وميز بين الدواعي إلى الأعمال وعرف داعي الحق من داعي عدوّه قصد إيقاع عمله على وجه الإخلاص (**وقال ذو النون المصري رحمه الله منشداً**:

ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم تحن إلى التقوى وترتاح للذكر)

وفي نسخة بالذكر، لأن العيش الطيب إنما يكون مع حياة القلب، وحياته بزوال الغفلة عنه ودوام اليقظة لما خلق له، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، وإن صلحا معاً ووجد القلب من يقصد مقصده تظافرت الهمم على نيل المطلوب فهؤلاء القوم إذا وجدوا حملوا الضعيف بقوتهم وعاشت همته برؤيتهم، ورؤية مجاهدتهم. (**وقيل: يستدل على تقوى الرجل بثلاث: بحسن**) وفي

الله دل ذلك على دنس الجوارح الباطنة، وإذا تدنست الجوارح الباطنة بملابسة العيوب الخفية كالرياء والكبر والعجب والحسد والحقد وغيرها تدنس الظاهر منها، فعلى العاقل أن يطهر مقاصده ويقوم جوارحه بشاهد علم النقل ومتابعة سيد الكائنات ﷺ.

(**قوله: والقلب أول عامل الخ**) أي لأنه محل القصد والعزم والنية والإخلاص الذي لا بدّ منه لصحة العبادة وتحققها، فهو أول عامل بواسطة ما يرد عليه من البواعث والدواعي فإذا تحقق بإشراف نور الإخلاص تبين له باعث الحق، فظهر سر التقوى على جوارحه وصفحات وجهه والله أعلم، هذا، ولا يخفى أن البواعث القلبية تختلف قوة وضعفاً، فهي مقولة بالتشكيك، وعلى حسب ذلك تكون أعمال الجوارح الظاهرة فروجها وسر قبولها تخليص المقاصد من الشواغل. (**قوله: فإذا ثبت العبد وميز الخ**) أقول وحيث تحقق بهذا الوصف كان المعنى بخبر: «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون». (**قوله: ولا عيش**) أي لا معيشة هنيئة إلاّ مع رجال قلوبهم جبلت على الميل للتقوى وراحتها في دوام ذكر الله تعالى، وذلك لأن صحبة مثل هؤلاء تكون سبباً في زيادة الهمة، ويؤخذ عنه بطريق المفهوم خلاف ذلك في معاشرة قرناء السوء والله أعلم.

(**قوله: قلوبهم تحن الخ**) أي بواسطة ما أودع فيها من الأنوار والحكم باعتبار ما استقر فيها من اللطيفة الربانية والأسرار الإلهية. (**قوله: وفي نسخة بالذكر**) أقول، وهي أبلغ فتأمل. (**قوله: ووجد القلب الخ**) أي بالنسبة لضعيف الهمة أما قويها فلا حاجة له إلى ذلك والله أعلم. (**قوله: تظافرت الهمم**) أي قوى بعضها بعضاً على نيل المطلوب. (**قوله: فهؤلاء القوم الخ**) أقول كيف وقد قيل هم القوم لا يشقى جليسهم فكيف يكون الحال فيمن عمل بعملهم. (**قوله: يستدل على تقوى الرجل**) أي يتحقق له الاتصاف بها

نسخة حسن (**التوكل**) منه على الله تعالى (**فيما لم ينل**) من الرزق (**وحسن الرضا**) منه (**فيما قد نال**) من ذلك (**وحسن الصبر**) منه (**على ما قد فات**) مما يحبه. (**وقال طلق بن حبيب: التقوى**) أي: الواجبة بقرينة آخر كلامه (**عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد الفراء يحكي عن أبي جعفر أنه قال: التقوى**) أي: كمالها (**في الحلال المحض**) أي: المباح الخالص (**لا غير**) كالخوف من العقاب، والرجاء للثواب،

حقيقة باجتماع هذه الأمور الثلاثة، وإنما الاقتصار عليها لكونها أمهات الفضائل والشرف. (**قوله: بثلاث الخ**) أي وهي لا تتم إلا إذا تجرد العبد عن جميع الحظوظ النفسانية. (**قوله: بحسن التوكل منه الخ**) أي بتفويض كل أموره إليه تعالى على وجه حسن فيما لم ينله من مطالبه عملاً بخبر «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع» وقوله: وحسن الرضا منه أي بواسطة قناعة القلب وعدم تشوفه إلى الزيادة عما ناله، وقوله: وحسن الصبر منه أي حبس النفس على الرضا بما فاته ولم ينله مما يحبه بشاهد النفس، والله أعلم.

(**قوله: مما يحبه**) أي باعتبار ما جبل عليه من حظوظه لا باعتبار أعمال البر المقربة إليه تعالى فإنه لا ينبغي الرضا والصبر على فواتها، بل عليه أن يتدارك فعلها والله أعلم. (**قوله: عمل بطاعة الله على نور من الله**) معناه القيام بالوظائف الواجبة في أوقات طلبها حالة كون ذلك مصحوباً بالمتابعة لسيد الكاملين لأنه لا نور إلا نوره، ولا هدى إلا هديه، وقوله: مخافة عقاب الله أي بسبب فواتها في أوقاتها ولا يخفى عليك أن ذلك أول قدم للمؤمن بعد إيمانه وحقيقة إيقانه. (**قوله: عمل بطاعة الله الخ**) أي ولهذا ورد «بدا الإسلام غريباً وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء فقيل يا رسول الله، ومن هم الغرباء قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس فيا عباد الله عليكم بالتقوى فإنها عروة ما لها انفصام وذروة ما لها انهدام، فبالتقوى تغفر الذنوب وتصلح الأمور، وتقل الهموم ويكثر السرور، ويحصل النصر والظفر وبها يحصل الأمان في الدارين وتتسع الأرزاق وتتنور القلوب والقبور ألا وأنهاكم عن معاصي الله فإنها من سخط الله وتسلب النعمة وتجلب النقمة، وتخرب العمر وتهتك الستر، وتورث القلة وتكسب الذلة، وتقل الأصدقاء وتكثر الأعداء»[1]. (**قوله: على نور من الله**) أي مقتبس من شاهد العلم صادر بواسطة التوقيت. (**قوله: مخافة عقاب الله**) أقول وأشرف من ذلك وأعلى مقاماً إيقاع الطاعة لله محبة وإجلالاً. (**قوله: في الحلال المحض**) أي وذلك إنما يكون بالورع عن الشبهات، وعن

---

(١) أخرجه مسلم (إيمان ٢٣٢) والترمذي (إيمان ١٣) وابن ماجه (فتن ١٥) والدارمي (رقاق ٤٢) [في الترجمة] وأحمد بن حنبل (١، ١٨٤، ٣٩٨، ٢، ١٧٧، ٢٢٢، ٣٨٩، ٤، ٧٣).

وكمال تقوى العبد أن يتقي ما لا يضره إلى دنياه ولا أخراه، وإنما يخشى من شغله به أن يشغل قلبه عمن يحبه ليكمل أدبه معه فيغيب به عمن سواه. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا الحسين الزنجاني يقول: من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه)** أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢] وقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقوله: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩] **(وقال الواسطي رحمه الله: التقوى أن يتقي)** العبد **(من تقواه يعني من رؤية تقواه)** بأن يعرض عنها ولا يركن إليها شغلاً بمولاه حذراً من سكونه إلى غير من تولاه. **(والمتقي)** هو **(مثل ابن سيرين)** حيث **(اشترى أربعين حباً)** بضم المهملة أي خابية **(سمناً فأخرج غلامه فأرة ميتة من حب)** فيها **(فسأله من أي حب أخرجتها فقال: لا أدري فصبها كلها على الأرض)** تورعاً لالتباس حب الفأرة المتنجس بها عليه بغيره، فكمال الورع أن يترك العبد ما لا بأس به حذراً مما به بأس **(ومثل أبي يزيد)** البسطامي حيث **(اشترى بهمذان حب القرطم ففضل منه شيء، فلما**

مظانها ويسهل هذا التمسك بالتقلل والاقتصار على ما يسد الرمق، فإذا تم له ذلك قوي على قصر فعله على المطلوب منه واجباً كان أو مندوباً رغبة في الثواب وبعدا عن سبيل العقاب، هذا ويقول الشارح أي كمالها يتعين أن المراد بقوله في الحلال المحض أي في تجنب الحلال المحض، وذلك يحصل بنقل مباحاته إلى درجة المطلوب ندباً بحسب حسن المقاصد كأن يأكل بقصد القوة على الطاعة ويشرب كذلك، وينكح بقصد قمع الشهوة عن النظر لما لا يحل أو التوالد لتكثير سواد المسلمين، وأمثال ذلك والله أعلم.

(قوله: وكمال تقوى العبد أن يتقي ما لا يضره الخ) أي يتحقق كمال تقواه بتجنب ما لم ينه عنه نهي تحريم أو تنزيه خشية من شغل قلبه به عمن يحبه.

(قوله: كلت الألسن الخ) أي لأن الجزاء على ذلك من حقيقة فضله وإحسانه تعالى، وهو لا يقدر كما أشار له الشارح بما أورده من الآيات الشريفة. **(قوله: أخذاً من قوله تعالى الخ)** أقول عدد الأدلة القرآنية ليدل بذلك على تعدد ثمرات التقوى وقد ذكرنا ثمراتها قبل في أول الكلام على التقوى، فلا تغفل. **(قوله: أن يتقي العبد من تقواه)** أي لأن الكمال إنما هو في إيقاع الطاعة لمحض ذاته تعالى محبة وإجلالاً. **(قوله: فصبها كلها على الأرض)** أقول لعل السمن كان مانعاً وما أمكنه الاجتهاد فيما تنجس منها وإلا فكان يكفي القاء ما باشر النجاسة إذا تعين الإناء الذي وقعت فيه الفأرة على أنه يمكن الانتفاع به في مثل الاستصباح، فانظر وجه الإراقة.

(قوله: فكمال الورع الخ) أي ويدل له خبر: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

رجع إلى بسطام رأى فيه نملتين فرجع إلى همذان فوضع النملتين) تورعاً حيث ردهما إلى موطنهما وأنسهما بأهلهما، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]. (ويحكى عن أبي حنيفة رحمه الله أنه كان لا يجلس في ظل شجرة غريمه، ويقول: قد جاء في الخبر: «كل قرض جر نفعاً فهو رباً». وقيل: إن أبا يزيد غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له فقال له صاحبه: نعلق الثوب في جدران الكرم فقال: لا تغرز الوتد في جدران الناس) بغير إذنهم (فقال نعلقه في الشجر فقال: لا إنه يكسر الأغصان) لثقلها بالميل (فقال نبسطه على الأذخرة فقال: لا إنه علف الدواب لا نستره عنها فولى ظهره إلى الشمس والقميص) أي: الثوب (على ظهره حتى جف جانب) منه (ثم قلبه على الوجه الآخر حتى جف الجانب الآخر)، فيه تنبيه على التورع والاحتراز عن مثل ذلك. (وقيل: إن أبا يزيد) أيضاً (دخل يوماً الجامع فغرز عصاه في الأرض) وكانت رملاً أو تراباً يمكن غرز العصا فيها، وكانت الشيوخ يغرزون فيها عصيهم ليسهل عليهم أخذها وقت القيام والمشي عليها (فسقطت) عصاه (ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه في الأرض) فألقتها (فانحنى الشيخ) بعد قيامه (وأخذ عصاه فمضى أبو يزيد إلى بيت الشيخ واستحله وقال: كان السبب في انحنائك تفريطي في غرز) وفي نسخة كان

فائدة

من التقوى مجانبة الفساق وأهل المعاصي والأهواء فإن مجاورتهم من غير ضرورة فسق كامن ومعصية منتشرة في القلب لأن الله تعالى ذم قوماً من عباده حيث قال: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥] فلم يعذر من أقام فيها وإذا كان هذا في مساكنهم، فكيف يكون الحال في الاجتماع بهم وفي مخالطتهم وفي صحبتهم. (قوله: فرجع إلى همذان الخ) فيه تنبيه على قوة ورعه ورحمته ومراقبته لأفعال نفسه والفضل كله لله وحده لا شريك له. (قوله: وقيل إن أبا يزيد الخ) ما تقدم عن الإمام رضي الله عنه أبلغ مما فعله أبو يزيد. (قوله: فولي ظهره الخ) فيه تنبيه على دوام جده واجتهاده في تزوده ليوم معاده كما هو اللازم لكل عاقل، ولذا قيل شعراً:

يا نفس جدي في الخلاص وبادري ... وتزوّدي يا نفس زاد مسافر
ثم ازهدي في كل فان زهد من ... ترك البقاء بباطن وبظاهر
يا نفس قد سبق المجدّون الألى ... وبقيت أنت قطيعة في الآخر

الله يوفقنا وإياكم لأعمال المتقين، ويرزقنا وإياكم السلامة يوم الدين، ويغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين، ونسألك اللهم رضاك برحمتك يا أرحم الراحمين.

بسبب (**عصاي حيث احتجت**) به (**إلى أن تنحني**) وإنما لم يستحله في الحال إما لخوفه من شهرة نفسه بكمال هذا الورع أو ليحمل نفسه بمشيه إلى منزل الشيخ بعض التعب للأدب، أو لكمال الأجر. (**ورؤي عتبة الغلام بمكان**) وبدنه (**يتصبب عرقاً في الشتاء**) بحيث غشي عليه (**فقيل له في ذلك فقال: إنه مكان عصيت فيه ربي فسئل عنه**) أي: عن عصيانه فيه (**فقال: كشطت من هذا الجدار قطعة طين غسل بها ضيف لي يده، ولم أستحل من صاحبه**) خشي على نفسه من ذلك مع أن مثله يتسامح فيه (**وقال إبراهيم بن أدهم: بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس، فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال أحدهما لصاحبه: من ههنا فقال: الآخر إبراهيم بن أدهم فقال: ذلك الذي حط الله سبحانه درجة من درجاته فقال**) له (**لم قال**) له (**لأنه اشترى بالبصرة تمراً**) من رجل بقال (**فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال، فلم يردها على صاحبها قال إبراهيم**) بن أدهم (**فمضيت إلى البصرة واشتريت التمر**) أي: تمراً (**من ذلك البقال**) وفي نسخة الرجل (**وأوقعت تمرة**) منه (**على تمره**) الذي باعني منه (**ورجعت إلى بيت المقدس وبت في الصخرة فلما كان بعض الليل إذا أنا بالملكين نزلا من السماء، فقال أحدهما لصاحبه: من ههنا فقال الآخر إبراهيم بن أدهم فقال: ذاك الذي ردّ مكانه ورفعت درجته**) نبهه الله بذلك على إبراء ذمته مما ذكر وهو لا يشعر

(**قوله: فمضى أبو يزيد الخ**) فيه تنبيه على قوة مراعاته الحقوق، والتخلص من ورطتها وإن دنت وقلت وهكذا شأن الكمل. (**قوله: وقال إبراهيم بن أدهم الخ**) لا ينافي هذا ما نقل عن بعضهم من قوله إن من الورع ما يمقت الله عليه في شأن ما يتسامح فيه من سفاسف الأمور لأنه بالنسبة للعامي دون أهل القرب والكمال، وفيه تنبيه على أن ابن ادهم كان من أرباب العناية الإلهية حيث ذكره الحق على السنة الملائكة الكرام.

(**قوله: وأوقعت تمرة منه الخ**) انظره مع أن استحلال صاحب التمر أقرب في التخلص من حقه، وذلك لاحتمال عدم تساوي التمرتين، فلعله نفعنا الله ببركاته قد أطلعه الله تعالى على تساويهما والاكتفاء بما فعله، والله أعلم بحقيقة الحال. (**قوله: وقيل التقوى على وجوه الخ**) أقول أعلاها بذل الوسع واستفراغ الطاقة مع ترك الاختيار، والسكون إلى مجاري الأقدار حتى يكون كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء شعر:

أبى القلب إلا أم عمرو فأصبحت ... صفيته إن زارها أو تجنبا

وقال آخر:

إذا هبت الأرواح من نحو جانب ... به أهل ميّ هاج قلبي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وإنما ... هوى كل نفس حيث كان حبيبها

فإذا قيل مثل هذا في محبة الأمثال، فما ظنك فيمن هام في جمال رب الكمال

فهو زيادة كرامة، وكل ما ذكر غاية في الورع والتقوى. **(وقيل التقوى على وجوه)** متفاوتة لأن أهلها مسلمون وصالحون وأولياء وأنبياء ولكل منهم تقوى إذ **(للعامة تقوى الشرك)** لأنهم تابوا عنه **(وللخواص)** بالنسبة للعامة وهم الصالحون **(تقوى المعاصي)** غير الشرك لأنهم تابوا عنها **(وللأولياء تقوى التوسل)** بالأفعال التي هي الوسائل إلى أعلى الدرجات **(وللأنبياء)** عليهم الصلاة والسلام **(تقوى نسبة الأفعال)** لأنفسهم **(إذ تقواهم)** ناشئة **(منه)** تعالى راجعة **(إليه)** أي: إلى تفضله بأن يروا أنه المتفضل عليهم بالوسائل والمعين لهم على القيام بها **(وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: سادة الناس في الدنيا الأسخياء بأموالهم)** وجاههم وأنفسهم لأنهم الذين يقصدون في الحوائج والمهمات والنوازل، **(وسادة الناس في الآخرة الأتقياء)** لأنهم الذين يشفعون في الخلق وتفزع الناس إليهم في الشدائد. **(أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أبو الحسين البصري قال: حدثنا بشر بن موسى)** قال: **(حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله ابن رحو)** بالراء والحاء المهملة **(عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نظر إلى محاسن امرأة، فغض بصره في أول مرة أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها في قلبه)** لمبادرته إلى الكف عن وقوعه في محرم **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول: كان الجنيد جالساً مع رويم**

فافهم. **(قوله: للعامة توقي الشرك الخ)** أي وهي أدون بالنسبة لما بعدها، وإن كانت عالية في ذاتها، وقوله: وللخواص تقوى المعاصي أي والمعاصي تختلف على حسب الهمم كما لا يخفى على عارف، وقوله: وللأولياء تقوى التوسل أي توسلهم بأعمالهم لرجاء المثوبة، بل شأنهم ونعتهم قصد ذات الحق تعالى محبة له وإجلالاً مع فنائهم عن شهود أعمالهم، وقوله: وللأنبياء تقوى نسبة الأفعال أي بالتبري من الحول والقوّة أي لأنه لو انخرق لك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان، ولا أشرق نور الإيمان إلا وغطى وجود الأكوان، فافهم.

(قوله: سادة الناس في الدنيا الخ) أقول وذلك من أكمل صفة للسخاء، ولذا عز وجوده، ولو قيل بفقده في زماننا لم يكن بعيداً. **(قوله: وسادة الناس)** أي أشرافهم في الآخرة الاتقياء أي وقد تكون سادة الدنيا هم سادة الآخرة، فكما تفزع الخلق إليهم عند الشدائد في الدنيا تفزع إليهم عند الكروب في الآخرة. **(قوله: فغض بصره الخ)** منه يعلم أن النظر الاتفاقي بدون قصد لا مؤاخذة به، وهو كذلك كما هو مقرر في الفروع الفقهية.

والجريري وابن عطاء فقال الجنيد: **ما نجا من نجا إلا بصدق اللجاء)** بفتح اللام والمد أي: الإلتجاء إلى الله **(قال الله تعالى** ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾) الآية، [التوبة: ١١٨] وقال رويم رحمه الله: ما نجا من نجا إلا بصدق **التقوى** وفي نسخة التقى **(قال الله تعالى:** ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [الزمر: ٦١] **وقال الجريري: ما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء)** بالعهود **(قال الله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ٢٠] وقال ابن عطاء: ما نجا من نجا إلا بتحقيق الحياء من الله قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] أي: ما صدر منه أي: يعلمه فيجازيه عليه وهذه الأقوال الأربعة ناظرة إلى أسباب النجاة المكتسبة من العبد، والثاني منها وهو قول رويم مستلزم للبقية لأن حصول مقتضاها إنما هو بصدق التقوى المصرح به فيه، وهو المناسب للباب. **(وقال الأستاذ الإمام)** أبو القاسم القشيري رحمه الله **(ما نجا من نجا إلاّ بالحكم والقضاء قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ **[الأنبياء: ١٠١] وقال أيضاً ما نجا من نجا إلا بما سبق له من الاجتباء قال الله تعالى:** ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾) [الأنعام: ٨٧] هذا القول معرض عن الأسباب فإن قائله إنما تكلم على ما سبق لمن نجا عند الله.

(قوله: فقال الجنيد الخ) بالتأمل في كلامهم تعلم أنه بالنظر لكسب العبد، فذكر كل منهم بهذا الاعتبار على حسب ما ذاقه من شاهد علم الشريعة المطهرة.

(قوله: إلا بصدق اللجاء الخ) أي وذلك بشهود أنه لا ضار ولا نافع إلا الحق تعالى، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، فلا يقع إلا ما يريده مما تعلق به علمه الأزلي واقتضته حكمته الباهرة فحينئذٍ رجعوا إليه، وعولوا في أمورهم عليه. **(قوله: إلا بصدق التقوى)** قد تقدم إنها متفاوتة على حسب الهمم، فلا تغفل. **(قوله: إلا بمراعاة الوفاء الخ)** أقول إن لم يكن عين ما قبله فهو قريب منه، واعلم أنه قد تكلم كل منهم على حسب شربه وما أذاقه الحق من شاهد عمله والله أعلم.

(قوله: إلا بتحقيق الحياء) أقول يرجع إلى ما قبله وإنما الاختلاف باعتبار الباعث فتأمل. **(قوله: وهذه الأقوال الخ)** أقول ما نقله عن القشيري أخيراً هو المعول عليه والكمال في التسليم لفعل الحكيم العليم، ولذا نقل عن بعض المشايخ أنه قال أوقفني الحق بين يديه فقال لي أتريد التحف قلت: لا قال: أتريد الغرف قلت: لا قال: فماذا تريد قلت: أريد أن لا أريد فإن إرادتي لا تساوي شيئاً، وعن أبي يزيد رضي الله عنه أنه قال: ركبت مركب الصدق حتى بلغت الهوى، ثم ركبت مركب الشوق حتى بلغت السهى، ثم ركبت مركب المحبة حتى بلغت سدرة المنتهى فنوديت يا أبا يزيد ماذا تريد، فقلت أريد أن لا أريد لأني أنا المراد وأنت المريد. اهـ.

باب الورع

هو ترك الشبهات كما سيأتي وهو الورع المندوب الشائع، وقد يطلق على ترك

باب الورع

أقول هو ينقسم بالنظر إلى أحكامه إلى واجب ومندوب وآكد منه، وبالنظر إلى متعلقه إلى ما نهي عنه نهي تحريم وتنزيه، وإلى مشتبه متردد بين الحل والحرمة وإلى ما كان السبب في تحصيله فعلاً محرماً، وإن كان ملكه حقيقياً، والورع باعتبار ذاته ونفسه أصله الخوف والحذر، وهو يكون لخوف العقاب أو اللوم والعتاب، أو فوات الثواب، أو النزول عن المراتب أو فراق الأحباب، وفي الصحاح الورع بالتحريك الجبان، قال ابن السكيت وأصحابنا يذهبون بالورع إلى الجبان، وليس كذلك، وإنما الورع الصغير الضعيف الذي لا غناء عنده، والورع مصدر ورع الرجل يرع ورعاً، والورع بكسر الراء الرجل المنكف، وعليه فالورع الكف، وهذا المعنى موجود في المعنيين قبله وحقيقة الورع الشرعية الكف عما يحذر شرعاً امتثالاً لأمر الله تعالى، وحكمه يختلف بحسب ما أضيف إليه فتعتريه الأحكام، والدليل عليه من الكتاب قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] الآيات. ثم اعلم أنه قد اختلف في المحكم وغيره فقيل المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً في اللغة والمتشابه ما احتمل فيها أوجهاً، وقيل المحكم ما كانت حججه واضحة لا حاجة إلى طلب معانيها، والمتشابه هو الذي يدرك عمله بالنظر، وعلى كل فالمشابه مظان الاختلاف وتعدد الاحتمالات، وقد روى الترمذي يرفعه إلى النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام فمن تركها استبراء لعرضه ودينه فقد سلم، ومن واقع شيئاً منها يوشك أن يواقع الحرام كما أنه من رعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإنّ حمى الله محارمه»[1]. (**قوله: هو ترك الشبهات الخ**) أقول وأكمل من ذلك أن يقال هو ترك ما

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ٣٩) (بيوع ٢) ومسلم (مساقاة ١٠٧، ١٠٨) وأبو داود (بيوع ٣) والترمذي (بيوع ١) والنسائي (بيوع ٢) (قضاة ١١) وابن ماجه (فتن ١٤) والدارمي (بيوع ١) وأحمد بن حنبل (٤، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥).

المحرّمات، وهو الورع الواجب، وكل منهما مطلوب. (**أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي**) رحمه الله تعالى (**قال: حدثنا محمد بن داود بن سليمان الزاهد قال: أخبرني محمد بن الحسين بن قتيبة قال: حدثنا أحمد بن الحسين بن قتيبة قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر الخراساني قال: حدثنا يحيى بن العيزار قال: حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن الأجلح عن عبد الله بن بريدة عن أبي الأسود الدؤلي عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه»**) رواه البخاري وغيره ورووا خبر أنه ﷺ وجد تمرة في منزله أو على الطريق فقال: «لولا أن أخشى أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها». (**أما الورع فإنه ترك الشبهات**) خوفاً من الله تعالى (**كذلك قال إبراهيم بن أدهم: الورع ترك كل شبهة قال الإمام**) القشيري: (**وترك ما لا يعنيك**) المذكور في الحديث السابق (**هو ترك الفضلات**) أي: الحلال وما لا تدعو إليه حاجة دينية ويقال له الزهد. (**وقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه كنا ندع**) أي: نترك

سوى الله تعالى، واعلم وفقني الله وإياك أن كلا من الورع والزهد باعتبار الحال الأكمل من أخلاق العوام في ابتداء سيرهم إلى الله تعالى لأنه حبس النفس عن الملذوذات وامساكها عن فضول الشهوات، ومخالفة دواعي الهوى وترك ما يغني من كل شيء، وكل هذا نقص في طريق الخواص لأنه تعظيم للدنيا ومبالاة بها وتضييع للوقت في منازعة النفس، وكل ذلك عين الرجوع إليها بل طريقهم صرف الرغبة إليه تعالى، وتعلق الهمة به والاشتغال به عن كل شيء ليتولى هو حسم هذه الأسباب عنهم كما قيل إنّ بعض المريدين سأل بعض الشيوخ فقال له: بأيّ شيء تدفع إبليس إذا قصدك فقال: لا أعرف إبليس فأحتاج إلى دفعه نحن قوم صرفنا هممنا إليه، فكفانا ما دونه والله أعلم.

(**قوله: وهو الورع المندوب الخ**) أي واندب منه ترك ما زاد عن الحاجة مما تحقق حله، وأكمل منهما ترك ما سوى الحق تعالى اكتفاء به عما سواه. (**قوله: تركه ما لا يعنيه**) أي والذي يعنيه هو ما طلب منه وجوباً أو ندباً فعلى الكامل قصر حركاته وسكناته على ذلك بشاهد قوله جل شأنه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩] الآية، ويؤخذ من مفهوم الخبر أن من لم يترك ما لا يعنيه لم يحسن إسلامه، بل يكون مدنساً قبيحاً وكفى بذلك ذماً في نظر العقل. (**قوله: وجد تمرة الخ**) فيه دلالة على ترك ما فيه شبهة وذلك حقيقة الورع المندوب. (**قوله: أما الورع فإنه ترك الشبهات**) أي أصل حقيقته ذلك أما كمالها فترك ما سواه تعالى اكتفاء به. (**قوله: هو ترك الفضلات الخ**) قصره عليها بالنظر إلى حال الورع الكامل، وإلا فهو يصدق بترك المحرّم والمكروه وما فيه شبهة، وخلاف الأولى كما قدمنا.

(**قوله: ويقال له الزهد**) أي وعلى ذلك فغاية الورع هي حقيقة الزهد. (**قوله: كنا**

(سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام) لا سيما في المطعم لخبر: «كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به»، والمراد بالسبعين المبالغة في كثرة ترك الحلال، ويحتمل إرادة العدد المخصوص كما قيل في قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠] **(وقال)** النبي **(ﷺ لأبي هريرة)** رضي الله عنه «**كن ورعاً تكن أعبد الناس**»[1] لما فيه من مخالفة الهوى، والإعراض عن الشبهات، وقد روى البخاري وغيره: «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه» فترك الشبهات على هذا **أفضل** من فعل المندوبات لأن السلامة مقدّمة على الغنيمة **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي)** رحمه الله **(يقول: سمعت أبا العاس البغدادي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري)** السقطي **(يقول: كان أهل الورع في أوقاتهم أربعة: حذيفة المرتعش، ويوسف بن إسباط، وإبراهيم بن**

ندع الخ) أي ويدل له خبر: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[2] وإشارة من حام حول الحمى الخ فافهم. **(قوله: من سحت)** أي حرام. **(قوله: والمراد بالسبعين المبالغة)** أي جرياً على عادة العرب في ذلك. **(قوله: كما قيل في قوله تعالى إن تستغفر لهم سبعين مرّة)** فيه أن المراد به في الآية المبالغة كما تقدّم مثل ما هنا فلعل الشارح قد اطلع على أن المراد به فيها العدد المخصوص. **(قوله: كن ورعاً)** أي بترك الفضول من المباحات تكن أعبد الناس أي من أكثرهم عبادة كما وكيفا أو كيفاً فقط، وقد بين الشارح وجهه حيث قال لما فيه من مخالفة الهوى الخ أي والخير كله مخالفة النفس والهوى.

(قوله: الحلال بين الخ) أي بشاهد علم الشريعة حيث وضحت الشريعة الحلال، وأظهرت الحرام فلا عذر للعبد بعد ذلك، وقوله بينهما مشتبهات أي حيث أخذت شبهاً منهما مع عدم دليل واضح يشهد برجوعها إلى أيهما. **(قوله: فمن اتقى الشبهات)** أي فمن تجنبها، فقد استبرأ لدينه أي طلب براءة لدينه من ملابستها. **(قوله: ومن حام حول الحمى)** أي من قارب الشيء المحميّ يوشك أي يقرب أن يقع فيه من غير قصد بسبب خفائه عليه، فحينئذٍ السلامة في البعد عنه.

(قوله: لأن السلامة مقدّمة الخ) أي لأنّ درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح.

فائدة

اعلم أنّ لكل جارحة ورعا تعتريه الأحكام كما لا يخفى على من له المام،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (زهد ٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (بيوع ٣) والترمذي (قيامة ٦٠) وأحمد بن حنبل (٣، ١٥٣).

أدهم، وسليمان الخواص، فنظروا في الورع فلما ضاقت عليهم الأمور) بأن بالغوا في التفتيش عن الحلال، فلم يقدروا على صفائه **(فزعوا إلى التقلل)** مما حصل لهم من كسبهم صافياً بحسب إمكانهم زيادة عن ورعهم إذ لا حساب عليهم فيه ففي الخبر الصحيح: «لا حق لابن آدم إلا في ثلاث بيت يكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز والماء وما عدا ذلك حساب». **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول: سمعت الشبلي يقول: الورع أن تتورّع عن كل ما سوى الله تعالى)** لأن الورع مجانبة الشيء كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ورّعوا اللص ولا تراعوه» أي: جنبوه رحالكم ولا ترصدوه حتى يقع، ومنه قول العرب ورّع الإبل أي: جنبها أكل ما يضرها. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: أخبرنا أبو جعفر الرازي قال: حدثنا العباس بن حمزة قال: حدثنا أحمد ابن أبي الحواري قال: حدثنا إسحاق بن خلف قال: الورع في المنطق)** الذي أهلك أكثر الناس وحذر منه النبيون والصدّيقون **(أشد)** وأكمل **(منه)** أي: من الورع **(في الذهب والفضة)** لأن من قوي على الأقوى كان على الأضعف أقوى، **(والزهد في الرياسة)** التي قيل فيها آخر ما يخرج من رؤوس الصدّيقين حب الرياسة التي منها التفات العبد إلى أعماله، وحسن هيئته وامتيازه بمقامه الشريف عن غيره **(أشد)** وأكمل **(منه)** أي: من الزهد **(في الذهب والفضة لأنك تبذلهما في طلب**

والاعتماد على ما في القلوب حيث هي عرش تجلي المحبوب. **(قوله: كان أهل الورع الخ)** أقول الحصر فيهم لاشتهارهم به، وذلك لا ينافي ثبوت الورع لغيرهم في زمنهم وبعد زمنهم بشاهد خبر: «أمتي كالقطر لا يدري أوّله خير أم آخره» والله علم. **(قوله: صافياً)** حال من التقلل جعل قيداً للفزع أي فطلبهم للقليل مقيد بالبحث عن وجه حله فجاء القليل من الكسب صافياً بحسب إمكانهم. **(قوله: لا حق الخ)** أي فلا لوم عليه في واحد من الثلاثة، وما زاد فبحسابه.

(قوله: من كل ما سوى الله) أي وهو ورع الكمل من عباد الله لأن ما عداه تعالى حقيق بأن لا يبالي به ويلتفت إليه حتى يكون في تركه فضيلة. **(قوله: ولا تراعوه)** أي لأن في مراعاته شغل النفس بغيره تعالى وتضييع الوقت، وذلك نقص. **(قوله: أشد وأكمل منه الخ)** أي لأن غوائل النطق تذهب بالحسنات، بل قد تذهب بأصل الدين والعياذ بالله تعالى فاللسان وإن صغر جرماً عظم جرماً. **(قوله: لأن من قوي الخ)** أي فمن أقدره الله على حفظ لسانه كان على غيره أحفظ بتوفيق الله. **(قوله: والزهد في الرياسة)** أي حب التقدم على الغير بشهود فضيلة لنفسه على ذلك الغير، وذلك من أقوى أسباب الكبر وهو من أعظم الحجب المانعة عن كل خير. **(قوله: التي منها التفات العبد الخ)** أي وذلك في طريق الكمال من الشرك الخفي. **(قوله: لأنك تبذلهما الخ)** أي وحينئذٍ فقد آثرتها

الرياسة) وتحصلها بهما. **(وقال أبو سليمان الداراني: الورع أوّل الزهد)** لأنه ترك الشبهات، والزهد ترك الحلال الخالص، ومن عجز عن الأوّل فعجزه عن الثاني أولى **(كما أن القناعة طرف من الرضا)** من حيث أن القانع يقنع بما فتح الله به عليه من الخير، والراضي يرضى بجميع ما يجريه الحق عليه سواء وافق هواه أو خالفه إذا كان فيه رضا الله. **(وقال أبو عثمان: ثواب الورع)** عند الله وفوائده عظيمة وأقلها **(خفة الحساب)** في الآخرة لأن صاحبه يحاسب نفسه في الدنيا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا» (وقال يحيى بن معاذ: الورع الوقوف على حدّ العلم)** أي: على ما يشهد به العلم الشرعي من أنه لا شبهة فيه **(من غير تأويل)** فمن تأوّل فقال: لم يثبت أن هذا حرام فأتركه، فليس متورعاً ففرق بين من يقول لا أقدم على شبهة، وإنما أقدم على ما ثبت حله، ومن يقول: أقدم على ما لم يثبت تحريمه **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت محمد بن داود الدينوري يقول: سمعت عبد الله بن الجلاء يقول: أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم)** مع كثرة ميل الناس إلى تحصيل بركته **(إلا ما استقاه بركوته ورشائه)** بكسر الراء حبله لعلمه بالوجه الذي اتخذه عنهما بخلاف ركوة غيره ورشائه اللذين يؤتى بهما غالباً من أموال

عليهما. **(قوله: الورع أوّل الزهد)** أي فالورع دون الزهد في الدرجة باعتبار أصل حقيقته، وإلا فكمال الورع يتحقق به مقام الزهد كما ذكرناه قبل. **(قوله: طرف من الرضا)** أي لأنها الرضا بما حصل بالقسمة الأزلية من غير إشراف على زائد، وهو من أفراد مطلق الرضا بتصاريف الحق في الخلق، ولك أن تقول كون القناعة طرفاً من الرضا هو باعتبار أصل معناها وإلاّ فغاية القناعة يتحقق معها مقام الرضا كما تقدّم في الورع مع الزهد فلا تك أسير التقليد.

(قوله: خفة الحساب) منه يعلم أنه لا بدّ من الحساب، وهو كذلك فيمن لم يقتصر على حقه الضروري وهو الأمور الثلاثة المحكية في الخبر التي هي من ضروريات المعاش أما هي فلا حساب على العبد فيها. **(قوله: لأن صاحبه يحاسب نفسه الخ)** أي ومعنى حساب النفس، وقوفه معها بشاهد المتابعة لسيد الكاملين ﷺ. **(قوله: الوقوف على هذا العلم)** أي وهو مقام متوسط لبعض العبيد. **(قوله: ففرق الخ)** أي لسلامة الأول وكون الثاني على خطر الهلاك. **(قوله: أعرف من أقام بمكة الخ)** فيه تنبيه على قوّة يقينه وزيادة ورعه وعلوّ همته وفائق صبره على حبس نفسه عن الفضول. **(قوله: جلب من مصر)** أي لعدم محافظة أغنياء أهل الأمصار غالباً. **(قوله: أي مكروهة)** أي لكون النفوس تعافها. **(قوله: ومن ذلك ما حكي الخ)** تقدّم ذكره فلا تغفل.

السلاطين. (**ولم يتناول**) شيئاً (**من طعام جلب من مصر**) بل كان يصبر عنه إلى أن يجد ما يحصله بكسبه لأن ما يكسبه أبعد عن الوقوع في الشبهات. (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت علي بن موسى التاهرتي يقول: وقع من عبد الله بن مروان فلس في بئر قذرة**) أي: مكروهة (**فاكترى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه**) منها (**فقيل له في ذلك فقال كان عليه اسم الله تعالى**)، فيه تنبيه على كمال تعظيمه لربه حتى عظم ما عليه اسمه، ومن ذلك ما حكي أن بشر بن الحرث إنما رفعه الله على أقرانه لكونه وجد رقعة فيها اسم الله فاشترى طيباً وطيبها ورفعها في موضع، فرأى في منامه أنه قيل له لأطيّبن اسمك في الدنيا والآخرة (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: سمعت ابن علوية يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: الورع على وجهين، ورع في الظاهر وهو أن لا يتحرّك إلا لله تعالى وورع في الباطن، وهو أن لا يدخل قلبك سوى الله تعالى**) فالجمع بينهما بأن يتورّع عن غير الله عقداً وفعلاً من أعلى مقامات الورع. (**وقال يحيى بن معاذ: من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء**) لأن العبد إنما يشرف عند مولاه بعلوّ همته في طلبه لما يرضاه، فمن دق نظره فيما يخشاه نال من فضل الله أشرف عطاياه ومن لا فلا. (**وقيل: من دق في الدين نظره جلّ**) أيّ عظم (**في القيامة خطره**) أي: قدره ومنزلته. (**وقال ابن الجلاء: من لم يصحبه التقي في فقره**) وسلوكه (**أكل الحرام النص**) لأن التقوى هي الحذر مما حذر الله منه، فإذا لم يكن عند العبد حذر من ذلك، وأقدم على كل ما تهواه نفسه أكل الحرام الصرف. (**وقال يونس بن عبيد: الورع الخروج عن كل شبهة ومحاسبة النفس في كل طرفة**) ولحظة فالورع يكون في خواطر القلوب، وفي سائر أفعال الجوارح عبادات كانت أو عادات. (**وقال سفيان الثوري: ما رأيت أسهل من الورع**) على من كمل زهده في الحلال لأنه إذا أكمل إعراضه عن الحلال، فهو على

(**قوله: الورع على وجهين**) أي ومع هذا فلا يلتفت الكامل الجامع لهما إلى فضيلة له فيه لأن ذلك نقص في مقامه. (**قوله: من لم ينظر الخ**) أي وذلك لأن المواهب على حسب الهمم والنصب يكون على حسبه الجزاء. (**قوله: من دق الخ**) أي لأن المنازل فيها على حسب سالف الأعمال كما ثبت ذلك بشاهد علم الشريعة ونصوص الأخبار الصحيحة. (**قوله: من لم يصحبه التقى في فقره الخ**) أقول إنما قصر الكلام على حالة الفقر لأن للنفس في حالاته تأويلات وتلبيسات وللشيطان أيضاً فيها دسائس فمن دام على حبس نفسه في هذه الحالات يرجى له خير الدنيا والدين. (**قوله: الخروج الخ**) أي فمن الروع أن يكون في ظاهر الفعل وباطن البر. (**قوله: ما رأيت أسهل من الورع**) أي لما تقدم من أنه دون الزهد، فمن كان أزهد كان أورع ولا ينعكس. (**قوله: ما حاك**) هو

المشكل أشد إعراضاً وأخف تحملاً (ما حاك) أيّ: تحرّك (في نفسك تركته) يعني والورع تركك ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس. (وقال معروف الكرخي: احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم) فالورع يجري في المدح كما يجري في الذم، وفي الحديث في الفضول لأن العبد قد يمدح غيره فإن مدحه بضد ما يعتقده كان كاذباً، أو بما يعتقده فقد يدخل الممدوح في ضرر، ويقطع ظهره لوقوعه في كبر أو عجب أو غيرهما مما يرتبط برؤية النفس، ورفعتها، وقد جاء في الخبر: «كفى بالمرء إثماً أن يحدّث بكل ما سمع»، فليحفظ لسانه عن نقل أخبار الناس خوفاً من الوقوع في الكذب (وقال بشر بن الحرث: أشد الأعمال) أي: أشقها على النفوس (ثلاثة) أحدها (الجود في القلة) والحاجة لأن الحامل عليه حينئذٍ كمال الإيثار والإعراض عن النفس وحظها، (و) ثانيها (الورع في الخلوة) عن الناس لأن العبد قد يتورّع عن الشيء إذا كان مع الناس لكونه مرائياً، أو يجد معيناً فإن العبد قد يعمل برؤية غيره، وينشط بنشاطه بخلاف من يتورّع وحده بحيث لا يراه أحد فإن ذلك إنما هو لكمال إخلاصه وخوفه، (و) ثالثها (كلمة حق عند من يخاف منه ويرجى) فيها السلامة منه لما فيه من كمال التغرير بالنفس، وتعريضها للإهانة (وقيل: جاءت أخت بشر الحافي إلى أحمد بن حنبل) وكانت لا تحب أن تتصرّف في شيء من أموال الولاة (وقالت) له (إنا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل) الولاة (الظاهرية ويقع الشعاع)

بالحاء المهملة بمعنى تحرك كما ذكره الشارح، وقوله: تركته أي أعرضت عنه مخالفاً لنفسك فكل ما كرهت أن يطلع عليه غيرك منك مما خفى من أمرك لزمك تركه ليتحقق ورعك.

(قوله: احفظ لسانك من المدح) أي صنه عن الثناء على غيرك بما لم يشهد به علم المتابعة مثل ما تحفظه وتصونه عن ذمك اياه إذا عملت ذلك تعلم أن مدح الش نص نفسه أقبح بدليل قوله سبحانه: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] الآية هذا، وقد سمعت من بعض مشايخي إن مثل من يمدح نفسه مثل بهيم ينظف نفسه بلحس لسانه. (قوله: لأن العبد قد يمدح الخ) محصله النهي عن مدح الغير سواء كان كاذباً في المدح أم صادقاً لكونه آثما في الحالة الأولى موقعاً للممدوح في ضرر عجبه وكبره في الثانية. (قوله: كفى بالمرء إثماً أن يحدث الخ) أي كفاه اثمه في تحدثه بكل مسموعاته ما صح منها وغيره مما قبل في العقل وما لم يقبل منها. (قوله: أشد الأعمال الخ) أي وإنما كانت أشد الأعمال لكونها ليست من حظوظ النفس التي تميل إليها بل من التي تنفر منها. (قوله: ويرجى فيها السلامة) قيد في جواز الإقدام عليها والا امتنع شرعاً.

(قوله: وقالت له الخ) انظر كمال متابعتها وزيادة مراقبتها لحركاتها حيث خشيت

أي: شعاعها **(علينا)** فيزداد النورية عندنا زيادة على نور السماء **(أفيجوز لنا الغزل في شعاعها فقال أحمد)** لها لمعرفته رفعة سؤالها وكمال حالها **(من أنت عافاك الله قالت: أخت بشر الحافي فبكى أحمد بن حنبل)** رحمه الله على ذهاب بشر وأمثاله من الدنيا **(وقال)** لها: **(من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها)** في ذلك تنبيه على أن المفتي ينبغي له أن يراعي في الفتيا حال السائل فإن لم يعرف حاله الكامل أفتاه بالجائز، وإلا فبالأفضل والأكمل، وذلك لأن غزلها في الشعاع وإن لم يكن تصرفاً في مال الغير كالإستظلال بجداره، والنظر في المرآة المنصوبة فيه مكانة انتفاع به في الجملة **(وقال علي العطار: مررت بالبصرة في بعض الشوارع فإذا مشايخ قعود وصبيان)** بجانبهم **(يلعبون)** بما يكره ويستحي منه **(فقلت لهم: أما تستحيون من هؤلاء المشايخ فقال صبي من بينهم: هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم)** إذ لو كمل ورعهم لنهونا عن ذلك، فلما لم ينهونا قلت حرمتهم عندنا، في ذلك تنبيه على ما تضمنه الخبر الصحيح من تأديب الصبيان وأمرهم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين وضربهم عليها وهم أبناء اثنتي عشرة سنة. **(وقيل: إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة فلم يصح)** أي: يقع **(له أن يأكل شيئاً من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه)** تورعاً إما لشبهة يعرفها فيه أو لمخالفة شهوته أو لغير ذلك، **(وكان إذا انقضى وقت الرطب قال: يا أهل البصرة هذا بطني ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم)** شيء. ومن ذلك حكي أن بشر بن الحرث قال: إني لأشتهي الشواء منذ أربعين سنة ما صفا لي ثمنه كما مرّ مع بيانه في ترجمته، وهذا من الورع الكامل. **(وقيل لإبراهيم بن أدهم: ألا تشرب من ماء زمزم فقال: لو كان لي دلو لشربت منه)** فلم يشرب بدلو غيره تورعاً، وإن كان الماء في

على نفسها، من غير كسبها، وذلك غاية الورع، ولذلك لما علم الإمام علوّ همتها ونور بصيرتها اجابها بما يوافق سجيتها وطهارة فطرتها رضي الله تعالى عنهم وارضاهم عنا.
(قوله: فقال صبي الخ) محصله أن تضييع مظاهر الأمر والنهي يوجب عدم احترام المشايخ لأنهم لو داموا على المتابعة أدام لهم التعظيم جزاءً وفاقاً. **(قوله: وقيل إن مالك الخ)** فيه دليل على قوة صبره وعلوّ همته ولله الفضل حيث هو الموفق.

(قوله: ما صفا لي ثمنه) انظر فإذا لم يتيسر لمثل هذا في زمنه هذا المقدار من محقق الحل، فكيف الحال لمثلنا في هذا الزمن فلا حول ولا قوة إلا بالله. **(قوله: وقيل لإبراهيم بن أدهم الخ)** أي وعنه أيضاً أنه قال: لا يتمّ الورع إلا بتسوية الخلق كلهم في قلبك واشتغالك عن عيوبهم بذنبك، وعليك باللفظ الجميل، من قلب ذليل لرب جليل فكر في قلبك وتب إلى ربك يثبت الوزع في قلبك، واحسم الطمع إلا من ربك أقول وكل ذلك صحيح إذ الورع نوع من الخوف منه تعالى. **(قوله: فقال لو كان لي دلو الخ)**

نفسه حلالاً فاضلاً. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: كان الحرث المحاسبي إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم أنه غير حلال**) كما مر أيضاً في ترجمته هذه من حفظ الله تعالى لأوليائه، وتنبيههم على ما خفي عليهم من الإمارات، وإن لم يؤثر مثل ذلك في الأحكام لأنه ليس بدليل شرعي، ومن ذلك ما تقرّر في الشرع أن العيب يوجب الرد، فهذا لا يعرف إلا بدليله الشرعي، وإما إنه عيب أولاً، فيعرف بأهل الخبرة، ولا يلزم أن يكون المعرف له دليلاً شرعياً. (**وقيل: إن بشراً الحافي دعي إلى دعوة**) بفتح الدال على المشهور وهي الطعام (**فوضع بين يديه طعام فجهد أن يمدّ يده**) إليه (**فلم تمتدّ ففعل ذلك ثلاث مرات فقال رجل يعرف ذلك منه أن يده لا تمتد إلى طعام فيه شبهة ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعو هذا الشيخ**) هذا من جنس ما قبله، وكل منهما يدل على أن لكل من الطعام الحلال وغيره تأثيراً في القلوب سواء أعرف الآكل ذلك أم لا، فللأوّل تنوير في القلوب ونشاط في الجوارح وغيرهما من إمارات الخير، وللثاني عكس ذلك وقول القائل: إن يده لا تمتد الخ في هذا المحل مشوش على صاحب هذه الدعوة، وعلى بعض الحاضرين. (**أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى الصوفي قال: سمعت عبد الله بن علي بن يحيى التميمي قال: سمعت أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول: سئل سهل بن عبد الله**) التستري (**عن الحلال الصافي فقال**) الحلال الصافي (**هو الذي لا يعصي الله تعالى فيه**) بأن يملك بوجه شرعي لا شبهة فيه خلافاً لمن زعم أنه لا حلال إلا ما لم تتناوله الأيدي كالحشيش النابت في الصحاري. (**وقال سهل: الحلال الصافي**) هو (**الذي لا ينسى الله تعالى فيه**) بأن لا يحبه العبد محبة شديدة بحيث يشغله

أي فقد قدم درء المفسدة على جلب المصلحة نفعنا الله به. (**قوله: فيعلم أنه غير حلال**) إن قلت يلزم من ذلك ايذاء صاحب الطعام بإظهاره ذلك قلت هو غير لازم لإمكان امتناعه عنه بوجه لا ضرر فيه على صاحب الطعام على أنه قد يكون صاحبه ممن لم يبالي بزجره.

(**قوله: وإن لم يؤثر مثل ذلك الخ**) أي اعتباراً بظاهر أحكام الشرع كما أشار إليه الشارح، وإلا فهو يؤثر باعتبار باطن الحقيقة، وذلك بشاهد العلم الذوقي، والله أعلم بالحقيقة. (**قوله: ومن ذلك**) أي من الذي له دليل شرعي يناط الحكم به، وإن توقف تحققه وثبوته على شيء آخر كأهل الخبرة الذين ليسوا من الدليل الشرعي. (**قوله: فقال رجل الخ**) فيه أنهم يتحملون الايذاء من غيرهم، فكيف التسبب فيه قلت لعل له وجهاً قد خفي بالنسبة لنا. (**قوله: هو الذي لا يعصي الله فيه**) أقول وذلك هو المعوّل عليه بظاهر الشرع وحكم الطريقة، وما بعده من المغالاة والمبالغات.

(**قوله: هو الذي لا ينسى الله تعالى فيه**) أي وضده ما استولت عليه النفس بمجرد

عن رؤية ربه، ومناجاته. **(ودخل الحسن البصري مكة فرأى غلاماً من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن وقال له: ما ملاك الدين)** أي: أصله **(فقال: الورع فقال له: فما آفة الدين قال الطمع)** في الدنيا **(فتعجب الحسن منه)** فمتى غفل العبد عن الورع الواجب والمندوب أو ارتكب الطمع بحيث لم يتوقف عن شيء يحصل له تلف دينه **(وقال الحسن)** أيضاً: **(مثقال ذرّة من الورع السالم)** من الرياء والكبر والعجب **(خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة)** **لأن فيهما الغنيمة، وفي الورع السلامة وهي مقدّمة على الغنيمة كما مر (وأوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام لم)** وفي نسخة لا **(يتقرّب إليّ المتقرّبون بمثل الورع والزهد)** لذلك **(وقال أبو هريرة رضي الله عنه: جلساء الله تعالى غداً)** أي: يوم القيامة **(أهل الورع والزهد)** لأنهم تقرّبوا إليه بأفضل القربات، وهو بغض ما أبغضه الله وكراهة ما كرهه على ما دلت عليه الأدلة لخبر: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء». **(وقال سهل بن عبد الله)** التستري **(من لم يصحبه الورع بأكل رأس الفيل ولم يشبع)** أي: اشتدّت رغبته في الدنيا، وفي أكله ما يطيب وما لا يطيب. **(وقيل: حمل إلى عمر بن عبد العزيز)** رضي الله عنه **(مسك من الغنائم، فقبض على مشامه وقال: إنما ينتفع من هذا بريحه، وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين)** هذا من أكمل الورع، وحكي أنه أمر من يقسمه أن يبعد عنه لئلا يجد رائحته قسمة بين الناس خوفاً من أن يتنعم برائحته هو ومن حضره دون بقية المسلمين

حظها منه غافلة عن حق الحق فيه. **(قوله: فقال الورع)** أي لأن به يتم الانقياد الظاهري والباطني. **(قوله: تلف دينه)** أي وذلك بارتكاب المحرّم أو بترك ما هو الأفضل في حقه كما لا يخفى. **(قوله: لأن فيهما الغنيمة)** أي للأجر وفي الورع السلامة أي من الوزر، ودفع المفاسد مقدم على جلب المصالح ولا سيما إن تعلقت الحقوق بالآدمي. **(قوله: بمثل الورع)** أي لأن من قدر على حبس نفسه عليه فهو على غيره من المأمورات أقدر. **(قوله: لذلك)** أي لما فيه من السلامة، وهي مقدمة على الغنيمة. **(قوله: جلساء الله الخ)** المراد بهم من أكرم واتحف بأنواع الإكرام كما يكرم الجليس من الكرام**(قوله: لو كانت الدنيا الخ)** أي وإنما كانت كذلك لأنها دار امتحان وابتلاء مع فنائها وزوالها بسرعة وإشغالها بطبعها عن حق الحق تعالى. **(قوله: من لم يصحبه الورع الخ)** أي فهو أس في نزاهة النفس عن الفضول، فإذا تجرّد عنه العبد فقد تعرّض للهلاك بالتهافت على الدنيا.

(قوله: إنما ينتفع من هذا بريحه) أي فشم ريحه هو المقصود منه، وهو حق الغانمين فكره أن يتقدم عليهم بشم ريحه، وذلك غاية الورع كما صرّح به الشارح. **(قوله: وتقدّم فيه كلام الخ)** حاصل ما تقدم أن الشارح قد اعترض عليه بأنه من حقوق

الذين هم شركاء، وهذه عادته في الورع. **(وسئل أبو عثمان الحيري عن الورع فقال: كان أبو صالح حمدون عند صديق له، وهو في النزع فمات الرجل فنفث أبو صالح في السراج فقيل له: في ذلك فقال: إلى الآن كان الدهن له في المسرجة)** بفتح الميم **(ومن الآن صار)** الدهن **(للورثة اطلبوا دهناً غيره)** فعله تورعاً وتقدم فيه كلام في ترجمته **(وقال كهمس: أذنبت ذنباً وها أنا أبكي عليه منذ أربعين سنة، وذلك أنه زارني أخ لي، فاشتريت لأجله بدانق سمكة مشوية)** ليأكلها **(فلما فرغ)** من أكلها **(أخذت قطعة طين من دار جار لي حتى غسل بها يده ولم استحله)** قبل أخذي لها فبكاؤه على أخذه مع علمه بتحريمه، وتركه الإستحلال قبل أخذه وفي ذلك دلالة على غاية إحترازه من الذنوب المستحقرة عند الناس. **(وكان رجل يكتب رقعة وهو في بيت بكراء فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت)** وكان مبنياً بالطين أو نحوه **(فخطر بباله)** أي: بقلبه **(أن البيت بالكراء ثم أنه خطر بباله أنه لا خطر لهذا)** القدر الذي لا يتحاشى عنه عادة **(فترب الكتاب، فسمع هاتفاً يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غداً)** أي: يوم القيامة **(من طول الحساب)** في ذلك تنبيه على رفعة منزلة هذا الرجل عند الله تعالى لكونه نبه على البعد عن مثل ذلك. **(ورهن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى سطلاً له عند بقال بمكة حرسها الله تعالى، فلما أراد فكاكه أخرج البقال إليه سطلين، وقال: خذ أيهما هو لك فقال أحمد اشكل عليَّ سطلي، فهولك والدراهم لك فقال البقال: سطلك هذا وأنا أردت أن أجرّبك فقال)** أحمد **(لا آخذه ومضى وترك السطل عنده)** نوراً وتعريفاً له بأن أهل الدين والزهد لا يلتفتون لشيء من الدنيا ليتأدّب بذلك، ولا يمتحن أحداً. **(وقيل: سيب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت الدابة في زرع قرية سلطانية)** أي: زرعت

الميت كباقي مؤن التجهيز، وحينئذ فلا داعي لطفء السراج لأن بقاء الميت في بيت مظلم مما يزري به، وقد تقدم لنا رد هذا الاعتراض بأن مؤن التجهيزات كانت من حقوق الميت غير انها لا تختص بعين من أعيان التركة، بل الوارث يتصرف فيها بحسب ما يرى لانتقال الحق له بالموت، فحرّر ولا تغفل. **(قوله: اذنبت ذنباً الخ)** أقول هو وإن كان من الذنوب حقيقة غير أنه مما يستخف به عند الناس بجهلهم، فبكاؤه عليه هذه المدّة يدل على زيادة ورعه مع أنه قد يتسامح في مثله.

(قوله: فسمع هاتفاً الخ) حكمته قبح استصغار الزلات، وفي عناية الله بهذا العبد لأجل أنه يبعده عن مثله وهكذا عباد الله المحبوبون. **(قوله: ورهن أحمد الخ)** فيه تنبيه على أنه كان متحققاً بحقيقة الورع نفعنا الله به. ورضي عنه. **(قوله: وقيل سيب ابن**

بأموال السلطان وهي مشتركة بين المسلمين **(فترك ابن المبارك الدابة، ولم يركبها)** بأن أباحها لمن يتملكها، ووهبها لصاحب الزرع تورعاً لما حصل لها من القوّة بما أكلته من الزرع المذكور. **(وقيل: رجع ابن المبارك من مرو إلى الشام في)** أي: بسبب **(قلم استعاره فلم يردّه على صاحبه)** لأن العارية مضمونة مؤداة فرجع ليؤدّيها وإن كان مثل ذلك قد يتسامح فيه. **(واستأجر)** إبراهيم **(النخعي دابة فسقط سوطه من يده، فنزل وربط الدابة، ورجع فأخذ السوط)** من الموضع الذي سقط فيه **(فقيل له: لو حوّلت الدابة إلى الموضع الذي سقط فيه السوط، فأخذته كان أسهل لك فقال: إنما استأجرتها لأمضي)** عليها **(هكذا لا هكذا)** أي: إلى هذه الجهة لا إلى هذه الجهة، فعل ذلك تورعاً، وإن كان تركه مما يتسامح فيه وفيه ورع آخر، وهو أنه كان يمكنه أن يقف موضعه، ويأمر غيره أن يناوله السوط، ولا يرجع، ولكنه تورع عن سؤال الناس وتسخيرهم. كما حكي أن أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه كان راكباً على بعير، فسقط مقود البعير من يده إلى الأرض، فنوخ بعيره وأخذ مقوده وركب عليه فقيل له في ذلك فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تسألوا الناس شيئاً». **(وقال أبو بكر الدقاق: تهت في تيه بني إسرائيل خمسة عشر يوماً فلما وافيت الطريق)** أي: رجعت وغلب عليَّ العطش **(استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء فعادت)** أي: رجعت **(قسوتها على قلبي وتألمت)** بها **(ثلاثين سنة)** لأن الغالب على الجند قلة التحفظ فيما يأخذونه، وتقدّمت هذه الحكاية في ترجمته. **(وقيل: خاطت رابعة العدوية شقاً في قميصها في ضوء مشعلة سلطان ففقدت قلبها)** أي: حضوره **(زماناً**

المبارك الخ) هو من حقيقة الورع كالذي قبله إذ الأموال السلطانية من الحقوق العامة. **(قوله: لأن العارية مضمونة مؤداة)** أي يثبت ضمانها إذا تلفت عينها ويجب دفعها لمالكها ما بقيت عينها. **(قوله: فسقط سوطه)** أي في غير جهة مقصده كما يعلم من جوابه. **(قوله: وفيه ورع آخر الخ)** أي وهو بترك ذل سؤال الغير أن يناله السوط، وهما مما ينبغي لأرباب النفوس العالية التخلق به إذ هو من الأخلاق المحمدية. **(قوله: وقيل خاطت الخ)** أقول ذاك من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين وإلا فلا ذنب أصلاً.

(قوله: فشقت قميصها) إن قلت على فرض أن أصل الخياطة في ضوء مشعلة السلطان من التصرف في غير الملك فأي فائدة في شق القميص، قلت: لعله من التوبة من مثل ذلك بالنسبة لمقامها، ولذلك ترتب عليه وجود قلبها. **(قوله: تدل على الترغيب والترهيب الخ)** أي تدل على ذلك بطريق الإشارة وشاهد علم الذوق وقوله لا أدلة شرعية أي فلا يثبت بها حكم شرعي. **(قوله: فقالوا الورع الخ)** أي لما فيه من حبس النفس عن مألوفاتها، وهذا يدل على أنهم في ابتداء السلوك ولذا حملهم حسان على أعلى منه، وهو

حتى تذكرت) هذه القصة التي حصل بها قسوة قلبها **(فشققت قميصها فوجدت قلبها)** أي: حضوره، هذا من جنس ما مر عن المحاسبي وبشر، وذلك حفظ وتأديب من الله تعالى لمن عظمت رتبته. **(ورؤي سفيان الثوري في المنام، وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة إلى شجرة فقيل له: بم نلت هذا المقام فقال: بالورع بالورع)** هذا المنام ترغيب في الورع، ولهذا أكد طلبه بتكرير قوله بالورع وسائر المنامات التي تذكر أمثلة تدل على الترغيب والرهيب لمن أراد الله به خيراً لا أدلة شرعية. **(ووقف حسان بن أبي سنان على أصحاب الحسن)** البصري **(فقال)** لهم **(أي شيء أشد)** أي: أشق **(عليكم فقالوا: الورع فقال: ولا شيء أخف عليَّ منه فقالوا: فكيف)** ذلك **(فقال: لم أرو)** أي: لم أشرب **(من نهركم منذ أربعين سنة)** تورعاً لاحتمال أن النهر حصل بظلم في حفره وتهيئته، وهذا منه يدل على كمال زهده لأن من تعوّد الزهد خف عليه الورع، فأراد رحمه الله أن ينقل أصحاب الحسن من الورع إلى الزهد، فدلهم على ذلك بفعله الذي هو الوعظ من قوله، وهو أنه لم يشرب من نهرهم المتيسر عليهم أربعين سنة **(وكان حسان بن أبي سنان لا ينام)** بالليل **(مضطجعاً)** بل على حالته التي هو عليها **(ولا يأكل سميناً ولا يشرب ماء بارداً ستين سنة)** لكمال شغله بربه **(فرؤي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك فقال: خيراً إلا أني محبوس عن الجنة بإبرة)** أي: بسبب إبرة **(استعرتها فلم أردها)** إلى صاحبها هذا يدل على كمال ورعه مع أنه لم يسامح بإبرة فإذا كان الحبيب القريب لم يسامح في حقوق الناس، فكيف بمن أكثر ليله ونهاره يتمضمض بأعراض الناس في الغيبة والنميمة والسب والقذف وغيرها من المحرّمات فإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذا من جنس ما مر في القلم والتمرة. **(وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين)** عديدة **(وتعبد أربعين سنة، وكان ابتداء أمره كيالاً فلما مات رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك فقال: خيراً غير أني محبوس عن الجنة وقد أخرج)** أي: أظهر الله **(عليَّ من غبار**

الزهد. **(قوله: وكان حسان الخ)** أقول عدم مسامحته يدل على زيادة قربه وتنوير بصيرته، وحينئذ فلا ينبغي قنوط غيره من رحمة ربه ممن لم يصل إلى مثل هذه المقامات يختص برحمته من يشاء.

(قوله: فكيف بمن أكثر ليله الخ) أقول مثل هذا من اخلاق خاصة أهل زماننا فضلاً عن عوامهم، فكأنهم يعتقدون اباحة ذلك، فلا حول ولا قوة إلا بالله. **(قوله: وكان لعبد الواحد الخ)** فيه تنبيه أن المؤمن ينبغي أن يكون دائم اليقظة في مراقبة الأفعال حيث ثبت الحساب في حقير الأشياء، ولكن مع هذا فالحبس في مثله للتحليل لا للتعنيف أي

القفيز الذي اكتلته أربعين قفيزاً) لأن الكيال إذا اكتال ما فيه تراب حصل التراب في أسفل الكيل فإن لم ينفضه في الحال واكتال به مرة أخرى تزايد التراب، وحصل بواسطة المدّة الطويلة نقص كثير فيما يكال فحبس عن الجنة بذلك، وروى البخاري خبر: «إن المؤمنين إذا خلصوا من الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فلأحدهم أعرف بمنزله في الجنة منه بمنزله الذي كان في الدنيا يلهمون ذلك» وحمل عليه بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦] والقفيز يقال لما يكال ولما يكال به، وهو الأصل، قال الجوهري: القفيز مكيال، وهو ثمانية مكاكيك والمكوك مكيال، وهو ثلاثة أمنان وسبعة أثمان من والمن رطلان. **(ومرّ عيسى ابن مريم عليهما السلام بمقبرة فنادى رجلاً منهم)** أي: من أهلها **(فأحياه الله تعالى فقال: من أنت)** وكيف حالك **(فقال: كنت حمالاً أنقل للناس أمتعتهم فنقلت لإنسان يوماً حطباً فكسرت منه خلالاً تخللت به، فأنا مطالب به منذ مت)** وإن كان مثله مما يسامح فيه وذلك لخبر: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك». **(وتكلم أبو سعيد الخرّاز في الورع فمرّ به عباس بن المهتدي فقال: له يا أبا سعيد أما تستحي)** من الله **(تجلس تحت سقف أبي الدوانيق وتشرب من بركة زبيدة وتتعامل)** مع غيرك **(بالدراهم المزيفة)** أي: المغشوشة **(و)** مع ذلك **(تتكلم في الورع)** هذا توبيخ لمن يتكلم في الورع ولم يتخلق بكماله، وهو داخل في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣] ومدّع لنفسه أنه متخلق بما لم ينل أو مراء طالب للمنزلة في قلوب الخلق.

العقاب بنار التطهير، وإلا فأي تعنيف أشد منه ولا سيما في هذا الموطن الصعب. **(قوله: وحمل عليه بعض المفسرين الخ)** أي حيث قال في معنى عرفها لهم أي بطريق الإلهام. **(قوله: فأنا مطالب به الخ)** أي ويدل عليه في شريعتنا قوله جل جلاله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] الآية. **(قوله: إذ الأمانة الخ)** الأمر فيه للوجوب والنهي للتحريم.

(قوله: هذا توبيخ الخ) أي فلا ينبغي أن يأمر الإنسان غيره أو ينهاه إلاّ بعد أن يأتمر وينتهي شعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

(قوله: ومدّع) عطف على داخل من قوله وهو داخل فهو خبر بعد خبر.

باب الزهد

هو الإعراض بالقلب عن الدنيا وهو رأس كل طاعة لأنه ضد حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة.

باب الزهد

أقول من ثمراته العاجلة البعد عن ذلك التشوّف لما في أيدي الناس إذ من طمع ذل على قدر طمعه لأنه مقرون بثلاث التملق للمطموع فيه، واستشعار الخيبة عند الطلب أو سلطنة المعطي عند المساعدة، وبذل ماء الوجه عن المواجهة مع ما ينضاف لذلك من أصله وفرعه، قال المرسي: الطمع ثلاثة أحرف كلها مجوفة، فصاحبه بطن كله لا يشبع أبداً، وقال صاحب الحكم العطائية: ما قادك شيء مثل الوهم وقال أيضاً: أنت حر مما أنت منه آيس وعبد لما أنت له طامع، والدليل عليه قوله جل شأنه: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [هود: ٨٦]، ثم الدنيا وإن كان من المحمود، فهو يتفاوت باعتبار كل شاهد ومشهود، فزهد المريد في أمتعة الدنيا والأموال، وزهد العابد فيما يشتغل منه البال، وزهد الأكمل في مباح الحلال، وزهد السالك فيما يحجب عن قيام الدين، وزهد أهل الأحوال في أحوال غيرهم من الرجال وزهد أرباب المقامات فيما يصدهم عن المشاهدات، وزهد أصحاب المعارف فيما يعطلهم عن العوارف، وزهد المحققين الكبار فيما سوى الحق من الأغيار، فهؤلاء يرون الزهد عين الحجاب وقشراً اشتغل به أهله عن اللباب شعر:

قالوا تزهد قلت لي حجب ... عن الحقيقة في أطوار تحقيق
الزهد غير وما للغير من أثر ... عند العيان إذا ترقى بتوفيق

اهـ.

تنبيه

المزهو فيه إنما هو الدنيا المذمومة المحقرة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة وعلى ألسنة العلماء نفعنا الله ببركات علومهم قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران: ١٤] إلى أن قال: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤] نذكر سبحانه أنواع ما يحبه الناس، ثم حقر ذلك بقوله

ذلك متاع الحياة الدنيا أي ما يستمتع به فيها والمآب المرجع إلى الجنة، وفي ذلك تفضيل للمآب، وتعظيم له، وقال ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا عالم أو متعلم»[1] الحديث، والزهد لغة قلة رغبة النفس في الدنيا يقال زهد في الشيء، وعن الشيء يزهد زهداً وزهادة والمزهد القليل المال، والزهيد العليل، وفلان يزهد في عطاء فلان يعده قليلاً، واعلم أن الزهد ينقسم إلى واجب ومندوب، والمندوب إلى فاضل وأفضل، فالزهد في الحرام واجب، وفي المكروه مندوب، وفي ترك الفضول من الحلال أندب، فالزاهد من لم يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره كما نقل ذلك عن سفيان بن عيينة والزهري، أقول وما ذكراه من ثمرات الزهد إذ من ضعفت شهواته لزهده قوي صبره ولا تشغله الشهوات لو وجدت عن شكر المنعم، فتأمل تفهم، والله أعلم. (**قوله: هو الإعراض الخ**) أقول والإعراض والتهافت على تحصيل الدنيا سواء لأنه لا بد من وصول المقسوم في الأزل، فالإعراض لا يمنعه والتهافت لا يجلب زائداً عليه، ولا بأس بإيراد قول عروة بن أذينة الشاعر وقصته حيث هو يقول:

لقد علمت وما الإسراف من خلقي ... أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنيني تطلبه ... ولو قعدت أتاني لا يعنيني

وحاصل قصته أن عروة هذا، وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء، فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له ألست القائل لقد علمت، وما الإسراف من خلقي الخ وأراك قد جئت تضرب من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق، فقال له: لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت في الوعظ، وذكرت ما أنسانيه الدهر، وخرج من فوره إلى راحلته فركبها وسافر راجعاً نحو الحجاز فمكث هشام يومه غافلاً، فلما كان الليل تعارّ على فراشه، فذكره وقال في نفسه رجل من قريش قال حكمة، ووفد إليّ فجبهته ورددته عن حاجته، وهو مع هذا شاعر لا أدري ما يقول، فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه، فقال لا جرم ليعلمنَّ أن الرزق سيأتيه، ثم عاد بمولى له وأعطاه ألفي دينار، وقال إلحق بهذه ابن أذينة فاعطه إياها فسار إليه فلم يدركه إلا وقد دخل بيته، فقرع عليه الباب، فخرج فأعطاه المال، فقال: أبلغ أمير المؤمنين السلام، وقل له كيف رأيت قولي سعيت فأكديت، ورجعت إلى بيتي فأتاني المال الذي هو رزقي فتأمّل هذه القصة، فإنها تحث على اليقين، وإعلاق الأمل بالخالق دون المخلوقين، واعلم أن قول هذا الشاعر وما الإسراف من خلقي يصح قراءته بالسين المهملة وبالشين المعجمة بمعنى التطلع إلى الشيء والاستشراف له، من درة الغوّاص. (**قوله: هو الإعراض الخ**) أقول ومما يسهل

(١) أخرجه الترمذي (زهد ١٤) وابن ماجه (زهد ٣) والدارمي (مقدمة ٣٢).

ولو لم يكن فيه إلا أنه بعد به عن الدنيا التي هي ملعونة الله لكفى به فضلاً وشرفاً. (**أخبرنا حمزة ابن يوسف السهمي الجرجاني قال: أخبرنا أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقري ببغداد قال: حدثنا جعفر بن مجاشع قال: حدثنا زيد ابن إسماعيل قال: حدثنا كثير بن هشام قال: حدثنا الحكم بن هشام عن يحيى بن سعيد عن أبي فروة عن أبي خلاد وكانت له صحبة**) بالنبي ﷺ (**قال: قال النبي ﷺ إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا ومنطقاً**) فيها بالوعظ (**فاقتربوا منه فإنه يلقّن**) وروي يلقي (**الحكمة وقد اختلف الناس في الزهد**) لا من حيث معناه بل من حيث حكمه، والقنع بما تيسر وغيرهما كما سيأتي، (**فمنهم من قال الزهد**) يكون (**في الحرام لأن الحلال مباح من قبل الله سبحانه، فإذا أنعم الله تعالى على عبده بمال من حلال وتعبده بالشكر عليه، فتركه له بإختياره لا يقدم على إمساكه له بحق إذنه**) تعالى له فيه، فلا يكون تركه زهداً عند هذا القائل، (**ومنهم من قال الزهد**) في الحلال

الزهد قصر الأمل، ولذا ورد كفى بذكر الموت مزهداً. (**قوله: وهو رأس كل طاعة الخ**) أي ولذلك كثرت ثمراته فيها فراغ القلب عن المشغلات وعزة النفس بالرب والإستغناء عن جميع المخلوقات والتلذذ بالمناجاة، والسلامة من التبعات وغير ذلك. هذا، وقول الشارح هو الاعراض الخ قال بعضهم: لعل عده من المقامات باعتبار بعض السالكين، وإلا فهو يستدعي منازعة النفس، وهي عين الدعوى وصارفة عما هو أكمل منها، وهو الاشتغال بالحق تعالى، فهو حينئذ باعتبار الخواص من العارفين المحققين صرف الرغبة إليه تعالى، وتعلق الهمة به والإستغناء به عن كل شيء وهو يتولى حسم أسباب الحجاب عنهم. (**قوله: التي هي ملعونة الله الخ**) قال بعضهم: ذم الدنيا باعتبار ما طبعت عليه من كونها مشغلة عن الحق تعالى، وهو لا ينافي مدحها باعتبار من وفقه الله في تصاريفه فيها، ولذلك قيل بهذا الاعتبار إنها مزرعة الآخرة. (**قوله: فاقتربوا منه الخ**) أي فتقربوا منه لتنالوا من بركات أنفاسه حيث كان لا ينطق إلا بالحكمة بواسطة إشراق نور بصيرته. (**قوله: لا من حيث معناه الخ**) أي لأنه لم يختلف فيه من هذه الحيثية للاتفاق على أنه الإعراض بالقلب عن الدنيا وقوله: بل من حيث حكمه أي متعلق حكمه كما لا يخفى. (**قوله: وتعبده بالشكر عليه الخ**) أي طلب منه الشكر عليه الذي هو صرف جميع ما أنعم الله به عليه، فيما خلق له أو هو انفاقه في مرضاة الله، ولم يتعبد بغير ذلك فحينئذ تركه في حالة الاختيار وإمساكه بحق إذنه سواء.

(**قوله: لا يقدّم على إمساكه الخ**) أي فالأمران سواء لا أولوية لأحدهما على الآخر فتركه مثل إمساكه في الفضيلة. (**قوله: ومنهم من قال الزهد الخ**) أي لأن كلا من الحلال والحرام يشغل عن الحق، وشأن التوسع الإطغاء، والدنيا بهذا الاعتبار مبغوضة له تعالى فالزهد في الحلال هو الزهد حيث درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح، وحاصل

والحرام لكنه (**في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة، فإن إقلال المال والعبد صابر في**) بمعنى على (**حاله راض بما قسم الله تعالى له قانع بما يعطيه اتم من توسعه وتبسطه**) في الدنيا (**فإن الله سبحانه زهد الخلق في الدنيا بقوله تعالى**: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧] وغير ذلك من الآيات الواردة في ذم الدنيا والتزهيد فيها) كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥] ولخبر: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»، وخبر البخاري: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة،

القولين هذا والذي قبله انّ صاحب القول الأوّل نظر إلى ثمرة الإنفاق بوسائط التوفيق، فلم يعد ترك المال اختيار في هذه الحالة زهد ولا فضيلة، وصاحب القول الثاني نظر إلى شأن المال من أنه يطغى، ويشغل عن الحق ومبغوض له تعالى، ودرء المفاسد مقدّم على جلب المصالح، فرأى أن ترك الحلال في حالة الاختيار هو الزهد، وعلى هذين القولين يتفرع الخلاف المشهور هل الغني الشاكر أفضل أم الفقير الصابر، الفقهاء على ترجيح الأوّل، وسادة الصوفية على ترجيح الثاني، وأقول لكل وجهة هو موليها فتأمّل. (**قوله: فإن إقلال المال الخ**) هذا ترويج لما عليه سادة الصوفية من أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وأقول قلبي يميل إلى ما رجحه الفقهاء من أن الغنيّ الشاكر، أفضل لأن ما يذم من المال فيما إذا صحبه الحظوظ، أما إذا تجرد عنها فقد يبلغ به العبد المقصود ديناً ودنيا مع ما فيه من مواساة الفقراء من الإخوان المسلمين في الحال وما بعده بجهة وقف وأرصاد، ولا سيما إذا نظرنا لأهل زماننا إذ لا قوة لهم على الصبر على الفقد، والله أعلم. (**قوله: فإن الله سبحانه زهد الخلق في الدنيا**) قيل هي من الدنو لقربها من الآخرة أو من الدناءة لكونها خسيسة محقرة ويقابلها الآخرة أي المتأخرة أو ذات الشرف بالنسبة لمن آمن واتبع، فالسعيد من لم يشتغل بالدنيا وأعرض عنها لفنائها وسرعة انقضائها ولضررها العاجل والآجل والشقي من غفل عن ذلك كله. (**قوله: كقوله تعالى الخ**) أي وكقوله جل شأنه: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الزخرف: ٣٣] الآية قال الطبري: أي يصيرون كفاراً، أو يميلون إلى الدنيا، ويرفضون الآخرة لجعلنا الخ. (**قوله: وبخبر لو كانت الدنيا الخ**) أي، وكخبر: «لو ان لابن آدم واد من ذهب لا يتيقن له ثانيا ولو كان له واديان لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب»، حيث دل على ميل الخلق إلى الدنيا إلا من تاب، فتاب الله عليه[1]. (**قوله: تعس عبد**

---

(١) أخرجه البخاري (رقاق ١٠) ومسلم (زكاة ١١٦، ١١٩) والترمذي (زهد ٢٧٠) (مناقب ٣٢) وابن ماجه (زهد ٢٧) والدارمي (رقاق ٦٢) وأحمد بن حنبل (١، ٣٧٠، ٣، ١٢٢، ١٦٨، ١٧٦، ١٩٢، ١٩٨، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٧٢، ٣٤٠، ٣٤١، ٤، ٣٦٨، ٥، ١١٧، ١٣١، ١٣٢، ٢١٩، ٦، ٥٥).

والخميصة إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض» وخبر الترمذي «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بماذا يرجع» إلى قول من قال: الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر. **(ومنهم من قال إذا أنفق العبد ماله في الطاعة، وعلم من حاله الصبر، وترك التعرض لما نهاه الشرع عنه في حال العسر، فحينئذ يكون زهده في المال الحلال)** وفي نسخة في المال غير الحلال **(أتم)** منه في الحرام. **(ومنهم من قال: ينبغي للعبد أن لا يختار ترك الحلال بتكلفه، ولا طلب الفضول مما)** أي من شيء **(لا يحتاج إليه ويراعي القسمة)** أي قسمة الله له، ولغيره **(فإن رزقه الله مالاً من حلال شكره وان وقفه على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال، فالصبر أحسن بصاحب الفقر، والشكر أليق بصاحب المال**

الدنيا الخ) أي خاب وخسر، وفيه مبالغة في ذم من تعلق قلبه بالدنيا حيث رضي لنفسه عبوديتها لأخس الموجودات، ولكن من يضلل الله فلا هادي له. **(قوله: ما الدنيا في الآخرة الخ)** أقول هو من التقريب للعقول القاصرة، وإلا فلا نسبة ولا مناسبة، والله أعلم. **(قوله: إلى قول من قال الخ)** أي من الصوفية، وتقدم أن الفقهاء على أن الغني الشاكر أفضل. **(قوله: ومنهم من قال الخ)** أقول يشبه أن يكون هذا القول جامعاً بين القولين السابقين. **(قوله: وفي نسخة في المال غير الحلال)** في ذلك نظر لا يخفى، فالأولى ما في النسخة الأولى. **(قوله: أتم منه في الحرام)** فيه أنه يقتضي تفضيل المندوب على الواجب. أقول، ولا مانع من ذلك إذ له نظائر. **(قوله: ومنهم من قال ينبغي للعبد الخ)** تأمله فإنه نفيس جداً وفيه النصفة، هذا والزهد في الحقيقة مرجعه القلوب لا محض ترك الدنيا لأن كثيراً من الخلق يتركها كسلاً وضعف همة مع ميل قلبه إليها، وكثيراً منهم يأخذها ويتعاطاها مع زهده فيها، وقلة رغبته في ملاذها فيعمل قلبه بإذن ربه خاصة، وبذلك اختلفت أحوال الناس. **(قوله: شكره)** أي بالتصرف فيه على حسب الإذن الشرعي، بل ربما يؤثر به غيره.

(قوله: وإن وقفه على حد الكفاف الخ) أي عملاً بخبر رواه أبو أمامة قال: «قال رسول الله ﷺ يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»[1]، قال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

(قوله: فالصبر أحسن الخ) أي فاللازم للعبد أن يكون فاني المراد في مراده تعالى لا يختار لنفسه حالاً دون حال، فيكون عمله بحسب تصريف ربه إن فقد صبره، وإن وجد شكره.

---

(١) أخرجه مسلم (زكاة ٩٥، ٩٧، ١٠٦) وأبو داود (زكاة ٣٩، ٤٠) وأحمد بن حنبل (٢، ٩٤).

الحلال، وتكلموا في معنى الزهد فكل نطق عن وقته وأشار إلى حده) ورسمه. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: حدثنا أحمد بن عمران بن موسى الإسفنجي قال: حدثنا الدورقي قال: حدثنا وكيع قال: قال سفيان الثوري:

(قوله: فكل نطق عن وقته الخ) أي تكلم على حسب شربه مما أنعم عليه ربه، وإذاً فلا خلاف في الحقيقة، كما هو غني عن البيان.

(قوله: قال سفيان الثوري الخ) اعلم أن سفيان هو ابن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحرث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور الثوري، هكذا نسبه الهيثم بن عدي ومحمد بن سعد، وأما ثور فهو ابن عبد مناه بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار قال يحيى بن معين وغيره مولد سفيان الثوري سنة سبع وتسعين من الهجرة، قلت: وهو كوفي الدار طلب العلم في صغره فإن يحيى بن أيوب المقابرى قال: حدّثنا أبو المثنى قال: سمعت الناس بمرو ويقولون: قد جاء الثوري قد جاء الثوري فخرجت أنظر إليه فإذا هو غلام قد بقل وجهه، وقال: يزيد بن هارون أخذ العلم عن سفيان الثوري وهو ابن ثلاثين سنة قلت سمع سفيان من عمرو بن مرّة، وسلمة بن كهيل، وحبيب بن أبي ثابت، وعبد الله بن دينار وعمرو بن دينار وأبي إسحاق ومنصور والأعمش، وعبد الملك بن عمير وحصين بن عبد الرحمن، وصالح مولى التوأمة وأبي الزناد وسهيل بن أبي صالح وأيوب السجستاني، وخلق من طبقتهم ولقي جماعة من كبار الصالحين قال رجل للثوري: لم لا تلقى الزهري قال لم يكن لنا دراهم وقد كفانا معمر، وقال أبو نعيم: كتبت عن نيف ومائة شيخ ممن كتب عنهم سفيان، وقيل: إن سفيان أدرك مائة وثلاثين من التابعين، وإنه أخذ عن ستمائة نفس أو أكثر، قلت روى عنه مسعود بن جريج، ومحمد بن عجلان، والأوزاعي، ومحمد بن إسحاق وأبو حنيفة، وهم أكبر منه وأقدم، وشعبة والحمادان وابن أبي ذئب ومالك وسليمان بن بلال وزائدة، وزهير بن معاوية وهم من أقرانه وابن المبارك ووكيع، ويحيى القطان وأبو نعيم، وعبد الرحمن بن مهدي، ومحمد بن يوسف الفريابي، وعبيد الله الأشجعي، ويحيى بن يمان، وعبد الرزاق، وقبيصة بن عقبة، وأبو حذيفة النهدي، ومحمد بن كثير، وأحمد بن عبد الله بن يونس، وعلي بن الجعد، وأمم لا يحصيهم إلا الله تعالى حتى أن الحافظ أبا الفرج بن الجوزي ذكر في مناقبه أنه روى عنه أكثر من عشرين ألفاً، ومما يدل على قوّة ورعه أنه ورد عن بشر بن الحرث أنه قال: كان عشرة ينظرون في الحلال والحرام النظر الشديد لا يدخل بطونهم إلا الحلال، ولو استقوا التراب فذكر منهم الثوري، وعن زيد بن الحباب قال: نفدت نفقة الثوري بمكة، فقدم عليه رجل، وقال له: لك معي عشرة دراهم قال: من أين قال من غزل فلانة اتتني به فإني منذ ثلاث أسف الرمل، ومما يدل على تواضعه، وخموله قال محمد بن عبد

الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء) ونحوهما، وهذا في

الوهاب الحارثي: رأيت سفيان بالكوفة، وعليه قباء أبيض محشو وقلنسوة بيضاء وكساء يركب الحمار، ويحمل ابن أخته وراءه وكان أبيض الرأس واللحية وقال بشر بن الحرث: كان سفيان ربما أخذ عباء الجمال فيغطي بها رأسه، وقال خلف بن تميم: رأيت سفيان الثوري بمكة، وقد كثر عليه أصحاب الحديث فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخاف أن يكون الله قد ضيع هذه الأمة، حيث احتاج الناس إلى مثلي، وقال علي بن ثابت: ما رأيت سفيان في صدر مجلس قط إنما يقعد إلى جانب الحائط، ويجمع بين ركبتيه، ومما يدل على شدّة خوفه من الله وتفكره وبكائه ما قاله أبو أسامة ما رأيت رجلاً أخوف من الله تعالى من سفيان الثوري، وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثني عبد الله بن التيمي، حدثني خالد بن الصقر السدوسي قال: كان أبي خالصاً لسفيان قال: إني استأذنت على سفيان في نحر الظهيرة، فأذنت لي امرأته فدخلت عليه، وهو يقول: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم، ثم يقول: بلى يا رب وينحب، ودموعه تسيل، وكنت جالساً ما شاء الله، ثم أقبل إليّ، فجلس معي، وقال: مذ كم أنت ههنا ما شعرت بمكانك، وقال أبو أسامة: كان من رأى سفيان كأنه في سفينة يخاف الغرق أكثر ما تسمعه يقول يا رب سلم سلم، وقال حمزة بن ربيعة: سمعت سفيان يقول وددت إني أنفلت من هذا الأمر لا لي، ولا عليّ، ومما يدل على زيادة مجاهدته قال وكيع عن سفيان ما عالجت شيئاً قط أشد عليّ من نفسي مرّة عليّ، ومرّة لي، وقال أحمد بن يونس: حدثنا علي بن الفضيل بن عياض رأيت سفيان الثوري ساجداً حول البيت فطفت سبعة أسابيع قبل أن يرفع رأسه، وقال: مؤمل بن إسمعيل قدم سفيان مكة، وكان من عادته أنه إذا صلى الغد جلس يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ثم يطوف سبعة أسابيع يصلي لكل أسبوع ركعتين يطوّل فيهما، ثم يصلي حتى ينتصف النهار، ثم ينصرف إلى منزله فيأخذ المصحف في حجره فيقرأ فربما نام كذلك، ثم ينادي بالظهر فيخرج فيصلي الظهر، ثم يتطوّع حتى يصلي العصر، فإذا صلى العصر أتاه أصحاب الحديث، واشتغل معهم إلى الغروب، فإذا صلى المغرب تنفل إلى العشاء الآخرة فإذا صلى العشاء الآخرة طاف سبعة اسابيع، ثم انصرف فإن كان صائماً أفطر، ثم يأخذ المصحف فربما يقرأ، ثم ينام وهو قاعد فإذا نودي بالصبح خرج، فلا يزال يطوف حتى يصلي الغداء، فأقام بمكة نحوا من سنة على هذا، رواه ابن أبي الدنيا في مناقب الثوري، ومن كلامه في الزهد والإخلاص والوعظ عن يحيى بن يمان عن سفيان قال: الدنيا بنمزلة رغيف عليه عسل جاءته ذباب، فوقع على العسل ليأكل منه، فانقطع جناحه فمات وإذا مرّ برغيف يابس مرّ به سليماً، وقال وكيع: سمعته يقول: لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقاً إلى الجنة وخوفاً من النار، وقال له رجل أوصني قال: اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها، واعمل للآخرة بقدر مقامك فيها،

الحقيقة من إمارات الزهد (وسمعته) أيضاً (**يقول: سمعت سعيد بن أحمد يقول: سمعت عباس بن عصام يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري السقطي يقول: إن الله سبحانه سلب الدنيا عن أوليائه**) أي منعهم إياها وإن أحبوها حفظاً لهم

وعنه أنه قال: عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدينا، وعليك بالورع يخفف الله حسابك، وارفع الشك باليقين يسلم لك دينك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك وقال سليمان بن داود: حدثنا يحيى بن المتوكل سمعت سفيان الثوري يقول: إذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون، فهو رجل سوء قيل: كيف ذلك قال: يراهم يعملون المعاصي، فلا يغير عليهم، ويلقاهم بوجه طلق، ومما يدل على صدعه بالحق: قال الحسن بن الربيع البوراني سمعت يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية يقول: ما رأيت أحداً أصفق وجهاً في ذات الله من سفيان الثوري، وقال الوليد بن شجاع بن الوليد: ما كنت أخرج مع سفيان الثوري فلا يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعن عمرو بن حسان كان سفيان نعم المداوي إذا دخل البصرة حدّث بفضائل عليّ، وإذا دخل الكوفة حدّث بفضائل عثمان. وعن علي بن قادم سمعت الثوري يقول: إن هؤلاء الملوك قد تركوا لكم الآخرة، فاتركوا لهم الدنيا، وإذا أردت الوقوف على بقية مناقبه، فارجع إلى ما كتبه شيخ الإسلام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي، والله أعلم.

(**قوله: الزهد في الدنيا قصر الأمل**) أقول إنما كان قصر الأمل زهداً لأن ثمرته كثمرة الزهد كالجد في العبادة وتشمير الساعد فيما يرضي الرب سبحانه، وراحة القلب بعدم التشوّف إلى شيء، وعدم المشغلات عن الطاعة وبالجملة فقصر الأمل من أسباب الزهد الباعثة عليه، وليس عينه. (**قوله: ليس بأكل الغليظ الخ**) أي، ولذلك قال يحيى بن معاذ: طلب العاقل للدنيا أفضل من ترك الجاهل لها. (**قوله: إنه سبحانه سلب الدنيا الخ**) أي فقد اتفق حال الأولياء والأصفياء، والمحبين على البعد عن الدنيا فدل ذلك على أنّ الزهد أصل كل خير. (**قوله: سلب الدنيا عن أوليائه**) أي، ولم يشغلهم بها لما ملأ به قلوبهم من أنوار إمداده، فماذا بعد الحق إلا الضلال، قال أبو الحسن: لو كشف عن أنوار قلوب الأولياء لعبدوا لأن أوصافهم من أوصافه، ونعوتهم من نعوته قال في لطائف المتن فلو كشف الحق عن أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر في مشرقات أنوارهم، وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب، وأنوار قلوبهم لا كسوف لها ولا غروب، وقال: نور الشمس تشهد به الآثار، ونور القلوب يشهد به المؤثر وشتان ما بين ذلك.

(**قوله: وإن أحبوها الخ**) أي بحسب بشرياتهم في بعض أوقاتهم لغرض إنفاقها في الذي

(وحماها) أي: أمسكها **(عن أصفيائه)** فلم يعطهم إياها إكراماً لهم لئلا تشتغل قلوبهم، **(وأخرجها من قلوب أهل وداده)** أي: حبه فلم يخطرها ببالهم شغلاً بمحبته والإنس به، وأشار إلى التعاليل السابقة بقوله: **(لأنه لم يرضها لهم)** فالأولياء أخرجها عنهم خيراً لحفظهم وسلامتهم من شرها والأصفياء لم يجعلها لهم حفظاً لأحوالهم وأهل وداده لم يحظرها لهم لجمع هممهم عليه. **(وقيل: الزهد)** مأخوذ **(من قوله سبحانه ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ [الحديد: ٢٣])** أي؛ تحزنوا **(﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾** [الحديد: ٢٣]) فرح بطر بل فرح شكر **(فالزاهد)** بإعراضه عن الدنيا وقلة رغبته فيها **(لا يفرح بموجود من الدنيا ولا يتأسف على مفقود منها)** لإكتفائه بما ينفعه، وهذا في الحقيقة من ثمرات الزهد، وصفات الزاهدين. **(وقال أبو عثمان)** رحمه الله **(الزاهد الذي يترك الدنيا، ثم لا يبالي من أخذها)** أي: لا يكترث به. **(وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول أبني بها رباطاً أو)** وفي نسخة ولا **(أعمر)** بها **(مسجداً)** أو نحوه مما ترتاح النفس إليه من حب الثناء عليها به، وبالجملة فقد اتفقوا على أن الزاهد إذا أعرض عن الدنيا لا يبالي ممن أخذها، ولا فيما صرفها، وإذا تركها لم يبق في قلبه التفات إليها **(وقال يحيى بن معاذ: الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح فالزاهد لا كلفة عليه في بذل الدنيا، وإن جلت والمحب يسهل عليه بذل**

يقرّبهم منه تعالى. **(قوله: وحماها الخ)** وقوله بعد ذلك وأخرجها الخ عند التأمل تعلم رتب المتعاطفات. **(قوله: فلم يعطهم إياها)** أي وإن استشرفوا لها لحق الحق منها. **(قوله: فالأولياء الخ)** إذا تأملت كلام الشارح تراه حمل الأولياء على المؤمنين والأصفياء على المتقين، وأهل الوداد على المحبين المحبوبين، وهو نفيس. **(قوله: وقيل الزهد الخ)** محصله أنه يتحقق الزهد للعبد باستواء الوجود والفقد عنده وذلك يساعد من قال فيما تقدّم إن الزهد أن لا يختار ترك الحلال بتكلفه إلى آخر ما ذكره. **(قوله: الزاهد الذي يترك الدنيا الخ)** هو قريب مما قبله فيؤول إليه. **(قوله: لا تقول أبني الخ)** أي لا تقول ذلك بشاهد حظ نفسك أما إذا كان بشاهد علم المتابعة، فهو فضيلة. **(قوله: وبالجملة الخ)** محصله أن الزاهد هو الفاني عن حركاته وسكناته لا يشهد غير فضل ربه. **(قوله: وقال يحيى بن معاذ الخ)** أقول يميل كلامه إلى تفضيل التقلل من الدنيا على الإكثار منها مع التوفيق في تصاريف العبد فيها حيث جعل مقام المحبة أعلى من مقام الزهد، وفيه أن التكثر مع التوفيق في الإنفاق يوجب زيادة الحسنات المقرّبة إليه تعالى ولا كذلك حال التقلل، قلت: رب العطاء الذي لا معقب لحكمه يجوز في حقه أنه يعطي من رغب عن الدنيا بغضاً فيها لموافقته تعالى في ذلك زيادة عمن أكثر الإنفاق، وربك على كل شيء قدير.

روحه لله وشتان بين من هان عليه بذل ملكه لله، ومن هان عليه بذل نفسه له، وقال ابن الجلاء: الزهد هو النظر) أي: نظرك **(إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك)** وتعرف قدرها عند الله **(فيسهل عليك الإعراض عنها، وقال ابن خفيف: علامة الزهد وجود الراحة في الخروج من الملك)** لعلمه بما يلحق القلب عند وجوده من التشويش في حفظه ومن خوفه على قلبه من تعلقه به، وكيف يصرفه، **(وقال أيضاً: الزهد سلوّ القلب عن الأسباب)** أي: أسباب تحصيل الأملاك لما يحصل فيها من الآفات والتكليفات **(ونفض الأيدي)** عن ملك ما حصل **(من الأملاك)** فخلاص الزاهد أن لا يطلبها لمحبتها، وإذا حصلت أخرجها لقلة رغبته فيها. **(وقيل: الزهد عزوف النفس)** أي: إعراضها **(عن الدنيا بلا تكلف)** فيه لأن قلبه امتلأ بصغر قدرها وما ترتب عليه

(قوله: وشتان بين من هان عليه الخ) أقول وذلك من طرق التقريب للعقول القاصرة، وإلا فالمحب حقيقة لا يشهد الفضائل في بذل الأرواح بواسطة علمه بأن الحق تعالى هو المالك المطلق، وإنما البشر محل للعواري فقط وأن العواري الرد للمالك ولمثل هذا المقام، قد أشار قتيل الغرام حيث قال في لاميته:

فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى ... فإن قبلتها منك يا حبذا البذل
فمن لم يجد في حب نعم بنفسه ... وإن جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

وقال أيضاً في قصيدته الفائية:

قلبي يحدثني بأنك متلفي ... روحي فداك عرفت أم لم تعرف
لم أقض حق هو الشأن كنت الذي ... لم أقض فيه أسأً ومثلي من يفي
ما لي سوى روحي وباذل روحه ... في حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد أسعفتني ... يا خيبة المسعى إذا لم تسعف

والله أعلم.

(قوله: الزهد هو النظر الخ) أقول ذلك من أسباب الزهد وليس عينه، والله أعلم.
(قوله: وقال ابن خفيف الخ) أقول هو أحكم مما قبله.

وكل إناء بالذي فيه ينضح

(قوله: علامة الزهد وجود الراحة الخ) أقول هو خلق محمدي غير أن التعليل المذكور في كلام الشارح إنما يناسب حال المبتدي كما لا يخفى. **(قوله: سلو القلب الخ)** ذلك يرجع إلى الفناء عن المرادات الاختيارية والتبري من الحول والقوة بشهود أن لا تأثير في شيء لغيره تعالى فهو قريب مما قبله، بل هو أوضح منه. **(قوله: عزوف النفس الخ)** هو أيضاً قريب مما قبله ويرجع إليه. **(قوله: الزاهد غريب الخ)** يشير إلى أن مقام الزاهد دون مقام العارف وذلك لأن للطاعة والبعد عن المعصية سببين أحدهما الخوف

من ضررها بخلاف المتزهد فإن يتكلف الاعراض عنها فقوله: بلا تكلف إشارة إلى الفرق بين الزاهد والمتزهد. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت النصر أباذي يقول: الزاهد غريب**) أي: قليل (**في الدنيا والعارف بالله تعالى غريب في الآخرة**) لأن أكثر العمال لها إنما يعملون خوفاً من العقاب أو رجاء للثواب، ومن لم يعمل إلا لذلك ترك عمله إذا زال الخوف أو الرجاء بخلاف العارف بالله فإنه لمعرفته جلال الله تعالى وعظمته وتحقق وجوب عبوديته لحق أمره ونهيه لا يترك العمل أصلاً، وهذا غريب قليل في أبناء الآخرة. (**وقيل: من صدق في زهده في الدنيا**) (**أتته الدنيا راغمة**) أي: اضطراراً لأن الزاهد لا رغبة له فيها، وما قدّر الله له مما لا بد منه يأتيه جميعاً رغماً لضمان الله له، أو لأن الله قد يمتحن الزاهدين بها فيواليها عليهم كما قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، وإن أحسن العمل فيها الزهد. (**ولهذا قيل: لو سقطت قلنسوة من السماء لما وقعت إلا على رأس من لا يريدها**) ولا يحبها، فهي تقع له ابتلاءً وامتحاناً ولا أرب له فيها، وليس هذا لكل الزهاد، بل يحفظ الله تعالى بعضهم، ولا يبتليهم بها بالكلية إما لضعفهم أو لقوتهم. (**وقال الجنيد: الزهد خلوّ القلب عما**) أي: عن محبة ما (**خلت منه اليد**) من الدنيا لا خلوّ اليد عن الملك أو رد العبد ما يأتيه كما زعمه بعضهم لأن ذلك من ثمرات الزهد لا نفسه إذ الزهد إنما يكون من أعمال

والرجاء، وهو للعامة، والثاني المحبة والإجلال، وهو للخاصة، ممن لم يشغلهم عن الحق غيره، وقوله: غريب في الدنيا أي في أهل الدنيا، وذلك لعزته فيهم، ويحتمل أن المراد أنه بخموله بالزهد صار كالغريب لعدم الالتفات إليه.

(**قوله: غريب الخ**) فيه الحث على علوّ الهمة نسأل الله التوفيق لمحابه. (**قوله: وقيل من صدق في زهده الخ**) فيه تنبيه على الالتفات إلى أن المقدّر كائن لا محالة فراحة السر من البر حيث إعراضه عن الدنيا لا يمنع ما قدّر كونه له ولا تهافته على الدنيا يجلب زيادة عنه على أن العطاء قد يعلق على الإعراض، وربك يخلق ما يشاء ويختار فافهم، ولا تنظر لمن لم يعلم. (**قوله: ولهذا قيل الخ**) أي وذلك المذكور منظور فيه للعادات الإلهية التي هي على وفق المعلومات الأزلية.

(**قوله: وليس هذا لكل الزهاد الخ**) أي لأن بعضهم قد فطر على طهارة القلوب، فلم يكن له سوى الحق مطلوب، وبعضهم يلزم له في طريقه الإمتحان لما قد يغلب عليه من عادة الإنسان. (**قوله: خلوّ القلب الخ**) أنت خبير بأن ما ذكره من إمارات الزهد، وليس عينه ومحصله أن المدار في مقام الزهد على قطع علق القلب من الدنيا، وإن لابسها بظاهر بحسب الإذن الشرعي. (**قوله: الصوف الخ**) أقول ذلك من قبيل تربية

القلوب. **(قوله: ما ذكره من أمارات الزهد)** أنت خبير بأن خلوّ القلب الخ هو عين الزهد لا من أماراته، فتأمل. **(وقال أبو سليمان الداراني: الصوف)** أي: لبسه **(علم من أعلام الزهد، فلا ينبغي للزاهد أن يلبس صوفاً بثلاثة دراهم، وفي قلبه رغبة خمسة دراهم)** أي: رغبة ليس صوف بخمسة دراهم أشار بذلك إلى أن الزهد في القلب ليس بلبس الغليظ، ولا بأكل الخشن وإن كان ذلك علامة له لأن الزهد ضد الرغبة، وهو من أعمال القلوب كما مرّ، وقد يتقلل في الطعام غير الزاهد لشحه على نفسه أو لجمعه المال لغرض. **(وقد اختلف السلف)** رضي الله عنهم **(في الزهد)** أيضاً **(فقال سفيان الثوري وأحمد بن حنبل وعيسى بن يونس، وغيرهم: الزهد في الدنيا إنما هو قصر الأمل، وهذا الذي قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد والأسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له)** عرفا فإن العبد إذا قصر أمله واستشعر سرعة موته، وفارقته الدنيا قلت رغبته فيها، وفترت همته عن تحصيلها وقد جاء في الخبر: «كفى بذكر الموت مزهداً». **(وقال عبد الله بن المبارك: الزهد هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر وبه قال شقيق البلخي، ويوسف بن أسباط وهذا أيضاً من أمارات الزهد فإنه لا يقوى العبد على الزهد إلا بالثقة بالله تعالى)** مع حب الفقر. **(وقال عبد الواحد بن زيد:**

المريدين وإلا فالاعتبار بتجرد القلوب عن كامل الشواغل ولو لابس في الظاهر الدنيا، والحاصل أنه لا بدّ من موافقة الظاهر، والباطن في حالة السير وإلا كان من النفاق والرياء أعاذنا الله منه.

(قوله: وقد اختلف السلف في الزهد) أي في حقيقة الزهد، وفي أسبابه وقوله: إنما هو قصر الأمل أي بعد الإلتفات إلى عطب ملابسة الدنيا، وذلك لأنه إذا رغبتك البدايات زهدتك النهايات أعني رغبتك البدايات بحصول الفوائد زهدتك النهايات بوقوع النوائب، وإن رغبتك البدايات بوجود المنافع زهدتك النهايات بوقوع الفجائع، وإن رغبتك البدايات بتحصيل ما تريد زهدتك النهايات بوقوع ما لا تريد، أي وذلك الإختلاف سببه أن كلاً منهم تكلم بحسب شربه بما أذاقه الله تعالى، فترجم من حاله ومقامه. **(قوله: إنما هو قصر الأمل الخ)** أي ويؤيده خبر «أكثروا من ذكر هاذم اللذات» الحديث. **(قوله: كفى بذكر الموت مزهداً)** أي فهو أكبر واعظ، وأعظم دال على خسة الدنيا وحقارتها وقرب زوالها أي وحيث كان ذكر الموت من أعظم المزهدات في الدنيا يلزم أن من زهد في الدنيا يرغب في عمل الآخرة لما يراه من دوام لذتها ونعيمها.

(قوله: هو الثقة بالله الخ) أي الوثوق بحصول ما تكفل به، وقوله: مع حب الفقر أي ميل النفس إلى التقلل، وذلك بشاهد العلم النقلي والذوقي المفيد كل منهما زجر النفس عن طلب التوسع في الدنيا بشهود أنه مما يطغي ويلهي عما يغني. **(قوله: ترك الدينار والدرهم**

الزهد ترك الدينار والدرهم ونحوهما) كمطعوم وملبوس **(بقلبه)** أما تركها بجوارحه فمن ثمرات الزهد التي منها برودة القلب عن كسب الدنيا، وعدم الإلتفات إليها عند حصولها وصرفها في وجهتها، وذلك لأن من قلت رغبته في الشيء لم يحفظه، ولم يحرص عليه، وبذله للمحتاج إليه **(وقال أبو سليمان الداراني: الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى)** أي: بقلبه وإلا فهو من ثمرات الزهد، فقد يترك الإنسان ما يشغله عن الله لا لزهده بل لشغله بما هو أشرف منه **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت الجنيد يقول: وقد سأله رويم عن الزهد فقال: هو استصغار الدنيا ومحو آثارها)** محبة وذكرا **(من القلب)** هذا أيضاً من ثمرات الزهد **(وقال سري)** السقطي: **(لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه)** بغيرها من شهواتها الدنيوية لأن شغله بنفسه إنما هو بإعراضها عن محبوباتها الدنيوية فإذا عدل عنها إلى غيرها، فقد اشتغل عنها، وعن أعراضها عن ذلك فلا يكون زاهداً، ومتى زهد في شيء من الدنيا، وبقي عليه شيء لم يزهد فيه لم يكمل زهده، ولذلك لما

الخ) محصله أن الذي يضر إنما هو تعلق القلب المشغل من حق الحق لا مجرّد الملابسة مع التوفيق في تعاطي ذلك دخولاً وخروجاً لأن هذا مما يحمل عليه خبر: «الدنيا مزرعة للآخرة» نعم التقلل طريق محمدي وهدى أحمدي، والله أعلم. **(قوله: ترك ما يشغل عن الله تعالى الخ)** أي فالذي ينبغي للعبد أن يقتصر على قدر الكفاية ويترك ما يشوش مما زاد على ذلك، فيكون حينئذ سالماً من آفات إقبال الدنيا وإدبارها بعد ذوق لذتها المتوهمة ففي الكفاية كرامات ثلاث الراحة من التعب جلباً ودفعاً والتفرغ للخدمة قالباً وقلباً، وتحصيل الشكر والصبر في حالة واحدة، ولذلك قيل أنه أفضل من الغنى مع الشكر، ومن الفقر مع الصبر حتى سأله رسول الله ﷺ لنفسه ولعياله ولآله. **(قوله: وإلا الخ)** أي وإلا يكن ترك ما يشغل بالقلب، بل كان للشغل بالأشرف فيكون الترك حينئذ من ثمرات الزهد لا عين الزهد. **(قوله: هو استصغار الدنيا الخ)** أي يعدها صغيرة حقيرة دنيئة سريعة الزوال فتانة لهواً ولعباً ومتاعاً ومشغلة عن الأهم، والله أعلم. **(قوله: لا يطيب عيش الزاهد الخ)** أي وذلك لأن مطلوبه قطع المشغلات فإذا لم يشتغل بعد قطعها بما ينفعه من القربات لم يطب عيشه إذ الإعراض عن الدنيا وسيلة لتحصيل الخيرات والأحوال والمقامات، وهذا كله في حق الزاهد أما العارف فراحته وعيشه في اشتغاله بمعروفه وجمال صفاته، بل في فنائه في ذلك عن نفسه وإرادته فافهم. **(قوله: إذا اشتغل عن نفسه)** أي عما يصلحها بأن يتهافت على شهواتها الدنيوية فحينئذ شغله بنفسه يعني بما يصلحها يتحقق بإعراضه عن محبوباتها الدنيوية حتى لم يبق له تعلق بشيء منها بإشارة خبر: «المكاتب عبد ما بقي عليه درهم».

(قوله: لم يكمل زهده) أي باعتبار أن الشيء إذا أطلق إنما يحمل على الفرد

سئل الجنيد رحمه الله عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا التنعم بمص نواة قال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم أشار به إلى أن من بقي عليه ما ذكر لم تكمل حريته من رق الشهوات. **(ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه)** عن مولاه لأن شغله إنما هو بمولاه فلا تطيب نفسه بإشتغاله لها، بل بإشتغاله بمولاه عما سواه. **(وسئل الجنيد رحمه الله عن الزهد فقال: خلو اليد من الملك، والقلب من التتبع)** داوى بذلك من رآه ينفق دنياه في جهات البر، ثم يتبعها بكلامه أو بقلبه مدحاً ومحبة أو ندماً ومسرة فإن تتبعها محبة لصنعه تعالى وما يجريه عليه لم يكمل زهده، فكمال زهده أن لا يلتفت إلى ما خرج من يده. **(وسئل الشبلي عن الزهد فقال: أن تزهد)** بقلبك **(فيما سوى الله تعالى)** حتى في نفسك. **(وقال يحيى بن معاذ: لا يبلغ أحد حقيقة الزهد)** وهي غلبة أحواله على القلب **(حتى يكون فيه ثلاث خصال)** إحداها **(عمل بلا علاقة)** أي: خالصا لله تعالى لا لعلة من علل الدنيا كحب الحمد، وخوف الذم والطمع فيما

الكامل. **(قوله: المكاتب عبد الخ)** أي فمن بقي في رق التنعم بمص النواة لم تتمحض حريته. **(قوله: ولا يطيب عيش العارف الخ)** محصله أنه لا يتم له مقامه إلا إذا فني عن نفسه وما لها من الخير اشتغالاً عن ذلك بالله سبحانه. **(قوله: خلوّ اليد من الملك الخ)** أي بشهود أنّ الكائنات الدنيوية عوار مستردّة وامتحانات للعبيد المستعدّة ليظهر بذلك الشريف عن الخسيس، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. **(قوله: ثم يتبعها بكلامه)** أي وذلك يفسد ثواب الإنفاق قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣] لأن المن غير محمود إلا منه تعالى وقوله: أو بقلبه أي أو يتبعها بقلبه مدحاً، ومحبة بأن يميل قلبه إلى الثناء عليه بالبذل بحسب طبعه أو يتبعها ندماً، وتحسراً على بذلها بمقتضى ما جبل عليه من الحرص والبخل. **(قوله: فإن تتبعها محبة لصنعه تعالى الخ)** هذا مقابل لقوله قبل، ثم يتبعها بكلامه الخ فإن قلت أي مفسدة وخلل في هذا حتى ينافي الكمال قلت لأن الكمال الذي هو صفة العارفين إنما يكون في الفناء عن نفوسهم، وما يجريه الحق من تصاريف أحكامه لها. **(قوله: إن تزهد بقلبك فيما سوى الله)** أي فلا تلتفت إلى شيء صدر من نفسك من أعمال البر لأن ذلك من نوع الدسائس.

(قوله: حتى يكون فيه ثلاث خصال) محصلها صدق الإخلاص له تعالى قولاً وفعلاً وخلقاً. **(قوله: عمل بلا علاقة الخ)** أي وذلك لأن من صح زهده كانت أعماله مبرّأة من الآفات، ووعظه وتنبيهه مبرأ عن الطمع، وكذلك يكون عزيز النفس لاستغنائه عن غير ربه، وليس عزه رياسة على الخلق وكبراً، بل هو مستغن عنهم راحم لهم مشفق عليهم. **(قوله: كحب الحمد الخ)** محصل ما ذكره تجرد النفس عن حظوظها ولو في الآجل

في أيدي الناس في الدنيا وكخوف العقاب، ورجاء الثواب في الآخرة، فكمال زهده في الحظوط العاجلة أن يكون عمله لوجه ربه خاصة دون غيره **(و)** ثانيها **(قول بلا طمع)** أي: خالص لا لطمع عاجل، ولا آجل، فيخلص في أقواله كما يخلص في أعماله **(و)** ثالثها **(عز بلا رياسة)** بأن يكون عزيزاً عن أن يذل نفسه في طلب الدنيا، فيتعاطى الأمور الخسيسة التي تزري بقدره فلا يكون عزه إلا بمولاه، وربما أغناه به من فضله عما سواه. **(وقال أبو حفص: الزهد لا يكون إلا في الحلال)** الخالص **(ولا حلال)** خالص **(في الدنيا)** إلا نادراً لا سيما مع كثرة التخليط في التصرفات في هذه الأوقات **(فلا زهد)** إلا نادراً. **(وقال أبو عثمان)** رحمه الله **(إن الله تعالى يعطي الزاهد)** في الدنيا **(فوق ما يريد)** منها لحاجته لكمال قنعه فأيّ شيء أتاه منها، فهو فوق مراده، **(ويعطي الراغب)** فيها **(دون ما يريد)** منها لأنه لكمال محبته فيما يريد منها يرى أن ما أعطيه دون ما أراده **(ويعطي المستقيم)** أي: من استقامت أحواله ورضي بكفايته **(موافقة ما يريد)** لأنه يقنع بأي شيء أتاه فكان موافقاً لحاله. **(وقال يحيى بن**

وقوله: كخوف العقاب أي لأن ذلك ينافي الكمال، ولذا قيل عن رابعة العدوية أنها قالت: عبدوك خوفاً من لظى، عبدوا لظى لا ربنا. **(قوله: قول بلا طمع الخ)** أي لأن الطمع ينافي الأنفة التي هي عدم الاستشراف إلى شيء سواء كان عاجلاً أو آجلاً، وهي من صفات الكاملين. **(قوله: عزيزاً عن أن يذل نفسه الخ)** أقول وأقبح طرق الإذلال التعرّض إلى ما بيد مثله، ولو بلسان الحال، وأشنع من ذلك إذا كان بالقال وقد اشتهر: السؤال ذل ولو أين الطريق، واعلم أن التعرّض للعرض الفاني هو خلق فقراء زماننا، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

(قوله: ولا حلال خالص الخ) مراده نفي حقيقة الزهد بنفي متعلقه بشاهد أن النادر لا حكم له والحث على التقلل من الحلال الصرف. **(قوله: إن الله يعطي الزاهد الخ)** أقول: والفوقية المذكورة بالإضافة إلى أعراض الدنيا لا على الإطلاق لأن الزاهد أي شيء فتح الله عليه به فحاجته إلى ما دونه، والراغب لو فتح الله عليه بأضعاف ما تعلق به أمله فرغبته أبداً في مزيد، ومن قلت رغبته ولم يبلغ درجة الزاهد، فهو قانع بما قسم له به كائناً ما كان، فهو موافق لما يريد لأن إرادته فيما يسره الله تعالى. **(قوله: فوق ما يريد)** أي لأن العبد الموفق لقوّة رضاه بما يجريه الحقّ تعالى يرى أن كل ما وصل إليه زائد عن مراده بخلاف غير الموفق ممن له رغبة في الدنيا. **(قوله: ويعطي المستقيم الخ)** أي وحال هذا متوسط بين الأول والثاني. **(قوله: الزاهد الخ)** أقول ومع ذلك هو مقام عامي، وأما مقام الخاصة فذكر الدنيا بكثرة، ولو كان على سبيل ذمها نقص وتفرق، لأنه يشغل عن المقصود وتضييع للوقت بما يشبه تحصيل الحاصل مع ما في ذلك من إشارة

معاذ: **الزاهد)** لكون قلبه امتلأ بهوان الدنيا عند الله وكثرة آفاتها بحيث إنك تجد أكثر كلامه في بيان نقائصها كأنه **(يسعطك)** يا طالبها **(الخل والخردل)** من حيث أنه يؤلمك بكلامه، وينكر عليك ما أنت فيه ويصغر قدرك، **(والعارف)** بالله لكون قلبه امتلأ بمعرفته به وبجماله وجلاله، وتوالي إنعامه وأفضاله على خلقه بحيث أنك تجد أكثر كلامه في بيان ذلك كله، **(يشمك المسك والعنبر)** من حيث أنه يرغبك في نيل المقامات ويشرح صدرك بذكر فضل الله ونعمه على خلقه، فكل من الزاهد والعارف تكلم بما غلب عليه وامتلأ قلبه به. وكل إناء بالذي فيه ينضح. **(وقال الحسن البصري: الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض من فيها)** من حيث أنها مبغوضة لله تعالى، وأنها تشغلك عن مطلوبك، وهذا من ثمرات الزهد لا نفسه. **(وقيل لبعضهم: ما الزهد في الدنيا فقال: ترك ما فيها)** على من فيها أي: بقلبه أما بجوارحه، فهو من ثمرات الزهد لا نفسه كما مرّ نظيره. **(وقال رجل لذي النون المصري)** رحمه الله تعالى **(متى أزهد في الدنيا فقال: إذا زهدت في)** حظوظ **(نفسك)** من مطعم ومشرب وملبس ومنكح وجاه ونحوها لأنك إذا زهدت فيها قلت

المبالاة بها وأن لها قدراً والله أعلم. **(قوله: يسعطك الخ)** أي لأنه قد امتلأ قلبه بآفات الدنيا وضرر الإشتغال بها، فهو لا يتكلم إلا ببيان نقصها ونقص المنهمكين على حبها، وهم يتألمون بذلك، فلأجل ذلك شبهه بإسعاط الخل والخردل والعارف الغالب على قلبه رؤية الأفضال عليه وعلى غيره من العالمين، وشهود كمال مولاه وجماله، فهو يحرّك القلوب إلى الله بدوام التذكير ويطيب النفوس بحسن الظن فشبهه بمن يشم المسك والعنبر لحياة القلوب به.

(قوله: يشمك المسك والعنبر الخ) أقول وطيب قوله من طيب قصده إذ بزيادة نور السر تظهر ينابيع الحكم على لسان الجهر، وهذا بخلاف من زين الظاهر وخرّب الباطن، فهو وإن رق لفظه لا يفيد وعظه، فالله يرزقنا التوفيق لنصل إلى مقام التحقيق. **(قوله: وكل إناء الخ)** أقول ويعلم هذا بشهود التأثير وعدمه، فمجرّد جمال الظاهر لا يكفي إذ الحلو قد يضر، والمر بنفعه قد يسر، فلا تغفل عن الدقائق في ذوق تلك الرقائق. **(قوله: إن تبغض أهلها الخ)** أي من حيث شاهد العلم لما قدمناه مراراً من أن الضرر إنما هو في تعلق القلب بالدنيا تعلقاً يوجب تضييع حق من حقوقه تعالى لا مطلقاً، ومع هذا فذلك من شيم العوام أما خلق الخواص، فهو من التفرق عندهم، ومن تضييع الوقت إذ لا التفات لهم إلى الغير أصلاً. **(قوله: فقال ترك ما فيها)** أي من جواهر وأعراض على من فيها أي من أفراد الثقلين حتى لا يشغل قلبك عن الحق شاغل من ذلك.

(قوله: من مطعم الخ) أي حيث كان تعاطي ذلك لمجرّد الشهوة واللذة أما إذا أكل

رغبتك في الأسباب التي تحصلها بها وإذا قلت رغبتك فيها زهدت في الدنيا. **(وقال محمد بن الفضل: إيثار الزهاد)** يكون **(عند الإستغناء)** عما يؤثرون به **(وإيثار الفتيان)** يكون **(عند الحاجة)** لما يؤثرون به **(قال الله تعالى)** في مدح الأنصار بإيثارهم مع حاجتهم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] والتفاوت بين الزهاد والفتيان أن الزهاد إنما زهدوا في الفضول والفتيان في المحتاج إليه. **(وقال الكتاني: الشيء الذي لم يخالف فيه كوفي ولا مدني ولا عراقي ولا شامي هو الزهد في الدنيا، وسخاوة النفس والنصيحة للخلق يعني أن هذه الأشياء لا يقول أحد أنها غير محمودة)** بل محمودة ففضيلة الزهد قال بها سائر الأقاليم المذكورة وغيرها. **(وقال رجل ليحيى بن معاذ: متى أدخل حانوت التوكل، وألبس رداء وأقعد مع الزاهدين؟ فقال: إذا صرت)** أي: وصلت **(من رياضتك لنفسك في السر إلى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح بينهم)**، هذا منه تنبيه على أنه لا

لغرض التقوّي على العبادة وشرب كذلك، ولبس بقصد ستر العورة امتثالاً ونكح لقصد كف الشهوة وللتوالد، وهكذا كانت أفعاله جميعها طاعة، والله أعلم. **(قوله: إيثار الزهاد الخ)** يشير إلى تفضيل الفتى عن الزاهد بما منحه الحق تعالى من قوّة البذل لما له وجاهه، بل ونفسه فقد فرق بين المقامين بإظهار شرف الثاني على الأوّل ليحمل على علوّ الهمة.

(قوله: في الفضول) أي فيما فضل عن حاجتهم، وقوله: والفتيان الخ جمع فتى وهو من قوى بذله لما له وجاهه بل ولنفسه بحسب ما دل عليه علم النقل. **(قوله: الذي لم يخالف فيه الخ)** أي لأن الزهد في الدنيا أصل عظيم في جميع الخيرات قد وقع عليه الحث في كثير من الروايات، ويقوي ما ذكره المصنف قول الفضيل بن عياض: جعل الله الشر كله في بيت، وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها. **(قوله: بل محمودة)** أقول كيف لا وقد أجمع أهل الأقاليم على حسن هذه الصفة، وحينئذٍ فلا عذر في عدم التخلق بالزهد في الدنيا. **(قوله: في السر الخ)** إنما قيد به لأن طهارته هي المعتبرة في قبول طاعة الإنسان، وزيادة التوفيق لدوام العبادة مع التفويض والتسليم، لفعل العليم الحكيم. **(قوله: ثلاثة أيام الخ)** إنما قيد بهذه المدّة لما قيل من أن العبد لا يعيش مدّتها بدون الغذاء حيث لم يتقدّم له عادة الرياضة، ومع ذلك، فالغرض الحث على الرضى بما يجريه الحق، من تصاريف أحكامه في الخلق. **(قوله: ثم لا آمن عليك الخ)** أي لأنه حينئذ متكلف لا صاحب خلق فهو عرضة لتغير الحال ويؤيد ما ذكرناه قول بعضهم:

قالت لنا سودة الأحداق والمقل ... ليس التكحل في العينين كالكحل

ينبغي للعبد أن يقطع الأسباب، ويتجرّد عنها حتى يجد من نفسه قوّة على الصبر على ألم الجوع نحو ثلاثة أيام، ولا يجد منها الضعف عن عبادته وإلا كان مغروراً ومعرّضاً نفسه إلى سؤال الخلق. **(وقال بشر الحافي: الزهد)** أي كماله **(ملك لا يسكن إلا في قلب مخلى)** أي: لا يتحقق إلا في قلب انقطع طمعه عن الدنيا وتخلى عن حبها. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت محمد بن محمد بن الأشعث البيكندي يقول: من تكلم في الزهد ووعظ الناس، ثم رغب في أموالهم رفع الله تعالى حب الآخرة من قلبه)** لأنه إذا زهدهم وأوهمهم أنه متخلق بما أمرهم به ونهاهم عنه مع خلوّ قلبه عن ذلك كان مرائياً أو متشبعاً بما لم ينله، وكلاهما معصية توجب رفع حب الآخرة من قلبه. **(وقيل: إذا زهد العبد في الدنيا وكل الله تعالى به ملكاً)** من ملائكته **(يغرس الحكمة في قلبه)** بفضله تعالى وعونه لفراغ قلبه بالزهد عن المشغلات له بالحظوظ الدنيوية. **(وقيل لبعضهم: لم زهدت في الدنيا فقال: لزهدها فيّ)** لأن العبد لا يناله من الدنيا

(قوله: وإلاّ كان مغروراً الخ) أي وإلا يجد من نفسه الصبر المذكور والقوّة على العبادة هذه المدّة بأن انتفى صبره فيها، وانتفت قوّته على العبادة كان مغروراً وعرضة لسوء الخلق، وذلك من قواطع الطريق.

(قوله: الزهد أي كماله ملك الخ) أقول إنما خص التشبيه بالملك لكونه نورانياً، والزهد نوراني ووارد رحماني، فالسر في التخلي عن التدبير هذا إذا قرىء بفتح اللام، وإن قرىء بكسرها فوجه الشبه مطلق النظافة، والبعد عن القاذورات. **(قوله: من تكلم في الزهد الخ)** أقول وغير الزهد مثله فينبغي في كل صفة أن المتكلم بها يكون متحلياً بها حتى يؤثر كلامه في المخاطب له، وإلا فقد أشبه حاله حال المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون. **(قوله: رفع الله حب الآخرة من قلبه)** أي لم يوفقه لأعمالها، فيكون من الخاسرين وذلك من أشد الجزاء أعاذنا الله وأحبتنا، والمؤمنين من ذلك. **(قوله: وكل الله به ملكاً الخ)** أي لأن القلب إذا تجرّد عن الحظوظ كثرت أنواره وغرست أصول الحكمة فيه، وتفرّعت أغصانها منه وترجم اللسان عما أشرق في السر من واردات الرب سبحانه. **(قوله: فقال لزهدها فيّ)** أقول ولله در أبي العباس الثقفي رحمه الله تعالى حيث قال: أف لأشغال الدنيا إذا أقبلت، وأف لحسرتها إذا أدبرت والعاقل لا يركن إلى شيء إذا أدبر كان حسرة، وإذا أقبل كان شغلاً وأنشدوا في معنى ذلك:

وقـائـلـة مـا لـي أراك مـجـانـبـاً	أمـوراً وفـيـهـا لـلـتـجـارة مـربـح
فـقـلـت لـهـا مـا لـي بـربـحـك حـاجـة	فـنـحـن أنـاس بـالـسـلامـة نـفـرح

تدبره فإنه نفيس، ثم أقول ويؤيده ما اتفق لبعضهم حسبما أخبر عن نفسه أنه قال:

التي لا تزن عند الله جناح بعوضة إلا اليسير **فإذا بعد عنه أكثرها، ونال منها اليسير** حمله ذلك على الإعراض عن اليسير المفاد بقوله: لزهدها فيّ، وفيما قاله تنبيه على أنه أراد أن يبعد عن دعوى الزهد بالكلية حتى لا يرى لنفسه مقاما فيه. **(وقال أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه الأول ترك الحرام)** بالقلب **(وهو زهد العوام)** من المسلمين، **(والثاني ترك الفضول من الحلال)** بالقلب **(وهو زهد الخواص)** منهم، **(والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى)** بالقلب **(وهو زهد العارفين)** بالله تعالى، وهم خواص الخواص، أما ترك ذلك بالجوارح، فهو من ثمرات الزهد لا نفسه، كما مرّ نظيره. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: قيل لبعضهم: لم زهدت**

تركت الدنيا لكثرة عنائها، وقلة غنائها وخسة شركائها، وسرعة فنائها اهـ. واعلم أنّ معرفة ما ذكر بالتجربة، والذوق أتم من معرفته بالتعلم والتعليم.

(قوله: لأن العبد الخ) أي ولا سيما إن كان من المحبوبين، وذلك لخبر: «إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا» أو زوى عنه الدنيا الحديث. **(قوله: حمله ذلك على الإعراض عن اليسير الخ)** مراده باليسير اليسير ولو في المعنى، وإن كان كثيراً في ظاهر الحال إذ هو وديعة مستردة، ووقت الخروج عن ذلك قريب، شعر:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بدّ يوماً أن ترد الودائع

(قوله: الزهد على ثلاثة أوجه الخ) أقول وذلك باعتبار قوّة العلم وضعفه لأن العلم النافع هو الذي قد تمكن في الصدر، وأشرق نوره فيه فتصوّرت الأمور حسنها وسيئها فوقع بذلك ظل في الصدر بصور تلك الأمور فيأتي العبد حسنها ويذر سيئها، وذلك لا يكون إلا بواسطة علم القلوب أما علم اللسان فإنما هو شيء قد استدعى الحفظ والشهوة غالبة على صاحبه قد أذهبته تلك الشهوة بظلمتها ضوءه والله أعلم.

(قوله: الأوّل ترك الحرام بالقلب) أقول ولله در من قال:

إذا أقبلت كانت على القلب حسرة وإن أدبرت كانت كثيراً همومها

وذلك زيادة عن جزاء الآثام بالنسبة لمن تعاطى الحرام. **(قوله: ترك الحرام بالقلب)** انظر جعل مناط الترك القلوب تعلم سر الأمر المطلوب. **(قوله: والثاني ترك الفضول الخ)** قال أبو هاشم الزاهد: وسم الله الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريد به تعالى دونها وليقبل المطيع عليه تعالى بالإعراض عنها، فأهل المعرفة بالله تعالى من الدنيا مستوحشون، وإلى الآخرة مشتاقون، وإلى ربهم مسارعون، والله أعلم. **(قوله: والثالث ترك ما يشغل العبد الخ)** أي ويقال لأصحاب هذا المقام أصحاب أنفه، وهي صفة تمنع صاحبها من التشوّف لما سوى ربه من كل عاجل وآجل دنيوي، أو أخروي، والله أعلم.

في الدنيا، **فقال: لما زهدت في أكثرها أنفت)** أي استنكفت **(من الرغبة في أقلها)** كما مرّ قريباً. **(وقال يحيى بن معاذ: الدنيا كالعروس المجلوة)** تراها الأبصار وتحبها القلوب، وتمدحها الألسن من حيث أن الله خلقها وجملها بالمال والبنين وغيرهما، كما قال ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧] **(ومن يطلبها)** ويعمرها **(ماشطتها)** من حيث أنه يزيدها حسناً للمغرورين **(والزاهد فيها يسخم وجهها، وينتف شعرها ويحرق ثوبها)** من حيث انه لما عرف نقصها وفناءها وقطعها للعبد عن عبادته اشتغل بتزهيد الخلق فيها، وتقبيح محاسنها الظاهرة **(والعارف مشتغل بالله تعالى لا يلتفت إليها)** لكمال شغله بالله وبمعرفته وجماله وجلاله ومناجاته عن ذمها فضلاً عن مدحها، كما قالت رابعة لما رأت طائفة من الزهاد يذمون الدنيا ويحقرونها: من أحب شيئاً أكثر من ذكره اشتغلتم بالله تعالى وبمحبته لشغلكم عمن سواه، فالعارف قد انقطع قلبه عنها، فلا يمدحها ولا يذمها

(قوله: فقال لما زهدت في أكثرها الخ) هذا منه نفعنا الله ببركاته من التقريب للعقول القاصرة على حسب ظاهر الحال، وإلا فالدنيا بأسرها قليلة بالنسبة لأقل القليل من نعيم الآخرة**(قوله: الدنيا كالعروس المجلوّة الخ)** أي كالعروس وقت زفافها، وهذا بحسب ظاهر الحال، وإلا فالباطن سم قتال، ولذا أشار تعالى بقوله جل جلاله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧] الآية فظاهرها حلو وباطنها مر، وذلك لدسائسها وخستها وفتنتها وحجبها عن المقامات والدرجات، وثبت في الخبر أنها جيفة قذرة، وأن طلابها كلابها فتأمّلها بنور البصيرة لئلا تقع في الحيرة، والله أعلم. **(قوله: ماشطتها)** أي فهو يكون مثلها في تحسين الشيء بحسب الظاهر وإن كان قبيحاً باعتبار الباطن.

(قوله: يسخم وجهها الخ) أي يقبح وجهها الظاهر جماله والباطن قبحه وخبثه، وذلك بكشفه عن معايبها، ونشره غوائلها الكامنة في دسائسها. **(قوله: وبمعرفته)** أي معرفة كماله، وقوله: وجماله أي جماله الذي هو ظاهر في مظاهر أسمائه وصفاته وأفعاله، وقوله وجلاله أي عظمته، وقوله: ومناجاته أي الثابتة بذكره، وتلاوة آياته وكلماته. **(قوله: من أحب شيئاً أكثر من ذكره)** ظاهر الخبر الشريف أن ذلك، فيمن يميل بقلبه إلى الشيء، وعمومه يشمل ما إذا أظهر ذمه على لسانه تخلقاً لا خلقاً، ولهذا نهت رابعة رضي الله تعالى عنها من أكثر عندها من ذم الدنيا، ويوضح ذلك قولها لو اشتغلتم بالله الخ، فلله درها. **(قوله: فالعارف قد انقطع الخ)** أي، وانقطاع قلبه بواسطة فنائه ذاتاً وصفة وفعلاً في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، فحينئذٍ التفاته إلى الدنيا، ولو بالتحقير لها بعد من التفرق والحجاب بالنسبة لمقامه.

وربما غفل عن ثواب آخرته. (**سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت أبا الطيب السامرّي**) بفتح الميم، وتشديد الراء نسبة إلى سر من رأى بلدة ببلاد العجم (**يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: مارست كل شيء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد**) كالزهد في المطعم والملبس، وفضول الكلام (**إلا الزهد في**) لقاء (**الناس**) والتبسط معهم في المقال، والإستئناس بمحادثتهم (**فإن لم أبلغه ولم اطقه**) لعزته، أما لقاؤه إياهم لنفعه بهم في دينه أو لنفعهم في دينهم فلا يزهد فيه ولا يذم العبد فيه نفسه على عدم نيل الزهد فيه وقد يزهد العبد في لقاء الناس، ويبقي عليه الزهد في نفسه من الراحة، وحب الكسل ونحوهما، وقد يزهد في راحة نفسه، ولا يزهد في بذل نفسه لله إذا حضر جهاد في سبيل الله فالزهد يتنوع على حسب المزهود فيه، (**وقيل ما خرج الزاهدون**) بزهدهم في الدنيا من حظهم الخسيس (**إلا إلى**) حظ (**أنفسهم**) النفيس (**لأنهم تركوا النعيم الفاني**) النكد الممزوج بالهموم والأحزان (**للنعيم الباقي**) الكامل الذي لا نكد فيه ولا ألم. (**وقال النصر أباذي: الزهد حقن**

(**قوله: وربما غفل الخ**) أي، ويقال لهذا صاحب أنفة كما تقدّم، وهي صفة تمنع من التشوّف إلى ما سواه تعالى. (**قوله: مارست كل شيء الخ**) مراده أن الزهد يختلف قوّة وضعفاً بحسب اختلاف المزهود فيه، وإن أقوى الزهد هو الزهد في الناس باعتبار ما للنفس فيهم من الحظ، ولهذا قد قيل من الأفلاس الإنس بالناس. (**قوله: أما لقاؤه الخ**) أقول ذلك باعتبار حال المبتدي أما المحقق العارف، فهذا بالنسبة له من التفرق والحجاب. (**قوله: فلا يزهد فيه**) أي لأنه مطلوب من العبد شرعاً. (**قوله: فالزهد يتنوّع الخ**) أي وأعلى الزهد هو الزهد في النفس لأنه به يصل العبد إلى مقامات القرب. (**قوله: ما خرج الزاهدون الخ**) أقول، وسبب ذلك ما أكرموا به من علم خشية الله تعالى المصحوب بمعرفته الدال على تحقيق عبوديتهم له تعالى لأنه علم شريف الأصل والفرع، إذ الأشياء تشرف بشرف موضوعاتها ومقاصدها، والحق تعالى أجل معلوم، فالمعرفة به أفضل العلوم، وعلم الخشية علم مهابة يصحبه تعظيم، فهو يوقف في مواقف الأدب والمراقبة، وذلك يقتضي الوقوف مع الأمر والنهي، فيكسب صاحبه حقيقة الوراثة النبوية، فمن كان على غير هذه الصفة من العلماء، فهو مثاله كالشمعة فيضيء على غيره، ويحرق نفسه. هذا، ومحصل ما ذكره الإشارة إلى ثمرة الزهد لغرض تنشيط العبد، فعساه أن يتدارك ما فاته، والله أعلم.

(**قوله: الممزوج الخ**) أقول بطريق المبالغة أن مدّة عيش الدنيا في صرف الهموم والأحزان لأنّ الحكم في كل شيء باعتبار غالب أحواله، فالله يرزقنا التوفيق. (**قوله: الزهد حقن دماء الزاهدين فيه الخ**) أي منع من إراقة دمائهم بواسطة ما أبقاه الله لهم من

دماء الزاهدين) فيه أي منع من حقنه بما أبقاه الله لهم من حظوظ أنفسهم، فإنه أبقى لهم منها ما يعيشون به، وجعله حقهم، ولم يجعله منافيا لزهدهم فإن الزهد كما مرّ في فضول الحلال **(وسفك دماء العارفين)** بالله من حيث أنهم صاروا لا يلتفتون لأنفسهم لكمال شغلهم بربهم **(وقال حاتم الأصم: الزهد يذيب كيسه)** أي ما فيه **(قبل نفسه)** لأن أوّل ما يبدأ به الزاهد إخراج راحته من بدنه، ثم بذل نفسه لربه، **(والمتزهد يذيب نفسه قبل)** إخراج ما في **(كيسه)** لأنه لا يخرج شيئاً من ماله لشدة محبته له إلا بكره من نفسه بأن يكرههما، ويحملها على إخراجه، فهو يذيبها قبل أن يخرج ما بيده. **(سمعت محمد بن عبد الله يقول حدثنا علي بن الحسين الموصلي قال: حدثنا أحمد بن الحسين قال: حدثنا محمد بن الحسن قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا)** لخبر: «حب الدنيا رأس كل خطيئة». **(وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد)** لأن العبد إذا أعرض عن الدنيا تيسرت له الخيرات لذهاب القواطع عنه، والمشغلات.

لوازم بشرياتهم التي لا تنافي زهدهم لمسامحتهم فيه، وقوله: وسفك دماء العارفين الخ أي أراق دماءهم من حيث أنه تعالى أفناهم عن أنفسهم، وغيبهم عنها. **(قوله: الزاهد يذيب الخ)** الغرض بذلك بيان هذين المقامين، وتفضيل الأوّل منهما على الثاني.

(قوله: جعل الله الشر الخ) محصله أن حب الدنيا باعتبار أنه موصل إلى كل دنيء وخسيس يكون سبباً للشرور والقبائح والزهد باعتبار أنه موصل إلى كل شريف يكون سبباً للطاعات والقربات.

باب الصمت

يقال صمت يصمت صمتاً وصموتاً وصماتاً أي سكت.

(أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان قال: حدثنا أحمد بن يوسف السلمي قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم

باب الصمت

اعلم أنّ منشأه أن من دخل إلى حضرة الحق ناظراً لنفسه، إذا أراد أن يظهر له ما جرى في حقه من الكرامات ناداه منادي الحقيقة تذكر، كرامتك، ولا تذكر ذاتك، فيقف حينئذ عند حده، ويفر مما بدا له عوضاً من فرحه به، فيكون حاله قبضاً في قبض، وكتماناً في كتمان، وستراً في ستر، وهو حال الزهاد والعباد، وأهل الطاعة والأوراد، ممن لم يخص بالمعرفة ولا تبرأ من نفسه، أما من دخل ناظراً إلى إحسان الله تعالى عاملاً بما به تولاه راجعاً إليه، فيما منّ به عليه وأولاه، فذلك الذي ينطق لسانه، ويسترسل بالإظهار بيانه، فلا يحتشم عن التعبير، ولا يبالي بما فيه من جليل وحقير، لأنه لا يرى نفسه منعدماً من البين، ويشاهد معروفه الحق رؤية العين، فافهم هذا، واعلم أنّ الكمال كله في صمت اللسان والقلب، فغير ذلك لا خير فيه لأن الصمت والسكوت عن الأسرار مع غير الأهل من شأن الكاملين ومن خلق المحبوبين، أما مع الأهل والأقران، فهو من دأب المحبين فبالصمت تكون السكينة والوقار، وبالقيل والقال قد تنهتك الأسرار، وبعبارة أخرى نقول الصمت هو السكوت عن المحرّم والمكروه، وخلاف الأولى، أو هو السكوت عما لا يعني عملاً بخبر: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، والدليل على مشروعية الصمت قوله ﷺ في حديث الطواف «فمن نطق فلا ينطق إلا بخير»[1].

(قوله: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره) أي من له جوار وهو الكائن في دار من أربعين داراً من كل جانب لدار الإنسان، وظاهره، ولو كان ذلك الجار كافراً ذمياً

---

(١) أخرجه الدارمي (مناسك ٣٢).

ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت»[1]) رواه الشيخان، دلّ على أن المقصود من الكلام قول الخير فإن لم يعلم العبد أن في كلامه خيراً فالصمت خير له، وقد قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] وسئل ﷺ فيم النجاة فقال: «في حفظ اللسان» وروى الترمذي خبر: «من صمت نجا». (**أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا بشر بن موسى الأسدي قال: حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني عن ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن عقبة بن عامر قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة فقال: احفظ عليك لسانك وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»**[2]) رواه الترمذي وحسنه بلفظ: «أمسك عليك»، وآفات اللسان كثيرة منها الغيبة، والنميمة والهمز واللمز والاستهزاء والكذب في الأحكام وغيرها، فلا بدّ من دخوله

أو معاهداً أو مؤمّناً، وهو كذلك لأنّ إيذاء الجار من كبائر الذنوب، وقوله: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»، أي إذا كان من إخوانه المؤمنين، وقوله: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً» الخ هو محل شاهد الباب. قال بعضهم: في حثه على السكوت عبارة رقيقة دقيقة، وهي دع زكريا نطقك، ومريم نفسك يسكتا إيثاراً له تعالى عسى عيسى قلبك في مهد صدرك بالحكمة ينطق صبياً، ويحيى سرك يحيي بأنسه تعالى نجياً. (**قوله: فإن لم يعلم العبد**) أي بعلم الشريعة إن في كلامه خيراً يشاهدها، فالصمت خير له بل هو الخير، كما لا يخفى. (**قوله: لا خير في كثير من نجواهم الخ**) أي فالآية الشريفة تشير إلى أن النطق لا يكون مأذون فيه إلا إذا تحققت خبريته، وهو كذلك لمن رغب في الخير.

(**قوله: فقال في حفظ اللسان**) أقول لما كانت جرائم اللسان كثيرة مهلكة أجاب سيد الحكماء ﷺ بقوله في حفظ اللسان، وكذلك قال بعض الحكماء: ما ندم من سكت فافهم. (**قوله: من صمت نجا**) فيه مبالغة بادّعاء أنه جميع أسباب النجاة ترغيباً فيه وحثا عليه، فهو على حدّ «الحج عرفة»، و «الندم توبة» وأمثالهما. (**قوله: احفظ عليك لسانك**) أي صنه عما لا يعنيك وعما لم يأذن فيه الشارع بالأولى، وقوله: «وليسعك بيتك» أي فعليك بالعزلة عن الخلق والزم خاصة نفسك، وقوله: «وابك على خطيئتك»، أي جدّد لها توبة تمحو أثر الخطيئة، وإذا تأمّلت ما ذكر تجده بالغاً في باب الإرشاد

---

(١) أخرجه البخاري (رقاق ٢٣) (نكاح ٨٠) (أدب ٣١، ٨٥) وأحمد بن حنبل (إيمان ٧٥) وأبو داود (تطوع ٢٥) وابن ماجه (أدب ٤) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٦٧، ٤٣٣، ٣، ٩٤، ٥، ٧٥، ٦، ٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود (ملاحم ١٧) والترمذي (زهد ٦١) وأحمد بن حنبل (٢، ٢١٢، ٥، ٢٥٩).

في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩] وقوله: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [المائدة: ١٠٣] ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥] ومما أنشدوه في ذلك:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه قد كان هاب لقاءه الشجعان

وبالجملة (**الصمت سلامة**) وهو الأولى (**وهي**) السلامة (**الأصل**) إذ لا غنيمة إلا بعد السلامة، فكل غانم سالم (**وعليه**) أي الصمت (**ندامة إذا ورد عنه الزجر**) أي الزجر عنه لكون النطق مطلوباً (**فالواجب أن يعتبر الشرع والأمر**) يعني يعتبر فيه الأمر به (**والنهي**) عنه شرعاً، (**و**) من ثم قالوا (**السكوت في وقته صفة الرجال**) كأن يسكت خوفاً من وقوعه في الزلل (**كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال**) كأن يأمر بتغيير منكر أو يتكلم بكلمة حق عند من يخاف أو يرجى خوفه. (**سمعت الأستاذ أبا**

لصلاح النفس، فجزى الله سلفنا عنا خيراً، حيث حفظوا أقواله عليه الصلاة والسلام التي بها تتمكن من المتابعة.

(**قوله: منها الغيبة الخ**) اعلم أن الغيبة من الكبائر، محبطة لثواب العمل، وهي ذكرك أخاك بما يكره، ولو في حال حضوره، والنميمة كبيرة أيضاً، وهي نقل الحديث بقصد الإفساد بين الناس، والهمز واللمز قيل هما متحدان، وقيل: متغايران الأول يقال للإشارة بالعين، والثاني يقال: للإشارة باليد، ولهما حكم النطق. (**قوله: احفظ لسانك أيها الإنسان الخ**) أي صن لسانك عن لغو الحديث، وعما لا يعني منه، وعما لم يأذن فيه الشارع يا أيها الإنسان، ولا يخفى عليك ما في قوله: «أيها الإنسان» حيث هو يشير إلى أن من فيه إنسانية هو المخاطب، وهو الذي يتأتى منه سماع الموعظة والعمل بها، وقوله: «لا يلدغنك» الخ الغرض منه بيان غوائل النطق بدون إذن شرعي لعل الزجر عنه يؤثر في الامتناع منه وإنما اقتصر على ضرر اللسان الدنيوي، وإن كانت غوائله الدينية أشد بأضعاف مضاعفة عملاً بالمألوف المحسوس، والله أعلم. (**قوله: الصمت سلامة**) أي سبب السلامة، وقوله: وهو الأولى أي والصمت الذي هو سبب السلامة الأولى للعبد تقديمه على الغنيمة لأن ذلك من قبيل قولهم درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح، وقوله: وهي أي السلامة الأصل أي أصل ما يبني عليه العبد من أعماله، وقوله: إذ لا غنيمة إلا بعد السلامة علة لما قبله من قوله: وهي الأصل، وقوله: فكل غانم سالم أي جرياً على تقديم السلامة على الغنيمة، ولا يلزم العكس مطلقاً بل على الوجه المذكور.

(**قوله: وعليه أي الصمت ندامة الخ**) محصله أنّ كلا من الصمت والكلام يعتبر فيهما حكم الشرع أمراً ونهياً، فيدور العبد مع حكم الشرع فيهما. (**قوله: ومن ثم**) أي من جهة أن المعتبر فيهما حكم الشرع قالوا: السكوت الخ. (**قوله: من سكت عن الحق**)

علي الدقاق رحمه الله يقول: من سكت عن الحق، فهو شيطان أخرس، والصمت من آداب الحضرة قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ **[الأعراف: ٢٠٤])** وقال تعالى خبرا عن الجن بحضرة الرسول ﷺ ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ [الأحقاف: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ **[طه: ١٠٨] وكم بين عبد يسكت تصاونا عن الكذب، والغيبة، وبين عبد يسكت لاستيلاء سلطان الهيبة عليه)** بما يطرقه من الحياء والخجل وغلبة الاحترام، وقد يغلب الاحترام على قلب المحترم بالحضور حتى ينسى جميع ما حضر لأجله **(وفي معناه أنشدوا).**

(أفكر ما أقول إذا افترقنا. وأحكم) أي أتقن **(دائباً)** أي جاذ من دأب فلان في

أي حيث كان ممن قوله يجدي ولا يترتب عليه فتنة ولا ضرر. **(قوله: والصمت من آداب الحضرة)** أي من آداب أهل الحضور ممن يدوم على حال المراقبة له تعالى في جميع حركاتهم وسكناتهم مثل الزهاد والعباد، وأصحاب الأوراد ممن لم يتم لهم الشهود، ولم يتحقق عندهم الورود، أما الكاملون في مقام العرفان المشاهدون مشاهد العيان، ممن غلبت على قلوبهم غلبات الحقيقة، فلا يبالون بالنطق حيث أنهم قد تحققوا بالحق. **(قوله: قال تعالى الخ)** جميع ما أورده من الآيات المذكورة القصد به الإستئناس لحكم الباب لا أدلة حقيقية له.

(قوله: قال الله تعالى وإذا قرىء القرآن الخ) حمله إمامنا الشافعي رضي الله عنه على الخطبة للأدلة التي ثبتت عنده من السنة. **(قوله: وكم بين عبد يسكت الخ)** أقول: تجليات المقامات تختلف باختلاف همم العبيد، فتارة توجب صمتاً وسكوتاً، وأخرى نطقاً بمظاهر العظمة والجبروت، بل قد يتعاقب ذلك بالنسبة للعبد الواحد بحسب تجلي وقته، ثم التعبير تارة يكون عن حقيقة بلا تحقق، وذلك حال العلماء، وأهل البداية فهو يفيد العلم والفهم دون التأثر والتأثير، وتارة يكون عن حقيقة مع تحقق، وهو حال أهل المعرفة فيفيد التأثير والإنفعال، ومني عليك السلام. **(قوله: تصاوناً عن الكذب والغيبة الخ)** واعلم أن هذا المقام أقل وأدون مما بعده ومع ذلك فهو عزيز جداً باعتبار أهل زماننا، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(قوله: لاستيلاء سلطان الهيبة الخ) أي هيبة من له الأمر والنهي، وهو الحق تعالى أما السكوت لهيبة المماثل من الخلق، فقد يكون حسناً أو قبيحاً، وذلك باعتبار السكوت عنه فافهم. **(قوله: أفكر ما أقول الخ)** أي أشغل فكري في الذي أقوله للحبيب إذا التقينا بعد المفارقة، وأتعب نفسي في اتقان حجج المقال له، ثم إنا إذا التقينا أنسى ما أتقنته من تلك الحجج لغلبة سلطان هيبته أو محبته عليّ فأنطق وقت ذاك بالمحال لفساد فكرتي

عمله إذا جدّ وتعب (**حجيج المقال. فأنساها إذا نحن التقينا. فأنطق حين أنطق بالمحال**) الذي لا يفيد الغرض لما يغشى قلبي من احترام الحال، أو الفرح بالقرب والنوال، فيشغلني لذة الإجتماع عن إيراد ما حررته في فكري. (**وأنشدوا**) في معناه أيضاً (**فيا ليل**) مرخم ليلى(**كم من حاجة لي مهمة.**) أريد أن أذكرها لكم (**إذا جئتكم لم أدر يا ليل ما هيا**) لما حصل لي من لذة الإجتماع، (**وأنشدوا**) فيه أيضاً (**وكم حديث**) أريد أن أذكره (**لك**) ويستمر عندي (**حتى إذا مكنت من لقياك أنسيته**) وقد يكون صمت العبد لما يصرف قلبه من الدهش عند سماع الخطاب ممن يجله حتى يعجز عن الجواب كما دل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩] الآية، وسيأتي هذا في كلامه مع ما فيه (**والسكوت على ضر بين سكوت بالظاهر**) وهو سكوت اللسان (**وسكوت بالقلب والضمائر**) وهي القلوب على القلب لاختلافهما لفظاً كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧] وكما أن سكوت اللسان يختلف تارةً لإشتغاله بما هو أهم مما أراده كذلك القلب، قد يكون سكوته للوثوق بالضمان، وهو سكوت المتوكل، وقد يكون للرضا بما يجريه الحق عليه مما سبق في الأزل، وهو سكوت العارف (**فالمتوكل يسكت**

بسبب ما تقدم. (**قوله: فيا ليل**) هو وما بعده قريب مما قبله في المعنى، فلا حاجة إلى تكرار القول فيه مع وضوحه. (**قوله: من الدهش الخ**) الدهش حالة توجب زوال الشعور بسبب ما يفجيء الإنسان من الأمور العظيمة التي تعجزه عن الجواب، لو سئل في هذه الحالة.

(**قوله: والسكوت على ضربين الخ**) يريد رضي الله عنه أن متعلق السكوت اللسان والقلب، وأن الكامل من أقدره الله على سكوتهما، وعلى الأكمل الباعث عليهما بالإشتغال بالأهمّ، والرضا بما يجريه الحق من تصاريفه في العبيد، فذلك من أعظم الأسباب التي توجب الترقي إلى مقام العارفين المحققين. (**قوله: لاختلافهما لفظاً**) أي فالإختلاف بحسب اللفظ يسهل العطف الذي وضعه المغايرة في الذات. (**قوله: لخوف الزلل وقوله: بعد لاشتغاله بما هو أهم**) يشير بذلك إلى مقام المبتدئين، وحال الكاملين. (**قوله: للوثوق بالضمان**) أي وذلك من أخلاق العامة وقوله: وقد يكون للرضا، أي وهو من نعوت الخاصة.

(**قوله: فالمتوكل يسكت قلبه الخ**) قال بعضهم: وذلك عند الخواص عمى ورجوع إلى الأسباب، وذلك لأنك رفضت الأسباب، ووقفت مع التوكل فصار بدلاً فكأنك معلق بما رفضته من حيث اعتقادك الانفصال عنها، فحينئذ حقيقة التوكل عند الخاصة الرجوع إلى الله في تخليص القلب من علة التوكل بشاهد أنّ الله لم يترك شيئاً هملاً بل فرغ من

قلبه عن تفاضي الأرزاق) لما وعد به من ضمانها من مولاه، فلا يخشى فواتها (والعارف يسكت قلبه مقابلة للحكم بنعت الوفاق) أي: الموافقة لأوامر الله ونواهيه (فهذا) أي: المتوكل (بجميل صنعه واثق) لعلمه بأن ضامنه يوفي بضمانه، (وهذا) أي: العارف (بجميع حكمه قانع) راض لا اختيار له. (وفي معناه قالوا: تجري عليك صروفه). تعالى أي: حوادثه ونوائبه (وهموم سرك مطرقة) راضية (وربما يكون سبب السكوت حيرة البديهة) ودهشتها (فإنه إذا ورد) على العبد (كشف على وصف البغتة خرست العبارة عند ذلك فلا بيان ولا نطق يوجد في بعض نسخ المتن بعد قوله أنسيته وأنشدوا: رأيت الكلام يزين الفتى. وللصمت خير لمن قد صمت. فكم من حروف تجر الحتوف، ومن ناطق ودّ أن لو سكت. اهـ مصححه). وطيبت الشواهد هنالك، فلا علم ولا حس قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩] وهم عالمون بما أجابهم به الأمم وقت التبليغ حتى (قالوا: لا علم لنا) ويحتمل كما قيل أن يكون هذا أدباً في رد العلم إليه تعالى، وأنهم لا علم لهم زيادة على علمه بما بلغوه للأمم، فالمعنى لا علم لنا زائد على ما علمت بما بلغوه للأمم، فالمعنى لا علم لنا زائد على ما عملت إنك أنت علام الغيوب، فليس في

تقدير الأشياء، فهو المريد وشأنه سوق المقادير في المواقيت، فالمتوكل صرف النفس عن النظر، ومطالعة السبب سكوناً إلى ما سبق في القسمة مع استواء الخلق فالطلب لا يجمع، والتوكل لا يمنع فمتى كان بخلاف ذلك كان توكله مدخولاً، وقصده معلولاً فافهم.

(قوله: مقابلة للحكم الخ) أي فيكون سكوته بشاهد العلم حالة كونه فانياً عن مراده استغراقاً في مرادات ربه. (قوله: لعلمه بأن ضامنه) أي المتكفل برزقه يوفي بضمانه أي يعطى ما تكفل له به من الرزق الذي قسمه له. (قوله: وهذا أي العارف الخ) أي، وذلك لفناء مراده في مراد ربه. (قوله: وفي معناه قالوا الخ) أي في معنى حال العارف قالوا الخ. (قوله: وهموم سرك مطرقة الخ) لا تغفل عن كون الموضوع هو نعت الوفاق لأوامره تعالى، ونواهيه. (قوله: حيرة البديهة الخ) أي وسبب تلك أما جمال أو جلال على ما لا يخفى. (قوله: فإذا ورد على العبد كشف) أي مكاشفة، وإشراف على شيء عزيز على وصف البغتة أي على حالة هي مفاجأته بما بغته ترتب على ذلك عدم التمكن من القول لا ببيان، ولا بدونه. (قوله: وطمست الشواهد الخ) أي وانطماسها بواسطة قوّة التجلي، والوارد الرباني. (قوله: وهم عالمون الخ) أي وإنما أدهشهم عن الجواب ما فاجأهم من خطابه سبحانه وتعالى إياهم فقوله: حتى قالوا لا علم لنا أي حين سؤالهم فنفي علمهم باعتبار وقت سؤالهم. (قوله: زيادة على علمه بما بلغوه الخ) الأولى أن

الآية ما أشار إليه المصنف من الغيبة وعدم الإدراك لأنهم قد أجابوا ويحسن أن يورد هنا قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [هود: ٦٦] لأنّ الحق تعالى إذا سأل الأمم بقوله: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [هود: ٦٥] فأخذتهم صدمة العزة وسطوة السؤال حتى ذهلوا عن الجواب، وعن سؤال بعضهم بعضاً عن وجه الصواب **(فأما إيثار أرباب المجاهدة للسكوت)** على النطق **(فلما علموا ما في الكلام من الآفات ثم)** لما علموا **(ما فيه من حظ النفس وإظهار صفات المدح والميل إلى أن يتميز بين أشكاله)** وأقرانه **(بحسن النطق وغير هذا من آفات)** اللسان **(في الخلق وذلك)** أي: السكوت **(نعت أرباب الرياضة وهو أحد أركانهم في حكم المنازلة)** من المقامات **(وتهذيب الخلق)** ويدل لذلك الخبر الصحيح: «إنّ الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في نار جهنم»، وقد قال أبو بكر الصدّيق لعمر رضي الله عنهما لما رآه آخذاً بلسانه وقال له عمر: منه غفر الله لك هذا الذي أوردني الموارد،

يقول: بما أجابهم به الأمم بعد أن بلغوهم. **(قوله: فليس في الآية الخ)** أي على هذا الاحتمال.

(قوله: ويحسن أن يورد هنا الخ) أي لأنّ فيه الذهول، والغيبة عن الجواب بواسطة سطوة السؤال. **(قوله: فأما إيثار أرباب الخ)** في قوّة جواب عن سؤال في المقام محصله أن في النطق فوائد ومصالح، فلم قدم أرباب المجاهدة السكوت عليه، فأجاب عنه بقوله: فأما إيثار الخ الذي حاصله أنّ السلامة مقدّمة على الغنيمة، ودرء المفاسد مقدّم على جلب المصالح شعر:

وقائلة ما لي أراك مجانباً ... أموراً، وفيها للتجارة مربح
فقلت لها ما لي لربحك حاجة ... فنحن أناس بالسلامة نفرح

(قوله: فلما علموا الخ) يشير إلى أن الآفات تحذر، ولو كانت باعتبار حقيقة الحال، أو درجة الكمال. **(قوله: وذلك أي السكوت نعت أرباب الرياضة)** أي، وأما العارفون ممن تتسابق إلى قلوبهم الأنوار، فلا يسكتون، بل ينطقون بالحكمة فيؤثر قولهم في قلب السامع حيث أنه مقدس من الأصل طيب الفرع لأن عبارات اللسان تتبع حركات القلوب، فمن كان ناقص النور فعبارته عن النقص، ومن كان عن هوى فكذلك ومن كان عن نور تام أفاد السامع نوراً تاماً كذلك فافهم. **(قوله: ويدل لذلك)** أي لتقديم السكوت على المنطق لكون السلامة فيه، وفي النطق قد يكون الضرر في الدنيء بحيث لا يشعر به المتكلم لقوّة غفلته وعمى بصيرته.

(قوله: لا يلقي لها بالاً الخ) أي لكونه يستخف بها مع أنها يترتب عليها أنه يهوي بها في نار جهنم لعظم جرمها باعتبار ما في نفس الأمر. **(قوله: لما رآه آخذاً بلسانه الخ)**

ورؤي ابن عباس آخذاً بثمرة لسانه يقول له: قل خيراً تغنم واسكت عن شر تسلم، فحفظ اللسان غالباً من أهمّ الأمور فإنه ترجمان ما في القلب، وسلامته من الزلل يستلزم تثبته بقلبه وينبغي التحفظ أيضاً مما يقوم مقام اللسان من إشارة وكتابة، ونحوهما فكم من ساكت هو متكلم. **(وقيل: أنّ داود الطائي رحمه الله لما أراد أن يقعد)** أي يختلي **(في بيته)** ليسلم من آفات اللسان في الجدال والخصام **(اعتقد)** أي عزم على **(أن يحضر مجالس أبي حنيفة رحمه الله، إذ كان تلميذاً له، ويقعد بين أقرانه)** من العلماء **(ولا يتكلم في مسألة)** أي لما أراد ذلك، قال لنفسه: لا أختلي حتى أجالس أصحابي الذين كنت أجالسهم في الفقه سنة، ولا أتكلم فجلس معهم، ولم يتكلم بحيث كانت تمرّ به المسألة، وهو أشهى إلى الكلام فيها من العطشان إلى الماء البارد ولا يتكلم **(فلما قوي نفسه على ممارسة هذه الخصلة)** وهي الصمت **(سنة كاملة قعد في بيته عند ذلك، وآثر العزلة)** على الخلطة، ومن لم يجاهد نفسه إلى أن تتغير أخلاقه الذميمة إلى الحميدة لا يفيده مجرّد حبسها، فإنه إذا حبسها بغير قصد لرياضة أخلاقه، ثم نسيها رجعت إلى حالها، وكانت سلامته وقت حبسها خاصة، وأخلاقه الذميمة باقية. **(وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، إذا كتب كتاباً، واستحسن لفظه مزق الكتاب وغيره)** بكتابة غيره خوفاً من العجب وأخذاً بقوله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن**

الضمير المستتر في رأي يعود على عمر والبارز يعود على الصديق، فالمعنى لما رأى عمر الصدّيق آخذاً بلسانه وقوله: هذا الذي أوردني الخ مقول قول الصدّيق رضي الله عنه وقوله قبل مه غفر الله لك مقول قول عمر. **(قوله: ورؤي ابن عباس الخ)** الشاهد فيه قوله واسكت عن شر تسلم. **(قوله: غالباً)** احترز به عما إذا طلب القول بشاهد علم الشريعة. **(قوله: فإنه ترجمان الخ)** أي فهو من إمارات ما عليه الإنسان من الأخلاق والأحوال إذ من مال قلبه إلى شيء يتفوّه به لسانه غالباً. **(قوله: يستلزم تثبته بقلبه)** أي ولذلك قيل لسان العاقل في قلبه وقلب الجاهل في لسانه. **(قوله: وينبغي التحفظ الخ)** أي فحكم ما يقوم مقام اللسان حكم اللسان لأنّ غوائل اللسان تعرض له أيضاً. **(قوله: وقيل إنّ داود الخ)** تقدّم الكلام على ذلك، وإنما أعاده لمناسبة المقام. **(قوله: ليسلم من آفات اللسان في الجدال الخ)** قال بعضهم شعراً:

إيــاك إيــاك الــمــراء فــإنــه ... إلـى الـشـر دعـاء ولـلـشـر جـالـب

(قوله: قال لنفسه الخ) أي فلا بدّ من مجاهدة النفس قبل الخلوة والعزة حتى تثمر خلوته الفوائد وإلا كانت مجرّد حبس للنفس بدون ثمرة تدوم **(قوله: وكان عمر الخ)** فيه تنبيه على قوّة مراقبته لأفعال نفسه رضي الله تعالى عنه. **(قوله: ونهي النفس عن الهوى)**

السلمي رحمه الله يقول: أخبرنا عبد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج قال: سمعت أحمد بن الفتح يقول: سمعت بشر بن الحرث يقول: **إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم**) لأنّ في ذلك مخالفة لهوى النفس وردًا لها عن هواها، وإعجابها بأحدهما يكون إما لاستحسانها للشيء، ولو كان ما استحسنته لا يخالف الشرع لكنه يحملها على الشغل به عما هو أولى منه، أو لإضافة ما استحسنته إليها ومدحها عليه ونسيان كونه من فضل الله. (**وقال سهل بن عبد الله: لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة**) غالباً لأن الصمت مع خلطة الناس متعذر غالباً فإذا خلا بنفسه حتى تعود السكوت أمكنه أن يسكت مع الخلطة، وقد يمن الله تعالى على العبد بالقوّة على مخالفة النفس، فيصمت مع الخلطة، وإن لم يتقدّمه خلوة. (**ولا تصح له التوبة**) من فضول الكلام، وزلل اللسان (**حتى يلزم نفسه الصمت**) غالباً لأن الغالب أن من كثر كلامه كثر خطؤه. (**وقال أبو بكر الفارسي: من لم يكن الصمت وطنه**) أي مقامه بأن لم يصمت بقلبه ولسانه، وسائر جوارحه (**فهو في الفضول**) بكثرة أقواله ووساوسه،

أي فالخير كله في مخالفة الهوى كما أنّ الشر كله في موافقته. (**قوله: إذا أعجبك الكلام فاصمت الخ**) محصله الحث على مخالفة ما تدعو إليه النفس، وما تميل إليه، ولو كان ميلها بشاهد العلم، وذلك لأجل البعد عن حظوظها خشية من دسائسها.

(**قوله: وإعجابها الخ**) شروع في بيان وجه طلب مخالفة النفس بإيضاح دليله. (**قوله: لكنه يحملها على الشغل به**) أي وذلك حجاب يحجب عما هو أولى منه، وهو الشغل بمن تفضل بذلك عليه. (**قوله: حتى يلزم نفسه الخلوة**) أي لأنها من جملة رياضة النفس، وتمرينها على دوام السكوت ومن الأسباب المسهلة له. (**قوله: متعذر غالباً**) احترز به عن النادر بالنسبة لبعض الكمل. (**قوله: وقد يمنّ الله تعالى الخ**) مفهوم قوله قبله غالباً، وقوله: فيصمت مع الخلطة أي مثل ما تقدّم عن داود الطائي.

(**قوله: حتى يلزم نفسه الصمت**) أي سواء كان الكلام عادياً، أو شرعياً أو غير ذلك لأنّ الألفاظ حلية المعاني، والمعاني قلبية وما يبرز من بساط يظهر أثره فيه والعبد قبل الخلوة والتوبة لم يتقدّس قلبه فيخشى عليه من عطب العبارة، ولذا قيل الناس ثلاثة متكلم مجموع، ومتكلم مسموع ومتكلم مدفوع، فالمجموع ما تنفع عبارته وتؤثر إشارته، والمسموع ما تستحلى عبارته، وتفهم إشارته، والمدفوع ما تمجه الأسماع ولا يحصل به انتفاع، والله أعلم. (**قوله: لأن الغالب الخ**) ومنه ما اشتهر من كثر لغطه كثر سقطه أي زلله. (**قوله: فهو في الفضول**) أي فالسلامة في السكوت باللسان والقلب على معنى أنه لا يخوض فيما لا يعنيه قولاً وفعلاً قالباً وقلباً، وقوفاً مع الحدود التي حدّها الشرع.

وتشعب أفكاره لأنه إذا كان مشغوفاً بإعلام غيره بما تضمنه قلبه كان متكلماً (**وإن كان صامتاً**) بلسانه لأنه تارة يسير إلى مقصود بيده وتارة بعينه، وتارة بغيرهما كما مرّ ولهذا قال (**والصمت ليس بمخصوص**) وقوعه (**على اللسان لكنه**) يقع أيضاً (**على القلب والجوارح كلها وقال بعضهم: من لم يستغنم السكوت**) أي: لم يعرف فضيلته ويعده غنيمة (**فإذا نطق نطق بلغو**) لقلة خوفه من آفات اللسان. (**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت ممشاد الدينوري يقول: الحكماء ورثوا**) بكسر الراء (**الحكمة بالصمت والتفكر**) لأن الحكمة وضع الشيء في محله فمن لم يثبت بقلبه وجوارحه حتى يعرف الصواب من الخطأ لم يكن حكيماً، ووقع في الخطأ. (**وسئل أبو بكر الفارسي عن صمت السر**) وهو جمع العبد همته على ما هو الأولى به (**فقال: ترك الاشتغال بالماضي والمستقبل**) بأن يجمع العبد همه على ما هو الأولى به في وقته، (و) لهذا (**قال أبو بكر الفارسي: إذا كان العبد ناطقاً فيما يعنيه، وفيما لا بدّ له منه فهو في حد الصمت**) أي: لا فضول عنده وإن كان ناطقاً فيما لا يعنيه، فليس بصامت، والحاصل أن كلامه وفكره فيما يحتاج إليه لا يخرجه عن الصمت، وفيما لا يحتاج إليه يخرجه عنه وإن سكت بلسانه. (**وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: كلم الناس قليلاً وكلم ربك**) أي: اذكره (**كثيراً لعل قلبك يرى**

(**قوله: كان متكلماً**) أي بالقوّة لا بالفعل. (**قوله: والصمت ليس بمخصوص الخ**) أقول بحسب ذوقي إنّ صمت القلب صمت لغيره، فهو السبب الأقوى في صمت اللسان وباقي الجوارح. (**قوله: من لم يستغنم السكوت الخ**) أقول فيه مبالغة حيث جعل السلامة غنيمة. (**قوله: ورثوا الحكمة الخ**) أي، فالصمت مع التفكر هو ماء حياة شجرة الحكمة بسبب ما يرد على القلب في حالتهما من واردات الرب سبحانه وتعالى.

(**قوله: فمن لم يثبت الخ**) فيه إرشاد شرعي وسياسي وذوقي فعلى الكيس الحاذق أن يتفكر ويتذكر قبل أن يتكلم، فإن وجد خيراً أقدم وإلا أحجم. (**قوله: فقال ترك الاشتغال الخ**) محصله عدم تضييع الحال بما لا يجدي من الماضي والاستقبال، فالمقصود من العبد قصر قوله على ما يعنيه فيكون حينئذ في حد الصمت، وبضدها تتميز الأشياء. (**قوله: والحاصل الخ**) أي حاصل المقصود من الصمت حصر القول والفكر فيما يعني في الوقت الحاضر لا مجرّد السكوت، فمن اشتغل بما يعنيه كان في حد الصمت ولو كان متكلماً ومن اشتغل بما لا يعنيه خرج عن حد الصمت، وإن كان ساكتاً.

(**قوله: كلم الناس قليلاً الخ**) من إشارته يعلم أن الخير في قلة اللغو وكثرة الذكر، فهي مدارج يترقى عليها العبد حتى يصل إلى مقام الإحسان والقرب.

(**قوله: لعل قلبك يرى الله**) أي لعله يصفو له حال المراقبة في جميع حركاته

الله تعالى) فإذا كنت من الدائمين على ذكره كنت ممن يعبد الله كأنه يراه وممن لا يقصد في حوائجه سواه، ويلزم من ذلك عادة أن لا يكلم الناس إلا لحاجة مهمة. **(وقيل لذي النون المصري: من أصون الناس لنفسه)** من الوقوع في الآفات كالغيبة والنميمة **(فقال: أملكهم للسانه)** لأن من ملك لسانه حتى لا يتكلم إلا بما يثاب عليه فقد سلم من الآفات، وصان نفسه عن الوقوع فيها. **(وقال ابن مسعود)** رضي الله عنه **(ما من شيء)** من الجوارح **(بطول السجن أحق من اللسان)** أي: أحق منه بذلك، **(و)** لهذا **(قال علي بن بكار: جعل الله لكل شيء)** من الجوارح غير اللسان **(بابين)** يعني مصراعين **(وجعل للسان أربعة أبواب)** يعني مصاريع **(فالشفتان مصراعان والأسنان)** العليا والسفلى **(مصراعان)** فمراده أنّ ما عدا اللسان من الجوارح يكفي فيه باب واحد له مصراعان، وأن اللسان لا يكفي فيه إلا بابان لكل باب مصراعان، نعلم أنّ اللسان أحق بالسجن من غيره، وقيل لبعضهم: ما جلوسك في هذه الصومعة فقال: لست براهب وإنما أنا حارس كلب لساني سبع ضار إن أطلقته آذاني وآذى الناس. **(وقيل: إنّ أبا بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه كان يمسك في فيه حجراً كذا كذا سنة فيقل كلامه)** لأنه كلما تحرك

وسكناته. **(قوله: ويلزم من ذلك الخ)** أي باعتبار حال العامة أما الخاصة، فلا حاجة ولا ضرورة تدعوهم إلى غيره تعالى لأن ذلك عندهم نقص وتفرق وعمى بصيرة والله أعلم.

(قوله: فقال أملكهم للسانه) فيه تنبيه على أن ذلك من أقوى أسباب السلوك والنهي لخدمة الملوك، واعلم أن محل ما ذكر إذا لم يكن في الكلام إذن شرعي أو ذوقي وإلا فالكلام أفضل وإمارة الإذن الشرعي تعلق الأمر به وجوباً أو ندباً وإمارة الإذن الذوقي انطلاق اللسان بدون احتشام، قال الشاذلي نفعنا الله ببركات علومه: الولي يكون مشحوناً بالعلم والحقائق لديه مشهورة حتى إذا أعطى العبارة كان كالإذن من الله تعالى له اهـ.

(قوله: أحق من اللسان) أي لأنّ غوائله من أكبر مفسدات الدين كالغيبة والنميمة وغيرهما من كبائر الذنوب.

(قوله: وجعل للسان الخ) فيه تنبيه للعبد على دوام مراقبته لأقواله وأفعاله وعليه أن يزيد في مراقبته للسانه حذراً من فلتاته. **(قوله: لساني سبع الخ)** جملة مستأنفة أفاد بها أنّ اللسان قد تكون أذيته بالغة في الضرر والتشبيه إنما هو في مطلق الضرر، وإن كان ضرر المشبه يعود على النفس كالغير. **(قوله: كان يمسك في فيه الخ)** أقول وإذا ثبت ذلك عن الصديق الأكبر، فكيف يكون الحال بالنسبة لأمثالنا ممن لا يذكر، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

(قوله: يقع على المتكلم الخ) أي مع ثبوت الفضيلة في الكلام، وقوله: لأنه أساء أدبه في شيء أي كأن تكلم بدون إذن له فيه إذ القلوب معادن الأسرار فإذا برزت المعاني

الحجر في فيه تذكر به ما جعله له، فيشتد حذره من زلل اللسان وإذا كان هذا حذر من سماه النبي ﷺ صديقاً لمبالغته في الصدق قولاً وفعلاً، فكيف بغيره ممن لا يقع منه الصدق إلا نادراً. (**وقيل: إنّ أبا حمزة البغدادي رحمه الله كان حسن الكلام فهتف به هاتف فقال له: تكلمت وأحسنت بقي**) عليك (**أن تسكت فتحسن فما تكلم بعد ذلك**) بكلام لا يثاب عليه (**حتى مات ومات قريباً من هذه الحالة**) أي: حالة سكوته (**على رأس أسبوع وأقل**) منه (**أو أكثر**) نبهه الهاتف على أن يجمع لنفسه بين إحسانيه في سكوته وكلامه، فإحسانه في سكوته أن يسكت عما لا يثاب عليه، وفي كلامه أن يتكلم بما يثاب عليه، (**وربما يكون السكوت يقع على المتكلم**) أي: بطلب منه (**تأديباً له لأنه أساء أدبه في شيء**) ارتكبه كأن استحسن حاله ومقاله، وأضاف ذلك إلى نفسه، ونسي كونه من فضل ربه. (**كان الشبلي إذا قعد في حلقته**) مع أصحابه (**ولا يسألونه**) في الكلام (**يقول**: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٥] وربما يقع السكوت على المتكلم لأن في القوم من هو أولى منه بالكلام) فيما هو فيه. (**سمعت ابن السماك رحمه الله يقول: كان بين شاه الكرماني ويحيى بن معاذ صداقة فجمعهما بلد فكان شاه لا يحضر مجلسه فقيل له في ذلك فقال: الصواب هذا**) أي: أن لا أحضره (**فما زالوا به حتى حضر يوماً مجلسه وقعد ناحية لا يشعر به يحيى بن معاذ، فلما أخذ يحيى بن معاذ في الكلام سكت، ثم قال: ههنا من هو أولى بالكلام مني وأرتج عليه**) أي: تعذر عليه الكلام كأنه أطبق عليه كما يرتج الباب أي: يغلق (**فقال**) لهم (**شاه قلت لكم الصواب أن لا أحضر مجلسه**) فأبيتم، نبه الحق تعالى بذلك يحيى

منها بدون إذن برزت ظلمانية كالشمس زمن الكسوف لا تكاد تقبل لثقلها، ولا تفهم لبعدها ولا تسمع لعجاجها قال أبو الحسن: كلام المأذون له يخرج وعليه حلاوة وطلاوة وكسوة، وكلام الذي لم يؤذن له يخرج مكسوف الأنوار حتى أن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة، فتقبل من أحدهما وترد على الآخر. (**قوله: كان الشبلي الخ**) محصله الإشارة إلى أن السكوت عن سؤال أسباب النجاة وطرق الوصول يكون سببه غفلات حصلت للمريدين في حال سيرهم وسلوكهم.

(**قوله: لأن في القوم الخ**) أي فيكون حق العبد السماع لمن هو أكبر منه، فلا يتكلم بالحقيقة في حضرته إذ المستمعون للحقائق غيال على المتكلم فيها، وهي أقواتهم منه لأنهم يطلبونها لقوام المعاني كما يطلبونه لقوام الأبدان، وينتفعون بها في نفوسهم كما ينتفعون بالقوت في أبدانهم، وعلى المتكلم مراعاتهم بما تسعه عقولهم، وتقبله قلوبهم رأفة بهم ورحمة. (**قوله: سمعت ابن السماك الخ**) تقدّمت هذه القصة مع الكلام عليها، فلا تغفل، وإنما أعادها لمناسبة المقام. (**قوله: وأرتج عليه**) يقرأ على صيغة المبني

ليتأدب، ويبحث عمن بمجلسه ليعطيه حقه وينزله منزلته، ويكون متعلماً منه لا معلماً له **(وربما يقع السكوت على المتكلم لمعنى في الحاضرين، وهو أنه يكون هناك من ليس بأهل لسماع ذلك الكلام)** بأن لا يستحقه **(فيصون الله تعالى لسان المتكلم)** عن أن يلقى ذلك الكلام لغير أهله **(غيرة)** عليه **(وصيانة لذلك الكلام عن غير أهله)** كما حكي عن عيسى عليه السلام أنه قال: لا تعطوا الحكمة غير أهلها، فتظلموها بوضعها في غير محلها، فيفوت الانتفاع بها. **(وربما كان سبب السكوت الذي يقع على المتكلم)** أنّ بعض الحاضرين لا يصلح له ذلك الكلام بأن **(كان معلوم الله سبحانه من حاله أنه)** حيث **(يسمع ذلك الكلام)** يفسد حاله **(فيكون)** ذلك **(فتنة له إما لتوهمه أنه)** أي: الكلام **(وقته)** وحاله أي: المطلوب له **(ولا يكون)** وقته **(أو لأنه)** بسماعه له **(يحمل نفسه ما لا يطيق)** بأن يكون بحيث لو سمعه لثارت في قلبه أحوال تكون سبب ضرره وهلاكه لضعفه عن حمل ما يرد عليه **(فيرحمه الله عز وجل بأن يحفظ سمعه عن ذلك الكلام إما صيانة له أو عصمة عن غلطه)** وهذا من باب اللطف بالسامع والشفقة عليه **(وقال مشايخ هذه الطريقة: ربما يكون السبب فيه)** أي: في السكوت عن الكلام **(حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن)** كالإنس **(إذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن)** يستمعون لأنّ الجن مكلفون كالإنس. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: اعتللت)** أي: مرضت **(مرّة بمرو فاشتقت)** إلى **(أن أرجع)** منها **(إلى نيسابور فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: لا يمكنك أن تخرج من هذا البلد فإنّ جماعة من الجن استحلوا كلامك)** وانتفعوا به **(ويحضرون مجلسك، فلأجلهم تجلس ههنا)** ولا تسافر. **(وقال بعض الحكماء)**

للمجهول. **(قوله: لمعنى في الحاضرين)** أي معنى يوجب نقصا فيهم وحجبا لهم عن مقامات المقرّبين بسبب كثرة ملابستهم لظلمات الغفلات. **(قوله: إنّ بعض الحاضرين الخ)** محصله أنّ السبب اللطف بالسامع أو إرادة حفظه من الغلط رحمة من الله وفضلاً. **(قوله: إما لتوهمه أنه وقته الخ)** أي فيكون في هذه الحالة متشبعاً بما لم ينل ممن يقال له طرماذ على ما حكاه أبو عمرو الزاهد في كتاب اليواقيت وأنشد عليه لبعض الرجاز شعراً:

سلمت في يومي على معاذ ... سلام طرماذ على طرماذ

(قوله: أو لأنه بسماعه له يحمل نفسه الخ) أي مع أنّ المطلوب منه حملها على الجد في العبادة تدريجاً لا دفعة خوف الملل.

(قوله: كالأنس) أقول بل ربما كان الأنس أقوى في ذلك باعتبار ما هو مشاهد في أهل وقتنا. **(قوله: فرأيت في المنام الخ)** محصله أنّ حكمة وحدة اللسان هي الإشارة إلى طلب قلة النطق طلباً للسلامة التي هي مقدّمة على الغنيمة.

رحمهم الله (**إنما خلق للإنسان لسان واحد وعينان وأذنان ليسمع ويبصر أكثر مما يقول**) أي: فينبغي أن يكون كلامه أقل من سماعه ورؤيته، ولذلك حكمة أخرى، وهو أن العبد لما احتاج أن يسمع ويرى من جهته تفضل عليه الحق بعينين وأذنين وأما اللسان، فترجمان عما في الضمير فلا يحتاج إلى تعدده. (**ودعي إبراهيم بن أدهم إلى دعوة فلما جلس**) مع القوم عليها (**أخذوا في الغيبة فقال: عندنا يؤكل الخبز قبل اللحم وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم أشار**) بذلك (**إلى قوله تعالى ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾**) [الحجرات: ١٢] هذا من باب التلطف في التنبيه على إنكار الغيبة، وهو مطلوب لا سيما إذا كان مرتكبها لا يحتمل الأمر والنهي لعظمته في نفسه، أو لصغر قدر الآمر والناهي والأولى بمن ابتلي بذلك أن يعدل إلى الحكايات والأمثال ليتنبه المغتاب من نفسه على زلله، وينكف عن غيبته فإن عجز عن ذلك عرض بحديث آخر غير ما هم فيه ليشتغل المغتابون عما هم فيه. (**وقال بعضهم: الصمت**) عن مكافأة المؤذي (**لسان الحلم**) أي: يدل على حلم من أوذي. (**وقال بعضهم: تعلم الصمت كما تتعلم الكلام**) لتوقع كلا منهما في محله (**فإن كان الكلام يهديك**) إلى الخير (**فإن الصمت يقيك**) الشر وإن كانت الوقاية دون الهداية،

(**قوله: أن يكون كلامه أقل الخ**) أي لأنّ السماع والإبصار للمشروعات من نوع الغنيمة، وقلة القول ولو مشروعاً من طرق السلامة، والسلامة مقدّمة. (**قوله: من جهتيه الخ**) التثنية باعتبار كل من سمعه وبصره، فلكل جهة وذلك لا ينافي أن الإدراك بالسمع من الجهات كلها، فالجهة بالإضافة إلى السمع من قبيل المفرد المضاف. (**قوله: فترجمان عما في الضمير**) أي وهو واحد فناسبه وحدة اللسان.

(**قوله: وهو مطلوب**) أي لكونه من الأخلاق المحمدية إذ ثبت عنه ﷺ أنه كان إذا كره شيئاً من أحد لم يشافهه بالزجر، بل كان يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا». (**قوله: بمن ابتلي بذلك الخ**) الإشارة إلى من لا يحتمل الأمر والنهي لعظمته في نفسه أو لصغر قدر الآمر والناهي. (**قوله: فإن عجز عن ذلك**) أي عن الحكايات والأمثال ومثل ذلك ما إذا علم عدم نفعها، وقوله عرض الخ أي لأن ذلك كله من قبيل النصح مع الإخوان المؤمنين وهو واجب شرعي. (**قوله: الصمت عن مكافأة المؤذي الخ**) أي ومحله إذا كان فيما يخص الإنسان من الحقوق لأن العفو في حقه أفضل من المكافأة لا إذا كان فيه حق للحق، فلا يعد الصمت عنه من الحلم، بل هو من الجهل.

(**قوله: وإنْ كانت الوقاية دون الهداية**) أي وذلك لأنّ الوقاية من نوع السلامة، وهي مقدمة على الغنيمة كالهداية، وإنما قدّمت الوقاية مع أنها أقل من الهداية بعداً عن خطر

ولهذا قيل: إذا كان الكلام من فضة فإنَّ السكوت من ذهب. **(وقيل: عفة اللسان صمته وقيل: مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك)** وعلى غيرك. **(وسئل أبو حفص: أي الحالين للوليّ أفضل الصمت أو النطق فقال: لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت إن استطاع عمر نوح)** ليسلم **(ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله عز وجل ضعفي عمر نوح حتى ينطق)** ليهتدي إلى الخير. **(وقيل: صمت العوام)** يكون **(بألسنتهم)** عن فضول الكلام **(وصمت العارفين)** يكون **(بقلوبهم)** عن فضول الفكرة في غير المرام **(وصمت المحبين)** يكون **(بالتحفظ من خواطر أسرارهم)** أن تشير إلى غير محبوبهم. **(وقيل لبعضهم: تكلم فقال: ليس لي لسان فأتكلم فقيل له: اسمع فقال: ليس فيّ مكان فاسمع)** أشار بذلك إما إلى التبري من الحول والقوة في سائر حركاته وسكناته ومعانيه القائمة به، أو إلى استغراقه فيما أنعم الله به عليه حتى شغله به عن غيره. **(وقال بعضهم: مكثت ثلاثين سنة لا يسمع لساني إلا من قلبي)** لكوني أتثبت بقلبي، فلا أنطق إلا بما صح فيه ووزنته بميزان الشرع، **(ثم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع قلبي إلا من لساني)** لأني لما سهلت عليّ المعاني وصارت العلوم والحكم نصب عيني وصار الحق يجريها تفضلاً عليّ من غير احتياج إلى تفكر صار قلبي يسمع من لساني أي: ينتفع ويعيش بما أجراه الحق عليه. **(وقال بعضهم: لو أسكت**

الهداية. **(قوله: وقيل عفة اللسان الخ)** أي فالعفة كما تثبت للنفس والجملة تثبت أيضاً للجوارح. **(قوله: وقيل مثل اللسان الخ)** أي فله العدوى مثل السبع، بل هو أضر إذ عدوى السبع على الغير فقط، وعدوى اللسان على النفس وعلى الغير على أنّ ضرر السبع دنيوي وضرر اللسان ديني ودنيوي، ولا يخفى الفرق. **(قوله: لو علم الناطق الخ)** أي فلكل من النطق والصمت ضرر، فعلى المكلف العمل فيهما بالهدى المحمدي ليغنم أو يسلم فافهم. **(قوله: عن فضول الفكرة)** أي مثل التفكر فيما نهي عنه أو كان نقصاً بالنسبة لحال المتفكر ومقامه. **(قوله: وصمت المحبين الخ)** أي ولذلك قال سيد العشاق في تائيته:

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري سهواً قضيت بردتي

ومراده بالردّة الرجوع عما يلزم لمقام المحبة المتعارفة كما لا يخفى.

(قوله: إما إلى التبري الخ) أي لفنائه عن أفعال نفسه في أفعال الحق تعالى بواسطة ترقيه إلى مقام الجمع وقوله أو إلى استغراقه الخ أي بواسطة فنائه عن نفسه أيضاً بوصوله إلى مقام جمع الجمع. **(قوله: وقال بعضهم مكثت الخ)** فيه تنبيه على كمال طهارة أسراره، وزيادة إشراق أنواره حيث ترقى إلى درجة استفتاء القلوب، وأخذ الحكم من حقيقة المطلوب فكان نفعنا الله به ممن عنى السيد الكامل ﷺ بقوله:

لسانك لم تنج من كلام قلبك) لأن الكلام في الفؤاد واللسان مترجم عما فيه وما فيه هو حديث النفس، ولا تقدر على إسكاته **(ولو صرت رميماً لم تتخلص من حديث نفسك)** فكيف تقدر على إسكاته، وأما الروح فهي عند جماعة من الصوفية معنى له تعلق بالله تعالى وصفاته ونيل قرب منه، ومناجاة له وعند كثير منهم كما مر بيانه أوّل الكتاب مع زيادة جوهر مجرّد قائم بنفسه غير متحيزمتعلق بالبدن للتدبير، والتحريك غير داخل فيه، ولا خارج عنه فلا التفات لها إلى حديث النفس لكمال شغلها عنه، ولهذا قال **(ولو جهدت كل الجهد)** في أن تكلمك روحك **(لم تكلمك روحك لأنها كاتمة للسر)** والمراد أن العبد إذا صمت بلسانه لا يكتفي به، بل لا بدّ أن يقع عن نفسه فضول الفكر عن قلبه. **(وقيل: لسان الجاهل مفتاح حتفه)** يعني قتله بسبب عثرة لسانه، ففيه تنبيه على التحذير من كثرة الكلام، وقد يغلط اللسان غلطة يكون فيها قتل النفس وهلاكها في الدنيا وفي الآخرة. **(وقيل: المحب إذا سكت)** عن ذكر

«استفت قلبك» الحديث فافهم. **(قوله: لو أسكت لسانك الخ)** يشير إلى أنه ينبغي للعبد الرجوع إلى الحق في حفظه نفساً وجوارحاً ظاهرة وباطنة إذ لا قدرة على شيء من ذلك إلا له تعالى.

(قوله: وأما الروح الخ) ذكرها في مقابلة النفس بناء على تغايرهما، وقد قيل بذلك في طريق القوم فإن النفس عندهم هي متعلق المجاهدات حتى تفنى عن حظوظها، وتصل إلى مقام شرفها، وأما الروح فهي بذاتها من عالم النور لا تلابس شيئاً من الظلمات والله أعلم. **(قوله: غير داخل فيه الخ)** أي وذلك لأنها من المجردات على ما عليه أهل التحقيق. **(قوله: لأنها كاتمة السر)** أي ولهذا كانت من عالم الغيب والأمر بشاهد قوله جل اسمه: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. **(قوله: بل لا بدّ أن يقطع الخ)** أي فحقيقة الزهد الإعراض عن جميع حظوظ النفس وحظوظ الجوارح الظاهرة والباطنة.. **(قوله: وقيل لسان الجاهل مفتاح حتفه)** أي سبب في موته وذلك لأنه يفوه من غير قلبه، أو عن قلبه المظلم بظلمات المخالفات والجهالات بسائر العلوم اللازمة لصفاء القلوب، وزيادة تذكرها ويقظتها، واعلم أنه لما كانت فلتات الجوارح غير اللسان يمكن تلافيها وتداركها، ولا كذلك اللسان كانت جرائمه أهلك للنفس، فعلى العاقل مراعاة حفظه دائماً وأبداً، ولهذا قيل ما ندم من سكت فتدبر.

(قوله: إذا سكت الخ) حمله الشارح على ذكر اللسان، وذلك من نوع القصور، فالأولى حمله على الأعم من ذكر اللسان والقلب، بل عادة المحبين لزيادة غيرتهم على محبوبهم يكون ذكرهم له قلبياً قال الشاعر:

أغالط عذالي إذا ذكروا له ... حديثاً كأني لا أحب له ذكرا

محبوبه **(هلك)** بقلقه بنيران شوقه إليه، فلا يمكنه السكوت عنه، بل يتروّح من كربه ويستريح من شدة حجبه عنه بما يجريه الحق على لسانه من ذكره **(والعارف إذا سكت)** عن ذكر معروفه **(ملك)** بما منحه من شريف أحواله إذ شأن العارف لكمال شغله بربه الكتمان لما وجد وشأن المحب الهيمان طلباً لما فقد. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول: سمعت مردويه الصائغ يقول: سمعت الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: من عد كلامه من عمله)** الذي يحصيه الله عليه ويسأله عنه **(قل كلامه)** لكونه يتثبت فيه خوفاً من عاقبته، فلا يتكلم **(إلا فيما يعنيه)** أي: يحتاج إليه.

(قوله: فلا يمكنه السكوت عنه) أي لأن حياته إنما تكون بدوام ذكر محبوبه ولهذا المشهد أشار العارف الفارضي حيث قال في ميميته

أدر ذكر من أهوى، ولو بملامي ... فإنّ أحاديث الحبيب مدامي

ليشهد سمعي من أحب، وإن نأى ... بطيف سلام لا بطيف منامي

فلي ذكرها يحلو على كل صيغة ... وإن مزجوه عذلي بخصام

إلى آخر ما قال. **(قوله: والعارف إذا سكت عن ذكر معروفه ملك)** أي لأنّ المحبة إذا صدقت لا تظهر على المحب العارف بلفظه، وإنما تلوح على شمائله ولحظه، فلا يفهم حقيقتها من المحب سوى المحبوب، ولا يطلع على أسرارها إلا المقرب المطلوب، ولذا قيل شعراً:

تشير فأدري ما تقول بطرفها ... وأطرق طرفي عند ذاك فتعلم

وذلك لأن محبة الخواص من العارفين خاطفة تقطع العبارة، وتدقق الإشارة، فلا تتضح بالنعوت، ولا تعرف إلا بالحيرة والسكوت، فافهم.

(قوله: من عد كلامه من عمله الخ) أي وذلك لأنه قد ذاق العلم ووفق للعمل به، فعلم أن حصائد اللسان مهلكة قد توجب القتل بل الخلود في النار مع القتل أعاذنا الله من ذلك.

باب الخوف

هو فزع القلب من مكروه يناله أو محبوب يفوته كما سيأتي، وسببه تفكر العبد في المخوفات كتفكره في تقصيره وإهماله وقلة مراقبته لما يرد عليه وكتفكره فيما ذكره الله في كتابه من إهلاك من خالفه، وما أعده له في الآخرة، وقد يعبر عن الخوف بالفزع والروع والرهب والخيفة والخشية، كما ستأتي الإشارة إليه مع زيادة،

باب الخوف

هو فزع القلب الخ، أقول ذلك باعتبار العامة أما الخاصة رضي الله تعالى عنهم، فلا خوف عندهم ولا حزن، وذلك لأنهم يعدون الوعيد وعداً والعذاب عذباً لأنهم يشهدون المبلي في البلاء والمعذب بكسر الذال المعجمة في العذاب فقد عدموا ما وجدوا في جانب ما شاهدوا، ومن أجل ذلك قال قائلهم شعراً:

سقمي في الحب عافيتي ووجودي في الهوى عدمي

(قوله: وسببه تفكر العبد الخ) أقول ذلك بحسب الظاهر في الوجود الخارجي وإلا فالسبب في الحقيقة، إنما هو سابق عناية الله تعالى وإحسانه، حيث وفق العبد إلى هذا المقام الجليل. **(قوله: كتفكره في تقصيره الخ)** أفاد بذلك أن الخوف يختلف اختلاف أحوال الخائفين قوّة وضعفاً، فقد يكون الخوف من سطوات الوعيد، أو من فوات أمر سديد، أو من خوف الحجاب، والبعد عن درجة الأحباب، وعلى كل حال هو من أسباب الخيرات، وتزايد الحسنات. **(قوله: والخوف ممدوح)** أي للثناء على الخائف اللازم منه طلبه.

(قوله: يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) المراد بالطمع إنما هو الرجاء الذي هو تعلق القلب بمرغوب فيه مع الأخذ في الأسباب، وذلك لأنّ الطمع مذموم عقلاً وشرعاً، كما لا يخفى ووجه الدلالة من الآيات المذكورة الثناء على الخائفين، وما أعده الحق تعالى للخائف فيها. **(قوله: ولمن خاف مقام ربه جنتان)** شروع في تعداد النعم الفائضة على المؤمنين في الآخرة بعد تعداد ما وصل إليهم في الدنيا منها سواء الدينية والدنيوية، ومقام الرب سبحانه وتعالى موقفه الذي تقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحوال العباد من قام عليه إذا راقبه، أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين، وإضافته إلى الرب للتفخيم والتهويل، أو هو مقحم

والخوف ممدوح ومطلوب (قال الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾) [السجدة: ١٦] وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]. (أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيري العدل) رحمه الله (قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلويه الدقاق) بضم اللام المشدّدة (قال حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثنا عامر بن أبي الفرات قال: حدثنا المسعودي عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى») أي من خوفه منه (حتى يلج اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله، ودخان جهنم

للتعظيم، والمراد بقوله تعالى: ﴿جَنَّتَانِ﴾ يحتمل أنه على معنى أن للخائف الانسي جنة، وللخائف الجني جنة فإن الخطاب للفريقين، والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد منكما جنة لعقيدته وأخرى لعمله، أو جنة لفعل الطاعات، وأخرى لترك المعاصي، أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل عليه بها، أو روحانية وجسمانية.

(قوله: ويدعوننا رغباً ورهباً) أي راغبين في الثواب وراجين الإجابة أو راغبين في الطاعة وخائفين من العقاب والمعصية، أو للرغبة والرهبة، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ أي مخبتين متضرعين، أي دائمي الوجل، وحاصل المعنى أن الأنبياء المذكورين نالوا ما نالوا من إحسان الله تعالى بسبب اتصافهم بهذه الصفات الحميدة المذكورة في الآية الشريفة، فمن كان من هذه الأمة على مثل هذه الصفات يثبت له مثل أو قريب مما ثبت لهم صلوات الله وسلامه عليهم، غير أنه يشترط أن تكون أحوالهم دائرة بين الرجاء والخوف على ما دلت عليه متابعة السيد الكامل ﷺ لأن تحكيم الرجاء دائماً أو الخوف دائماً مذموم شرعاً لما يترتب على كل من التفريط والقنوط، وذلك المذكور في الآية هو المطلوب من العبيد، فإذا قاموا بما طلبه الحق منهم قام لهم بما طلبه من نفسه لهم فضلاً منه وإحساناً، لأن المقصود من العارفين الصدق في العبودية، والقيام بحقوق الربوبية، وذلك بالتزام أحكامها، ومدار ذلك على أمور ثلاثة: التشمير للحقوق، والإعراض عن كل مخلوق، والاستسلام تحت جريان المقادير والأحكام، وقد يعبر عن ذلك بامتثال أمره، والاستسلام لقهره تدبر.

(قوله: لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى) أي لا يدخلها أصلاً إن دام على الخوف بمعونة التوفيق، أو المراد نار الخلود لا نار التطهير، هذا، وفي الخبر المذكور تنبيه على فضل الخشية، والجهاد بذكر ثمرتهما. (قوله: حتى يلج اللبن في الضرع) أي حتى يدخل فيه بعد انفصاله عنه وهو من المحال العادي فالمعنى حينئذٍ أن من بكى من خشية الله لا يدخل النار أصلاً.

(قوله: ولا يجتمع غبار في سبيل الله) أي ابتغاء مرضاة الله، ولإعلاء كلمة الله ودخان جهنم في منخري عبد أبداً أي إذا مات في الجهاد، أو عاش على سداد التوفيق

في منخري عبد أبداً) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، والمنخر بفتح الميم وكسرها. **(حدثنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسين بن الشرفي قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال: حدثنا شعبة قال: حدثنا قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم»)** أي من الأهوال المخوفة **(لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)** رواه الشيخان، وروى أنه ﷺ قال: «من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن لم يخف الله خاف من كل شيء» ثم بين الخوف فقال **(الخوف معنى متعلقه)** يوجد **(في المستقبل لأنه)** أي العبد **(إنما يخاف أن يحل به مكروه، أو يفوته محبوب، ولا يكون هذا إلا لشيء يحصل في المستقبل، فأما ما يكون في الحال موجوداً)** أو وجد في الماضي **(فالخوف لا يتعلق به، والخوف من الله سبحانه هو أن يخاف)** العبد **(أن يعاقبه الله إما في الدنيا وإما في الآخرة، وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه فقال تعالى)** فلا تخافوهم **(﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١] ومدح المؤمنين)** من الملائكة **(بالخوف**

والعمل بشاهد المتابعة. **(قوله: لو تعلمون ما أعلم الخ)** أقول لما كان علمه ﷺ من علم الشهود علق الحكم به فلا يقال أن الأهوال قد ذكرت مفصلة، وذكرت أسبابها كذلك وعلم ذلك المؤمن واطلع عليه ولم يتأثر بشيء من ذلك، على أن من يضلل الله فلا هادي له، واعلم أنه بدوام المتابعة لسيد الأنام، والجدّ في العمل والناس نيام تحصل ثمرة انتفاء الخوف إذ العمل على وجه المتابعة يدور على ثلاث: حصول الباشرة بزوال الخوف، والحزن لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] الآية والحياة الطيبة بالرضا والقناعة لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] الآية وظهور رسول الخلافة بتسخير الكائنات لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] الآية. **(قوله: من خاف الله تعالى الخ)** أقول: وذلك ظاهر وآثاره جلية، إذ من كان كذلك كان تجليه الجلال، فهو حينئذٍ مترد برداء الهيبة، وبالضد يعلم حكم ضده. **(قوله: معنى متعلقه يوجد في المستقبل)** أي فالفزع الذي هو معنى الخوف متعلقه، وهو المخوف منه يوجد في المستقبل، والحاصل أن الخوف لا يتعلق إلا بما كان وجوده في المستقبل لا بما وقع في الماضي أو الحال.

(قوله: فالخوف لا يتعلق به) أي بل الذي يتعلق به إنما هو الأسف أو الحزن. **(قوله: إما في الدنيا وإما في الآخرة)** أي والأول يكون للمحبوبين، والثاني لعوام المؤمنين. **(قوله: وقد فرض الله الخ)** أي حكم وقضى وأمر العباد أنهم يخافونه، وذلك بشاهد العلم، أقول ومن إشارة الجملة الشرطية في قوله تعالى ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] يخاف على من تجرّد عن الخوف سوء الخاتمة، والعياذ بالله تعالى. **(قوله: وقال فإياي فارهبون)** أقول

فقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾) [النحل: ٨٥] فوقيته تعالى ليست بمكان، بل بالإجلال والتعظيم، وكمال الإقتدار وبتنزيهه عن مماثلته لخلقه، وقد يطلق الخوف من فوقهم على العذاب بحذف مضاف أي يخافون عذاب ربهم من فوقهم. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول الخوف**) أي مطلقه (**على**) ثلاث (**مراتب الخوف والخشية والهيبة، فالخوف من شرط الإيمان وقضيته**) فإيمان العبد يفيده الخوف (**قال الله تعالى** ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] **والخشية من شرط العلم**) وقضيته فعلم العبد يفيده الخشية (**قال الله تعالى**: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾) [فاطر: ٢٨] أي: به تعالى (**والهيبة من شرط المعرفة**) وقضيتها فمعرفة العبد تفيده الهيبة (**قال الله تعالى**: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾) [آل عمران: ٢٨] ولما كان

صريح الآية الأمر بالخوف منه تعالى دون غيره، فلا ينبغي لعاقل آمن بما أنزل على سيدنا محمد ﷺ أن يخاف غيره تعالى إذ لا فاعل غيره سبحانه وتعالى.

(**قوله: ومدح المؤمنين من الملائكة**) أي والثناء عليهم به يقتضي طلبه منهم. (**قوله: وقد يطلق الخوف الخ**) أي وعليه فالفوقية حقيقة. (**قوله: الخوف على ثلاث مراتب**) أي فهي أنواع لمطلق الخوف، كما ذكره الشارح. (**قوله: فالخوف من شرط الإيمان**) أي ولذا علق عليه في الآية الشريفة، فيلزم أن من آمن إيماناً كاملاً أن يخاف الله تعالى، إذ من صدّق بالوعيد خاف وقوعه. (**قوله: وقضيته**) أي لأنّ الإيمان والتصديق بالوعد والوعيد يقتضي الخوف، وكذا يقال فيما بعده. (**قوله: والخشية من شرط العلم**) أي من لوازمه، وهي أتم من الخوف وأعلى منه، فقوله: فعلم العبد يفيده الخشية أي لأنّ من علم ما للحق من الجلال والعظمة والانعام، وباقي صفات الكمال يثبت له معنى الخشية منه. (**قوله: إنما يخشى الله من عباده العلماء**) أي فهم الذين تثبت لهم حقيقة الخشية منه تعالى، وليس المراد مطلق العلماء بل المراد العلماء بالله، كما صرح به الشارح لأنهم هم العالمون بما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة، لأنّ مدار الخشية على معرفة المخشي، والعلم بشؤونه، فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه عز وجل، كما قال ﷺ: «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له»[1] وغير العلماء بمعزل عن هذه المعرفة، ولاسيما الكافرين فيمتنع انذارهم لذلك. (**قوله: والهيبة من شرط المعرفة**) أي التي تتحقق بواسطة الشهود بعد رفع الحجب.

(**قوله: فمعرفة العبد تفيده الهيبة**) أي لاشرافه عياناً على مظاهر الاسماء والصفات والأفعال. (**قوله: ولم يذكر شيئاً من عذابه**) أي لأن السبب عند مثل هؤلاء في جدهم

---

(١) أخرجه صاحب الجامع الكبير المخطوط الجزء الثاني (٢/٧٨٦).

العارفون مشغولين بربهم عمن سواه حذرهم من نفسه، ولم يذكر شيئاً من عذابه، وبما قاله علم أن الخوف يطلق على الثلاثة، وأن الخوف الثاني أخص من الأوّل ونظيره الهبة تنقسم إلى هبة وهدية وصدقة كما هو مقرر في محله، وهذا لا ينافي قول بعضهم الخشية حال من مقام الخوف، والخوف اسم جامع لحقيقة التقوى، والتقوى معنى جامع للعبادة، وفسر بعضهم الخشية بأنها خوف مقترن بتعظيم، وبذلك فسرت قراءة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ لأنه مدح العلماء الذين وصفهم الله بالخشية، فإنَّ العبد إذا تفكر في ذنبه وشدة عقاب ربه رهب، وهرب وخشي أن لا تقبل توبته فإذا من عليه بالعلم وعلم أنه يقبل التوبة رجع إليه واعتدل خوفه ورجاؤه وصار من العلماء العاملين لله على الخشية لعلمه بصفاته وهو أنه شديد العقاب غفور رحيم.
(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن علي الحيري يقول: سمعت محفوظاً يقول: سمعت أبا حفص يقول: الخوف سوط الله

واجتهادهم، إنما هو إجلال الله تعالى ومحبته فهم رضي الله تعالى عنهم لا التفات لهم لغيره تعالى لا حباً ولا بغضاً ولا خوفاً ولا أمناً. **(قوله: يطلق)** أي مطلقه على الثلاثة أنواع أي الخوف والخشية والهيبة. **(قوله: وإنّ الخوف الثاني)** أي المعنون عنه بالخشية أخص من الأوّل الذي هو أعم. **(قوله: ونظيره الهبة الخ)** أي فالهبة نظير الخوف في الانقسام إلى ثلاثة أنواع، وذلك باعتبار أن يراد منها مطلق العطاء. **(قوله: إلى هبة وهدية وصدقة)** الأولى للمثل غالباً والثانية للأعلى كذلك والثالثة للأقل كذلك. **(قوله: وهذا لا ينافي الخ)** أي جعلها أي الخشية نوعاً من أنواع الخوف لا ينافي جعلها حالاً من مقامه إذ الحال قد يكون مقاماً من مقاماته التي هي أنواع له.

(قوله: والخوف اسم جامع لحقيقة التقوى) أي لأنها تجنب ما حذر عنه الشارع لخوف الوعيد، فهي من ثمراته. **(قوله: والتقوى معنى جامع الخ)** أي ولذا قال الجنيد في بيان حقيقتها حين سئل عنها: أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك. **(قوله: بانها خوف مقترن بتعظيم)** أي وذلك الاقتران منشؤه الالتفات إلى علم قبول التوبة بعد الهرب بطوارق جلال اسمه ونعته تعالى بشديد العقاب، والحاصل أنه بهذا الالتفات المتقدم اعدل الخوف والرجاء، حيث تحقق العبد بالعلم والعمل على الخشية. **(قوله: فان العبد)** أي المجرد عن العلم بدليل ما سيذكره بعده، ويحتمل أن المراد به الغافل عن علم أن الله غفور رحيم، فقوله: فإذا منَّ عليه بالعلم أي بالرجوع إليه، وتذكره بعد الغفلة عنه، هذا أظهر.

(قوله: واعتدل خوفه ورجاؤه) أي فكان يعامل الله بالخوف في حال صحته، وبالرجاء في حال شدته ومرضه. **(قوله: الخوف سوط الله)** أي مثله في سوق الحرون من

يقوّم به الشاردين) أي: الهاربين بمعاصيهم (عن بابه) فلا يردهم عنها إلا خوفهم من عذاب ربهم تبارك وتعالى وسطوته. (وقال أبو القاسم الحكيم: الخوف على ضربين رهبة وخشية فصاحب الرهبة يلتجىء إلى الهرب إذا خاف) من شيء (وصاحب الخشية يلتجىء إلى الرب، ورهب وهرب يصح أن يقال إنهما واحد معنى مثل جذب وجبذ فإذا هرب انجذب في مقتضى هواه كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم، فإذا كبحهم) أي: جذبهم (لجام العلم) بأن منّ الله عليهم بالعلم (وقاموا بحق الشرع) وعلموا أن لا ملجأ من الله إلا إليه وأن رحمته واسعة (فهو) أي: ما اتصفوا به من ذلك (الخشية) حاصله أنه مدح العلماء الذين وصفهم الله بالخشية، فإن العبد إذا تفكر في ذنبه، وشدة عقاب ربه رهب وهرب أي: خشي أنه لا يقبل توبته، فإذا من

النفوس، وقوله: يقوّم به الشاردين أي يعدلهم به ويصيرهم إلى الاستقامة. (قوله: أي الهاربين بمعاصيهم) الباء في قوله: بمعاصيهم للسببية كما لا يخفى. (قوله: يلتجىء إلى الهرب) أي يرجع إلى الله إذا خاف وعيده. (قوله: يصح أن يقال انهما واحد معنى) أي، وهو الرجوع إلى الطاعة. (قوله: فإذا هرب انجذب في مقتضى هواه) أي عنه ففي بمعنى عن فهو بمعنى قوله: فإذا كبحهم لجام العلم الخ، وحينئذٍ فقوله: كالرهبان مثال لمن كان منصرفاً في هواه بشاهد حظ نفسه قبل أن تدركه عناية الجذب هذا ما ظهر في جمع أطراف كلامه فانظره، ويحتمل إبقاء في على معناها، ويكون بياناً لحال بعده بملابسة الحظ، وذلك ما يلوح من كلامه، وفيه تامل فتدبره.

(قوله: فإذا كبحهم) أي ردهم لجام العلم أي العلم الذي هو كاللجام، حيث علموا بواسطة أنواره ما يضرهم وما ينفعهم، وقوله: وقاموا بحق الشرع أي بأن عملوا به وتحلوا بثمرته، وقوله: فهو الخشية الجملة جواب قوله: فإذا كبحهم الخ. (قوله: فهو الخشية) أي وهي أعلى من مطلق الخوف، والهيبة أشرف من الخشية، إذ لا تكون إلا عن شهود بعد رفع الحجب عن العبد المقرب، والحاصل أن الخوف سببه مجرّد الإيمان، والخشية سببها الإيمان المصاحب للعلم، والهيبة سببها الإيمان، والعلم المقارن للمشاهدات والمعاينات.

(قوله: حاصله أنه مدح العلماء) محصل كلام الشارح أن مراد المؤلف الثناء على العلماء بما يترتب على علمهم من بالرجوع إلى الطاعة واعتدال الخوف، والرجاء بعد افراط الخوف بملابسة المخالفات، واسترسال النفس في الشهوات، وذلك بنظرهم في أسمائه تعالى وصفاته فرأوا أنه، كما وصف نفسه بأنه شديد العقاب الموجب للرهبة، والهرب قد وصفها كذلك بأنه غفور رحيم الموجب للرجاء، والرجوع إليه، فاعتدل بذلك خوفهم ورجاؤهم، كما ذكر ودامت طاعتهم ومراقبتهم وخشيتهم فتأمله.

عليه بالعلم وعلم أنه يقبل التوبة رجع إليه واعتدل خوفه ورجاؤه وصار من العلماء العاملين لله على الخشية لعلمه بصفاته، وهو أنه شديد العقاب غفور رحيم، ولعلمه بما أجراه الله عليه من المعصية والتوبة عنها، فإذا نظر إلى وقوع المعصية خاف وإذا نظر إلى أنه تعالى منّ عليه بالتوبة رجا، واعتدل خوفه ورجاؤه كما ذكره ودامت طاعته ومراقبته وخشيته (**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: سمعت أبا حفص يقول: الخوف سراج القلب به يبصر**) بواسطة العلم (**ما فيه من الخير والشر**) فالخوف في الحقيقة حامل له على التثبت ليميز الخير من الشر وتمييزه بالعلم لا بالخوف. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: الخوف أن لا تعلل نفسك بعسى وسوف**) بل تطلب ما تأمن

(**قوله: الخوف سراج القلب الخ**) أقول ولذلك قيل إذا أردت أن تعرف قدرك عند مولاك، فانظر فيما يقيمك فيه لأنّ المنازل على حسب النازل، فإن وجهك إلى الدنيا فقد أهانك وإن شغلك بالخلق فقد صرفك، وإن وجهك إلى العمل فقد أعانك، وإن فتح لك في العلم فقد أرادك، وإن فتح لك باباً إلى مناجاته فقد قربك، وإن واجهك بالبلاء فقد هداك، وإن صرفك عن الاعراض فقد ادبك، وإن رضيت به وعنه فقد فتح لك باب الرضا منه، وهو أعظم الأبواب وأكملها، وأتمها قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله: الرضا باب الله الأعظم، وسراج العابدين وجنة الدنيا، وفي الخبر يقول الله تعالى: «أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير، وأجريت الخير على يديه، وويل لمن خلقته للشر، وأجريت الشر على يديه» وفي الحديث: «من أراد أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده فان الله ينزل العبد حيث ينزله العبد من نفسه». (**قوله: به يبصر الخ**) أي بواسطة نور القلب العلمي يبصر ما فيه من الخير والشر، فيدوم أو ينكف. (**قوله: على التثبت**) أي التوقف عن المخالفات، وغيرها حتى يتبين هذا من ذاك بذوق العلم، على أن أصل الباعث على كل خير العلم، لأن الخوف وغيره من المقامات لا يتحقق للعبد إلا بما ينكشف له بنوره، ويؤيد ذلك خبر: «من أراد الله به خيراً يفقهه في الدين»، وكفى العلم شرفاً أن يدعيه من ليس متصفاً به، ويشرف به من تحلى بنعته.

(**قوله: أن لا تعلل نفسك الخ**) أقول: ذلك نتيجة الخوف، وثمرته لا نفسه وحقيقته، إذ هو الفزع من الوعيد وإشارات التهديد، فالخوف هو الباعث للعبد على أن لا يعلل نفسه بعسى وسوف إذ مقتضاه الرجوع بالفعل عن جميع المخالفات، والأخذ في الجدّ في الطاعات من غير توان، ولهذا المعنى أشار عارف وقته حيث قال في تائيته:

وجدّ بسيف العزم سوف، وإن تجد ... تجد نفساً فالنفس إن جدت جدّت
وأقبل إليها وانحها مفلساً فقد ... وصيت لنصحي إن قبلت وصيتي

به وتهرب مما تخافه، وهذا في الخوف المعتدل لأن الناقص لا يحمل على طلب ولا هرب والمفرط يوقع في القنوط واليأس من رحمة الله وكلاهما منهي عنه، فالذي يحمل العبد على مسارعته إلى خلاصه مما يخافه هو المعتدل، وصاحبه لا يعلل نفسه بعسى ولا بسوف بل يهرب في الحال من كل مخوف. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول: سمعت أبا عمر الدمشقي يقول: الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان**) لأنها أعدى الأعداء وأقربهم وألزمهم للإنسان إذ لا يمكن الخلاص منها، ولأنه لا قدرة عليك إلا بميل نفسك إلى الشهوات، وإن كان هو الذي يزينها لها ويذكرها بأنواعها فكان الحذر منها أشد منه، ولذلك كانت أعدى عدوّ للإنسان كما جاء في الخبر. (**وقال ابن الجلاء: الخائف من تؤمنه المخوفات**) أي: تجعله في أمان بأن يأمن منها في حال طروقها عليه، فلا يؤثر فيه لغيبته عنها بخوف الله، ومن غاب عن الأشياء غابت عنه، ولأنّ من علم أنه لا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع إلا الله تعالى لم يخف غيره من سبع ونار وغيرهما، كما وقع للسيد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، فمن لم يخف غير مولاه أمن من كل مخوف، وإن خاف من بعض المخلوقات فإنما يخاف

(**قوله: وهذا في الخوف المعتدل**) أي ما تقدم من قوله: أن لا تعلل نفسك الخ إنما هو في الخوف المعتدل أي المتوسط لا الناقص الذي لا يحمل على شيء، ولا المفرط المؤدّي للقنوط. (**قوله: الخائف من يخاف الخ**) الغرض من ذلك الحث على مخالفة النفس إذ جل الضرر ثابت بمتابعة هواها، فإن الشيطان يسهل أن تبعده عن نفسك بنحو الاستعاذة، وغير ذلك من الوارد، ولا كذلك النفس، فينبغي حينئذٍ الخوف منها أكثر وأيضاً فإن الشيطان يمكن علم دسائسه، فتجتنب، ولا كذلك النفس لأنها رواغة فتانة خداعة.

(**قوله: من تؤمنه المخوفات**) أي لاستغراقه في فناء الأفعال في فعله تعالى، فلا يرى فاعلاً غيره سبحانه وتعالى وذلك لما تحقق عنده من الخوف والجلال والعظمة له تعالى، وبها قد غاب عن كل شيء سواها، ولا يخفى ما في قوله: تؤمنه المخوفات من المبالغة الرقيقة الآخذة بمجامع القلوب نسأل الله بركة انفاس أحبائه.

(**قوله: ولأن من علم الخ**) أي وعلم ذلك لازم للخوف كما هو ظاهر. (**قوله: كما وقع للسيد إبراهيم الخ**) أي كما وقع له وقت القائه في نار نمروذ حين هبط عليه جبريل قائلاً له ألك حاجة حيث قال له: أما إليك فلا وعلمه بحالي يغني عن سؤالي. (**قوله: وإن خاف من بعض المخلوقات الخ**) جواب عما يقال: أنا كثيراً نرى من تحقق بالخوف

أن يسلطه الله عليه، ويكون خوفه من البعوضة أن يسلطها عليه أشد من خوفه من الفيل وخوفه من الهر الذي يتأنس به عادة أن يسلطه عليه أشد من خوفه من الأسد، ومن خاف الله خافه كل شيء كما جاء في الخبر، وسببه أنّ غلبة الخوف من الله تعالى على باطن الخائف من آثار مشاهدة الجلال، ومن تجلى عليه بالجلال كساه ملابس الهيبة فهابه كل شيء فالخائف تارة يخاف من المخوفات، وتارة يأمنها والثاني أعلى (**وقيل: ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه**) ويتألم على حاله، وما هو فيه من فساد دينه لأنه خوف يسير (**إنما الخائف**) أي: الخوف المحمود (**من يترك ما يخاف أن يعذب**) هو (**عليه**) أي: بسببه، فالخوف المحمود ما صان العبد عن الإخلال بشيء من المأمورات، أو الوقوع في شيء من المنهيات. (**وقيل للفضيل**) بن عياض (**ما لنا لا نرى خائفاً فقال**) لمن قال له ذلك (**لو كنت خائفاً لرأيت الخائفين لأن الخائف لا يراه إلا الخائفون**) لأن الخائف إنما يعرف خوفه بقيامه بأوامر ربه وبعده عن مناهيه، فمن لم يعرف من الخائفين إلا منزعجاً في ظاهره باكياً داعياً لله أن يخلصه لم يعرفهم حقيقة، وإنما يعرفهم حقيقة من عرفهم بحركاتهم وسكناتهم وتحفظهم في كلامهم واستماعهم ونظرهم وسائر ما هم فيه، ولا يعرف ذلك إلا من كمل علمه، وتحقق به في نفسه وعرف أمثاله من الناس فيميل إليهم بطبعه لرجاء منفعته ولذلك قال (**وإن الثكلى**) وهي التي فقدت ولدها (**هي التي تحب أن ترى**

منه تعالى، ومع ذلك يقع له الخوف من بعض المخلوقات، والجواب أنه إنما خاف التسليط ومرجع ذلك الخوف منه تعالى. (**قوله: فالخائف تارة يخاف من المخوفات**) أي من تسليط الله إياها عليه فالخوف من فعله تعالى لا من مخلوقاته. (**قوله: والثاني أعلى**) أي لاستغراقه في الخوف منه تعالى وغيبته عما سواه. (**قوله: ليس الخائف الذي يبكي الخ**) مراده أن الخوف قد ينشأ عنه البكاء في وقت، ويلابس الخائف بعد ذلك شيئاً من المخالفات مع أن هذا ليس من المطلوب، بل هو ما أثمر دوام الانقياد على وفق المتابعة بشاهد العلم، والحاصل أن المقصود دوام مراقبة جلال الله تعالى بالتأمل فيما جاء من وعيده على لسان رسوله الأكرم ﷺ، حتى بذلك يدوم خوفه، فيستمر انقياده ومتابعته لسيد الكمل عليه الصلاة والسلام. (**قوله: لو كنت خائفاً لرأيت الخائفين**) أي ويشير إليه خبر: «المؤمن مرآة المؤمن»، فمن تحقق بمعنى الخوف الكامل نظر مثله بواسطة أنوار وارداته ومال بقلبه إليه لوجود المناسبة التامة، فهي علة الاجتماع في كل شيء. (**قوله: من عرفهم بحركاتهم الخ**) أي لا بمجرّد صورهم، وحكاية أخلاقهم.

(**قوله: وأن الثكلى الخ**) أقول ذلك عنوان وعبارة عن المناسبة الموجبة للاجتماع سواء فقد الولد أو لا، وإنما خص الثكلى بالذكر لفقد حظ نفسها من الولد، فهي مثل

الثكلى) لمعرفتها بما عليه من صفات الثكلى، أو لمساعدتها لها على ما هي فيه من الحزن والبلاء **(وقال يحيى بن معاذ: مكسين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة)** لأن خوفه من الفقر يحمله على أن يشح بما معه على نفسه وعياله ويخل بقيامه بكثير من الواجبات كفرض ولده ووالده وحق زكاته، ويقع في كثير من المحرمات لتحصيل المال كالتلبيس والغش في العيوب، وتعاطي المعاملات الفاسدة، فلو خاف من النار، كما يخاف من الفقر لهرب من أسباب دخولها وتعاطى أسباب دخول الجنات ولما غلبت عليه الشهوات. **(وقال شاه الكرماني: علامة الخوف الحزن الدائم)** لأن الخوف كما مرّ إنما يتعلق بفوات محبوب أو حصول مؤلم في المستقبل، فيتوالى على قلب العبد الفكر فيه، ويورثه الغم والحزن الطويل ولو وقع المخوف بسرعة لم يثمر حزناً إلا على ما فات. **(وقال أبو القاسم الحكيم: من خاف من شيء)** كأسد أو نار **(هرب منه، ومن خاف من عز وجل الله هرب إليه)** لأن الخوف حقيقة كما مرّ إنما يكون من الله لأنه الفاعل لكل مخوف، فإذا خاف العبد

الخائف في ذلك بمقتضى خوفه. **(قوله: مسكين ابن آدم لو خاف الخ)** الغرض بهذا تسجيل الغفلة عليه لأنه لو حرص على فعل المأمورات، واجتناب المنهيات لخوف العقاب بالنار على تضييعها، مثل حرصه على حفظ المال خشية الفقر لدخل الجنة مع السابقين، وهذا من قبيل التنازل، وإلا فحق الخوف من الأوّل دون الثاني على أن الثاني منقصة في الدين، وأي منقصة، لأن سببه عدم الوثوق بما وعده ربه قال صاحب الحكم العطائية قدس الله سره: اجتهادك فيما ضمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك، قلت: لأنك أتيت بالشيء على غير وجهه، ووضعته في غير محله حيث تركت ما أمرت بالقيام به وقمت بما كفيت أمره قال في التنوير، وكيف يثبت لك عقل أو بصيرة، واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك فيما طلب منك، ولذلك قيل: إن الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن الآخرة وطلب منا الدنيا، والله أعلم. **(قوله: الحزن الدائم)** أي بدوام الخوف لأنه ثمرته ونتيجته، فإمارة الخوف الحزن الدائم، وذلك خلق محمدي.

(قوله: من خاف من شيء هرب منه) أقول مع أن ذلك جهل ونقص، إذ من علم أن المقدر كائن لا محالة، وغير ذلك مستحيل لا يخاف غيره تعالى وقد ثبت في صحيح الخبر: «ما أصابك لم يكن ليخطئك»، فمن علم مصادر الأفعال رجع في كل شيء إليه تعالى، إذ لا مؤثر غيره، والله علم. **(قوله: لأن الخوف حقيقة الخ)** أي وحيث كان ذلك هو الخوف المشروع، فلا مفرّ منه إلا إليه تعالى، فينبغي الرجوع بالكل للكل. **(قوله: فقال إذا نزل نفسه الخ)** أقول ما ذكره من التقريب للمعقول بما تألفه، وإلا فلا سقم يضر

غير الله مع غفلته عن الله هرب منه، وإذا ذكر الله، وخشي أن يسلطه عليه هرب إلى الله أي: رجع إليه فلا يهرب من المخوفات إلا الغافل عن الله، وإلا فمن علم أنها مسخرة بيد الله هرب، ورجع إلى الله القادر على خلاصه منها لا غيره. **(وسئل ذو النون المصري رحمه الله تعالى: متى يتيسر)** أي: يسهل **(على العبد سبيل الخوف)** أي: طريقه، **(فقال: إذا نزل نفسه منزلة السقيم)** الذي **(يحتمي من كل شيء مخافة طول السقام)** فمتى أنزلها منزلته وعرف ضعفها وعجزها عن تحصيل ما ينفعها، ودفع ما يضرها إلا بالله وأدام النظر في ذلك سهل عليه أمر الخوف أي: عمل بمقتضاه وبعد عما يخشاه، ولم يلتفت لما يطرقه من المشقة في ارتكاب المخالفة لهواه لما يؤمله في عقباه ولذلك شبهه بالمريض الذي يحتاج إلى الأدوية، ويتحمل في تناولها ما تكرهه نفسه وتأباه، رجاء العافية من سقمه وبلواه. **(وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إن المؤمن)** أي: العارف الكامل بأحكام ربه عليه **(لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته)** وفي نسخة روعه أي: فزعه من الآفات التي تقع في أعماله المطلوبة منه **(حتى يخلف)** أي: يجاوز **(جسر جهنم وراءه)** لأنه الصراط الذي هو آخر المخاوف إذ جاء في الخبر إنه جسر ممدود على متن جهنم. **(وقال بشر الحافي: الخوف من الله ملك لا يسكن إلا في قلب متقٍ)** لأنه لا يقوى، ولا يكمل، ويحمل على الخير ويصرف عن الشر إلا في قلب تطهر من الشهوات بأنواع الكسب والمجاهدات، أو بمنّ الله بطهارته من غير كسب، وتكلفات، كما أن الملوك لا تسكن في محل

حقيقة إلا في المخالفات، والخروج عن المتابعات لا في الأمراض الحسية، بل هي قد تكون من أنجع أدوية النفس ديناً ودنيا باعتبار الثمرة، والفائدة المترتبة عليها، ولاسيما أن صحبها صبر وعدم جزع وشكوى من المبتلى.

(قوله: لا يطمئن قلبه) أي خوفاً من فوات ما شاهده من على المقامات وسنى التجليات ويؤيد ما ذكر ما قيل المخلصون على خطر عظيم فعادة الله في خلقه أنه كلما زاد القرب زاد الخوف لزيادة علم المقرّب بسطوات قهره تعالى. **(قوله: الخوف من الله ملك الخ)** يصح أن يقرأ بكسر اللام، وسر التعبير به الإشارة إلى التخلي عن القاذورات المعنوية، كما يخلى مكان الملك عن الحسية منها، والتحلي بالكمالات المعنوية، كما يحلى مكان الملك بالزينة الحسية، ويصح أن يقرأ بفتح اللام، وذلك لأنه نوراني لا يسكن إلا في محل الأنوار، إذ لا تجتمع الظلمات والنور في محل واحد، وفي وقت واحد، فالقلوب طور تجلي الحق تعالى، ومحل أنواره ومهبط أسراره.

(قوله: أو بمنّ الله بطهارته) أي بطريق الفضل والهبة وسابق العناية، ومع ذلك

الأوساخ والقاذورات، وإذا نزلت بموضع وبه قذر غسل من ساعته ونظف لأن شرف همتهم تنافيها. (**وقال أبو عثمان الحيري: عيب الخائف في خوفه السكون إلى خوفه لأنه أمر خفي**) لأن من سكن إلى مقام شريف منعه سكونه عن الإرتقاء إلى ما هو أكمل منه كما مرّ. (**وقال الواسطي: الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد، وهذا اللفظ فيه إشكال**) لأن الخوف مطلوب، فكيف يكون حجاباً بين الخائف وربه، (**و**) جوابه أن يقال (**معناه**) أي: اللفظ المذكور (**إن الخائف متطلع لوقت ثانٍ وأبناء الوقت**) وهم الصوفية (**لا تطلع لهم في المستقبل وحسنات الأبرار سيآت المقرّبين**) فعدّوا الخوف الذي هو تطلع لوقت ثانٍ حجباً وهفوة لأن تطلع العبد إلى غير وقته تفرقة واشتغاله بوقته جمع، واعترضه بعضهم بأن ذلك لا يدل على تفرقة خارجة عن مقام الخوف لأن متعلق كل مقام من ضرورة التخلق به ملاحظته، فهو جمع لا تفرقة، قال: والأولى أن يقال: العبد إذا وقف وسكن مع حالته في الخوف استحسن

فطريق الكسب هو الأغلب. (**قوله: عيب الخائف الخ**) خصه بالذكر لمراعاة المقام، وإلا فغيره من المقامات مثله فعلى الكامل أن لا يعتمد على عمله بل يتبرّأ منه بشهود المتفضل عليه مع ذوق قول الحق لنبيه الأكرم ﷺ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فقوله: عيب الخائف الخ الغرض منه بعد ذكر ثمرة الخوف التحذير من معايبه مثل السكون إلى مقامه، فإنه مانع من الإرتقاء إلى ما هو أكمل منه، قال صاحب الحكم: كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته قلت: وذلك على ثلاثة أوجه الأوّل انطباع وجودها من حيث النفع والضر، وذلك بالاعتماد عليها والاستناد إليها، الثاني انطباعها من حيث الجمال والإستحسان الموجب للحب، وذلك يقتضي العبودية لها، الثالث انطباعها من حيث الشهوة، وذلك يقتضي الغفلة بها، ومعنى انطباعها في مرآة القلب ارتسامها فيه على وجه لا يقبل غيرها، وصور الأكوان أعيان الموجودات وحقائقها، ومرآة القلب بصيرته، وإنما لا يشرق القلب مع ما ذكر لأنه ليس له إلا وجه واحد إذا توجه لشيء انقطع عما سواه، والله أعلم. (**قوله: الخوف حجاب بين الله وبين العبد**) أي بين كمالات الله، وبين العبد على معنى أنه ينقل عن الشغل بالأهم من الحال إلى التطلع إلى طوارق الإستقبال، وذلك ينافي قولهم الصوفي ابن وقته لا ينظر إلى ماض، ولا إلى استقبال. (**قوله: متطلع لوقت ثان**) أي لأن حقيقة الخوف انزعاج القلب في الحال بما يتوقع في المستقبل مما لا يلائم النفس، وذلك تفرق واشتغال بغير الأهمّ من وظائف الحال. (**قوله: وحسنات الأبرار سيئات المقربين**) أي فمقام الخوف وتحققه للأبرار يعدّ حسنة، وهو حجاب وسيئة باعتبار المقرّبين، وذلك لعلوّ همتهم، فلا يرضون إلا به تعالى. (**قوله: واعترضه بعضهم الخ**) أقول فيه أن التفرقة، وإن لم تخرج عن

مقامه فيه، وكونه استعان به على خلاصه من المكروهات ونشط به في الطاعات، فوقوفه معه مع استحسانه له حجاب بينه وبين ربه بمعنى أنه منعه من انتقاله إلى ما هو أعلى منه، وأقرب إلى ربه. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن علي النهاوندي يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت النوري يقول: الخائف يهرب من ربه إلى ربه**) أي: من معصيته إلى طاعته، ومن سخطه إلى رضاه إذ لا مهرب من الله إلى غيره كما مرّ (**وقال بعضهم: علامة الخوف التحير**) أي: القلق في أسباب النجاة والفكرة في الخلاص مما يوجب العقاب (**والوقوف على باب الغيب**) ومن لازم بتذلله الباب رجى له نيل الثواب فضلاً عن خلاصه من العقاب. (**سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت عليّ بن إبراهيم العكبري**) بضم العين والباء (**يقول: سمعت الجنيد يقول: وقد سئل عن الخوف فقال: هو توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس**) أي: أزمنتها لأن الخوف يرفع عن القلب الحجاب، وينيله المراقبة برضا الأكرم الوهاب. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت الحسين بن أحمد الصفار يقول: سمعت محمد بن المسيب**

الخوف إلا أنها تخرج عما هو أكمل منه من المقامات المطلوب من العبد منازلتها، ومحصل ذلك الحث على علوّ الهمة بالانتقال عن مقام الخوف إلى ما هو أعلى منه، فتدبره بإنصاف.

(**قوله: قال والأولى الخ**) أقول: هو وجيه أيضاً كالذي قبله. (**قوله: الخائف يهرب من ربه**) أي لأنه لا يرى فاعلاً غيره تعالى، فهو إذا خاف شيئاً هرب منه إليه بخلاف الجاهل الذي يخاف بجهله غيره. (**قوله: علامة الخوف التحير**) أقول: التحير من لوازم الخوف ومن ثمراته، لأنّ شأن الخائف دوام التحير فيما به خلاصه، ووقوفه على باب غيب الأمان بوسايط سر القبول، فيدوم على شهود الجلال عسى أن يحظى بمظاهر الجمال. (**قوله: والوقوف على باب الغيب**) أي لاستمطار الرحمات الربانية من طريق الفضل والإحسان. (**قوله: فقال هو توقع العقوبة الخ**) أقول: لعل ذلك باعتبار حال من حضره وإلا فمقامه البسط بالمشاهدات لا القبض بالخوف ولذا حكي أنّ الشبلي رأى قوماً مجتمعين على شاب بسط، وضرب مائة سوط فما استغاث ولا تألم، مع كونه نحيل الجسم، ثم بعد ذلك ضرب سوطاً واحداً فاستغاث وتألم، فتعجب الشبلي من حاله فتبعه وسأله عن صبره على المائة وصياحه وتألمه من سوط واحد، فقال له: يا أخي العين التي كنت أعاقب من أجلها كانت في المائة ناظرة إليّ فكنت التذ لاستغراقي في مشاهدتها، وفي السوط الأخير احتجبت عني فبقيت مع نفسي فتألمت اهـ.

فلما كان مثل الطبيب يداوي كل أحد بما يناسبه، قال ما تقدّم باعتبار حال من

يقول: **سمعت هاشم بن خالد يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب)** لأن الخوف درجات، ومن انتقل إلى مقام شريف لم يحذر مما يفسده عليه أو لا يكمله أو لا يرقيه إلى ما هو أعلى منه فسد عليه ما هو فيه، فلا يستغني مقام عن الخوف لكن شتان ما بين خوف العذاب، وخوف العتاب، وخوف الحجاب، وخوف فراق الأحباب **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن يقول: سمعت أبا عثمان يقول: صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً)** لأن الورع هو تجنب ما يحذر، فكل خوف لا يثمر تجنب الخوف، فليس بخوف صحيح **(وقال ذو النون)** المصري: **(الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق)** لما مرّ أن الخوف لا يستغني عنه مقام. **(وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف)** إذ لا تكمل عبادة وتحفظ مما يشينها إلا بالخوف **(وعلامة الخوف قصر الأمل)** لأن من قصر أمله حسن عمله لخوف هجوم موته، وهو ينفع العاصي حيث يتخلص من

حضره كما ذكرنا، وإلا فهو على بساط الأنس لا يبقى للخوف في ساحته وجود، والله أعلم. **(قوله: ما فارق الخوف الخ)** أقول: هو باعتبار حال العامة، ولذا قيل في قوله تعالى: **﴿والكافرون لهم عذاب شديد إن عذاب المؤمنين غير شديد﴾** [الشورى: ٢٦] بخلاف الكافرين لأنهم ما شاهدوا المعذب بكسر الذال المعجمة في العذاب بخلاف المؤمنين، فالعذاب على شهود المعذب عذب، والثواب على الغفلة عن المنعم صعب، فالخوف من منازل العوام، وإنما للخواص الهيبة، وهي أقصى درجة يشار إليها في الخوف لأن الخوف يزول بالأمن، ولا كذلك هي، فهي تنافي الخوف في ذلك، والحاصل أن الغرض بما ذكر الحث على دوام العبد على الخوف ليدوم له صدق العمل، حيث هو السائق، وقد أشار الشارح إلى أن الخوف مختلف باختلاف مقامات الخائفين، فمنهم من يخاف العقاب لبقاء نفسه، ومنهم من يخاف العقاب والحجاب، وذلك باعتبار من ترقى إلى درجة المشاهدات، ومنهم من ترقى عن ذلك إلى درجة المعاينات والمكافحات، فيخاف فراق الأحباب، وكل هذا باعتبار حال العامة، أما باعتبار حال الخاصة فكل ذلك نقص عندهم وتفرق لفنائهم عما سواه تعالى، وجمع همتهم عليه فافهم. **(قوله: صدق الخوف هو الورع)** أي ثمرته الورع عن المخالفات.

(قوله: الناس على الطريق) أي على طريق الإستقامة ما لم يزل عنهم الخوف أي مدّة عدم زواله، فإذا أزال عنهم الخوف فقد ضلوا عن الطريق وخرجوا عن الإستقامة. **(قوله: وزينة العبادة الخوف)** أي لأنه به يتحقق التخلي عن قاذورات المخالفات، وبذلك تحفظ الزينة عما يشينها من الدنس. **(قوله: وعلامة الخوف قصر الأمل)** أي لأنه هو

زلله، والمطيع حيث يجذبه في بلوغ أمله. (**وقال رجل لبشر الحافي: أراك**) أي أظنك (**تخاف الموت**) فما سببه (**فقال: القدوم على الله عز وجل شديد**) فيه دليل على كمال تعظيمه لمولاه وشدّة حضوره بسؤاله على تقواه، وهذا بحسب ما يغلب على قلب العارف مما يحدثه الحق فيه فتارة يخاف اللقاء، وتارة يشتاق إليه ويحبه، ومحبته له تختلف تارة خوفاً على نفسه من التغيير، وتارة لنيل ما يرجوه من فضل العليم الخبير. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: دخلت على الإمام أبي بكر بن فورك عائداً**) له في مرضه (**فلما رآني دمعت عيناه فقلت له إن الله سبحانه وتعالى يعافيك ويشفيك، فقال لي: تراني إني أخاف الموت إنما أخاف مما وراء الموت**) كأن لا يقبل عملي، وأن تطرقه آفة (**أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا محمد بن عثمان قال: حدثنا القاسم بن محمد قال: حدثنا يحيى بن يمان عن مالك بن مغول، عن عبد الرحمن بن سعيد بن**

الباعث على الخوف والسائق لحسن العمل. (**قوله: فقال القدوم على الله شديد**) إن قلت صفة المؤمن محبة لقاء الله قلت هو كذلك على معنى أنه يميل إلى فعل ما يقرّبه إلى الله تعالى ويبعده عما به سخطه، وذلك لا ينافي هيبة القدوم على الحق تعالى، كما لا يخفى، وهذا فيه تنبيه على كمال هذا الأستاذ بإشارة اشتغاله بمولاه، وعدم التفاته إلى ماسواه من نعيم وعذاب، وهذا شأن الكمل ممن اجتباهم الله تعالى.

(**قوله: كان لا يقبل عملي**) أقول: ذلك يقوي ما كتبناه قبل ووجه التقوية أن مراده بما وراء الموت هو هول هيبة اللقاء، وهو الذي يناسب مقام مثل هذا الشيخ ويه تعلم ما في قول الشارح كان لا يقبل عملي. (**قوله: فيه دليل الخ**) أي وفيه دليل آخر على عدم منافاة ذلك للكمال في الطاعة، كما أشار إليه الشارح. (**قوله: حتى يسكن في القلب دوام المراقبة**) أي وبدوامها يهيج الخوف، ويتوالى على القلب حتى كأنه حال ونازل به لا ينتقل عنه. (**قوله: أحرق مواضع الشهوات منه الخ**) أي بواسطة فناء النفس الأمّارة فحينئذٍ يتطهر القلب من حظوظ شهواتها الخبيثة وبفنائها وموتها تحيي النفس اللوّامة فتحث الإنسان على فعل الشريف، وتمنعه من الخسيس.

(**قوله: وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام**) أي وبذلك ينظر في خطر السوابق وفجأة اللواحق فتفنى حينئذ الأسباب بشهود ما في الباب، ومثل هذا في الكمال تفرق، وتضييع للوقت بلا فائدة، فحال الكمال البسط بشهود تجليات الجمال، وغاية التسليم، والرضا بفعل العليم الحكيم. (**قوله: قوّة العلم الخ**) أي فسببه الأعظم قوّة العلم بمجاري الأحكام أي بأنه لا فاعل غيره تعالى، ولا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل فعلم العبد بذلك كله، ويقينه بذلك سبب أعظم في دوام خوفه منه تعالى. (**قوله: من جلال الرب**)

موهب، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت يا رسول الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] هو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر قال: لا ولكن الرجل يصوم ويصلي ويتصدّق ويخاف أن لا يقبل منه»[1] ذلك فيه دليل على أن الخوف يكون مع كمال طاعة العبد لكونه لا يعرف صحة عمله، ولا قبوله لخفاء ما يطرق الأعمال من الآفات. (**وقال ابن المبارك رحمه الله: الذي يهيج الخوف حتى يسكن في القلب دوام المراقبة في السر والعلانية**) إذ الحامل على دوامها إنما هو قوّة الخوف من لحوق الضرر فبتوالي الخوف على القلب تحصل امراقبة وعلامة سكون الخوف في القلب تواليه فيه حتى يصير كأنه ساكن فإن الأعراض لا بقاء لها. (**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن الحسن يقول: سمعت أبا القاسم بن أبي موسى يقول: سمعت محمد بن أحمد يقول: سمعت علياً الرازي يقول: سمعت ابن المبارك رحمه الله يقول ذلك**) أي: الذي يهيج الخوف الخ. (**وسمعت محمد بن الحسن يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: إذا سكن الخوف القلب**) بأن توالى عليه (**أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه**) لأن الخوف يحجز عنها أو يمنع من الوقوع فيما اشتملت عليه من البليات ومن ثم كانت الدنيا رأس كل خطيئة وخوف الله تعالى باب كل خير. (**وقيل: الخوف قوّة العلم بمجاري الأحكام**) أي: بتصرف الله في خلقه من هداية وإضلال وعافية ومرض وغيرها فمن قوي علمه بذلك لم يأمن على نفسه وإن كانت في أفضل المقامات والأحوال، وهذا العلم سبب الخوف لا نفسه فعبر عنه بسببه كما عبر الثوري عن الزهد بقصر الأمل (**وقيل: الخوف حركة القلب وقلقه من جلال الرب**) وعظمته، فمتى استشعر القلب نظر الرب إليه في حالته التي هو فيها، وإن كانت أفضل عباداته اضطرب قلبه واقشعر جلده ووجل كما قال تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٥]. (**وقال: أبو سليمان الداراني: ينبغي للقلب أن لا يكون الغالب عليه إلا الخوف فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب ثم قال**) لتلميذ له اسمه أحمد لما رأى منه ميلاً إلى الرجاء (**يا أحمد**) القوم (**بالخوف ارتفعوا فإذا ضيعوه نزلوا**) ومع ذلك فإذا استقامت أحوال العبد كان الكمال في استواء الخوف والرجاء في القلب من غير إخلال، وهو الذي أوصى به أبو بكر عمر رضي الله عنهما بقوله: ليكون العبد راغباً راهباً لا يتالى على الله،

وهو مقام الكمل من المقربين فشأنهم دوام الهيئة نعم إذا نقلهم إلى المشاهدات تحلوا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (زهد ٢٠) وأحمد بن حنبل (٦، ١٥٩، ٢٠٥).

ولا يقنط من رحمته أخذ من الغالب في القرآن من ذكر الترغيب والترهيب مقترنين، ويدل له قول عمر رضي الله عنه: لو نادى مناد من السماء أيها الناس إنم كلكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا هو، ولو نادى مناد إنكم كلكم داخلون الجنة إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون أنا هو، قال بعضهم هذا في غير حالة الاحتضار أما فيها فالأولى غلبة الرجاء وحسن الظن، وقال الغزالي رحمه الله تعالى: إن غلب على العبد داء القنوط واليأس فالرجاء أفضل إلا من مكر الله، فالخوف أفضل. **(وقال الواسطي: الخوف والرجاء زمامان)** مستوليان **(على النفوس)** يحفظانها **(لئلا تخرج إلى رعوناتها)** أي سكونها إلى حالتها واستحسانها ما هي عليه من طاعتها أو جزعها، ويأسها من فضل ربها عند مخالفتها، فالخوف والرجاء يصدانها عن رعونتها لأنها إذا استحسنت أحوالها وركنت إلى أعمالها زجرها الخوف، وإن يئست من فضل ربها، وقنطت لسوء حالها جذبها الرجاء للسلامة. **(وقال الواسطي)** أيضاً **(إذا ظهر الحق على السرائر)** بأن أظهر الله تعالى لصاحبها من جماله وجلاله ما أشغله عن إحساسه بنفسه فضلاً عن غيره من المخلوقات **(لا يبقى فيها فضلة)** من الإحساس **(لرجاء ولا لخوف قال)** المستملي قال الأستاذ **(الإمام)** القشيري رحمه الله **(وهذا فيه إشكال)** على من لم يعرف اصطلاح القوم لأن الخوف والرجاء مطلوبان فكيف يثني بفقدهما وجوابه أن يقال **(ومعناه)** أنه **(إذا اصطلمت)** أي

حينئذ بمقام الأنس. **(قوله: ينبغي للقلب الخ)** أقول: محله ما دام العبد صحيحاً، وإلا فالذي ينبغي له في حالة المرض قوّة الرجاء. **(قوله: فإذا استقامت أحوال العبد الخ)** إي والاستقامة إنما تكون بالدوام على الامتثال، وقوله: كان الكمال في استواء الخوف والرجاء في القلب مراده بذلك العمل بكل فيما يناسبه بشاهد علم النقل.

(قوله: لا يتألى على الله) أي لا يقسم عليه بواسطة قوّة رجائه، ولا يقنط من رحمته بسبب إفراط خوفه، بل يكون حاله الاعتدال فيهما. **(قوله: هذا)** أي ما تقدم من تغليب الخوف في غير حالة الاحتضار وأما فيها فالأولى غلبة الرجاء مطلقاً في حق الكامل وغيره**(قوله: قال الغزالي الخ)** أقول: هو في غاية من التحقيق. **(قوله: وقال الواسطي الخ)** أقول: قد تقدم عد الخوف سائقاً والرجاء قائداً، والعكس وكل صحيح. **(قوله: زمامان)** أي بالنسبة لأصحاب النفوس الحسية بسبب بقاء حظوظها لا في الذي غلبت على قلبه أحوال الحقيقة، حتى إصطلمته أخذا مما يأتي إذ لا مجال للخوف والرجاء فيه. **(قوله: إذا ظهر الحق)** أي غلب على السرائر، وذلك باعتبار الكمل من عباد الله غير أن لهم مقام الهيبة والإجلال لا يفارقهم أصلاً، وحينئذ فلا سكون لهم مع ذلك. **(قوله: معناه انه إذا اصطلمت الخ)** أي وذلك بالفناء عن النفس

استأصلت (**شواهد الحق تعالى الأسرار**) بأن أطلع الله العبد من جماله وجلاله على ما أشغله عن إحساسه بنفسه (**ملكتها فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان**) بفتح الحاء والدال قال الجوهري: الحدث والحديث والحادثة والحدثان بمعنى (**والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية**) فمع اضطرار العبد لا يطلب منه الخوف والرجاء إذ لا اختيار له حينئذ في فقدهما بخلافهما مع اختياره. (**وقال الحسين بن منصور: من خاف من شيء سوى الله تعالى أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شيء**) من الخير لأن غير الله تعالى لا يقدر على تحصيل نفع، ولا دفع ضرر لأنه تعالى هو المنفرد بالأفعال، ولو سلط على العبد أضعف خلقه لكان أضر عليه من أقواهم، (**وسلط عليه المخافة**) أي الخوف من العقاب لكونه التفت إلى غيره (**وحجب قلبه بسبعين حجاباً**) لذلك، وذكر السبعين للمبالغة لا للحصر، كما قيل: به في قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] (**أيسرها الشك**) أي التردّد الإعتباري من نظره إلى الأسباب الظاهرة وغفلته عن أنه تعالى هو المنفرد بالأفعال، فليس ذلك منه شكاً في أنه الفاعل أو غيره وإلا لكان كافراً، وإنما هو تردّد اعتباري كما قلنا (**وإن مما أوجب**) على العبيد (**شدّة خوفهم فكرتهم في**

نعم الأكمل من هذا الرجوع منه إلى الإحساس مع دوام تجلي الهيبة.

(**قوله: من خاف من شيء سوى الله تعالى الخ**) أي، وهو لا يكون إلا ممن غلبت جهالاته فوقف مع أسباب العطب الظاهرة، وغفل عن الفاعل المختار في الحقيقة. (**قوله: أغلق عليه الخ**) أي بأن يكله ويرجعه إلى جهله، حتى يعامله بمقتضاه فيغلق عليه الأبواب، ويعسر عليه الأسباب. (**قوله: لكان أضر عليه من أقواهم**) وذلك بما أودع فيه الله من قوّة الإيلام عند تسليطه دون ما لم يسلطه عليه. (**قوله: وسلط عليه المخافة**) أي زيادة على ما كان عنده. (**قوله: وحجب قلبه**) أي عن شهود المؤثر الفاعل. (**قوله: كما قيل به**) أي من إرادة المبالغة لا الحصر، وفيه أنه تقدّم له في هذه الآية القول بإرادة الحصر، فلا تغفل.

(**قوله: أي التردّد الاعتباري**) أي الحاصل ذلك من قصر نظره إلى الأسباب باعتماده عليها غفلة عن الفاعل الحق مع إعتقاده أنه الفاعل لا فاعل غيره، وإلا كان كافراً، كما ذكره الشارح. (**قوله: وإن مما أوجب الخ**) مراده بيان الباعث على الخوف، ومحصله انه شدّة تفكر العبيد في العواقب وخشية تغير الحال لأن مجرّد أسباب النجاة الظاهرة لا توجب الإطمئنان لأنه لا معقب لحكم الله تعالى، فأسباب النجاة امارات فقط على السلامة بشاهد العلم، وإن كانت العبرة بما في نفس الأمر، وعلم الله الأزلي.

(**قوله: لكنه إن رأى الخ**) محصله أن الذي يتحقق للعبد في الوقت من أعماله

العواقب) التي لا يعلمها إلا الله **(وخشية تغير أحوالهم)** لأنه تعالى يفعل ما يشاء لا يسأل عما يفعل ولا يقع إلا ما سبق في علمه، والعبد لا يدري أين يصير لكنه إن رأى نفسه على الصراط القويم غلب على ظنه نجاتها وإن رآها بعكس ذلك خاف عليها، فهو، وإن غلبت طاعاته يخاف التغيير والتبديل، ولا يغتر بحالته التي هو عليها.

(قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]) أي: يظنون **(وقال الله تعالى:** ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] فكم من مغبوط في أحواله إنعكست عليه الحال) التي هو فيها **(ومني)** بضم الميم وكسر النون أي: وقدر له **(بمفارقة)** أي: مخالطة **(قبيح الأعمال، فبدل بالأنس وحشة وبالحضور غيبة)** فلا يغتر العبد بحالته التي هو فيها وإن سكنت نفسه إليها وأثنى عليه بها **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله ينشد كثيراً: أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت. ولم تخف سوء ما يأتي به**

وحركاته امارات على ما يكون له من ثمراتها مما يسر أو يضر فإذا طرق قلبه احتمال التغيير الجائز في حقه ترتب عليه مقتضاه من سرور أو حزن. **(قوله: قال الله تعالى وبدا لهم الخ)** دليل على ما قبله أي ظهر لهم من فعله تعالى ما لم يكن لهم في حساب، وذلك لوقوفهم مع الأسباب، وغفلتهم عن تصاريف الحق في الخلق. **(قوله: الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا)** أي بحسب ما لابسوا من المخالفات ومفسدات الأعمال وهم بجهلهم يحسبون يظنون انهم يحسنون صنعا.

(قوله: فكم من مقبوط الخ) أشار بذلك إلى أن العبرة بما سبق من حكم الحق وقضائه بمقتضى حكمته، وحينئذ فلا يغتر الموفق ظاهراً ولا يقنط المقصر ولذا ثبت والمخلصون على خطر عظيم أي من خوف التغيير في سابق العلم الأزلي، والمقبوط هو من يتمنى غيره مثل ما ثبت له من الخير مع عدم ميل ذلك الغير إلى زوال نعمته عنه. **(قوله: فبدل بالأنس)** أي بدّل أنسه بظاهر حاله وحشة أي خوفاً وفزعاً وقوله: وبالحضور غيبة أي وبدّل بقربه المتوهم له بعداً، والعياذ بالله تعالى من ذلك. **(قوله: فلا تغتر العبد بحالته الخ)** أي لأن العبرة بالقبول لا بما هو في باطن الحال مدخول، ومعلول.

(قوله: أحسنت ظنك) أي بسبب جهلك بوقوفك مع الواقع في الحال والغفلة عما يجريه الحق في الإستقبال صيرت ظنك حسناً، ولم تخش قدر السوء مع أن حوادث الحق التي لا تلائم النفس قد تقع عندما تتوهمه صفواً، فعلى كامل العقل التيقظ، والبعد عن طرق الغفلة لعله أن يدرك النجاة، وبعبارة أخرى يقال: أحسنت ظنك أيها المغرور

القدر * وسالمتك الليالي فاغتررت بها. وعند صفو الليالي يحدث الكدر * سمعت منصور بن خلف المغربي رحمه الله يقول: كان رجلان اصطحبا في الإرادة) أي: المشيئة وفي العبادة (برهة) بضم الباء وكسرها أي: مدّة طويلة (من الزمان ثم إن أحدهما سافر وفارق صاحبه) أي: مضى (وأتى عليه مدّة من الزمان، ولم يسمع منه) بمعنى عنه وفي نسخة له (خبرا فبينا هذا الآخر كان في غزاة يقاتل عسكر الروم إذ خرج على المسلمين رجل مقنع في السلاح يطلب المبارزة، فخرج إليه من أبطال المسلمين واحد فقتله الرومي، ثم خرج إليه آخر فقتله، ثم ثالث فقتله، فخرج إليه هذا الصوفي) الذي كان صاحبه (وتطاردا) وتضاربا (فحسر الرومي) قناعه (عن وجهه فإذا هو صاحبه الذي صحبه في الإرادة والعبادة سنين، فقال هذا له إيش الخبر فقال له إنه يعني نفسه (إرتد وخالط القوم) الذين صحبهم من الكفار (وولد له أولاد، واجتمع له مال فقال: وكنت تقرأ القرآن بقراآت كثيرة فقال: لا أذكر منه فقال له هذا الصوفي؛ لا تفعل وارجع) عن صحبة هؤلاء إلى ما كنت عليه (فقال: لا أفعل ولي فيهم مال وجاه فانصرف أنت عني، وإلا فعلت ما فعلت بأولئك) الثلاثة (فقال له الصوفي: أعلم أنك قتلت ثلاثة من المسلمين وليس عليك أنفة في الانصراف، فانصرف أنت وأنا أمهلك) إلى أن ترجع (فرجع الرجل مولياً فتبعه هذا الصوفي، وطعنه فقتله فبعد تلك المجاهدات ومقاساة تلك الرياضات) منه (قتل على النصرانية) (وقيل: لما ظهر على

بالأيام، ومثلها الليالي إذ حسنت بزهرتها، وزينتها في الظاهر ولم تخف سوء ما يأتي به القدر أي لم تخش ما يجريه الحق تعالى من المقدّرات التي يسوء وقوعها بالعبد، وسالمتك الليالي أي جعلتك في سلم وأمن بحسب ما ظهر فيها من تصاريف الحق في الحال الملائمة للحظ فاغتررت بها أي صرت في غرور وغفله، حيث وقفت معها ولم تتأمل فيما يحدثه الله تعالى مما لا يلائم الجائز وقوعه والحال والعادة أنه عند صفو الوقت يحدث الكدر أي ما يكدر النفوس.

(قوله: كان رجلان الخ) أقول في إيراد مثل هذه العبارة غاية التخويف، وما أظن مثل هذا المرتد إلا أنه كان من المنافقين في حالته الأولى، وإلا فيبعد كل البعد أن من يذوق حلاوة الإيمان بقلبه مدّة طويلة أنه يصدر منه مثل ذلك، والله أعلم. (قوله: فبعد تلك المجاهدات الخ) أقول: وقد ثبت في صحيح الأخبار ما يدل على مثل هذا ففي الحديث الشريف: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه، وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار» الحديث، وقد أشار إلى ذلك أيضاً صاحب الحكم العطائية، حيث قال: سوابق الهمم لا تخترق أسوار الأقدار، فالله سبحانه وتعالى يرزقنا حقيقة الإعتبار. (قوله: وقيل لما ظهر على إبليس ما ظهر) أي من

إبليس ما ظهر) بعد مجاهدته ورياضته **(طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان زماناً طويلاً، فأوحى الله تعالى إليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا ربنا لا نأمن مكرك)** فنبكي خوفاً من مكرك بنا بالتغيير والتبديل، كما وقع لإبليس **(فقال الله تعالى: (هكذا كونا لا تأمنا مكري)) ويحكى عن السري السقطي رحمه الله أنه قال: إني لأنظر إلى أنفي في اليوم كذا وكذا مرّة مخافة أن يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة وقال أبو حفص: منذ أربعين سنة إعتقادي في نفسي أن الله تعالى ينظر إليّ نظر السخط)** والمقت **(وأعمالي تدل على ذلك)** أي: لكثرة غفلاته ولسوء أدبه في معاملاته مع الله ومع خلقه.

(وقال حاتم الأصم: لا تغتر بموضع صالح، فلا مكان أصلح من الجنة فلقي آدم عليه السلام فيها ما لقي) مما هو معروف **(ولا تغتر بكثرة العبادة، فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي)** من الردة وغيرها **(ولا تغتر بكثرة العلم، فإن بلعام)** ويقال: بلعم بن باعوار من علماء بني إسرائيل **(كان يحسن اسم الله الأعظم، فانظر ما لقي)** حيث كفر وصار مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث مع إندلاع لسانه على صدره.

(ولا تغتر برؤية الصالحين، فلا شخص أكبر قدرا من المصطفى ﷺ(و) مع ذلك **(لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه وخرج ابن المبارك يوماً على أصحابه فقال)** لهم **(إني قد اجترأت البارحة على الله تعالى)** حيث **(سألته الجنة)** وأنا حقير في نفسي، ولا تصلح أحوالي لسؤالها، وكان حقي أن أستعيذ به من النار. **(وقيل: خرج عيسى عليه السلام ومعه صالح من صالحي بني إسرائيل فتبعهما رجل خاطىء مشهور بالفسق فيهم فقعد**

الطرد، وتأييد اللعنة والبعد عن الرحمة بواسطة ما اكتسبه على حسب سابق محتم القضاء الأزلي.

(قوله: طفق) أي شرع جبريل وميكائيل يبكيان. **(قوله: ما لكما)** استفهام تقريري مع أنه العالم بما تكنه السرائر، وهو يدوم على الخوف خشيه التغيير، إذ لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل ولفظة المكر يجب صرفها عن معناها المتعارف لاستحالة ارادة الحقيقة في حقه تعالى. **(قوله: إني لأنظر إلى أنفي الخ)** قاله مداواة لبعض الحاضرين، ممن يداوى بمثل ذلك، وإلا فمثله مع كمال شأنه نعته البسط بمشهد التسليم لفعل العليم الحكيم. **(قوله: أي لكثرة غفلاته)** أنظر هذا من الشارح نفعنا الله بعلومه مع غزارة علمه، وكماله حيث حمل كلام أبي حفص على مثل هذا الوجه الذي لا يليق إلا بالعامة نعم أن أريد من ذلك القصور عن أداء حق الحق تعالى، والتقصير فيه حسبما هو اللائق له تعالى فلا يبعد، والله أعلم.

(قوله: وقال حاتم الأصم الخ) أقول: قد جمع في الوعظ أسباب الاغتراب، حيث تجنبها من أكبر أسباب النجاة فجزاه الله عنا خيراً. **(قوله: ومع ذلك لم ينتفع الخ)** أي وقد

متنبذاً) أي: منفرداً (عنهما منكسراً) ذليلاً (فدعا الله سبحانه وقال: اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح وقال: اللهمّ لا تجمع غداً) أي: يوم القيامة (بيني وبين ذلك العاصي، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إني قد استجبت دعاءهما جميعاً، رددت ذلك الصالح) لإغتراره بعمله (وغفرت لذلك المجرم) لتفويضه أمره إلى ربه ونظره إلى عمله بعين النقص. (وقال ذو النون المصري قلت لعليم) المجنون (لم سميت مجنوناً قال لما طال حبسي عنه) أي عن رؤيته تعالى في الدنيا (صرت مجنوناً بالخوف فراقه في الآخرة) بأن لا أراه فيها (وفي معناه أنشدوا: لو أن ما بي على صخر ما تحمله). أي: أهرمه وأسقمه (فكيف يحمله خلق من الطين. وقال بعضهم: ما رأيت رجلاً أعظم رجاء لهذه) وفي نسخة في هذه (الأمة ولا أشد خوفاً على نفسه من ابن سيرين) حيث نظر إلى عمله بعين النقص، وحسن ظنه بالمسلمين فرجا لهم العفو عما يقع منهم. (وقيل: مرض سفيان الثوري، فعرض دليله) أي: ما يستدل به على مرضه (على الطبيب فقال: هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء) إليه (وحبس عرقه) أي: نبضه (ثم قال: ما علمت أن في الحنيفية مثله) في كمال خوفه وتغيره. (وسئل الشبلي لم تصفر الشمس عند الغروب فقال: لأنها عزلت عن مكان التمام، فاصفرت لخوف المقام) أي: مقام التمام

قيل له أنك لا تهدي من أحببت. (قوله: حيث سألته الجنة الخ) أقول: ذلك منه لهضم نفسه وإرشاد غيره، وإلا فسؤال الجنة مندوب إليه. (قوله: فأوحى الله تعالى الخ) فيه تنبيه على عدم رؤية الأعمال، وعدم الإغترار بشريف الأحوال، حيث ذلك من الوقوف مع الأسباب، والغفلة عن شأن رب الأرباب، فالله يرزقنا السلامة مع التسليم، وتفويض امورنا إلى العزيز الحكيم. (قوله: وغفرت لذلك الخ) أي ولهذا قد أشار صاحب الحكم، حيث قال: رب معصية أورثت ذلا وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً. (قوله: قال لما طال حبسي الخ) أقول ذلك من قبيل هضم النفس، وإلا فرؤية الله بمعنى مراقبته تعالى في الدنيا وبمعنى مشاهدته بالأبصار في الآخرة ثبتت لعوام المؤمنين فضلاً عن خواصهم. (قوله: لو أن ما بي الخ) الغرض افادة أن ما يرد عليه من خشية أسباب الفتن الموجبة لهلاك العبد لا يتحمله صخر من الحجر، فكيف يتحمله ضعيف القوة خلق من عنصر الطين الخالي عن الصلابة. (قوله: ما رأيت رجلاً الخ) أي فقد كان رضي الله عنه بالنسبة لنفسه تجليه الجلال بشاهد العلم ونور المعرفة. (قوله: قطع الخوف كبده) أقول وقد ثبت عن الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه أنه كان يشم من فمه رائحة الكبد المشوي وذلك لكثرة خوفه من الله تعالى.

(قوله: فقال لأنها عزلت الخ) أي وفي ذلك الإشارة إلى حكمة تغير الإنسان عند الموت بلون الصفرة، وذلك لكون الإنسان وقت حضور أجله يخشى تزحزحه عن درجة

(وكذا المؤمن إذا قارب خروجه من الدنيا إصفر لونه لأنه يخاف المقام فإذا طلعت الشمس طلعت مضيئة كذلك المؤمن إذا بعث من قبره خرج ووجهه يشرق) أي: يضيء. **(ويحكى عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قال: سألت ربي عز وجل أن يفتح عليّ بابا من الخوف ففتح)** عليّ به **(فخفت على عقلي فقلت: يا رب)** أعطني **(على قدر ما أطيق فسكن)** عني **(ذلك)** فعلم أن الخوف يتنوع بتنوع الخوف منه، وإن تواليه على العبد يرقيه إلى أعالي الدرجات، ويحفظ عليه ما يخاف منه الفوات والله أعلم.

كماله من الإيمان فيصفر لونه، ثم إذا أمن بعد ذلك يبعث ووجهه مشرق. **(قوله: ويحكى عن أحمد الخ)** فيه تنبيه على أن من أعظم أسباب الإستقامة استصحاب الخوف منه تعالى، ومن أعظم أسباب العطب سكون النفس وطمأنينتها واغترارها بسعة رحمته تعالى مع التهاون في الأوامر والنواهي الإلهية.

باب الرجاء

بالمد بمعنى الأمل وسيأتي بيانه وسببه الدوام على الأعمال الصالحة، وهو

باب الرجاء

اعلم أن حقيقة الرجاء تعلق القلب بمرغوب فيه مع الأخذ في الأسباب وهو مندوب إليه بهذا المعنى بخلاف الطمع فإنه محرّم، فالرجاء حينئذ من قبيل طلب غائب وانتظار مفقود وذلك من أضعف منازل العوام لأنه معارضة من وجه ودعوى من وجه آخر ولفائدة واحدة نطق به التنزيل ووردت به السنة، وهي تبريد حرارة لئلا يفضي بالعبد إلى اليأس فهو دواء لمرض الخوف، وهو لا يعرض إلا للعوام من العبيد أما الخواص منهم، فالرجاء عندهم شكوى وعمى إذ هم دائماً على بر الألطاف وغرق بحر الجود وتحت قابلية الإحسان فلم يدع لهم ما شاهدوه مستزاداً، ولا ما كوشف لهم عنه في الدارين مراداً، فالرجاء عندهم وهن وعقال في الإرادة وعلة ووصمة في المحبة فما ترك وجود الحق لهم غرضاً ولا أبقى جوده لهم رجاء ولا غادر حبه لشيء من الكونين في قلوبهم أثراً، فالعارفون المحققون لم يبق لهم أمل يتعلقون به، ولا غرض يستوقفهم معه في أقل ما لاطفهم به من أجل أجل ما تنتهي إليه رغباتهم، ولهذا أشار سيد الكمل ﷺ في أخباره عن نعيم أهل الجنة حيث قال: «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»، فإذا كان ذلك لهم من حظ النفس من الجنة فما ظنك بما لهؤلاء ممن حظ قلوبهم من الله عز وجل، ثم اعلم أن من أسباب الرجاء التوبة وحسن الظن بالله تعالى لأن العبد إذا تأمل وجد ما منه إليه إنما هو احسانه من أفضاله وعطاؤه من امتنانه حيث أوجده من العدم وأمده بالنعم من باب الكرم، وجعله مؤمناً من غير سالفة ولا قدم بل هو وجوده وكرمه وامتنانه. قال أبو حبيب البدوي رحمه الله تعالى: لم نر خيراً قط إلا من ربنا فما لنا نكره لقاء من لم نر خيراً قط إلا منه، وقال الشاذلي نفعنا الله به: أما نحن فلا نحب غير الله تعالى فقال له رجل قد أبى ذلك جدك يا سيدي بقوله: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها فقال إنا لم نر محسناً إلّا الله تعالى، فلا نحب سواه، وقال ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة وأحبوني بحب الله، الحديث»[1]. **(قوله: وسببه الدوام على**

---

(١) أخرجه الترمذي (مناقب ٣١).

ممدوح ومطلوب (قال الله تعالى: من كان يرجو لقاء الله) أي: بالبعث والجزاء (فإن أجل الله لآت) وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٥]. (أخبرنا أبو الحسن بن علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال: حدثنا عمرو بن مسلم الثقفي قال: حدثنا الحسن بن خالد قال حدثنا العلاء بن زيد قال: دخلت على مالك بن دينار فرأيت عنده شهر بن حوشب، فلما خرجنا من عنده قلت لشهر: يرحمك الله زوّدني زوّدك الله فقال: نعم حدّثتني عمتي أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن نبيّ الله ﷺ عن جبريل عليه السلام قال: قال ربكم عز وجل) يا (عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي

الأعمال) أي بخلاف الطمع إذ هو أمل الخير مع ترك أسبابه، ولذا حرم شرعاً. (قوله: وهو ممدوح ومطلوب) أي مثنى على فاعله اللازم منه طلبه. (قوله: قال الله تعالى) استدلال على ما قدمه من قوله وهو ممدوح ومطلوب. (قوله: من كان يرجو لقاء الله) أي كرامته فالمراد بلقاء الله كرامته، وإدخال الماضي في قوله من كان يرجو للدلالة على أن اللائق بحال المؤمن الاستمرار والدوام والاستقامة على رجاء لقاء الله، وحينئذ فليعمل على طريق المتابعة ليتوصل إلى كرامته يوم لقاء ربه فإنه لآت وكل آت قريب. (قوله: فليعمل عملاً صالحاً) في نفسه لائقاً بذلك المرجو ولا يشرك بعبادة ربه أحداً شركاً خفياً أو جلياً كما فعل المبعدون من المرائين والكافرين، ووضع المظهر موضع المضمر مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلة الأمر والنهي ووجوب الإمتثال فعلاً وتركاً. (قوله: يا عبدي الخ) إذا تأملت اضافة التشريف تفهم سر حكمة التخفيف فالله تعالى يحقق لنا صحة الإنتساب لنندرج في زمرة الأحباب.

(قوله: ما عبدتني الخ) ما مصدرية ظرفية أي: ما دمت تعبدني على حسب الطاقة مع الرجاء المشروع وعدم الشرك في العبادة غفرت لك ما كان منك أي: محوت جميع سيئاتك وتجاوزت لك عنها ولو بلغت بالكثرة بحيث لو جمعت لملأت الأرض إذ رحمة الله أوسع، واعلم أن العباد منقسمون إلى تائبين ومنيبين ومخبتين وزهاد وأتقياء وأولياء وغيرهم، ثم أنهم وإن اجتمعوا في دائرة الإيمان فقد افترقوا في منازل العرفان وتشعبوا في أودية الإحسان قد علم كل أناس مشربهم فالنساك منهم هم الذين لم يصلوا عين اليقين، ولم يشربوا بكأس حقه، ولم يتنعموا ببرده، فمن يعمل على رجاء الجنة وخوف النار فهم وإن كانوا على جانب من الحق ونسبة في الجملة إلى المعبود برابطة النسك والعبادة فغاية مرامهم، ونهاية قصدهم التمتع بالجنة وما احتوت عليه من النعيم، وذلك نزر بالنسبة لمطلب العارفين إذ غايته الوصول إلى الحق والذات المطلقة التي كل مقيد بقيد الحسن حسنة من حسناتهم، شتان بين مشرق ومغرب.

فافهم والله أعلم. (قوله: ورجوتني) أقول لا تظن أن مجرّد الرجاء ينفعل حيث كان

شيئاً غفرت لك ما كان منك) من الهفوات (ولو إستقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوبا استقبلتك بملئهن مغفرة فاغفر لك ولا أبالي) بأحد، فيه دلالة على سعة رحمة الله تعالى للتائبين حيث يغفر لهم جميع ذنوبهم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] الآية وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وخبر: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». (أخبرنا علي بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا بشر بن موسى قال: حدثنا

بدون أخذ في الأسباب فإنه حينئذ أمنية، وهي عين المنية والجامع التعطيل في كل، قال معروف الكرخي: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا متابعة نوع من الغرور فالأماني أودية الشياطين يحلون فيها فافهم.

(قوله: ولم تشرك بي شيئاً) أي شركاً خفياً أو جلياً بأن تمحض قصدك في طاعتك لذاتي فنفي الشرك بنوعيه شرط في غفران الذنوب ولو كثرت. (قوله: ولو استقبلتني) أي قدمت علي بملء الأرض خطايا لو جسمت لاستقبلتك أي: لقابلتك بمثلهن من مغفرة لو جسمت كذلك. (قوله: ويؤيده) قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: شأنها أن تسع في الدنيا المؤمن والكافر، بل كل ما يدخل تحت المشيئة من المكلفين وغيرهم، وفي نسبة الإصابة إلى العذاب المذكور قبل في هذه الآية بصيغة المضارع ونسبة السعة إلى الرحمة بصيغة الماضي أيذ إن باب الرحمة مقتضى الذات، وأما العذاب فمقتضى معاصي العباد، واعلم أن المشيئة معتبرة في جانب الرحمة أيضاً فعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فإنه متفرع على اعتبار المشيئة.

(قوله: إنّ الله لا يغفر أن يشرك به) أي سواء اليهود وغيرهم ممن أجمع على كفرهم فإن الشرع قد نص على إشراك أهل الكتاب قاطبة، وإن كانت الآية الشريفة وردت في اليهود، واعلم أن المراد بالشرك مطلق الكفر وقوله: ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء عطف على خبر إن ولفظة ذلك للإشارة إلى الشرك، وما في معناه من معنى البعد مع قربه في الذكر للإيذان ببعد درجته، وأنه في أقصى مراتب القبح أي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي ولو بدون توبة لمن يشاء من الخلق بلا فرق بين كبائر المعاصي وصغائرها والله أعلم.

(قوله: وخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له) أقول وإذا صادفت العبد العناية الإلهية تحصل له المغفرة والتجاوز، وإن لم توجد منه توبة والله أعلم. (قوله: مثقال حبة شعير من إيمان) أقول والله أعلم أن المراد المبالغة في الغفران للمؤمن، ولو قل إيمانه وفضل الله واسع وكرمه عظيم، فلا يختص بأحد من المؤمنين دون أحد إذ الكل عبيده

خلف بن الوليد قال: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري قال: حدثنا أبو سفيان طريف) بالمهملة**(عن عبد الله بن الحرث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى)** يوم القيامة: **(أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ثم يقول: وعزتي وجلالي لا أجعل من آمن بي ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي)** بل أجعله كمن آمن بي أبداً لأن الإيمان يجب ما قبله وثمرات الرجاء لمن داوم على الأعمال الصالحة عظيمة، ويكفي فيها قول النبي ﷺ قال الله «ما تقرب إليَّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن دعاني لأجيبنه، وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته»[1] فإنه يدل على أن هذا العبد محفوظ في سائر أعضائه فلا يتكلم، ولا يسمع ولا يبصر ولا يمدّ يده ولا رجله إلا محفوظاً من الزلل جارياً

ومحل لتنزل رحمته. **(قوله: بل أجعله كمن آمن بي أبداً)** أي لأن حقيقة الإيمان واحدة والثواب المرتب على مجرد الإيمان كذلك، أما ثواب الأعمال فشيء آخر. **(قوله: وثمرات الرجاء)** وهي تحقق ما ترجى العبد حصوله بل زيادة الإحسان إليه زيادة عما توقعه بدليل تنكير قوله عظيمة وقوله لمن داوم على الأعمال الصالحة تصريح بالمعلوم من حقيقة الرجاء المشروع على ما لا يخفى وإلا كان طمعاً محرماً. **(قوله: قول النبي الخ)** أي: في الحديث القدسي. **(قوله: بمثل أداء ما افترضت عليهم)** يشير إلى أن للقرب منه تعالى أسباباً وآكدها أداء ما فرض على المكلفين من الطاعات وأعمال البر بمعنى القيام بها في أوقاتها المحدودة لها، وإن من جملة أسباب القرب القيام بنوافل العبادات بعد أداء المفروضات، ومن ذلك يتحقق للعبد المحبة من الله له. **(قوله: حتى أحبه الخ)** ليس يخفى عليك أن محبة الله لعبده إحسانه إليه وإرادته ذلك. **(قوله: كنت سمعه الخ)** المعنى كما أشار إليه الشرح على حفظ جوارحه الظاهرة والباطنة عن الزلل مع التوفيق للخير، فلا تغتر بغير هذا مما يقال في مثل ذلك.

(قوله: وإن دعاني) أي طلب مني شيئاً لأجيبنه لما طلب بحكمتي وتقديري وعطف قوله وإن سألني على دعاني تفسيري. **(قوله: وإن استعاذني)** أي طلب التعوّذ بي لأعيذنه وأمنع ما يسوؤه. **(قوله: وما ترددت في شيء الخ)** المراد والله أعلم إظهار عنايته تعالى ورعايته لهذا العبد وإلا فما يتبادرن من العبارة غير مراد لاستحالته في حقه سبحانه

---

(١) أخرجه البخاري (رقاق ٣٨) وأحمد بن حنبل (٦، ٢٥٦).

على حسن العمل، ويدل على أنه مجاب الدعوة، ثم بين حقيقة الرجاء فقال: **(الرجاء تعلق القلب بمحبوبه)** من جلب نفع أو دفع ضر **(سيحصل في المستقبل)** وذلك بأن يغلب على القلب الظن بحصوله في المستقبل. **(وكما أن الخوف)** المقابل للرجاء **(يقع)** متعلقه **(في مستقبل الزمان، فكذلك الرجاء يحصل لما)** أي: لمحبوب **(يؤمل)** وقوعه في زمن **(الاستقبال وبالرجاء)** المرتب على العمل الصالح يحصل **(عيش القلوب، واستقلالها)** بالملاذ الأخروية **(والفرق بين الرجاء، وبين التمني)** وهو طلب ما لا طمع في وقوعه كليت الشباب يعود **(إن التمني يصاحبه الكسل ولا يسلك)** صاحبه **(طريق الجهد والجد)** في الطاعات، **(وبعكسه صاحب الرجاء)** فإنه يسلك طريق ذلك. **(فالرجاء محمود والتمني معلول)** أي: مذموم **(و)** قد **(تكلموا)** أي: الصوفية **(في الرجاء فقال شاه الكرماني: علامة الرجاء حسن الطاعة)** ومن المعهود في أعمال الدنيا أن من وضع حبة في أرض طيبة قد رويت قوي رجاؤه وظنه بحصول مطلوبه، وعكسه من وضع حبة في أرض سبخة في زمن الصيف وقال الله قادر على أن ينبته فيها وهذا القول، وإن كان صحيحاً لكن المتبع ما أجراه الله من عادته في خلقه. **(وقال ابن خبيق)** أصل **(الرجاء ثلاثة: رجل عمل حسنة فهو يرجو**

وتعالى. **(قوله: تعلق القلب بمحبوب الخ)** أي: مع الأخذ في الأسباب وإلا كان من الطمع المذموم شرعاً. **(قوله: يحصل عيش القلوب)** أي: معيشتها وحياتها وقوله: واستقلالها أي: تفرغها للملاذ الأخروية فلولا ذلك لهلكت القلوب بسبب قوة طوارق الخوف على النفوس.

(قوله: والفرق بين الرجاء وبين التمني الخ) أي: الفرق بين الرجاء الممدوح وبين التمني المذموم وذلك الفرق باعتبار ما يترتب على كل منهما. **(قوله: فالرجاء محمود)** أي: لكونه مطلوباً شرعاً ولما يترتب عليه من الثمرات وقوله: والتمني معلول أي لعدم مشروعيته، ولما يترتب عليه من الكسل وضياع الأوقات بدون فائدة. **(قوله: علامة الرجاء حسن الطاعة)** أي: علامة وامارة تحققه وحسنه حسن الطاعة، وذلك لأن حسن الطاعة شرط في مشروعيته وحسن صدوره من العبد. **(قوله: ومن المعهود الخ)** بيان لما قدمه بما تألفه البشريات وتعتاده في أمور دنياهم ليقوى تحقق مثله فيما لأخراهم. **(قوله: وعكسه من وضع الخ)** أي: وذلك مثل للطمع فإنه تأمل مرغوب فيه مع التكاسل وايثار الراحة، ولذلك كان محرماً ومذموماً. **(قوله: وإن كان صحيحاً)** أي: في نظر الشرع والعقل غير أن عادة الله الجارية في خلقه بخلاف ذلك وإن جاز تخلفها. **(قوله: الرجاء ثلاثة)** أي: باعتبار متعلقة وهو الشيء المرجو. **(قوله: الرجاء ثلاثة)** محصله أن الأولين مشروعان دون الثالث وان الرجاء من منازل المؤمن إذ لا يعتمد على شيء سوى ربه.

قبولها، ورجل عمل سيئة ثم تاب منها، فهو يرجو المغفرة، الثالث الرجل الكاذب المغرور يتمادى في الذنوب ويقول: أرجو المغفرة) فيتمناها مع إقامة الزلل فحق الحازم أن لا يزال على وجل وإن حسن عمله قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] وتقدم في باب الخوف خبر عائشة رضي الله عنها في تفسير هؤلاء **(ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغي)** أي: فالأولى **(أن يكون خوفه غالباً على رجائه)** إذ الخوف يقلع به العبد عن الزلات خوفاً من العقوبات والرجاء طمع في رفيع الدرجات، وكان هذا مقيد لما مر في الباب السابق. **(وقيل: الرجاء ثقة الجود من الكريم الودود، وقيل: الرجاء رؤية الجلال بعين الجلال)** كل منهما ليس برجاء بل الأوّل سببه لأن الثقة بالوعد تحمل العبد على العمل الموعود عليه بالثواب، وعلى التوبة الموعودة بها بالغفران، والصفح عن العذاب والثاني راجع إلى المعرفة، أو إلى المرجو دون الرجاء. **(وقيل: هو قرب القلب من ملاطفة الرب)** هذا قريب مما قبله، وفيه إشارة إلى الحضور ودوام العلم بتوالي نعم الله على العبد. **(وقيل)** هو **(سرور الفؤاد بحسن المعاد)** أي: المرجع والمصير وفي نسخة الميعاد. **(وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى)** كل منهما يشمل التمني مع أن الثاني

(قوله: رجل عمل حسنة الخ) أي: جاء رجل عمل حسنة الخ ومثل ذلك يقال فيما بعده. **(قوله: فحق الحازم)** أي: العاقل الحاذق إذ لا يزال على وجل وخوف من احتمال عدم القبول الجائز في حقه وإن حسن عمله لأن الحق تعالى لا يسأل عما يفعل ولا يعقب لحكمه على أنّ ذلك لازم في كل شيء من أسباب الخير، فلا يصح الإستناد إليها لما تقدم. **(قوله: وتقدم في باب الخوف خبر عائشة)** أي: وهو قولها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر قال «لا ولكن الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف أن لا يقبل منه».

(قوله: ومن عرف نفسه بالإساءة الخ) محصله أن الرجاء لا يصح إلا ممن تجرد عن الزلات حتى يرجو رفيع الدرجات، ومثله عزيز فحينئذ ينبغي أن يكون خوف الراجي من عدم صحة رجائه بواسطة أنه قل أن يخلو من الزلات. **(قوله: ومن عرف نفسه الخ)** أي: ومظنة ذلك الصحة فالأولى أن يناط الخوف بها ليوافق المنقول في كتب الفروع. **(قوله: والثاني راجع إلى المعرفة)** أي: معرفة مصدر الأفعال وقوله: أو إلى المرجو أي: الذي تعلق به القلب دون نفس الرجاء.

(قوله: وقيل هو قرب القلب) أي: مراقبة القلب مظاهر نعم الرب وآلائه تعالى المتوالية على عبيده. **(قوله: وقيل هو سرور الفؤاد)** أي: بما يطرقه من بشائر الوعد فبواسطة قوّة إيمان العبد يثق بإنجاز الوعد، فينسر قلبه بحسن الرجوع إليه تعالى. **(قوله:**

يرجع إلى سبب الرجاء دون الرجاء لأن النظر إلى سعة رحمة الله تعالى يحمل العبد على العمل والتوبة. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر إذا استويا إستوى الطير وتم طيرانه وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت**) وذلك لأنه تعالى مدح من إستقام على طاعته بقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] بتفسير الرغب بالرجاء، والرهب بالخوف فمتى استقام العبد في أحواله استقام في سلوكه في طاعاته باعتدال رجائه وخوفه، ومتى قصر في طاعاته ضعف رجاؤه ودنا منه الضلال، ومتى قل خوفه وحذره من مفسدات الأعمال تعرض للهلاك، ومتى عدم الرجاء والخوف تمكن منه عدوّه وهواه ويبعد عن حزب من حفظه ربه وتولاه، وبذلك علم وجه الشبه بينهما، وبين جناحي الطائر. (**وسمعته**) أي: السلمي (**يقول: سمعت النصر أباذي يقول: سمعت ابن أبي حاتم يقول: سمعت علي بن شهمردان**) بإسكان الهاء والراء وفتح الميم (**يقول: قال أحمد بن عاصم الأنطاكي و**) قد (**سئل ما علامة الرجاء في العبد قال: أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر راجياً لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا، وتمام عفوه في الآخرة**) لأن من توالت عليه النعم من ربه، ورجا دوامها وتوالي أمثالها شكرها فإن شكره عمل وعد عليه بالزيادة كما قال تعالى: و﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. (**وقال أبو عبد الله بن خفيف: الرجاء استبشار بوجود فضله**) هذا ليس برجاء، بل هو راجع إلى الفرح بالنعم لأنه استبشار بحاصل والرجاء طمع فيما لم يحصل.

وقيل النظر إلى سعة وجه الله) أي: صلاحيتها للشمول لكل من صالح المؤمنين وطالحهم. (**قوله: مع أن الثاني يرجع الخ**) أقول ومثله الأول أيضاً.

(**قوله: هما كجناحي الطائر الخ**) محصله الحث على أنه ينبغي للعبد أن يكون عمله عليهما حتى لا يغتر ولا يقنط فيهلك والله أعلم. (**قوله: ضعف رجاؤه**) أي: لضعف شرطه وهو العمل. (**قوله: تعرض للهلاك**) أي: بسبب فترته عن المأمورات والمنهيات. (**قوله: قال أن يكون الخ**) محصله أن الرجاء ما صاحبه التوفيق وإلا كان من الطمع المذموم. (**قوله: ألهم الشكر**) أي: وهو دوام عبادة المنعم على حسب الطاقة. (**قوله: بل هو راجع إلى الفرح بالنعم**) وذلك مذموم إذا كان الفرح بها لا من حيث المنعم بها بل لحظ النفس منها فإنه ناشيء من عمى البصيرة ويثير حرصاً واسترسالاً في العوائد وقلة المبالاة في القبض والصرف وشدّة الفرح بالموجود، والحزن على المفقود وبذلك يقع الهلاك والخسران، أما إذا كانت محبة النعم والفرح بها من حيث المنعم بها فهو ممدوح لأن صاحبه قد قام بالشريعة في عين ملاحظة الحقيقة. (**قوله: والرجاء طمع فيما لم**

(وقال) أيضاً: الرجاء **(إرتياح القلوب لرؤية كرم المرجو المحبوب)** هذا أيضاً ليس برجاء، بل هو راجع إلى سببه أو إلى المعرفة بكرم الله تعالى، وصفاته. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: من حمل نفسه على الرجاء)** بأن نظر إلى ما منّ الله به عليه **(تعطل)** عن الطاعة لأمنه من مكر الله تعالى، **(ومن حمل نفسه على الخوف)** بأن تفكر فيما ارتكبه من الزلات **(قنط)** وأيس من رحمة الله تعالى، **(ولكن)** يحمل **(من هذه)** الجهة **(مرة ومن هذه)** الأخرى **(مرة)** بحيث يداوي زيادة الرجاء بالخوف وبالعكس، وهذا طريق من أراد أن يستوي رجاؤه وخوفه ويستوي على سلوك الطريق. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: حدثنا أبو العباس البغدادي قال: حدثنا الحسن بن صفوان قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثت عن بكر بن سليم الصواف قال: دخلنا على مالك بن أنس رحمه الله في العشية التي قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف نجدك فقال: ما أدري ما أقول لكم)** أي: مما رأيت الآن من إكرام الله لي، ومن صور الملائكة الذين يعالجون روحي بحيث عجزت عن أن أعبر عنه بلساني **(غير أنكم ستعاينون من عفو الله تعالى ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا)** من مكاننا **(حتى أغمضناه)** فأولياء الله تعالى أعد لهم من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت،

يحصل) أي: مما تتوقع النفس حصوله في المستقبل فيه أن الفرح بوجود فضله تعالى يصح أن يكون المراد به الثابت في ذاته مما تعلق به رجاؤه وإن كان غير حاصل للراجي في الحال إذ لا شك أن الرجاء يفيد ذلك الفرح وهو بهذا المعنى لا يخرج عن حقيقته ومثله يقال فيما بعده نعم يقال أن ذلك لازم للرجاء لا حقيقته.

(قوله: من حمل نفسه الخ) محصله الحث على جعل العمل على اعتدالهما أي: بين الرجاء والخوف وذلك لما في أفراد كل منهما من المفاسد.

(قوله: تعطل) أي: لأنه ربما وقف معه فتعطل عن الأعمال أو غيرها من المقامات. **(قوله: قنط)** أي: يئس الرحمة وذلك من كبائر الذنوب. **(قوله: ولكن يحمل من هذه الخ)** أقول هو قريب مما ذكر بعضهم كالغزالي من التفصيل الذي محصله أن من قوى رجاؤه وخاف منه العطب طلب له الخوف ومن غلب عليه الخوف، وخاف مفاسده طلب منه الرجاء وهو نفيس. **(قوله: فقال ما أدري)** أي: لما بهرني مما لا تسعه العبارة ولا تغني عن بيانه الإشارة من عظيم فضل الله، وجزيل ما أنعم الله به وأولاه، وسيما لمثل هذا الإمام ممن عم فضله الأنام كيف وهو عالم المدينة الشريفة ذو الفضائل المنيفة رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنا. **(قوله: غير أنكم الخ)** أقول ومثل هذا من مثل هذا الإمام في مثل ذلك الوقت الذي يصدق فيه

ولا خطر على قلب بشر. **(وقال يحيى بن معاذ يكاد رجائي لك)** يا الله **(مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها)** أي: احفظها من الآفة **(وأنا بالآفة)** من الرياء والكبر والعجب ونحوها **(معروف وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف. وكلموا ذا النون المصري وهو في النزع فقال: لا تشغلوني)** أي: عن كمال شغلي بربي ومناجاتي له **(فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معي)**. أي: بي من الخير والتقريب. **(وقال يحيى بن معاذ: إلهي أحلى العطايا)** وأطيبها وألذها **(في قلبي رجاؤك)** لما تجدده عليّ من فضلك **(وأعذب الكلام على لساني ثناؤك)** لكمال

الكذوب بشرى للمؤمنين عظيمة وغير بعيد لرب الكرم التفضل، ولو على المسيء كيف وقد أمر عباده بذلك فالله تعالى يحسن لنا ولاخواننا العواقب ويعاملنا بالإحسان. **(قوله: يكاد رجائي الخ)** محصله قوّة الرجاء منه في سعة فضل الله تعالى وموائد كرمه سواء مع مصاحبة الأعمال أو مع التجرد عنها بل مع التجرد قد يحسن الرجاء منه أكثر إذ لا اعتماد له حينئذ إلا على فضل ربه وحاشى الكريم أن يضيع من هذه صفته، ومع الأعمال يكون الرجاء أيضاً حسناً إذ سر القبول إنما هو الإخلاص والتحفظ من الآفات وكل يعسر إلا على الموفق، والحاصل أن الرجاء هو المطلوب في حالة المضايق لصاحبه عمل أو لا والله أعلم.

(قوله: يكاد رجائي الخ) أقول وهكذا يكون حال الفقير عديم الناصر من عمه الإفلاس، وعافه الناس أن يرجع إلى مالك أزمة الرحمات، ومبدع سائر أسباب السعادات، وحينئذ فالشأن القبول ولا سيما إذا توسل بسيدنا الرسول قال بعضهم:

وحمل الزاد أقبح كل شيء إذا كان القدوم على كريم

(قول: فقد تعجبت الخ) أقول عجبه ليس من إكرامه في مثل هذا الوقت الذي يزيد فيه اضطراره وفاقته لأن الإكرام في مثل هذه الحالة مرجو لغيره من عوام المؤمنين المقصرين فضلاً عن خواصهم العارفين، فحينئذ يكون تعجبه مما شاهد من أنواع الإكرام التي لا تسعها العقول، ولا تفي بحصرها النقول والله أعلم.

(قوله: إلهي أحلى العطايا الخ) إلهي منادى قاله تعبداً وتلذذاً بالتنويه بألوهية الحق تعالى وقوله: أحلى العطايا أي: أهنؤها وألذها وأمرؤها في قلبي باعتبار شهود مصدرها رجاؤك أي: وصول ما رجوته منك مما لم يكن لأحد من خلقك عليّ فبه منة وقوله: وأعذب الكلام أي أقواه عذوبة وحلاوة ولذة على لساني ثناؤك أي: بتعداد صفات كمالك وجمالك إذ به تتنفس نيران أشواقي المودعة بقلبي من غرس محبتك

محبتي لك. **(وأحب الساعات إليَّ ساعة يكون فيها لقاؤك)** أي: بموتي أو بحضوري معك بأن لا أشغل بغيرك في ذلك من مراقبتك واستشعار نظرك إليَّ ودوام الأدب حينئذٍ **(وفي بعض التفاسير أن رسول الله ﷺ دخل على أصحابه من باب بني شيبة فرآهم يضحكون فقال)** منكراً عليهم **«أتضحكون لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ثم مر»** إلى جهته **(ثم رجع)** إليهم رجوع **(القهقرى وقال: نزل عليَّ جبريل عليه السلام وأتى بقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾)** [الحجر: ٤٩] فيه دلالة على سعة رحمة الله تعالى وكمال تجاوزه عن خلقه، وعلى أن رجاء العفو لا ينافيه الإنبساط بالضحك ونحوه وإلا لشق ذلك على خلقه **(أخبرنا أبو الحسن علي بن أسد الأهوازي قال: حدّثنا أبو الحسن الصفار قال: حدّثنا عباس بن تميم قال: حدثنا يحيى بن أيوب قال: حدثنا مسلم بن سالم قال: حدثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، أو يضحك ربنا عز وجل فقال: والذي**

ونعمك، وقوله وأحب الساعات أي: اللحظات إليّ ساعة أي وقت يكون فيه لقاؤك بقلبي الذي هو كناية عن أعمال البر مع المراقبة والله أعلم.

(وقوله: لو تعلمون ما أعلم الخ) وجهه أن علمه ﷺ من حق اليقين وعلمهم من علم اليقين والفرق بينهما ظاهر. **(قوله: نزل عليَّ جبريل الخ)** فيه إشارة إلى أن إدخال السرور على المؤمنين أفضل من ذكر ما يفزع قلوبهم من مظاهر الجلال والخوف ولا سيما بالنسبة لمن كمل يقينه واستقامت أعماله وغلب عليه حال الخوف. **(قوله: نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم)** تأمل إضافة التشريف المصوغة في قالب العموم مع إيراد اسمه تعالى الرحيم بعد الغفور تفهم عموم البشرى والرحمة، ولذلك نعت الرسول ﷺ بالرأفة والرحمة فتكرير الإشارة بالإحسان ليطمئن قلب الوجل الولهان.

(قوله: نبيء عبادي) هم الذين عبر عنهم بالمتقين أني أنا الغفور الرحيم وإن عذابي هو العذاب الأليم ذلك تقرير لما سبق من الوعد والوعيد وفي المغفرة المذكورة إشعار بأنه ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب، وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب إيذان بأنهما من مقتضيات الذات، وإن العذاب إنما يتحقق بما يوجبه من خارج. **(قوله: إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد)** أقول الإشارة بذكر الضحك إلى أنه تعالى على خلاف ما يخطر في الأوهام وإن رحمته وسعت كل شيء وإنه ينعم لا في مقابلة شيء فمن الجهل والحمق والغفلة الوقوف مع شيء من الطاعات واليأس من وقوع المخالفات، فعلى الكيس الأخذ بالمتابعات والتسليم لسابق التقديرات. **(قوله: فقالت لا يعد**

نفسي بيده إنه ليضحك فقالت: **لا يعدمنا خيراً إذا ضحك)**إذ الضحك علامة الرضا وبذلك علم أنه تعالى لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة فمن أطاعه فبركة طاعته عائدة عليه، ومن عصاه فشؤم معصيته راجع إليه فإن تاب عنها فلا يأس من رحمة الله فإن أيس منها فهو جاهل، ومن ثم ضحك تعالى ممن ييأس لأنه أتى بشيء عجيب وهو غفلته عن سعة رحمته أو جهله واعتقاده أن معصيته يرجع إلى ربه منها شيء فضحك ربه مقابلة له بضد حاله فإنه لما أيس من رحمته أسبغها عليه لا سيما بعد توبته. **(واعلم أنّ الضحك في وصفه)**تعالى ليس الضحك المعتاد تعالى الله عن ذلك بل هو **(من صفات فعله وهو إظهار فضله كما يقال: ضحكت الأرض بالنبات)** أي: أخرجته منها **(وضحكه)** الأولى فضحكه تعالى **(من قنوطهم إظهار تحقيق فضله الذي هو ضعف)** بل أضعاف طول **(انتظارهم له)** المرتب عليه يأسهم. **(وقيل: إن مجوسياً استضاف الخليل إبراهيم عليه السلام)** أي: طلب منه أن يضيفه **(فقال)** له **(إن أسلمت أضيفك فقال المجوسي: إذا أسلمت فأي منة تكون لك عليّ فمر المجوسي)** أي: جاوزه **(فأوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغييره دينه نحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته ليلة ماذا عليك)** من الحرج

منا خيراً الخ) يؤخذ من ذلك أن فرحها رضي الله عنها بالرضا منه تعالى وذلك عين الكمال لأنه من شأن أهل المقامات والأحوال، فذلك دليل على صدق حالها رضي الله تعالى عنها.

(قوله: فقالت لا يعد منا خيراً الخ) أي: فإذا ثبت رضاؤه عنا فشأن كرمه أنه لا يعد منا خيراً، بل يعمنا بإحسانه والمقصر منا بالكرم أولى في كل من الآخرة والأولى.

(قوله: فإن أيس منها فهو جاهل) أي: لجهله بمجاري القضاء والقدر حيث هما لا لعلة ولا سبب قال قائلهم:

بلا عمل مني إليه اكتسبته ... سوى محض فضل لا لشيء يعلل

(قوله: بل هو من صفات فعله) أي: الذي هو إنعامه على خلقه. **(قوله: كما يقال ضحكت الأرض بالنبات الخ)** التشبيه في مطلق التجوز بلفظ الضحك عن معناه المتعارف إلى إظهار الأنعام أو النبات. **(قوله: وقيل إن مجوسياً الخ)** في هذه القصة تنبيه على أنه لا ينبغي الاغترار بالعمل ولا القنوط من الخطيئة ولا احتقار مخلوق لكفره أو فسقه إذ العواقب مجهولة، وأسباب السلامة قد تكون معلولة، ولا عظم للذنوب في جانب الرحمة فقد تكون النجاة من عظيم الآثام بقليل بذل الحطام، وقد يزل قدم ذي الكمال بعد مجاهدته الأيام والليال، فالله يرزقنا السلامة والتسليم لمجاري أفعال العزيز الحكيم. **(قوله: أهكذا يعاملني)** الغرض إفادة أن شأن الحق تعالى معه أنه يقابل قبيح أفعاله بحسن أفضاله، وأنه إذا كان هذا شأنه في وقت نفرة العبيد، فكرمه بعد تحقق الإيمان يرجى به التوفيق والتسديد.

(فمرّ إبراهيم عليه السلام خلف المجوسي وأضافه فقال له المجوسي: أي شيء كان السبب في الذي بدا لك فذكر له ذلك فقال له المجوسي: أهكذا يعاملني) وفي رواية نعم الرب رب يعاتب نبيه في عدوّه (ثم قال: أعرض عليّ الإسلام) فعرضه عليه (فأسلم)، وجه تعلق هذا بالرجاء إنه تعالى يجعل الأسباب الضعيفة موصلة لغفران الذنوب العظيمة، فإذا علم العبد بذلك تعلق قلبه بمحبوبه من جلب نفع ودفع ضرر، وفيما ذكره إشارة إلى أن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة حيث بسطها لأعدائه، وبسط رحمته الدنيوية يعم الكافر والمؤمن بخلاف الأخروية كما قال تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥] ولما رأى المجوسي فضل الله عليه في معاتبة نبيه لأجل عدوّه وشكر ذلك جازاه الله بتوفيقه للإسلام. (سمعت الشيخ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: رأى الأستاذ أبو سهل الزجاج في المنام، وكان يقول بوعيد الأبد) أي: بأن الله تعالى إذا توعد على معصية بعقاب، فلا بدّ من وقوعه وهو غفلة منه عن شرطه، فإن ذلك يغفره إذا شاء كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] (فقال له: كيف حالك فقال، وجدنا الأمر أسهل مما توهمنا) يحتمل أن يكون الله غفر له اعتقاده المذكور لغفلته عن شرطه، ويحتمل أنه تاب عن اعتقاده قبل موته، ولم يعلم الرائي حاله فلما رآه في المنام وسأله عن حاله أخبره بما ذكر. (سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول، رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي في المنام

(قوله: وجه تعلق هذا بالرجاء الخ) محصله أن من أسباب الرجاء العلم بسعة الفضل، وأنه لا يقتضي كبير كلفة بل قد يترتب على أقل شيء من العبد. (قوله: تعلق قلبه بمحبوبه) أي دون غيره من سائر الكائنات. (قوله: وبسط رحمته الدنيوية الخ) جملة مستأنفة لإفادة أن النعم الدنيوية تعم الكافر والمسلم الصالح والطالح بخلاف الأخروية، فهي خاصة بالمؤمنين العصاة والموفقين. (قوله: ولما رأى المجوسي) أي: بواسطة عين الاعتبار بما قذفه الله في قلبه من نور الإستبصار.

(قوله: فقال وجدنا الأمر أسهل الخ) أقول في ذلك تنبيه على أنه قد غفر له ما كان يعتقده إما لما ذكره المؤلف من رجوعه عنه وتوبته منه وإما لعدم تقصيره في ذلك الاعتقاد حيث كان هو الذي أداه إليه اجتهاده بعد البحث على حسب الوسع. (قوله: فقال يحسن ظني بربي) أي وله الإشارة بقول بعضهم شعراً:

فقري لمعروفك المعروف يدنيني	يا من أرجيه والتقصير يرجيني
إن أوبقتني الخطايا عن مدى شرف	نجا بإدراكه الناجون من دوني
أو غض من أملي ما ساء من عملي	فإن من حسن ظن فيك يكفيني

على هيئة حسنة لا توصف فقلت له: يا أستاذ بم نلت هذا فقال: بحسن ظني بربي بحسن ظني بربي)مرتين. (وروي مالك بن دينار في المنام فقيل له: ماذا فعل الله بك فقال: قدمت على ربي بذنوب كثيرة محاها عني حسن ظني به تعالى) لقوله تعالى «أنا عند ظن عبدي بي» وقد عرفت أن الرؤيا إما مبشرة أو منذرة فمن غلب عليه الخوف حتى خشي عليه من اليأس من رحمة الله تعالى أراه الله في نومه من يعتقد صلاحه، فيعرفه سعة رحمة الله للخلق فيقل مما فيه ويسلم من اليأس، فتكون الرؤيا في حقه مبشرة، ومن غلب عليه توالي الغفلات، ثم منّ الله عليه بالتوبة واشتغل بالأعمال الصالحة، وغفل بما هو فيه من حسن حاله عما كان فيه قبل، أراه الله في نومه من يعتقد صلاحه وحذره من أدنى الشبه فيقول: كيف حالك فيقول: الساعة كما تخلصت من الحساب، فتكون الرؤيا في حظه منذرة وحاملة على تدارك ما فات ويقول لنفسه إذا كان مثل هذا الصالح كما تخلص من الحساب، فكيف يكون حالي.

(وروي عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هو خير»[1] منهم وفي رواية في ملأ خير من ملئهم «وإن اقترب إليّ شبراً اقتربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إليّ ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[2] أخبرنا بذلك أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرايني قال: أخبرنا يعقوب بن إسحاق قال: حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا أبو معاوية ومحمد بن عبيد عن الأعمش عن أبي صالح

(قوله: فمن غلب عليه الخوف) محصله أن الرؤيا تختلف باختلاف أحوال العبيد بمقتضى الحكمة العلية.

(قوله: أنا عند ظن عبدي بي الخ) معناه أني أحقق ما ظنه فيّ وأنا معه بالحفظ والعلم والنصرة وقوله: إذا ذكرني أي: أثنى عليّ ثم فصل الذكر باعتار أحواله فقال إن ذكرني في نفسه أي: بعيداً عن الخلق وعن الاشتغال بهم ذكرته في نفسي على معنى أني أتحفه بأنواع الكرم التي لا يعلمها إلا الله تعالى، وإن ذكرني في ملأ أي جماعة ذكرته في ملأ هو خير منهم أي: في جماعة أشرف وأفضل منهم وذلك هو الملأ الأعلى، وقوله

---

(١) أخرجه البخاري (توحيد ١٥، ٣٥) ومسلم (توبة ١) (ذكر ٢، ١٩) والترمذي (زهد ٥١) (دعوات ١٣١) وابن ماجه (أدب ٥٨) والدارمي (رقاق ٢٢) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٥١، ٣١٥، ٣٩١، ٤١٣، ٤٤٥، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٤، ٥٣٤، ٥٣٩، ٣، ٢١٠، ٢٧٧، ٤٩١، ٤، ١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (توحيد ٥٠) (توبة ١) ومسلم (ذكر ٢، ٣، ٢٠، ٢١، ٢٢) والترمذي (دعوات ١٣١) وابن ماجه (أدب ٥٨) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٥١، ٣١٦، ٤١٣، ٤٣٥، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥٠٠، ٥٠٩، ٥٢٤، ٥٣٤، ٣، ٤٠، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٨، ٢٧٢، ٣٨٣، ٥، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٩).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ يقول ذلك، ورواه مسلم أيضاً وفيه دلالة على أن العبد إذا عمل يسيراً من الطاعة أعطاه الله من الأجر كثيراً، وهو داخل في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، والمراد بالقرب والإتيان في الخبر في حق العبد سرعة الإمتثال، وفي حقه تعالى سرعة الإجابة وكثرة الإجابة. **(وقيل: كان** عبد الله **(بن المبارك يقاتل علجا)** هو الكافر الغليظ الشديد **(مرة فدخل وقت صلاة العلج فاستمهله)** مدّة **(فأمهله فلما سجد للشمس أراد ابن المبارك أن يضربه بسيفه، فسمع من الهواء قائلاً يقول:** ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤] فامسك) عنه **(فلما سلم المجوسي)** من صلاته **(قال له لم أسكت عما هممت به فذكر له ما سمع فقال له المجوسي: نعم الرب رب يعاتب وليه في عدوّه فأسلم وحسن إسلامه)** فيه دلالة على كرم الله تعالى، وهذه الحكاية كحكاية استضافة المجوسية إبراهيم عليه السلام **(وقيل: إنما أوقعهم في الذنب حين سمى)** يعني أوقعهم تسمية الله **(نفسه عفواً)** وفي نسخة غفور فاغتروا بكونه عفواً عن الذنوب فارتكبوها وتمادوا فيها بلا توبة لذلك مع غلبة شهوتهم وهواهم، وغفلوا عن الشرط في قوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [طه: ٨٢] **(وقيل: لو قال تعالى لا أغفر الذنوب لم يذنب مسلم قط كما أنه لما قال تعالى** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] **لم يشرك به مسلم قط)** في كل منهما نظر **(ولكن لما قال:** ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾)

وإن اقترب أي: تقرب إلى رحمتي بعبادتي شبراً أي شيئاً قليلاً اقتربت إليه ذراعاً أي: منحته أكثر من فضلي وإحساني وقوله: وإن اقترب إليّ ذراعاً أي: وإن زاد في أسباب التقرب من رحمتنا زدناه من إحساننا وقوله: وإن أتاني الخ المعنى على سرعة الإجابة والقبول من الحق تعالى وسرعة الامتثال والعمل من العبد والله أعلم.

(قوله: وقيل كان عبد الله الخ) فيه حث على الوفاء بالعهود وإشارة إلى أن النجاة تترتب على أخف سبب وعلى سعة الفضل والإحسان ومقابلة الإحسان بالأحسن. **(قوله: لم أمسكت الخ)** إن قلت بأي وجه اطلع على همه بقتله قلت لعله بإمارة أو بنور نعت في قلبه فنظر ذلك ببصيرته والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده. **(قوله: وقيل إنما أوقعهم الخ)** أي أوقع معاشر المخالفين حين سمى نفسه عفواً أي: سبب جراءتهم على المخالفة تسميته تعالى نفسه باسم العفو والغفور فعلموا من ذلك أنه لا بدّ لهذه الأسماء من مظاهر لاستحالة تعطلها فلابسوا الخطايا من أجل ذلك ثم الذي علموه صحيح غير أنهم بواسطة القضاء الأزلي قد غفلوا عن أسباب النجاة وشرط القبول على حسب ما جاء عن سيد الكائنات ﷺ.

(قوله: في كل منهما نظر) لعل وجهه حمل الشرك على المعنى المراد منه، وهو

[النساء: ٤٨] طمعوا في مغفرته وعفوه. **(ويحكى عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال: كنت انتظر مدّة من الزمان أن يخلو) (فسمعت هاتفاً يقول لي يا ابن أدهم أنت تسألني العصمة، وكل الناس يسألوني العصمة فإذا عصمتكم فلمن أرحم)** وفي نسخة فعلى من أترحم، وفي ذلك دلالة على أنه سبق في علمه أنه لا بدّ من وقوع المعصية والرحمة، وقد تقع الرحمة ولا معصية فمن رحمته عصمة الأنبياء وحفظ الأولياء، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩] وأراد بما ذكر أن ينبه إبراهيم بن أدهم على أن لا يسأله ما ليس له به علم، كما في قصة نوح عليه السلام إذ سؤال العبد العصمة سؤال عما لا علم له به، **فقد يكون في معلومه تعالى أنه ممن يعصى فسؤاله المغفرة أولى به وأقرب لعبوديته، ويجوز أن يسأل العبد ربه أن يحفظه ويصونه عن سائر المعاصي وأما العصمة فمن خصائص الأنبياء، وبالجملة فقد اختلف في جواز سؤالها لغيرهم، فقائل منع لأنه يؤدّي إلى تعطيل التوبة، وفي الصحيح خبر: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون،**

مطلق الكفر وحمل المسلم على مطلق من له انقياد ظاهري وقد وقع الكفر بعد الإيمان والعياذ بالله تعالى بعد ثبوت قوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦] فيجوز كذلك وقوع المعصية لو ثبت عدم قبول التوبة منها بخبر الله تعالى نعم ربما يقال: أن المراد بالمسلم الفرد الكامل، وهو الذي يكون موفقاً ليقظة القلب، ومثله في هذه الحالة لا يلابس معصية، ولا كفراً فتأمل، ولا تك أسير التقليد.

(قوله: فسمعت هاتفاً الخ) محصله الزجر عن سؤال العصمة للإشارة إلى أن سؤالها يرجع إلى طلب تعطيل مظاهر بعض الأسماء الإلهية، وهو لا يصح ولأنه سؤال ما لا علم له به، إذ قد يسبق في القضاء عصيانه، والتوبة عليه بمظهر الرحمة الإلهية، ولأنه يرجع أيضاً إلى طلب مقام النبوات، إذ العصمة من خواصهم، فبعد أن زجره هذا الهاتف تضمن زجره تنبيهه على عمله بما هو الأليق به، وهو سؤال المغفرة والرحمة تدبره فإنه نفيس.
(قوله: فإذا عصمتكم الخ) يشير بذلك إلى أن متعلق الرحمة عام بالقضاء أزلاً وبإجابة مثل هذا السؤال يصير خاصاً وذلك غير جائز إذ لا تغيير ولا تبديل لما سبق به القضاء.

(قوله: فمن رحمته عصمة الأنبياء) أي قبل النبوّة وبعدها سهواً وعمداً، سواء كانت صغائر أو كبائر بل ومن المكروهات، وخلاف الأفضل على الصحيح في كل ذلك إلا لغرض التشريع، وقوله: وحفظ الأولياء والفرق بينهم وبين الأنبياء هو جواز المخالفة بالنسبة لهم، دون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. **(قوله: ويجوز أن يسأل العبد الخ)** إن قلت هذا يرجع إلى سؤال العصمة قلت لا لجواز طرو المخالفة في مقام الحفظ، ولا كذلك في مقام العصمة. **(قوله: إلى تعطيل التوبة)** أي وذلك لا يصح، ويحرم سؤاله

ثم يستغفرون فيغفر لهم»، وقائل: جوّز وقد سألها الإمامان مالك والشافعي، ويشهد له خبر النسائي: «وإذا خرج أحدكم من المسجد فليسلم على النبي ﷺ، وليقل اللهم اعصمني من الشيطان»، وهذا أحسن، وإن قال الزركشي: الحق أنه إن قصد بالعصمة التوقي عن المعاصي في جميع الحالات فممتنع لأنه سؤال مقام النبوّة، وإن قصد التحفظ من الشيطان والتحصن من أفعال الشر، فلا بأس به. **(وقيل: رأى أبو العباس بن شريح في منامه في مرضه الذي مات فيه كأن القيامة قد قامت، وإذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء قال فجاؤوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض به، وأراد جواباً آخر فقلت، أما أنا فليس في صحيفتي الشرك، وقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم، ومات بعد ذلك بثلاث ليال)** فيه دلالة على جواز الغفران لمن لم يشرك بالله كالآية التي أشار إليها، وعلى بشرى عظيمة لابن شريح، وهو أنه مغفور له، وقد اعترف هو ومن معه بالتقصير، ومن اعترف بتقصيره رجا المغفرة. **(وقيل: كان رجل شريب)** أي كثير الشرب للخمر **(جمع قوماً من ندمائه ودفع إلى غلام له)** وكان صالحاً ينكر عليه ذلك **(أربعة دراهم وأمره أن يشتري)** بها **(شيئاً من الفواكه للمجلس)** أي لأهل مجلسه **(فمر الغلام بباب مجلس)** الشيخ **(منصور)** لأنه رأى أن سيده يرضى بذلك أو

لاستحالته. **(قوله: لو لم تذنبوا الخ)** ليس الغرض من ذلك إباحة المعاصي، بل إفادة أن طاعة العبد ومخالفته قد سبق القدر بهما، وحينئذٍ فلا بدّ من تحققهما. **(قوله: وقد سألها الإمامان مالك الخ)** أي سألاها على وجه خاص، كما يرشد إليه الخبر المذكور، فلا يخالف المعتمد من منع سؤال العصمة المطلقة.

(قوله: وهذا أحسن) أي القول بجواز سؤال العصمة أحسن من القول بالمنع **(أقول)** إذا كان مراده سؤالها على وجه خاص كالعصمة من الشيطان، كما في الخبر فمسلم وإن كان مراده جواز طلب العصمة المطلقة، فكيف يقال فيما يلزم ذلك من محذور التعطيل المتقدم حكايته، فحينئذٍ يكون قوله وإن قال الزركشي الخ هو الوجه إذ لا محذور فيه فتأمل، والله أعلم.

(قوله: وقيل رأى أبو العباس الخ) فيه دليل قويّ على سعة الرحمة وعدم بعد المغفرة، ولو مع ملابسة التقصير وهو كذلك حيث الله هو أكرم الكرماء وأرحم الرحماء، بل لا كرم ولا رحمة إلا له تعالى. **(قوله: وقيل كان رجل الخ)** فيه دليل على أن الرحمة قد تكون في حال ملابسة ما به السخط فالعبرة حينئذٍ بما سبق في العلم القديم بحكمة مولانا الحكيم. **(قوله: منصور بن عمار الخ)** قيل إنه كان مجاب الدعوة نفعنا الله ببركاته. **(قوله: لأنه رأى أن سيده الخ)** مراده الحمل على طريق يجوز معه تصرف الغلام

رأى أن هذا أولى مما أمره به سيده وهان عليه مشقة الضرب، والألم من سيده حتى لا يقع في هذا المنكر الشديد وظنه منصور أنه مالك الدراهم **(فقال)** له **(منصور ما الذي تريد)** مني **(أن أدعو لك به فقال لي سيد أريد أن أتخلص منه)** بالعتق لأخلص مما يدخلني فيه مما لا أحبه **(فدعا لي)** منصور **(بذلك وقال)** له ما الدعوة **(الأخرى قال: أن يخلف الله تعالى عليَّ دراهمي)** التي دفعتها للفقير لأردّها إلى سيدي وأقول لا أعلم ما أمرتني به فرأى منصور بعد علمه بأني رقيق أن سيدي يرضى بما فعلته **(فدعا لي بذلك ثم قال وما)** الدعوة **(الأخرى فقال: أن يتوب الله على سيدي)** بأن يوفقه للتوبة مما هو مرتكبه لأستريح من ضرره بالكلية **(فدعا)** بذلك **(قال: وما الأخرى فقال: أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم)** أي جلسائه **(فدعا منصور بذلك فرجع الغلام إلى سيده فقال له: لم ابطأت فقص عليه القصة)** فأثر فيه صدقه واستحسن فعله **(فقال له: وبم دعا فقال: سألت لنفسي العتق)** فدعا لي به **(فقال اذهب فأنت حر)** لوجه الله **(وأيش)** المدعوّ به **(الثاني)** وفي نسخة الثانية **(فقال: أن يخلف الله عليَّ الدراهم)** لأردها لك **(فقال: لك أربعة آلاف درهم، فقال وأيش الثالث)** وفي نسخة الثالثة **(فقال: أن يتوب الله عليك، فقال: تبت إلى الله تعالى، وأيش الرابع فقال: أن يغفر الله تعالى لك ولي وللقوم وللمذكر)** لي بقوله: من دفع للفقير أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات، وهو منصور **(فقال: هذا الواحد ليس إليَّ)** بل إلى الله تعالى **(فلما بات)** وصدق في توبته **(رأى في المنام كأن قائلاً يقول له أنت فعلت ما كان إليك تراني)** وفي نسخة ترى أني **(لا أفعل ما إليَّ قد غفرت لك**

في الدراهم، غير أن قوله: أو رأى أن هذا أولى الخ لم يظهر لي وجهه لأن ذلك لا يبيح له التصرف، فإنه لا يباح إلا بإذن السيد، أو علم رضاه فحرر. **(قوله: أن يخلف الله على دراهمي الخ)** الإضافة لأدنى ملابسة، وإلا فهي دراهم سيده. **(قوله: فرأى منصور الخ)** أي حتى أقره على ذلك ودعا له.

(قوله: فقال يتوب الله الخ) أقول: إنما قال: يتوب الله على سيدي، ولم يقل: يتوب سيدي لأن توبة العبد لا تكون إلا بتوفيق الرب بشاهد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨]. **(قوله: فأثر فيه صدقه الخ)** أقول: كان الأولى أن يقول: فأثر فيه سر إجابة دعاء الداعي بواسطة صدق الغلام. **(قوله: فقال لك أربعة آلاف درهم)** انظر سر المضاعفة بواسطة الصدق، فالله تعالى يرزقنا طهارة القلوب. **(قوله: وللمذكر لي الخ)** منه يعلم صدق إيمانه، وذلك بشاهد قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. **(قوله: بل إلى الله تعالى)** أي والذي للخلق، إنما هو التوسل والشفاعة فقط. **(قوله: ما كان إليك)** أي ما كان وسعك أن تفعله، وقوله: تراني الخ هو بضم التاء

وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين) عندك، فيه دلالة على أنه تعالى أكرم الأكرمين، وأنه يجازي بالخير الكثير على العمل اليسير، وهو موضع الإستدلال على الرجاء لأن سيد الغلام لما تكرم باليسير غفر الله له ولغلامه، ولمن كان سبباً في ذلك. **(وقيل: حج رباح القيسي حجات كثيرة فقال يوماً وقد وقف تحت الميزاب)** على رأي من يرى هبة الأعمال الصالحة **(إلهي وهبت من حجاتي كذا كذا للرسول ﷺ، وعشرة منها لأصحابه العشرة رضي الله عنهم، واثنتين منها لوالدي، والباقي للمسلمين، ولم يحبس منها شيئاً لنفسه، فسمع هاتفاً يقول هو ذا يتسخى علينا لأغفرن لك ولأبويك، ولمن شهد شهادة الحق)** أراه الله بذلك حسن نيته، وبركة قصده بأن عرفه أن كرم الله أوسع وأعم **(وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، أنه قال: رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة قال: فأخذت مكان المرأة، وذهبنا إلى المقبرة فصلينا عليها ودفناها، فقلت للمرأة من كان)** يعني ما نسبة **(هذا منك قالت ابني قلت أو لم يكن لكم جيران)** يحملونها **(قالت نعم ولكنهم صغروا أمره)** وحقروه **(فقلت أيش كان هذا فقالت هو مخنث)** بالمثلثة وبكسر النون وبفتحها **(قال فرحمتها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحنطة وثياباً، ونمت تلك الليلة، فرأيت كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لي، فقلت: من أنت فقال: المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس إياي)** وكلامهم فيّ مع بركة دعاء الرجل **وأمي لي وشفقتها عليّ، فيه دلالة على أنه تعالى يجازي بالخير الكثير على العمل** اليسير. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: مر أبو عمرو البيكندي يوماً بسكة، فرأى قوماً أرادوا إخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكي)** عليه **(قيل إنها أمه**

أي أتظنني. **(قوله: وإنه يجازي بالخير الكثير)** أي الدنيوي، والأخروي حيث أخلف على الغلام الأربعة دراهم أربعة آلاف درهم، ووفق السيد ومن معه للتوبة وغفر للجميع. **(قوله: واثنتين منها لوالدي)** يقرأ على صيغة التثنية.

(قوله: يتسخى علينا) أي يتكرم علينا مع أنه من جنس الأشحاء على الخير، وقوله: لأغفرن لك أي، ويجوز بمظهر الكرم الإلهي إبقاء ثواب حجاته له مع التفضل على من وهب لهم بمثل ما تفضل به عليهم وفضل الله واسع. **(قوله: فأخذت مكان المرأة)** أي رحمة بها ورجاء للأجر. **(قوله: ولكنهم صغروا أمره)** أي عدوّه صغيراً بواسطة استهانتهم به، وقوله: فقلت ايش كان أي لأي سبب ثبت هذا. **(قوله: بالمثلثة الخ)** أي وهو من يتخلق بخلق الإناث. **(قوله: قال فرحمتها الخ)** أي رق لها قلبي لما أصابها من فقد ولدها مع الإستهانة به.

(قوله: رحمني ربي الخ) أي ولذا قيل كلما خطر ببالك كان الحق بخلاف ذلك،

فرحمها أبو عمرو، فتشفع له إليهم، وقال: هبوه مني) وفي نسخة لي (هذه المرة فإن عاد إلى فساده فشأنكم) وإياه (فوهبوه منه) وفي نسخة له (فمضى أبو عمرو، فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة، فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب، فقال في نفسه: لعل الشاب عاد إلى فساده فنفي من المحلة) فبكت عليه أمه (فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب، فخرجت العجوز وقالت له مات فسألها عن حاله فقالت: لما قرب أجله قال: لا تخبري الجيران بموتي، فلقد آذيتهم وإنهم يشمتون بي ولا يحضرون جنازتي فإذا دفنتيني فهذا خاتم لي مكتوب عليه باسم الله فادفنيه معي، فإذا فرغت من دفني فتشفعي لي إلى ربي عز وجل قالت: ففعلت وصيته، فلما انصرفت عن رأس قبره سمعت صوته، وهو يقول انصرفي يا أماه فقد قدمت على رب كريم). فيه دلالة على أنه تاب توبة بالغة حتى إنه تبرك باسم الله وتشفع به وبدعاء أمه والتوبة تمحو ما قبلها، وفاء بقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه: ٨٢] وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم أي لعبيدي (إني لم أخلقهم لأربح عليهم، وإنما خلقتهم ليربحوا عليَّ) لأنه تعالى غني عنهم وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] المراد منه إثابتهم على عبادتهم له. (سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر الحربي يقول: كنا قعوداً ببغداد مع معروف الكرخي على الدجلة) نهر ببغداد (إذ مر بنا قوم أحداث) أي شبان (في زورق يضربون بالدف ويشربون) الخمر (ويلعبون) بالملاهي (فقلنا لمعروف أما تراهم يعصون الله تعالى مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يده) وفي نسخة يديه (وقال: إلهي كما فرحتهم

وحينئذٍ فلا ينبغي الاعتماد على الطاعات، ولا اليأس مع المخالفات. (قوله: مع بركة دعاء الرجل الخ) فيه أنه لم يتقدم ذكر داع من الرجال فلعل هنا سقطاً فحرره.

(قوله: اجتاز) أي مر. (قوله: ففعلت وصيته) فيه أن دفن ما عليه اسم معظم مع الميت ممنوع منه شرعاً. (قوله: فيه دلالة على أنه تاب الخ) أي والتوبة هي السبب في رجاء الخير منه تعالى. (قوله: والتوبة تمحو الخ) أي ويدل له خبر التوبة تجب ما قبلها من الذنب، أو كما ورد. (قوله: إلا ليعبدون) أي إلا ليصير أمرهم إلى العبادة فاللام للصيرورة والعاقبة، وذلك بالنسبة لمن سبق في علمه القديم، وحكمته الأزلية أنهم يصيرون كذلك، فلا يقال: بالخلف في الخبر بواسطة مشاهدة أكثر الخلق على غير طريق العبادة، بل على الضلال والبهتان.

(قوله: فرفع يده الخ) أقول: ذلك منه من قبيل التخلق بالخلق المحمدي

في الدنيا فرحهم في الآخرة) لأن ذلك فعلك وأنت القادر عليه وعلى إزالته (فقالوا له إنما سألناك أن تدعو عليهم فقال إذا فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم) وإذا تابوا زال عنكم ما تكرهونه، فيحصل مطلوبكم من الدعاء عليهم، وهذا من كمال المعرفة والسياسة في تغيير المنكر الذي لا يتمكن العبد من إزالته بقوّة الجاه والسطوة، فسلك معروف في إزالته مسلك السؤال، وطلب الفضل من الله في أن يغير أحوالهم عما هي عليه لأنه تعالى الفاعل بهم ما هم فيه فقال: «اللهم ما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة فأعلمهم بذلك أن التغيير في هذا الوقت لمثل هؤلاء، إنما هو بالدعاء لهم بالتوبة، وبين ذلك بقوله: إذا فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم». (سمعت أبا الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد المزكي قال: حدثنا أبو زكريا يحيى بن يحيى الأديب قال حدثنا الفضل بن صدقة قال: حدثني أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال: كان يحيى بن أكثم القاضي صديقاً لي، وكان يودّني وأودّه) بفتح الواو فيهما أي يحبني وأحبه من الود بتثليث الواو، وهو المودّة أي المحبة (فمات يحيى فكنت أشتهي أن أراه في المنام فأقول: له ما فعل الله بك فرأيته ليلة في المنام فقلت له: ما فعل الله بك قال: غفر لي إلا أنه وبخني، ثم قال لي يا يحيى خلطت عليّ في دار الدنيا فقلت أي رب اتّكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: إنك قلت إني لأستحي إن أعذب ذا شيبة) أي شابت في الإسلام، وتاب صاحبها من زلله (بالنار فقال: قد عفوت عنك يا يحيى، وصدق نبيي إلا أنك خلطت عليّ في دار الدنيا) فيه دلالة على أنه غفر له بحسن ظنه بربه مع عمله الصالح، وإن كان قد خلطه بشيء لاعترافه بذنبه فقد قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا

حيث قال في كفار قريش: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» بشهود أن الفاعل المختار هو الله سبحانه وتعالى، وإن كل كائن فبقدرته وإرادته فسأله أن يغير حالهم من عقوق المعاصي إلى امتثال الطاعات، وذلك بواسطة ما منحه الله تعالى من الرأفة والرحمة بعباد الله لا عجزا عن الإنكار لمعرفته أن مجرد الإنكار لا ينفع، ولا يؤثر فافهم ما أشرت إليه تعلم ما في الشارح مما عول عليه. (قوله: كان يحيي الخ) فيه تنبيه على سعة الفضل والرحمة، وأنهما قد يكونان لمن خلط في العمل الحسن بالقبيح، بل لمن تجرد مع صحة الإيمان كيف، وقد أمر عباده بالعفو والإحسان، ولو في حق من تعدى من نوع الإنسان، فالرب أولى بالكرم إذ هو ولي سائر النعم.

(قوله: وتاب صاحبها الخ) أقول إنما قيد بذلك نظراً لحكم النقل، وإلا فلا قيد

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ١٠٢] وعسى من الله بمعنى الإيجاب، والوعد لا بمعنى الترجي فقد وعد تعالى من اعترف له بذنبه أن يرزقه التوبة والمغفرة.

باعتبار حكم العقل. (قوله: **بمعنى الإيجاب الخ**) أي لاستحالة معناها الذي هو الترجي في حقه تعالى. (قوله: **من اعترف له بذنبه الخ**) قيد بضمير الحق تعالى ليحترز به عن اعتراف العبد بذنبه لغيره، فإنه معصية أخرى تزيد على معصية الفعل.

باب الحزن

هو قبض يرد على القلب لفوات محبوب، أو توقع مؤلم، وقد ينسى سببه، ثم

باب الحزن

أقول، وهو لا يكون إلا من قلب حي تألم من المعاصي وحزن على فوات الطاعات، فيطلب هذه ويفر من تلك لما أحس به من ألم أو ملاءمة ولما جده من مرارة وحلاوة، فحزن على ما فاته من الموافقات على حسب همته، وندم على ما فعله من الزلات، والقلب الميت لا يحس بشيء من ذلك قال رسول الله ﷺ «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن»[(١)] وقال ابن مسعود: رضي الله عنه: المؤمن يرى نفسه من ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فأطاره. فحقيقة الحزن انقباض السر لما سلف من مخالفة الأمر، والتلهف على ما وقع فيتمنى أنه لم يكن وقع وقال بعضهم: الحزن هو انقباض القلب لفوات محبوب، أو خوف حصول مكروه فتهيجه حسرة خوف الفوات أو وجود الفوات، وذلك عذاب حاضر لا فائدة له إلا التشمير في المستأنف فإن أفاد عملاً أو نهوضاً لاستدراك الممكن منه كان حسناً جميلاً، وإلا فليس بشيء بل هو زيادة في الاغترار، وقد يزداد صاحبه جرأة ورؤية للنفس، فيكون سبباً لطرده من حيث يراه سبب قربه، ولقد سمعت عن شيخنا أبي عبد الله النوري رحمه الله يقول: رأيت في حديث عنه ﷺ أنه قال: «إذا استكمل الرجل النفاق ملك عينيه يرسلهما متى شاء»، وقال بعضهم: الحزن من منازل العامة إذ هو انخلاع عن السرور وملازمة للكآبة بتأسف على فائت، أو توجع لممتنع، وإنما كان من منازل العامة لأن فيه نسيان المنة والتفاتا إلى رقة الطبع، وهو في مسالك الخواص حجاب لأن معرفة الله تعالى جلا نورها كل ظلمة، وكشف سرورها كل غمة، ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، وقيل: إن عتبة الغلام دخل على رابعة العدوية، وعليه قميص جديد، وهو يتبختر في مشيته بخلاف ما سبق من عادته فقالت له: يا عتبة ما هذا التيه، وهذا العجب الذي لم أره في شمائلك قبل اليوم، فقال: يا رابعة من

---

(١) أخرجه الترمذي (فتن ٧) وأحمد بن حنبل (١، ١٨، ٢٦، ٣، ٤٤٦).

هو قد يكون محبوباً، وقد يكون مذموماً، كما سيأتي (**قال الله تعالى**: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: أخبرنا علي بن حبيش قال: حدثنا أحمد بن عيسى قال: حدثنا ابن وهب قال: حدثنا أسامة بن زيد الليثي عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سمعت عطاء بن يسار قال: سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من شيء يصيب العبد المؤمن من وصب»[1] أي مرض (**أو نصب**) أي تعب (**أو حزن أو ألم**) وفي نسخة أوهم (**يهمه**) أي يقلقه (**إلا كفر الله عنه من سيئاته**) لصبره على ما ابتلي به، والحزن تارة يكون قوياً وتارة يكون ضعيفاً فمتى كان في قبض العبد اتساع للنظر في أسبابه أو للحيلة في الخلاص منه كان فيه تفرقة، ومتى تراكم القبض وتوالى سمي كمداً وبينهما حالة تسمى شجاً وهي أن يخطر ببال العبد السبب الذي

أولى بهذا مني، وقد أصبح الله لي مولى، وأصبحت له عبداً شعر:

يرنحني إليك الوجد حتى	أميل من اليمين إلى الشمال
ويأخذني لذكركم اهتزاز	كما نشط الأسير من العقال

اهـ.

(**قوله: ثم هو قد يكون محبوباً الخ**) أي فإذا نشأ عن فوات أمور الآخرة، فهو محبوب مثاب عليه بخلافه على فوات الحظوظ التي تؤدي إلى المخالفات، فهو حينئذٍ مذموم مأزور فاعله، أما إذا كانت الحظوظ بشاهد العلم، ولا تنافي الانقياد فالحزن على فواتها محبوب مثاب صاحبه عليه غير أن الأفضل الرضا. (**قوله: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن**) أي وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة، وعن ابن عباس خوف الأعراض والآفات وعنه أيضاً خوف الموت، وعن الضحاك حزن إبليس ووسوسته، وقيل هم المعاش، هذا، والظاهر أنه الجنس المنتظم بجميع أحزان الدنيا. (**قوله: ما من شيء الخ**) وفي رواية أخرى: «ما أصاب المؤمن من مصيبة إلا وله فيها أجر حتى الشوكة يشاكها». (**قوله: إلا كفر الله عنه من سيئاته**) أي حيث صبر واحتسب، ولم يشك.

(**قوله: كان فيه تفرقة**) أي لأن همته لم تجتمع على ما تجلى عليه الحق تعالى به، وذلك بواسطة ما بقي فيه من ذلك الاتساع. (**قوله: وبينهما حالة الخ**) أقول: البينية باعتبار قوة النظر في أسباب متعددة ليعلم منها ما به حزنه في الأول بخلاف الثاني، فإن

---

(١) أخرجه البخاري (مرضى ١) ومسلم (بر ٥٢) والترمذي (جنائز ١) وأحمد بن حنبل (٢، ٣٠٣، ٣٣٥، ٣، ٤، ١٨، ٢٤، ٣٨، ٤٨، ٦١، ٨١).

أحزنه، وكان محموداً وجر انشراحاً في صدره بما من عليه من الحزن، وسأل المحاسبي شيخه ما علامة الشجا، فقال: دوام البكاء ممزوجاً بفرح لعلمه معرفة النعمة عليه في الحزن والبكاء، إذا عرفت ذلك فنقول: **(الحزن)** حال **(يقبض القلب عن التفرق في أودية الغفلة)** وهذا في الحزن القوي **(والحزن من أوصاف أهل السلوك)** في الطريق. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: صاحب الحزن يقطع من طريق الله)** أي من الطريق إليه **(في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين)** لأن من حزن على التقصير جدَّ في التحصيل، ومن خشي الفوات اجتهد قبل الممات[1] وفي الخبر: «إن الله يحب كل قلب حزين» لأن الحزن على الخيرات وفوات الأوقات في البطالات من نعم الله تعالى على العبد. **(وفي التوراة إذا أحب الله عبداً جعل في قلبه نائحة)** تجلب الحزن له **(وإذا أبغض)** الله **(عبداً جعل في قلبه مزماراً)** يجلب له الفرح. **(وروي أن رسول الله ﷺ كان متواصل الأحزان دائم الفكر)** فيما يحصل به الثواب. **(وقال بشر بن الحرث الحزن ملك)** أي كالملك **(فإذا سكن**

قوّته لمجرد حضور ما به حزنه لا غير وفرق بين الحالتين. **(قوله: وكان محموداً)** أي بشاهد العلم بحيث لا ينافي دوام الانقياد. **(قوله: وجر انشراحاً الخ)** أي باعتبار شهود مصدره.

(قوله: لعلمه معرفة النعمة الخ) علة لثبوت الفرح له أي ففرحه لشهود أن حزنه وبكاءه من النعم لما يترتب له على ذلك من جزيل الأجر منه تعالى. **(قوله: الحزن حال يقبض الخ)** أي الحزن الكامل يكون كذلك فكلامه في حزن على فائت مما يتعلق بالآخرة لا على ما يتعلق بحظوظ النفس. **(قوله: والحزن من أوصاف أهل السلوك)** أي لأنه من ثمرة أعمالهم وتجليات عبودياتهم في حال سيرهم. **(قوله: يقطع من طريق الله)** أي الطريق المعنوي الموصل إلى إحسان الله وكرمه ورضاه. **(قوله: إن الله يحب كل قلب حزين)** ليس يخفى عليك أن محبة الله للعبد، إنما هي إحسان الله إليه أو إرادته ذلك له. **(قوله: جعل في قلبه نائحة)** المراد بالنائحة، وكذا المزمار الآتي في كلامه ما يوجد في قلب العبد بخلق الله سبحانه وتعالى من دواعي وبواعث الخير والشر. **(قوله: كان متواصل الأحزان الخ)** اعلم أن ذلك إنما هو باعتبار تصوراته أحوال أمته ﷺ بمقتضى رأفته ورحمته الجبلية له، وإلا فحاله ﷺ وكماله لا يضاهى. **(قوله: الحزن ملك الخ)** مراده الحزن الكامل الذي جمع صاحبه همته عليه حتى استأصل قلبه بغلبات أحواله، ولم يبق فيه مساغ لغيره.

(قوله: فإذا سكن في موضع الخ) أنت خبير بأن المحمود من الحزن هو الذي لم

---

(١) أخرجه السيوطي في (جمع الجوامع ٥٢٤) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٥٨٩٨).

في موضع لم يرض أن يساكنه أحد) لأن الحزن إذا نزل في القلب عمره وغمره حتى لا يبقى فيه ذكر لغير ما هو محزون عليه. (وقيل: القلب إذا لم يكن به حزن خرب) بكسر الراء كالخوف بل أولى لأن الخوف من مقدمات الحزن (كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب، وقال أبو سعيد القرشي بكاء الحزن يعمي) البصر (وبكاء الشوق يغشي البصر ولا يعميه). (قال الله تعالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾) [يوسف: ٨٤] أي بدل سوادهما بياضاً ببكائه ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤] أي مغموم مكروب جعل سبب العمى الحزن إذ الحزن يمنع من الطعام والشراب، ويكثر معه الهموم والغموم فتصعد من المعدة أبخرة رديئة مظلمة تكون سبباً لزوال الإدراك من العين وقت البكاء هذا بكاء الحزن، وأما بكاء السرور فمزوج بفرح. (وقال ابن

يصل إلى حد الإفراط المؤدي لليأس، والقنوط الذي هو من الكبائر، ففي الخبر أنه ﷺ قال: «خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله، وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله، وسوء الظن بعباد الله، ويقال: خمسة في الذنب أعظم من الذنب احتقار الذنب، والإصرار على الذنب، والمجاهرة بالذنب، والجراءة على الذنب، واليأس من غفران الذنب»[1] فافهم. (قوله: بل أولى الخ) أي لأن مقام الحزن فوق مقام الخوف. (قوله: بكاء الحزن يعمي البصر) أي فتأثير الحزن أقوى من تأثير الشوق، والدليل على ذلك ما في قصة يعقوب على نبينا، وعليه أفضل الصلاة والسلام، ويشهد له أيضاً حسن العيان أيضاً إذ لا راحة ولا حظ في شيء لحزين مع أنه من الداآت المهلكة للنفوس.

(قوله: وابيضت عيناه من الحزن) أي الحزن الموجب للبكاء فإن العبرة إذا كثرت محقت سواد العين، وقلبته إلى بياض كدر، وقد قيل قد عمي بصره، وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً، روي أنه ما جفت عينا يعقوب عليه السلام من يوم فراق يوسف إلى يوم لقائه ثمانين عاماً وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب عليه السلام، روي عن النبيّ ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال: وجد سبعين ثكلى قال: فما كان له من أجر قال: أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله قط، وفيه دليل على جواز البكاء، والحزن عند النوائب فإن الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف، فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد، ولقد بكى رسول الله ﷺ وقت موت ولده إبراهيم، وقال: «القلب يحزن والعين تدمع، ولا نقول: ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون»، وإنما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٩٣) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٢٠٨) والألباني في (السلسلة الضعيفة ٧).

خفيف: الحزن حصر النفس عن النهوض في الطرب) والفرح **(وسمعت رابعة العدوية رجلاً يقول: واحزناه فقالت له قل وا قلة حزناه لو كنت محزوناً لم يتهيأ لك أن تتنفس)** يعني لم تتفرغ للإستغاثة بقوله وا حزناه، ولذلك قال بعض العارفين: وا حزناه على الحزن لأنه لو ترك قوله: على الحزن لاحتمل أن يكون قوله: وا حزناه من الخوف، فبين مراده بقوله: على الحزن أي فقده. **(وقال سفيان بن عيينة: لو أن محزوناً بكى في أمة)** من الأمم **(لرحم الله تلك الأمة ببكائه)**. فيه دلالة على أن المحزون شديد الإضطرار إلى ما حزن عليه وعند الإضطرار، وعده الله بالإجابة فقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا﴾ [النمل: ٦٢] الآية. **(وكان داود الطائي الغالب عليه الحزن وكان يقول: بالليل: إلهي همك عطل عليَّ الهموم، وحال بيني وبين الرقاد)** فيه تضرع إلى الله أن

ولطم الخدود، وشق الجيوب، ونحو ذلك. **(قوله: وأما بكاء السرور الخ)** ذكره لمناسبة ذكر ضده وهناك فرق آخر غير ما ذكره الشارح، وهو أن دمعة الحزن حارّة ودمعة السرور باردة.

(قوله: حصر النفس) أي انحصارها إذ لا يشترط فعل. **(قوله: فقالت له قل الخ)** أقول فلكمال حالها نفعنا الله ببركاتها حملته على الكامل من الحزن، إذ لا مخرج عن الإحساس سواه. **(قوله: لو أن محزوناً بكى الخ)** أقول: وفي صحيح الخبر: «إن العبد إذا أذنب الذنب فقال: يا رب اغفر لي قال الله تعالى: أذنب عبدي ذنباً وعلم أن له رباً يغفر الذنب يأخذ به أشهدكم أني قد غفرت له» الحديث، فعلم العبد أن الرب يغفر الذنب من مشاهدة كرم الرب وجماله، وعلمه بأنه يأخذ به من مشاهدة جلاله، ولولا اجتماعهما له في موضع واحد ما انتفع باستغفاره فافهم. **(قوله: لرحم الله تلك الأمة)** انظر كون رحمة الله الأمة من أجل بكاء الباكي تعلم فضيلة البكاء، وما يعطيه الحق تعالى في مقابلته حيث كان بكاؤه مشروعاً.

(قوله: وكان يقول بالليل الخ) اعلم أن الكامل من يكون نظره للفضل والعدل لا للذنب والعيب، ولذا قال يحيى بن معاذ: إن أنالهم فضله لم يبق لهم سيئة وإن أقام عليهم عدله لم يبق لهم حسنة وفيما أوحى الله إلى بعض أنبيائه عليهم السلام قل لعبادي الصديقين لا يغتروا فإني إن أقمت عليهم عدلي وقسطي أعذبهم غير ظالم لهم، وقل لعبادي المذنبين لا يقنطوا فإني لا يتعاظمني ذنب أغفره لهم، وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ [فصلت: ٤٣] للناس على ظلمهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦] وقال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] فكله على السواء في حقه سبحانه وتعالى. **(قوله: فيه تضرع إلى الله الخ)** أي فيما

يفرج عنه ما هو فيه بأن ينيله مطلوبه مما هو فوق ذلك كمقام التوحيد والجمع. **(وكان يقول: كيف يتسلى من الحزن)** أي ينكشف عنه الحزن **(من تتجدد عليه المصائب في كل وقت)** فيه دلالة على كمال طلبه لربه وشغل همته بأن ينيله مطلوبه. **(وقيل: الحزن يمنع من الطعام)** لكثرة الهموم والغموم بواسطة شدة تعلق قلبه بمطلوب شريف يريد حصوله. **(والخوف يمنع من الذنوب)** لكونه سبباً للتوبة، وهي سبب للمغفرة بوعد الله تعالى. **(وسئل بعضهم بم يستدل على حزن الرجل فقال: بكثرة أنينه)** لأنه من تراكم عليه ألم الحزن عسر عليه التعبير بلسانه، وإنما يتنفس ويتروح بأنينه. **(وقال سري السقطي)** متمنياً لدرجة الحزن **(وددت أن حزن كل الناس)** المحزونين **(ألقي عليّ)** لأنال كمال ما أعطاه الله لهم على حزنهم. **(وتكلم الناس في الحزن فكلهم قالوا: إنما يحمد حزن الآخرة)** أي الحزن على فوات الخيرات الأخروية **(وأما حزن الدنيا فغير محمود)** لأن المقصود إنما هو العمل الأخروي **(إلا أبا عثمان الحيري فإنه قال: الحزن بكل وجه فضيلة وزيادة للمؤمنين)** وإن كان حزن الدنيا لأن الحزن على فوات التنعم، واللذات المباحة إذا نزل بالعبد وصبر عليه محمود **(ما لم يكن بسبب معصية لأنه إن لم يوجب تخصيصاً)** بارتفاع الدرجات **(فإنه**

استغاث به تضرع وابتهال، وما ذكره الشارح لا يتعين إذ قد يصل إلى مقام التوحيد، والجمع في وقت ويعود إلى الإحساس في آخر، نعم هو إذا عاد استغاث مما عاد إليه شوقاً إلى ما كان فيه. **(قوله: من تتجدّد عليه المصائب)** أي ولو كان ذلك بالقوّة مما يتوقع أو بالفعل، ويكون ذلك أشدّ تأثيراً. **(قوله: الحزن يمنع من الطعام الخ)** يفيد كلامه أن الخوف أتم وأشرف من الحزن، وتقدم قبل هذا ما يفيد العكس فلعل الإختلاف بحسب ما لأجله ذلك في الحزن، نعم إذا كان المعنى أن الحزن يمنع من الطعام زيادة عن منعه من الذنوب، فلا يخالف ما تقدم من أن الحزن أفضل فلعل الحمل على هذا أولى.

(قوله: بكثرة أنينه) أقول: لعل ذلك باعتبار بعض أفراد المحزونين، وإلا فهو قد يلوح على صفحات الوجوه، وإن لم يوجد الأنين. **(قوله: وددت الخ)** غاية غرضه رغبته في زيادة الأجر وإلا فسؤال العافية مندوب إليه.

(قوله: فكلهم قالوا الخ) أقول: ذلك منهم شاهده علم الذوق، وعلو الهمة، وإلا فعلى المنقول من أحكام الشرع يترجح ما ذهب إليه الحيرى، والمدار في كل على التسليم والرضا بما يجري به القضاء. **(قوله: ما لم يكن بسبب معصية)** أي بأن كان لا يحصل المباح الذي فاته إلا بمقارفة معصية، فحزنه حينئذ حزن على فوات المعصية فهو في هذه الحالة غير محمود، بل هو مذموم. **(قوله: لأنه إن لم يوجب تخصيصاً)** أي إن

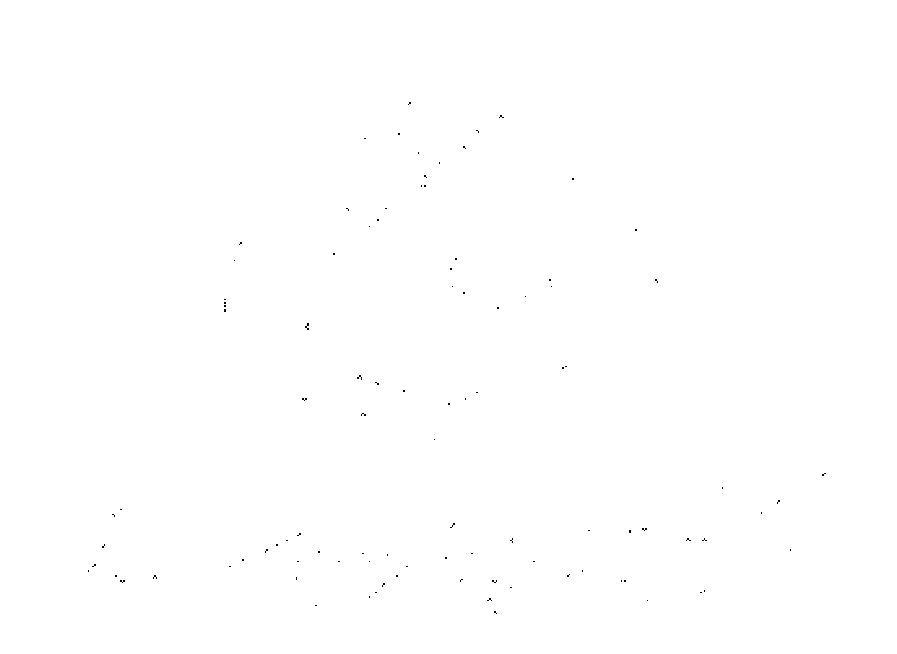
يوجب تمحيصاً) ومحو الذنوب أما إذا كان بسبب معصية فلا نزاع أنه مذموم. (وعن بعض المشايخ أنه كان إذا سافر واحد من أصحابه يقول: إن رأيت محزوناً فأقرئه مني السلام) ليرد عليّ فأنتفع بدعائه، وفيه دلالة على فضيلة المحزونين لكمال معرفتهم بربهم، وفيه أنه عرّف بعض أصحابه بذلك قلة المحزونين وأنهم آحاد في الصالحين. (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها: هل طلعت اليوم على محزون)، فيه دلالة أيضاً على ذلك. (وكان الحسن البصري لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة) لما به من الحزن. (وقال وكيع لما مات الفضيل) بن عياض (ذهب الحزن اليوم من الأرض) لما كان به من كمال الحزن. (وقال بعض السلف: أكثر ما يجد المؤمن في صحيفته من الحسنات) ما أوجبه (الهم والحزن) بسبب البلايا التي أصابته في نفسه وماله وولده مع الصبر عليها وإنما كانت حسناتها أكثر لأن حسنات غيرها مشروطة بالإخلاص، وهو عسر، فقلت الحسنات المرتبة عليه بخلافها على البلايا. (سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: سمعت علي بن بكران يقول: سمعت محمد بن علي المروزي يقول: سمعت أحمد بن أبي روح يقول: سمعت أبي يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: كان السلف يقولون: إن على كل شيء زكاة وزكاة العقل) يعني القلب (طول الحزن) فكما جعلت الزكاة طهرة للمال جعل الحزن طهرة للقلب من سائر خواطر الدنيا لما امتلأ به من خواطر الآخرة. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول: سمعت أبا الحسين الوراق يقول: سألت أبا

لم ينشأ عنه تخصيص بارتفاع الدرجات، فلا أقل من أنه ينشأ عنه التمحيص للذنوب، وهو كذلك بموافقة المنقول في أحكام الفروع. (قوله: إن رأيت محزوناً الخ) مراده من شغله الحزن، واستغرقه حتى غيبه عن حظ نفسه لا مطلق المحزون، وهو بالمعنى الذي قلناه عزيز نادر، كما ذكره الشارح.

(قوله: هل طلعت الخ) أي فيكون الخير باقياً في الأمة ببقاء هذه الفضيلة العظيمة التي هي صفة الحزن. (قوله: وكان الحسن البصري الخ) أي فكان نفعنا الله ببركاته متخلقاً بالخلق المحمدي إذ ثبت في الخبر أنه كان دائم الأحزان ﷺ. (قوله: أكثر ما يجد المؤمن الخ) فيه بيان لفضيلة الحزن بفضيلة ما يترتب عليه من الأجر. (قوله: بخلافها على البلايا) أي فلا معطل لها مما يتعسر تحققه للعبد مثل الإخلاص. (قوله: كان السلف يقولون الخ) أقول: يصدق بالحزن لفوات أعمال الآخرة المفيدة لرفعة الدرجات فيها، ولفوات ما به التنعم في الدنيا مما لم يكن بسبب معصية، كما تقدم.

عثمان الحيري يوماً عن الحزن فقال: الحزين لا يتفرغ إلى سؤال الحزن) أي وأنت سائل عنه فأنت فارغ منه، ولولا فراغك منه لما سألت عنه، **(فاجتهد في طلب الحزن ثم)** بعد اجتهادك في طلبه **(سل)** عنه ثم بعد حصول كماله لا سؤال لأن كمال الحزن يشغلك عن السؤال عنه.

(قوله: فقال الحزين الخ) حمله على الفرد الكامل من الحزن، وهو الذي إذا قام بالعبد اصطلمه، فلا يكون فيه مساغ لشيء، ولا للسؤال عنه، ثم دله على تحصيل مثل هذا الحال بقوله: فاجتهد الخ.



فهرس المحتويات